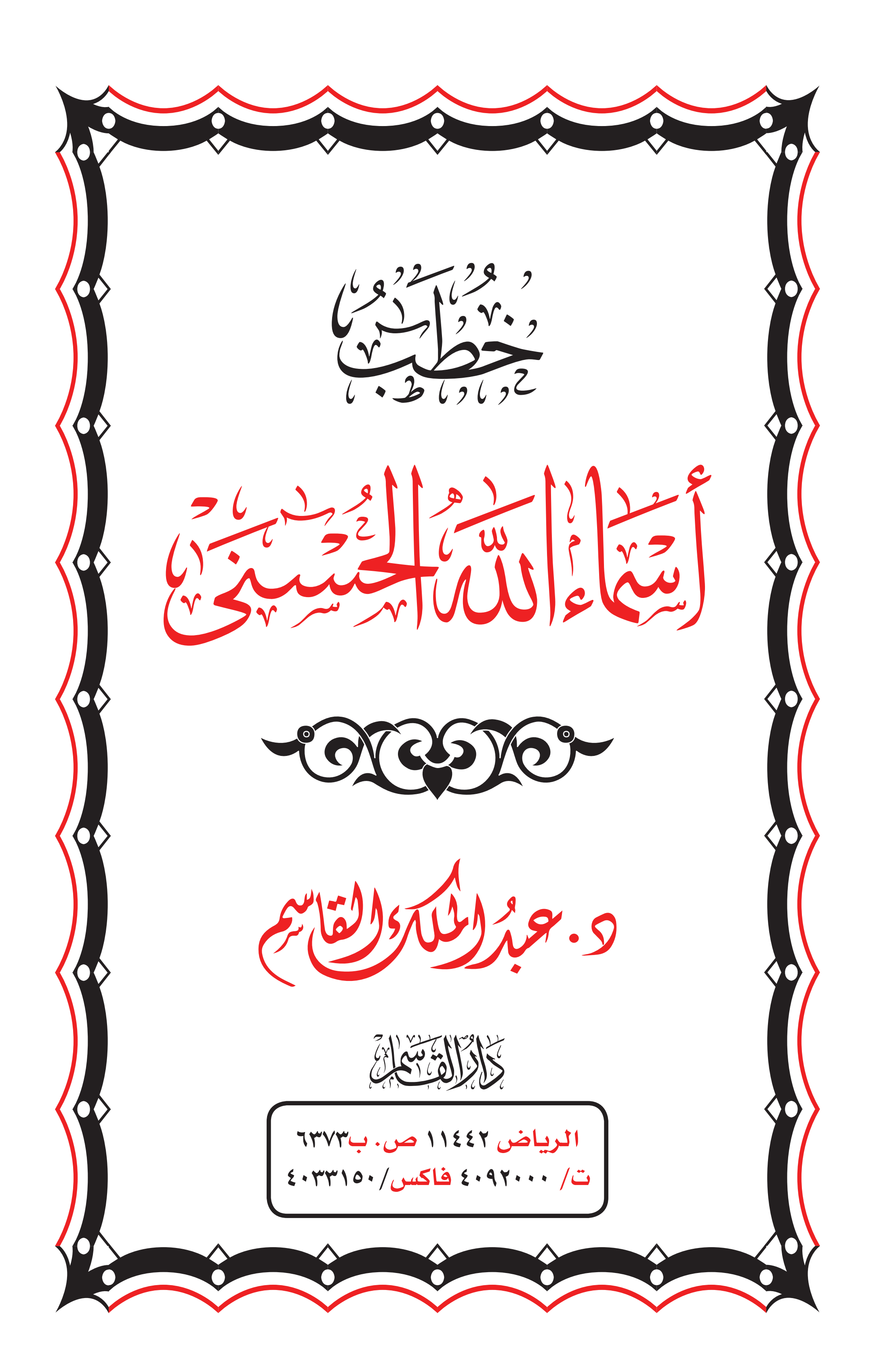


خطب

أسماء الله الحسنى

د. عبد الملك القاسم

دار القاسم

الرياض ١١٤٤٢ ص. ب ٦٣٧٣
ت/ ٤٠٩٢٠٠٠ فاكس/ ٤٠٣٣١٥٠

ح دار القاسم للنشر والتوزيع، ١٤٤٠هـ
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
القاسم، عبد الملك محمد عبدالرحمن
خطب أسماء الله الحسنى. / عبد الملك محمد
عبدالرحمن القاسم. ـ الرياض، ١٤٤٠هـ
٧١٢ ص، ١٧×٢٤ سم
ردمك: ١ -٠٧٨٧ - ٥٣ - ٦٠٣ - ٩٧٨
١ - الأسماء والصفات أ -العنوان
ديوي ٢٤١ ١٤٤٠/٤٣٩٨

رقم الإيداع: ١٤٤٠/٤٣٩٨
ردمك: ١ -٠٧٨٧ - ٥٣ - ٦٠٣ - ٩٧٨

الطبعة الأولى: ١٤٣٩هـ/ ٢٠١٨م

الصف والمراجعة والإخراج بدار القاسم

فروع دار القاسم

الفرع الرئيس الرياض هاتف: ٤٠٩٢٠٠٠ ـ فاكس: ٤٠٣٣١٥٠

الدمام: هاتف: ٨٤٣١٠٠٠ ـ فاكس: ٨٤١٣٠١١

البريد الإلكتروني: Sales@dar -alqassem.com


بسم الله الرحمن الرحيم


خطب
أسماء الله الحسنى



الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

فقد خلق الله الخلق لعبادته، وأرسل إليهم رسله، وتعرف إليهم بأسمائه الحسنى، وصفاته العلا.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (أطيب ما في الدنيا معرفته سبحانه ومحبته، ومن أعظم ما يقوي الإيمان ويقرب المسلم إلى ربه معرفة أسمائه وصفاته، والتعبد لله عَزَّ وَجَلَّ بها، قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَاۖ وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ أَسۡمَٰٓئِهِۦۚ سَيُجۡزَوۡنَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٠]) وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (كلما كان العبد بها أعلم، كان بالله أعرف، وله أطلب، وإليه أقرب).

ورغبة في توضيح وبيان بعض أسماء الله الحسنى وصفاته العلا؛ جعلتها في خطب تلقى على المنابر يوم الجمعة، وربما جمعت بين اسمين أو أكثر في خطبة.

وراعيت سهولتها ووضوح عبارتها، وذكر ثمرات معرفتها والتعبد بها، مع بيان منهج أهل السنة والجماعة دون التعرض لأهل الأهواء، فجاءت بحمد

الله في أربع وسبعين خطبة؛ حوت مائة اسم؛ مناسبة لعامة الناس، مع مراعاة ما يتسع لها من وقت الخطبة[١].

ونقلت كثيراً من مؤلفات العلماء في هذا الجانب. وأكثرت من النقل من كتاب: (ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها) للشيخ عبد العزيز الجليل، وكتاب (فقه الأسماء الحسنى) للشيخ عبد الرزاق البدر وغيرهما.

أسأل الله أن يجعل عملي صوابًا، خالصًا لوجهه الكريم.

عَبْدُ ٱلْمَلِكِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلْقَاسِمِ

(١) وقد ألَّفت قبلُ: (خطب كتاب التوحيد) و(خطب الأربعين النووية) و(خطب ثلاثة الأصول) و(خطب كشف الشبهات) و(خطب نواقض الإسلام) وغيرها.

١ الخطبة الأولى [١]

الحمد لله ولا نعبد إلا إياه، له الحمد في الأولى وفي الأخرى، وإليه المرجع والمعاد، وأشهد أن لا إله إلا الله، الواحد الأحد، الفرد الصمد، وأشهد أن نبينا محمداً عبد الله ورسوله، وصفيه وخليله، أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون، صلى الله وسلم وبارك عليه، وعلى آله وصحبه والتابعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

فاتقوا الله – عباد الله – حق التقوى، ﴿وَٱتَّقُواْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٨١].

عباد الله:

إن معرفة أسماء الله وصفاته على الوجه الذي أخبر به ﷻ ورسوله ﷺ، توجب على العبد القيام بعبوديته – سبحانه – على الوجه الأكمل؛ فكلما كان الإيمان به أكمل، كان الحب والإخلاص والتعبد أقوى. وأكملهم عبودية المتعبد بجميع الأسماء والصفات التي يطلع عليها البشر، فالإيمان بما تقتضيه الأسماء والصفات يوجد استقامة كاملة في العبد.

---

(١) مقدمة عن: أسماء الله الحسنى.

ثم إن مفتاح الدعوة الإلهية معرفة الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ بأسمائه الحسنى وصفاته العلا، لأنه لا حياة للقلوب ولا نعيم، ولا لذة ولا سرور، ولا أمان ولا طمأنينة إلا بأن تعرف ربها ومعبودها وفاطرها بما سمى به نفسه أو وصف به نفسه، ويكون أحب إليها مما سواه، ويكون سعيها في ما يقربها إليه ويدنيها من مرضاته. فبعث الله الرسل وجعل مفتاح دعوتهم وزبدة رسالتهم معرفة المعبود الحق بأسمائه وصفاته وأفعاله.

وأحب الأشياء إلى الله حمده ومدحه، والثناء عليه بأسمائه وصفاته وأفعاله، ولا يستقر للعبد قدم في المعرفة، بل ولا في الإيمان، حتى يؤمن بصفات ربه جَلَّجَلَالُهُ، فالإيمان بالصفات هو أساس الإسلام وقاعدة الإيمان وثمرة شجرة الإحسان، ودليل تعلق القلب بها، وشهوده لها هو روح السالكين وحاديهم إلى الوصول، ومحرك عزماتهم إذا فتروا، ومثير هممهم إذا قصروا.

عباد الله:

والعلم بأسماء الله يهز النفوس، ويحرك القلوب، ويزيل الأدران والأرجاس التي تحبس الإنسان عن الخير، كما أن العلم بصفاته هو العاصم من الزلل، والمقيل من العثرة، والمفتاح لباب الأمل، والمعين على الصبر، والواقي من الخمول والكسل.

وإن النفوس قد تهفوا إلى مقارفة الفواحش والذنوب، فتذكر أن الله يراها ويبصرها، وتذكر وقوفها بين يدي الله ﷻ، فترعوي وتجانب المعصية، وقد يقع ولا يوغل في طريق الهاوية، بل يعود إلى التواب الرحيم، قارعاً بابه، فيجده تواباً رحيماً ودوداً.

وتتناوش العبد المصائب والمكاره، فلا يجزع ويهلع، بل يلجأ إلى الحصن الحصين، ويقابل المكاره بنفس راضية.

عباد الله:

إن معرفة أسماء الله وصفاته والاشتغال بها، وفهم معانيها، والإيمان بها على ما يليق به سبحانه وتدبرها؛ يورث ثمرات عظيمة وفوائد جليلة تجعل صاحبها يتذوق حلاوة الإيمان، فلا شيء أطيب للعبد ولا ألذ ولا أهنأ ولا أنعم لقلبه وعيشه من محبة فاطره وباريه، ودوام ذكره والسعي في مرضاته، وهذا هو الكمال الذي لا كمال للعبد بدونه وله خلق الخلق، ولأجله نزل الوحي، وأرسلت الرسل، وقامت السماوات والأرض، ووجدت الجنة والنار، ووضع البيت الحرام، وأوجب حجه على الناس إقامة لذكره الذي هو من توابع محبته والرضا به وعنه. ولأجل هذا أمر بالجهاد، وعلى هذا الأمر العظيم أسست الملة ونصبت القبلة.

فكل من عرف الله أحبه، ومن عرف الدنيا وأهلها زهد فيهم، وكلما كان حبه أقوى كانت اللذة أعظم، ولهذا تعظم لذة الظمآن بشرب الماء البارد بحسب شدة طلبه للماء وكذلك الجائع، وكذلك من أحب شيئًا كان لذته على قدر حبه إياه، والحب نابع من العلم بالمحبوب ومعرفة جماله الظاهر والباطن.

إن معرفة أسماء الله وصفاته أفضل وأوجب ما اكتسبته القلوب، وحصلته النفوس، وأدركته العقول، قال ابن رجب رَحِمَهُ اللهُ: (العلم النافع: ما عرف العبد بربه، ودله عليه حتى عرفه، ووحده وأنس به، واستحى من قربه، وعبده كأنه يراه).

وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (أطيب ما في الدنيا معرفته سبحانه ومحبته، وألذ ما في الجنة رؤيته ومشاهدته).

وقال ابن العربي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (شرف العلم بشرف المعلوم، والباري أشرف المعلومات، والعلم بأسمائه أشرف العلوم).

وقد بشر النبي ﷺ الذي كان يقرأ سورة الإخلاص بأن الله يحبه لما قال: «لأنها صفة الرحمن».

وأسماؤه سبحانه أحسن الأسماء: وصفاته أكمل الصفات، قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

وإن معرفة أسماء الله وصفاته هي أصل الدين وأساس الهداية، فالقرآن مليء بالآيات التي ختمت بأسمائه أو صفاته، والآيات المتضمنة ذكر أسماء الله وصفاته أعظم مما فيه من ذكر المعاد، ولهذا كانت آية الكرسي أعظم آية في كتاب الله، وسورة الإخلاص ثلث القرآن، ومن أحبها أحبه الله، لأنها صفة الرحمن، والله تعالى يحب من يحب ذكر صفاته سبحانه.

وصفات الله سبحانه وحقائق أسمائه هي الجاذبة للقلوب إلى محبته وطلب الوصول إليه، لأن القلوب إنما تحب من تعرفه وتخافه وترجوه، وتشتاق إليه وتتلذذ بقربه، وتطمئن إلى ذكره بحسب معرفتها بأسمائه وصفاته.

عباد الله:

ومن أعظم ما يُقوي الإيمان وتجلبه معرفة أسماء الله الحسنى الواردة في الكتاب والسنة، الحرص على فهم معانيها، والتعبد لله بها، قال الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَـٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ

﴿مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٠]، وقد ثبت في الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «**إن لله تسعة وتسعين اسمًا مائةً إلا واحداً من أحصاها دخل الجنة**» [رواه البخاري] أي من حفظها، وفهم معانيها ومدلولها، وأثنى على الله بها، وسأله بها، واعتقدها، دخل الجنة، والجنة لا يدخلها إلا المؤمنون. فعلم أن ذلك أعظم ينبوع ومادة لحصول الإيمان، وقوته وثباته.

ومعرفة الأسماء الحسنى – بمراتبها الثلاث –: إحصاء ألفاظها وعددها، وفهم معانيها ومدلولها، ودعاء الله به. ودعاء الثناء والعبادة، ودعاء المسألة؛ هي أصل الإيمان، والإيمان يرجع إليها؛ لأن معرفتها تتضمن أنواع التوحيد الثلاثة: توحيد الربوبية، وتوحيد الألوهية، وتوحيد الأسماء والصفات، وهذه الأنواع هي روح الإيمان، وأصله وغايته، فكلما ازداد العبد معرفة بأسماء الله وصفاته ازداد إيمانه، وقوي يقينه. فينبغي للمؤمن أن يبذل مقدروه ومستطاعه في معرفة الله بأسمائه، وصفاته، وأفعاله. من غير تعطيل، ولا تمثيل، ولا تحريف ولا تكييف. بل تكون المعرفة مُتلقاة من الكتاب والسنة، وما روي عن الصحابة والتابعين لهم بإحسان. فهذه هي المعرفة النافعة التي لا يزال صاحبها في زيادة في إيمانه، وقوة يقينه، وطمأنينة في أحواله، ومحبة لربه، فمن عرف الله بأسمائه، وصفاته، وأفعاله أحبه لا محالة.

عباد الله:

والعبد كلما ازداد معرفة بأسماء الله وصفاته ازداد خشية وعبادة لله عز وجل، فمن كان بالله أعرف كان له أخشى، ومن ذلك:

أن العبد إذا آمن بأن الله (يُحب ويرضى) عمل ما يحبه معبوده وما يرضيه، ومن أحبه الله حاز كل خير، وإذا علم أن من صفاته سبحانه: الغضب والكره والسخط والمقت والأسف؛ فإن هذا يثمر له الخشية والخوف والحذر والبعد عن مساخط الله.

وإذا آمن بصفة: الفرح والضحك؛ أَنِسَ لهذا الرب الذي يفرح لعباده ويضحك لهم، ما عدمنا خيرا من رب يضحك.

وإذا آمن العبد أن الله متصف بصفات القهر والغلبة والسلطان، والقدر والهيمنة والجبروت؛ امتلأ قلبه خوفًا من الله الذي لا يعجزه شيء، فهو قادر أن يخسف به الأرض، وأن يعذبه في الدنيا قبل الآخرة لو سار على غير الهدى.

وإذا آمن العبد بأسماء العظمة والكبرياء؛ امتلأ قلبه تعظيمًا لله وإجلالاً له وخضوعا له. وإذا آمن العبد بأسماء الجمال والبر والإحسان والرحمة والرأفة والجود؛ امتلأ قلبه محبة لله وحمداً له وشكراً، وشوقًا لقائه.

وإذا آمن العبد بأسماء العزة والعلو على خلقه؛ امتلأ قلبه خضوعًا لله وخشوعًا وانكساراً بين يديه.

وإذا آمن العبد بأسماء العلم والمراقبة والمشاهدة؛ امتلأ قلبه حياءً من الله ومراقبة له في الحركات والسكنات، وتذكر وقوفه بين يديه يوم العرض الأكبر.

وإذا آمن العبد بأسماء الغنى والرزق واللطف والكرم والجود والعطاء والبر؛ امتلأ قلبه افتقاراً واضطراراً إليه والتفاتًا إليه في كل وقت وفي كل حال، وأثمر فيه قوة رجائه بالله وطمعه فيما عنده، وإظهار افتقاره إليه، واحتياجه له.

وإذا آمن العبد بأن الله حكيم فيما يقضي ويقدر، رحيم أرحم من الأم بولدها، فإنه إذا أحاطت به البلايا والمصائب، علم أن الله لم ينزل البلاء ليعذبه، وإنما ليهذبه ويطهره، ويرفع درجاته ويزيد حسناته، فيطمئن قلبه وينشرح صدره.

وإذا آمن العبد بأن الله هو الشافي؛ دعا ربه أن يشفيه عند المرض، وعند قساوة قلبه وفتوره عن الطاعات.

وإذا آمن العبد بأن الله قريب مجيب؛ أنزل حوائجه بربه، وطرق بابه، ولاذ بجنابه، وانكسر بين يديه ليعطيه سؤاله.

وإذا آمن العبد بأن الله تواب غفور، فإنه إذا غفل وعصاه؛ رجع تائبًا نادمًا ليغفر زلته ويتوب عليه.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ﴾ [الأعراف: ١٨٠].

بارك الله لي ولكم...

الخطبة الثانية

الحمد لله حمداً طيباً مباركًا فيه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن نبينا محمداً عبده ورسوله، صلى الله وسلم عليه، وعلى آله وأصحابه، والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

فهذا بيان مراتب إحصاء أسمائه التي من أحصاها دخل الجنة، وهذا هو قطب السعادة، ومدار النجاة والفلاح.

المرتبة الأولى: إحصاء ألفاظها وعددها.

المرتبة الثانية: فهم معانيها ومدلولها.

المرتبة الثالثة: دعاؤه بها، كما قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠]، وهو مرتبتان.

إحداهما: ثناء وعبادة.

والثاني: دعاء طلب ومسألة، فلا يُثنى عليه إلا بأسمائه الحسنى وصفاته العلا، وكذلك لا يُسئل إلا بها، فلا يقال: يا موجود، أو يا شيء، أو يا ذات اغفر لي وارحمني؛ بل يُسأل في كل مطلوب باسم يكون مقتضياً لذلك المطلوب، فيكون السائل متوسلاً إليه بذلك الاسم. فمثلاً عند طلب الرزق يقول: يا رزاق ارزقني، وعند طلب الشفاء: يا شافي اشفني، وعند طلب المغفرة: يا غفور اغفر لي، وعند طلب الرحمة: يا رحيم ارحمني وهكذا؛

ومن تأمل أدعية الرسل، ولا سيما خاتمهم وإمامهم، وجدها مطابقة لهذا، وأنها من أجمع الأدعية وأكملها وأشملها.

عباد الله:

الدعاء نعمة كبرى، ومنحة عظمى، جاد بها المولى تَبَارَكَوَتَعَالَى وامتَّن بها على عباده، حيث أمرهم بالدعاء، ووعدهم بالإجابة والإثابة.

ومن آداب الدعاء: تحري أوقات الاستجابة، ومنها: يوم عرفة، ويوم الجمعة، ووقت السحر، وحال السجود، وعند نزول المطر.

ومن الآداب: الثناء على الله ﷻ قبل الدعاء بما هو أهله، والصلاة على النبي ﷺ ويكون الداعي مستقبلاً القبلة، وعلى طهارة، مع رفع اليدين، والإلحاح على الله ﷻ، والدعاء ثلاثًا، وقبل ذلك الإخلاص لله ﷻ، وإطابة المطعم.

ويشرع التوسل بأسماء الله وصفاته والعمل الصالح عند الدعاء، بل إن ذلك من أسباب الإجابة.

ودليل التوسل بالأسماء، ما ورد في الحديث عنه ﷺ قال: «**اللهم إن أسألك بأنك أنت الله الواحد الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد**» [رواه النسائي].

ودليل التوسل بالصفات: أنه ﷺ إذا أصابه هم أو غم قال: «**يا حي يا قيوم برحمتك أستغيث**» [رواه الحاكم].

ودليل التوسل بالعمل الصالح قصة الثلاثة الذين انطبقت عليه الصخرة في الغار، فتوسل كل واحد منهم بصالح عمله ففرج الله عنهم.

ويختار من أسماء الله وصفاته ما يناسب حاله ومقامه، فالمريض يـدعو الله الرحيم، الرؤف الشافي، والفقير المحتاج يدعو باسـم الـرازق الـرزاق، الفتـاح الكريم، الوهاب.

هذا وصلوا وسلموا [١]...

❁ ❁ ❁

---

(١) كان من هدي النبي ﷺ أنه يقرأ في صلاة الجمعة بسورتي «سبح اسم ربـك الأعلـى» و«الغاشية»، أو بسورتي «الجمعة» و«المنافقون»، أو «الجمعة» و«الغاشية» كما روى ذلك مسلم.

٢ الخطبة الأولى[1]

الحمد لله، الإله الواحد الأحد، الفرد الصمد، وأشهد أن لا إله إلا الله وحدة لا شريك له في ألوهيته وربوبيته وأسمائه وصفاته، وأشهد أن نبينا محمداً عبد الله ورسوله، وصفيه وخليله، أرسله بالهدى ودين الحق، ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون. صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

فاتقوا الله عباد الله، ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٣].

أيها المسلمون:

لله ﷻ أسماء قد بلغت الغاية في الحسن؛ فليس في الأسماء أحسن منها ولا أكمل، ولا يقوم غيرها مقامها، لأنها متضمنة لصفات كاملة لا نقص فيها بوجه من الوجوه.

ومن حُسنها أنها كلها أسماء دالة على المدح، فليس فيها اسم لا يدل على المدح والحمد، ومن حُسنها أنها ليست أعلاماً محضة، وإنما هي أسماء وأوصاف، ومن حسنها أنها دالة على الصفات الكاملة، وأن له من كل صفة

---

(١) اسم (الله) ﷻ.

أكملها وأعمها وأجلها، ومن حسنها أنه أمر العباد أن يدعوه بها، لأنها وسيلة مقربة إليه يحبها، ويحب من يحبها، ويحب من حفظها، ويحب من يبحث عن معانيها ويتعبد له بها.

عباد الله:

وأوّل ما نبدأ به من أسماء الله الحسنى اسمه تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ (الله)، وهو اسم ذكر جماعة من أهل العلم أنه اسم الله الأعظم، الذي إذا دعي به أجاب وإذا سُئل به أعطى، ولهذا الاسم خصائص وميزات اختصّ بها.

يقول القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وهذا الاسم هو أكبر أسمائه وأجمعها حتى قال بعض العلماء: إنه اسم الله الأعظم، ولم يتسم به غيره، ولذلك لم يثن، ولم يجمع، وهو أحد تأولي قوله تعالى: ﴿هَلۡ تَعۡلَمُ لَهُۥ سَمِيّٗا﴾ [مريم: ٦٥]، أي: هل تعلم من تسمى باسمه الذي هو (الله)، (فالله) اسم للموجود الحق الجامع لصفات الألوهية المنعوت بنعوت الربوبية المنفرد الحقيقي لا إله إلا هو سبحانه).

ويقول السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وأوصاف الألوهية هي جميع أوصاف الكمال، وأوصاف الجلال والعظمة والجمال، وأوصاف الرحمة والبرِّ والكرم والامتنان.

فإن هذه الصفات هي التي يستحق أن يُؤلهَ ويُعبد لأجلها، فيؤله لأن له أوصاف العظمة والكبرياء، ويؤله لأنه المتفرِّد بالقيُّومية، والربوبية، والمُلك والسلطان، ويؤله لأنه المتفرد بالرحمة، وإيصال النِعم الظاهرة والباطنة إلى جميع خلقه، ويؤله لأنه المحيط بكل شيء علماً وحُكماً، وحكمةً وإحساناً، ورحمة وقدرة، وعزة وقهراً، ويؤله لأنه المتفرد بالغنى المطلق

التام من جميع الوجوه، كما أن ما سواه مفتقر إليه على الدوام من جميع الوجوه، مفتقر إليه في إيجاده وتدبيره، مفتقر إليه في إمداده ورزقه، مفتقر إليه في حاجاته كلها، مفتقر إليه في أعظم الحاجات وأشد الضرورات، وهي افتقاره إلى عبادته وحده والتأله له وحده).

قال ابن عباس رضي الله عنهما: (الله ذو الألوهية والعبودية على خلقه أجمعين، وهو الذي يألهه كل شيء ويعبده كل خلق. والله هو المستحق للعبادة دون سواه، فإن المستحق أن يكون إلهـًا هو المعبود الذي يكون لعابده خالقـًا ورازقـًا ومدبراً وعليه مقتدراً، ومن لم يكن كذلك فليس بإله وإن عُبد ظلمـًا).

واسم (الله) تفرد به سبحانه لا يشركه فيه غيره ولا يدعيه أحد، فإذا قيل: الإله، انطلق على الله سبحانه وعلى ما يُعبد من الأصنام، وإذا قيل: (الله) لم ينطلق إلا عليه سبحانه.

وكل ما اتخذ من دون الله معبوداً فهو إله عند متخذه، والجمع آلهة، سُمّوا بذلك لاعتقاد عابديهم أن العبادة تحق لهم، والأسماء تتبع اعتقاداتهم لا ما عليه الشيء في نفسه.

وأصل العبادة الخضوع والتذلل من قولهم: طريق مُعَبَّدٌ إذا كان موطوءاً لكثرة السير فيه ومنه اشتقاق العبد لخضوعه وذلته لمولاه، ويُقال عبد الله إذا خضع له وذل موجبـًا ذلك على نفسه، ومقراً بأن مخالفة ذلك لا تسعه ديانة وإلا لم يكن عبداً حقيقة.

قال ابن القيم: (الإله هو الجامع لجميع صفات الكمال ونعوت الجلال، فيدخل في هذا الاسم جميع الأسماء الحسنى، ولهذا كان القول الصحيح أن

الله أصله الإله، وأن اسم الله تعالى هو الجامع لجميع معاني الأسماء الحسنى والصفات العلى).

ولذا قال بعضهم: (إن اسم الله الأعظم هو الله).

وقال الخطابي: (إنه أشهر أسماء الرب تعالى، وأعلاها محلاً في الذكر والدعاء، وكذلك جُعل أمام سائر الأسماء وخصت به كلمة الإخلاص، ووقعت به الشهادة فصار شعار الإيمان، وهو اسم ممنوع لم يتسم به أحد، قد قبض الله عنه الألسن فلم يُدع به شيء سواه).

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (الإله): هو الذي يؤله فيعبد محبة، وإنابة، وإجلالاً، وإكرامًا).

ويقول أيضًا: (إن (الإله) هو المستحق لصفات الكمال، المنعوت بنعوت الجلال، وهو الذي تألهه القلوب وتعمد إليه بالحب والخوف والرجاء).

ويقول أيضًا: (إن الإله) الحق: هو الذي يحب لذاته، ويحمد لذاته فكيف إذا انضاف على ذلك إحسانه، وإنعامه، وحلمه، وعفوه، وبره، ورحمته فعلى العبد أن يعلم أنه لا إله إلا الله فيحبه ويحمده لذاته وكماله).

عباد الله:

وأما معنى هذا الاسم فأصله (الإله)، وهو بمعنى المعبود، و(الإله) اسم من أسماء الله الحسنى، ورد في القرآن الكريم، قال الله تعالى: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ١٦٣]، وقال تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓا۟ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [التوبة: ٣١]،

وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠٨].

ويوضح شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ معنى (الإله) فيقول: (والإله: هو المألوه أي: المستحق لأن يؤله؛ أي يُعبد. ولا يستحق أن يؤله ويعبد إلا الله وحده. وكل معبود سواه من لدن عرشه إلى قرار أرضه باطل، فهو الإله الحق لا إله غيره، فإذا عبده الإنسان فقد وحّده ولم يجعل معه إلهـًا آخر ولا اتخذ إلهـًا غيره: ﴿فَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْمُعَذَّبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٣]، وقال تعالى: ﴿لَّا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا﴾ [الإسراء: ٢٢]، وقال إبراهيم لأبيه آزر: ﴿أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً ۖ إِنِّيٓ أَرَىٰكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [الأنعام: ٧٤]، فالمخلوق ليس بإله في نفسه، لكن عابده اتخذه إلهـًا وجعله إلهـًا وسماه إلهـًا، وذلك كله باطل لا ينفع صاحبه بل يضره.. فغير الله لا يصلح أن يتخذ إلهـًا يعبد ويدعى، فإنه لا يخلق ولا يرزق).

عباد الله:

إن أصول الأسماء الحسنى التي تجمع في دلالاتها معاني سائر أسماء الله ثلاثة أسماء وهي: (الله، والرب، والرحمن)، فهذه الأسماء الثلاثة تنتظم في دلالاتها جميع أسماء الله، وأسماء الله تدور عليها وترجع إليها، فاسم (الله) متضمنٌ لصفات الألوهية، واسم الرب متضمن لصفات الربوبية، واسم الرحمن متضمن لصفات الإحسان والجود والبر، ومعاني أسماء الله تدور على هذا، وقد اجتمعت هذه الأسماء الثلاثة في سورة الفاتحة أم القرآن.

وقد عدَّد ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ عشر خصائص لفظيَّة لهذا الاسم، ثم قال: (وأما خصائصه المعنوية فقد قال فيها أعلم الخلق بهﷺ: «**لا أحصي ثناءً عليك، أنت كما أثنيت على نفسك**»، وكيف تحصى خصائص اسم مسماه كل كمال على الإطلاق، وكل مدح وكل حمد، وكل ثناء وكل مجد، وكل جلال وكل كرم وكل عزٍ، وكل جمال وكل خير وإحسان، وجُود وبرٍّ وفضل فله ومنه، فما ذكر هذا الاسم في قليل إلا كثره، ولا عند خوف إلا أزاله، ولا عند كرب إلا كشفه، ولا عند همٍّ وغمٍّ إلا فرجه، ولا عند ضيق إلا وسعه، ولا تعلق به ضعيف إلا أفاده القوة، ولا ذليل إلا أناله العزة، ولا فقير إلا أصاره غنيًا، ولا مستوحش إلا أنسه، ولا مغلوب إلا إيده ونصره ولا مضطرٍّ إلا كشف ضرَّه، ولا شريد إلا آواه، فهو الاسم الذي تُكشف به الكربات، وتُستنزل به البركات والدعوات، وتُقال به العثرات، وتُستدفع به السيئات، وتستجلب به الحسنات.

يقول السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ: (الله: هو المألوه المعبود، ذو الألوهية، والعبودية على خلقه أجمعين، لما اتصف به من صفات الألوهية التي هي صفات الكمال، وأخبر أنه الله الذي له جميع معاني الألوهية وأنه هو المألوه المستحق لمعاني الألوهية كلها، التي توجب أن يكون المعبود وحده، المحمود وحده، المشكور وحده، المعظم المقدس ذو الجلال والإكرام، واسم الله هو الجامع لجميع الأسماء الحسنى والصفات العلى، والله أعلم).

أيها المسلمون:

ربنا الله الذي لا يسكن العبد إلا إليه، فلا تسكن القلوب إلا بذكره، ولا تفرح العقول إلا بمعرفته، لأنه سبحانه الكامل على الإطلاق دون غيره. وهو

الذي لا يفزع العبد ولا يلجأ إلا إليه، لأنه لا مجير حقيقة إلا هو، ولا ناصر حقيقة إلا هو. وهو الذي يلجأ إليه العبد بكل ذرة في كيانه، التجاء شوق ومحبة، فهو سبحانه الكامل في ذاته وصفاته، فلا يأنس إلا به، ولا يفتر عن خدمته، ولا يسأم من ذكره أبداً. تكاد القلوب المؤمنة أن تتفتت من فرط محبتها له، وتعلقها به. وهو الذي يخضع له العبد ويذل وينقاد تمام الخضوع والذل والانقياد، فيقدم رضاه على رضا نفسه، في كل حال، ويبعد وينأى عن سخطه بكل طريق، هذا مع تمام الرضا والمحبة له سبحانه، فهو يذل وينقاد له سبحانه مع تمام الرضا بذلك، والمحبة له جَلَّ وَعَلَا حيث إنه الإله الحق، الكامل في ذاته وصفاته، المستحق لذلك كله. ومعنى أن الإله هو المألوه وحده، أي: هو المستحق أن يُفرد بالعبادة وحده، وهذا هو أهم معاني هذا الاسم للعبد، وذلك حيث إن الله ﷻ ما خلق الجن والإنس إلا لتحقيق هذه الغاية، كما قال سبحانه: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦].

عباد الله:

ومن خصائص هذا الاسم: أنه اسم الله الأعظم الذي إذا دُعي به أجاب، كما ذكر ذلك جَمْعٌ من أهل العلم، قال ابن القيم: (إذا قال السائل: (**اللهم إني أسألك**...) كأنه قال: أدعو الله الذي له الأسماء الحسنى والصفات العلى بأسمائه وصفاته، فأتى (بالميم) المؤذنة بالجمع في آخر هذا الاسم، إيذانـًا بسؤاله تعالى بأسمائه كلها، كما قال النبي ﷺ: «**ما أصاب عبداً قط هم ولا حزن، فقال: اللهم إني عبدك**...».

قال الحسن: (اللهم مجمع الدعاء)، وقال أبو الرجاء العطاردي: (إن (الميم) في قوله (اللهم) فيها تسعة وتسعون اسمًا من أسماء الله تعالى)، وقال النضر: (من قال (اللهم) فقد دعا الله بجميع أسمائه).

ومن خصائصه: أنه الأصل لجميع أسماء الله الحسنى، وسائر الأسماء مضافة إليه ويوصف بها، فنقول: من أسماء الله، ولا نقول: الله من أسماء الرحمن.

ومن خصائصه: أنه مستلزم لجميع معاني الأسماء الحسنى، دال عليها بالإجمال، والأسماء الحسنى تفصيل وتبيين لصفات الإلهية التي هي صفات الجلال والكمال والعظمة، فهو الاسم الذي مرجع سائر أسماء الله الحسنى إليه، ومدار معانيها عليه.

وكذلك أنه الاسم الذي اقترنت به عامة الأذكار المأثورة، فالتكبير والتحميد والتسبيح والحوقلة والبسملة والاسترجاع وغيرها من الأذكار مقترنة بهذا الاسم غير مُنفكَّة عنه، فإذا كَّبر المسلم ذكر هذا الاسم، وإذا هلل ذكره.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٠].

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين، ولا عدوان إلا على الظالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله الحق المبين، وأشهد أن نبينا محمد الصادق الأمين، صلى الله وسلم وبارك عليه، وعلى آله وصحبه أجمعين.

إما بعد:

فإذا عرف المؤمن معنى هذا الاسم العظيم وما يستلزم من الأسماء الحسنى والصفات العلا لله تعالى فإنه يطبع في القلب معاني عظيمة وآثاراً جليلة من أهمها:

محبة الله ﷻ محبة عظيمة تتقدم على محبة النفس، والأهل، والولد، والدنيا جميعاً؛ لأنه المألوه المعبود وحده، وهو المنعم المتفضل وحده، وهو الذي له الأسماء الحسنى، وهو الذي له الخلق والأمر والحمد كله، وهذا يستلزم محبة من يحبه الله تعالى وما يحبه، وبغض ما يبغضه سبحانه، ومن يبغضه، والموالاة والمعاداة فيه. وأحب فيه وأبغض فيه، وهذا معنى قوله عليه الصلاة والسلام: **«ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار»**.

قال السعدي رحمه الله: (وعباد الرحمن يألهونه ويعبدونه، ويبذلون له مقدروهم بالتأله القلبي، والروحي، والقولي والفعلي، بحسب مقاماتهم

ومراتبهم، فيعرفون من نعوته وأوصافه ما تتسع قواهم لمعرفته، ويحبونه من كل قلوبهم محبةً تتضاءل جميعُ المحابِّ لها، فلا يعارض هذه المحبة في قلوبهم محبة الأولاد والوالدين، وجميع محبوبات النفوس، بل خواصهم جعلوا كل محبوبات النفوس الدينية والدنيوية تبعًا لهذا المحبة، فلما تَّمت محبة الله في قلوبهم أحبوا ما أحبه من أشخاص، وأعمال، وأزمنة، وأمكنة، فصارت محبتهم وكراهتهم تبعًا لإلههم وسيدهم ومحبوبه).

ولما تمت محبة الله في قلوبهم التي هي أصل التأله والتعبد أنابوا إليه فطلبوا قربه ورضوانه، وتوسلوا إلى ذلك وإلى ثوابه بالجد والاجتهاد في فعل ما أمر الله به ورسوله، وفي ترك جميع ما نهى الله عنه ورسوله، وبهذا صاروا محِّبين محبوبين له، وبذلك تحققت عبوديتهم وألوهيتهم لربهم، وبذلك استحقوا أن يكونوا عباده حقًا، وأن يضيفهم إليه بوصف الرحمة حيث قال: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ [الفرقان: ٦٣]، ثم ذكر أوصافهم الجميلة التي إنما نالوها برحمته وتبوؤوا منازلها برحمته، وجازاهم بمحبته وقربه ورضوانه، وثوابه، وكرامته برحمته).

ومن ذلك أيضًا: تعظيمه سبحانه وإجلاله وإخلاص العبودية له وحده؛ من توكل، وخوف، ورجاء، ورغبة، ورهبة، وصلاة، وصيام، وذبح، ونذر، وغير ذلك من أنواع العبوديات التي لا يجوز صرفها إلا له سبحانه.

وكذلك: الشعور بالعزة به سبحانه والتعلق به وحده، وسقوط الخوف والهيبة من الخلق والتعلق بهم؛ فهو الله سبحانه خالق كل شيء ورازق كل حي، وهو المدبر لكل شيء، والقاهر لكل شيء فلا يعتز إلا به، ولا يتوكل إلا عليه.

وكم من بشر اعتزوا بأموالهم فما لبثت أن ضاعت تلك الأموال فضاعوا، وكم من بشر اعتزوا بسلطانهم فجاءت النهاية بزوال سلطانهم فما كان منهم إلا أن قالوا: ﴿مَآ أَغۡنَىٰ عَنِّي مَالِيَهۡۜ ۝٢٨ هَلَكَ عَنِّي سُلۡطَٰنِيَهۡ﴾ [الحاقة: ٢٨ - ٢٩].

فالمؤمن لا يحتمي ولا يعتز إلا بالله العظيم القوي المتين، الكبير المتعال، ولا يتوكل إلا عليه وحده: ﴿وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱلۡحَيِّ ٱلَّذِي لَا يَمُوتُ﴾ [الفرقان: ٥٨].

ومن ثمرات الإيمان بهذا الاسم: تحقيق كمال التوحيد رغبة ورهبة، وخضوعاً وذلاً، ورجاءً وتعظيماً له وحده سبحانه.

قال ابن القيم: (من عرف الله اتسع عليه كل ضيق) وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وكمال الإنسان وسعادته لا تتم إلا بمعرفة فاطره وبارئه، ومعرفة أسمائه وصفاته، ومعرفة الطريق التي توصل إليه).

ومن أعظم آثار هذا الاسم العظيم ومعرفته حق المعرفة طمأنينة القلب وسعادته وأنسه بالله عَزَّ وَجَلَّ.

نسأل الله أن يرزقنا محبته ومحبة ما يحبه، وبغض ما يبغضه، وأن يجعلنا هداة مهتدين لا ضالين ولا مضلين..

اللهم إنا نسألك بأسمائك الحسنى وصفاتك العلا، وكلماتك التامات، ما علمنا منها ومالم نعلم، أن تغفر لنا وترحمنا ووالدينا والمسلمين.

هذا وصلوا وسلموا...

❁ ❁ ❁

③ الخطبة الأولى [(١)]

الحمد لله الواحد الأحد، الفرد الصمد، لا ند له ولا شبيه ولا نظير، أحمده حمداً يليق بوحدانيته وجلاله وعظمته، وأصلي وأسلم على من بعثه إلى الناس كافة بشيراً ونذيراً، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً، صلى الله وسلم وبارك عليه، وعلى آله وأصحابه، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْ وَٱخْشَوْاْ يَوْمًا لَّا يَجْزِى وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ﴾ [لقمان: ٣٣].

عباد الله:

من أسماء الله ﷻ الحسنى، وكل أسمائه حسنى: اسم (الواحد، الأحد).

وقد ورد ذكرهما في الكتاب والسنة.

قال ابن القيم رحمه الله: معنى (الواحد الأحد) في حق الله تعالى: (الأحد): المتضمن لانفراده بالربوبية والإلهية.

ويقول أيضاً: (في الأحد) نفي لكل شريك لذي الجلال).

---

(١) اسم (الواحد، الأحد).

و(الواحد والأحد) هو الفرد الذي لم يزل وحده ولم يكن معه آخر، المتفرد في ذاته، وصفاته، وأفعاله، وربوبيته، وإلهيته، لم يلد، ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد.

واسمه: (الواحد) ورد في أكثر من عشرين موضعاً في القرآن، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿قُلِ ٱللَّهُ خَـٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّـٰرُ﴾ [الرعد: ١٦]. وقوله سبحانه: ﴿وَقَالَ ٱللَّهُ لَا تَتَّخِذُوٓا۟ إِلَـٰهَيْنِ ٱثْنَيْنِ ۖ إِنَّمَا هُوَ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ [النحل: ٥١]، وقوله تعالى: ﴿لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ۖ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾ [غافر: ١٦]. وقوله تعالى: ﴿وَإِلَـٰهُكُمْ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ [البقرة: ١٦٣].

وأما اسمه: (الأحد) فقد ورد مرة واحدة في القرآن الكريم في سورة الإخلاص وذلك في قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١]. وهي السورة التي ورد في السنة عن النبي ﷺ أنها تعدل ثلث القرآن، لكونها أخلصت لبيان أسماء الرب الحسنى، وصفاته العليا. وكذلك جاء في السنة في قوله ﷺ لذلك الرجل الذي دعا بهذا الدعاء: (**اللهم إني أسألك بأني أشهد أنك أنت الله لا إله إلا أنت الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد**)، فقال الرسول ﷺ: «**والذي نفسي بيده لقد سأل الله باسمه الأعظم الذي إذا دعي به أجاب، وإذا سُئل به أعطى**» [رواه ابن ماجة].

و(الأحد والواحد) أي الذي توحد بجميع الكمالات بحيث لا يشاركه فيه مشارك، ويجب على العباد توحيده عقلاً، وقولاً، وعملاً، بأن يعترفوا بكماله المطلق، وتفرده بالوحدانية، وبتفرده بأنواع العبادة.

فهو الذي تفرَّد بكل كمال ومجد، وجلال وجمال، وحمد وحكمة، ورحمة وغيرها من صفات الكمال، فليس له فيها مثيل ولا نظير، فهو الأحد في حياته وقيّوميته، وعلمه وقدرته، وعظمته وجلاله، وجماله وحمده، وحكمته ورحمته وغيرها من صفاته، موصوف بغاية الكمال ونهايته من كل صفة من هذه الصفات.

عباد الله:

و(الواحد والأحد) اسمان دالاَّن على أحدية الله ووحدانيته، أي أنه سبحانه هو المتفرد بصفات المجد والجلال، المتوحد بنعوت العظمة والكبرياء والجمال، فهو واحد في ذاته لا شبيه له، وواحد في صفاته لا مثيل له، وواحد في أفعاله لا شريك له ولا ظهير، وواحد في ألوهيته فليس له ند في المحبة والتعظيم والذل والخضوع، وهو الواحد الذي عظمت صفاته حتى تفرد بكل كمال، وتعذر على جميع الخلق أن يحيطوا بشي من صفاته أو يدركوا شيئا من نعوته، فضلا عن أن يماثله أحد في شيء منها.

قال الله تعالى: ﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١]، وقال سبحانه: ﴿قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ وَهُوَ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّٰرُ﴾ [الرعد: ١٦].

فليس له فيها مثيل ولا نظير، ولا مناسب بوجه من الوجوه. فهو الأحد في حياته وقيّوميّته، وعلمه وقدرته، وعظمته وجلاله، وجماله وحمده، وحكمته ورحمته، وغيرها من صفاته، موصوف بغاية الكمال ونهايته من كل صفة من هذه الصفات.

ومن تحقيق أَحَدِيَّتِهِ وتفرّده بها أنه (الصمد)، أي: الرب الكامل، والسيد العظيم، الذي لم يبقَ صفة كمال إلا اتّصف بها. ووُصف بغايتها وكمالها، بحيث لا تُحيط الخلائق ببعض تلك الصفات بقلوبهم، ولا تُعبّر عنها ألسنتهم.

وقد تكرر ورود اسم الله (الواحد) في القرآن الكريم في مقامات متعددة في سياق تقرير التوحيد وإبطال الشرك والتنديد كقوله تعالى: ﴿وَإِلَـٰهُكُمْ إِلَـٰهٌ وَاحِدٌ ۖ لَّآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَـٰنُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ١٦٣]، وقوله تعالى: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَـٰثَةٍ ۘ وَمَا مِنْ إِلَـٰهٍ إِلَّآ إِلَـٰهٌ وَاحِدٌ ۚ﴾ [المائدة: ٧٣].

يقول ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (ومما يمنع تسمية الإنسان به أسماء: (الرب تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ فلا يجوز التسمية بالأحد والصمد، ولا بالخالق، ولا بالرازق، وكذلك سائر الأسماء المختصة (بالرب) تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ).

عباد الله:

معنى وحدانية الله عَزَّ وَجَلَّ. أي توحيده سبحانه بأنواعه الثلاثة؛ توحيده سبحانه في ربوبيته، وتوحيده سبحانه في ألوهيته، وتتجلى وحدانية الله تعالى؛ في ذاته وصفاته، فالله لا مثيل له ولا نظير له، لا في ذاته ولا في صفاته؛ ولذلك فإنه – تعالى وتقدس – لم يتخذ صاحبة ولا ولداً، كما قال عزَّ من قائل: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ [الإخلاص: ١ – ٤].

ووحدانيته تعالى في صفاته، تدل على أنه لا مثيل له في رحمته ولا في عزته، وجبروته، وملكه، وقدرته، ورزقه، وعلمه، وغيرها من صفاته.

فالله متفرد في صفاته، والذين شبهوا صفات الخالق بصفات المخلوق، أو صفات المخلوق بصفات الخالق لم يوحدّوا ربهم تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ وأشركوا مع الله غيره.

كما تتجلى وحدانيته تعالى في ربوبيته فهو سبحانه وحده الذي خلق السماوات والأرض، وأنزل الماء من السماء، وأنبت به جنات الأرض التي تبهج النفوس وتسرها: ﴿قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَـٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ ۗ ءَآللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ ۝ أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنۢبِتُوا۟ شَجَرَهَآ ۗ أَءِلَـٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ﴾ [النمل: ٥٩ - ٦٠].

ومن توحيد الربوبية: توحيد الله في ملكه، يقول الشيخ حافظ حكمي: (الأحد الفرد) وهو أحد في ربوبيته فلا شريك له في ملكه، ولا مضاد، ولا منازع ولا مغالب، فكما أنه (الأحد الفرد) في ذاته وألوهيته وربوبيته وأسمائه وصفاته؛ فهو المتفرد في ملكوته بأنواع التصرفات، ومن الإيجاد والإعدام، والإحياء والإماتة، والخلق والرزق، والإعزاز والإذلال، والهداية والإضلال، والإسعاد والإشقاء، والخفض والرفع، والعطاء والمنع، والوصل والقطع، والضر والنفع، فلو اجتمع أهل السماوات السبع والأرضين السبع ومن فيهن وما بينهما على إماتة من الله محييه، أو إعزاز من هو مذله، أو هداية من هو مضله، أو إسعاد من هو مشقيه، أو خفض من هو رافعه، أو وصل من هو قاطعه، أو إعطاء من هو مانعه، أو ضر من هو نافعه، أو عكس ذلك لم يكن ذلك بممكن في استطاعتهم، وأنى لهم ذلك والكل خلقه وملكه وعبيده وفي قبضته وتحت تصرفه وقهره، ماض فيهم حكمه، عدل فيهم قضاؤه، نافذة فيهم مشيئته، لا امتناع لهم عما قضاه، ولا خروج له من قبضته، ولا تتحرك ذرة في السماوات والأرض ولا تسكن إلا بإذنه، فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن).

عباد الله:

وتتجلى وحدانيته في ألوهيته في أمور: فالله هو المعبود الحق الذي يستحق العبادة دون سواه، وكل من عبد معه إلهـاً آخر يدعوه، ويستعين به، ويستغيث به، فقد أشرك غيره معه في ألوهيته: ﴿قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَإِنَّنِي بَرِيٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ﴾ [الأنعام: ١٩]. ﴿وَقَالَ ٱللَّهُ لَا تَتَّخِذُوٓاْ إِلَٰهَيْنِ ٱثْنَيْنِ ۖ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَإِيَّٰىَ فَٱرْهَبُونِ﴾ [النحل: ٥١]، وقال: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ [الكهف: ١١٠]، وقال: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓاْ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ﴾ [التوبة: ٣١].

ووحدانية الله أخص خصائص ألوهيته، والإقرار بالألوهية أعظم أنواع العبادة التي يتقرب بها إلى الله تعالى، ونقيض الوحدانية الشرك، وهو أعظم جريمة يرتكبها البشر، ولعظمها فإن الله لا يغفر لأحد مات على شركه، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٤٨]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا﴾ [النساء: ١١٦].

عباد الله:

أما اسمه سبحانه (الأحد) فقد جاء في سورة الإخلاص مع اسمه سبحانه (الصمد) فقال سبحانه: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ﴾ [الإخلاص: ١ - ٢] كما جاء أيضـاً مقترنـاً (بالصمد) في السنة الصحيحة: (**اللهم إن أسألك بأني أشهد أنك أنت الله لا إله إلا أنت الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد**...) الحديث.

و(**الصمد**): هو الذي تقصده وحده الخلائق كلها وتصمد إليه في حاجتها، وأحوالها، وضروراتها لما له سبحانه من الكمال والملك في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله. وهذا يفسر اقتران اسمه سبحانه (الصمد) باسمه سبحانه (الأحد) لأن من معاني (الأحد) الكامل المطلق المتفرد في ذاته وأسمائه، وصفاته، وأفعاله، وربوبيته، وإلهيته، ولا يصدق اسم (الصمد) إلا على من هذه صفاته(الواحد الأحد) سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

والله واحدٌ لا شريك له في ربوبيته ولا في إلهيته، ولا شبيه له في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله، ليس له من يشركه في ذرّة من ذرّات ملكه، أو يخلفه في تدبير خلقه، أو يحجبه عن داعيه أو مؤمليه أو سائليه، أو يتوسط بينهم وبينه بتلبيس أو فرية أو كذب كما يكون بين الرعايا وبين الملوك، ولو كان كذلك لفسد نظام الوجود وفسد العالم بأسره ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ [الأنبياء: ٢٢] ولو كان معه آلهة أُخرى كما يقوله أعداؤه المبطلون، لوقع من النقص في التدبير وفساد الأمر كلّه ما لا يثبت معه حال، ولا يصلح عليه وجود.

إذا عرف هذا فاعلم أنَّ حاجةَ العبد إلى أن يعبد الله وحده لا يُشركُ به شيئًا في محبته، ولا في خوفه، ولا في رجائه، ولا في التوكّل عليه، ولا في العمل له، ولا في الحلف به، ولا في النذر له، ولا في الخضوع له، ولا في التذلل والتَّعظيم والسجود والتقرب، أعظمُ من حاجة الجسد إلى روحه والعين إلى نورها، بل ليس لهذه الحاجة نظير تُقاس به؛ فإنَّ حقيقةَ العبد روحُه وقلبُه ولا صلاحَ لها إلا بإلهها الذي لا إله إلاّ هو، فلا تطمئنُّ في الدنيا إلا بذكره، وهي كادحةٌ إليه كدحًا فملاقيته، ولا بُدَّ لها من لقائه، ولا صلاحَ لها إلا بمحبّتها وعبوديتها له ورضاه وإكرامه لها. ولو حصل للعبد من اللذات والسرور بغير

الله ما حصل لم يدم له ذلك، بل ينتقلُ من نوع إلى نوع، ومن شخص إلى شخص، ويتنعّم بهذا في وقت، ثم يُعذّب، ولا بُدَّ، في وقت آخر، وكثيراً ما يكون ذلك الذي يتنعم به ويلتذ به غير منعم له ولا ملذّ، بل قد يؤذيه اتّصاله به للجرب من لذة الأظفار التي تحكه، فهي تدمي الجلد وتخرقه وتزيد في ضرره، وهو يُؤْثر ذلك لما له في حكّها من اللذة، وهكذا ما يتعذب به القلب من محبة غير الله هو عذاب عليه ومضرة وألم في الحقيقة لا تزيد لذته على لذة حكّ الجرب، والعاقل يوازن بين الأمرين ويؤثر أرجحهما وأنفعهما، والله الموفق ا لمعين، وله الحجّة البالغة كما له النعمة السابغة.

والمقصود أن إله العبد الذي لا بُدَّ له منه في كل حالة وكل دقيقة وكل طرفة عين، هو الإله الحق الذي كلّ ما سواه باطل، والذي أينما كان فهو معه، وضرورته وحاجته إليه لا تشبهها ضرورة ولا حاجة، بل هي فوق كل ضرورة وأعظم من كل حاجة لهذا قال إمام الحنفاء ﴿لَآ أُحِبُّ ٱلۡأٓفِلِينَ﴾.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ﴾ [طه: ٨].

بارك الله لي ولكم...

الخطبة الثانية

الحمد لله، أحمده وأشكره، وأتوب إليه وأستغفره، وأشهد أن لا إله إلا الله الواحد الأحد، الفرد الصمد، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله وسلم وبارك عليه، وعلى آله وصحبه والتابعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

فإن من آثار الإيمان باسم (الواحد، الأحد):

أولاً: إن أعظم أثر وموجب لهذين الاسمين الجليلين الكريمين هو إفراده سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بالربوبية والإلهية وتوحيده سبحانه بأفعاله وصفاته وتوحيده بأفعال عباده. فكما أنه واحد في ربوبيته - حيث هو الخالق والرازق المحيي المميت المالك المتصرف في خلقه كيف يشاء -، فهو واحد في ألوهيته فلا إله إلا هو وحده لا شريك له.

ثانيًا: تعلق القلوب بخالقها ومعبودها، وتوجهها له وحده لا شريك له، لأنه (الواحد الأحد) الذي تصمد إليه الخلائق في حاجاتها وضروراتها، وهو القادر على كل شيء، والمالك لكل شيء، والمتصرف في كل شيء، وهذا الإيمان المعرفة يجعل العبد يقطع قلبه من التعلق بالمخلوق، وتكون وجهته وطلبه، وقصده لخالقه وبارئه، ومعبوده (الواحد الأحد الصمد) فيستريح ويطمئن.

ثالثـًا: إفـراد الله ﷻ بالتشـريع والتلقـي: فـإن الإيمـان بوحدانيـة الله ﷻ وأحديته توجب توحيده في الحكم والتحاكم والتلقي.

قال ﷻ: ﴿أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْتَغِى حَكَمًا﴾ [الأنعام: ١١٤]، وقال الله تعالى: ﴿ٱتَّبِعْ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: ١٠٦].

فمصدر التشريع والتلقي هو الله وحده. وكل تكليف يوجه إلى الإنسان يجب أن يكون في إطار ما شرعه الله ﷻ في كتابه الكريم، أو على لسان نبيهﷺ القائل: «**من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد**» فلا يملك أحد من العباد أن يزيد أو ينقص أو يبدل في شرع الله ﷻ ما لم يأذن به الله تعالى.

رابعـًا: سؤال الله ﷻ بهذا الإسم العظيم والتضرع واللجأ إليه.

هذا وصلوا...

❁ ❁ ❁

٤ الخطبة الأولى (١)

الحمد لله رفق بعباده، فساق إليهم الخيرات، وأرسل الرسل بالآيات البينات، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن نبينا محمداً عبده ورسوله، صلى الله وسلم وبارك عليه، وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

فاتقوا الله – عباد الله – ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [البقرة: ١٨٩].

أيها المسلمون:

أول فرض فرضه الله على خلقه: معرفته. فإذا عرفه الناس عبدوه. قال الله تعالى: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [محمد: ١٩] فينبغي للمسلمين أن يعرفوا أسماء الله وتفسيرها، فيعظموا الله حق عظمته. ولو أراد رجل أن يعامل رجلاً طلب أن يعرف اسمه وكنيته، واسم أبيه وجده، وسأل عن صغيرة أمره وكبيره. فالله الذي خلقنا ورزقنا، ونحن نرجو رحمته ونخاف من سخطه أولى أن نعرف أسماءه ونعرف تفسيرها.

(١) اسم (الرفيق).

وفي معرفة الله ﷻ بأسمائه وصفاته زيادة في الإيمان واليقين وتحقيق للتوحيد.

عباد الله:

من أسماء الله الحسنى، اسم: (الرفيق).

والرفق في اللغة ضد العنف، رفَقَ بالأمر وله وعليه يرفُق رفقًا، ورفِق: لَطفَ، وكذلك ترفق به...

قال الليثي: (الرفق لين الجانب، ولطافة الفعل، وصاحبه رفيق).

ولم يرد اسم الرفيق في كتاب الله، وجاء وصفًا لبعض عباد الله في قوله تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا﴾ [النساء: ٦٩].

وهو من الأسماء الحسنى الثابتة في السنَّة، روى البخاري عن عروة، عن عائشة رضي الله عنها قالت: «**استأذن رهطٌ من اليهود على النبي ﷺ فقالوا: السَّام عليك، فقلت بل عليكم السّام واللّعنة، فقال: يا عائشةُ إنَّ الله رفيقٌ يحبُّ الرِّفق في الأمر كلِّه، قلت: أولم تسمع ما قالوا؟ قال: قلت: وعليكم**».

وروى مسلم عن عمرة بنت عبد الرحمن، عن عائشة رضي الله عنها، أن رسول الله ﷺ قال: «**يا عائشة إنَّ الله رفيقٌ يحب الرّفق، ويعطي على الرّفق ما لا يعطي على العنف، وما لا يعطي على ما سواه**».

ففي الحديث التصريح بتسمية الله بالرفيق ووصفه بالرفق، وأن له من هذا الوصف أعلاه وأكمله وما يليق بجلاله وكماله سبحانه.

قال السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ: (ومن أسمائه (الرفيق) في أفعاله وشرعه، وهذا قد أخذ من قوله ﷺ في الحديث الصحيح: «**إن الله رفيق يحب أهل الرفق، وإن الله يعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف**» [رواه أحمد].

فالله تعالى رفيق في أفعاله، خلق المخلوقات كلها بالتدريج شيئًا فشيئًا بحسب حكمته ورفقه مع أنه قادر على خلقها دفعة واحدة وفي لحظة واحدة).

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ: (ومن تدبر المخلوقات وتدبر الشرائع كيف يأتي بها شيئًا بعد شيء شاهد من ذلك العجب العجيب، فالمتأني الذي يأتي الأمور برفق وسكينة ووقار، اتباعًا لسنن الله في الكون واتباعًا لنبيه ﷺ: فإن كان هذا هديه وطريقه تتيسر له الأمور، وبالأخص الذي يحتاج إلى أمر الناس ونهيهم وإرشادهم، فإنه مضطر إلى الرفق واللين، وكذلك من آذاه الخلق بالأقوال البشعة وصان لسانه عن مشاتمتهم، ودافع عن نفسه برفق ولين، اندفع عنه من أذاهم ما لايندفع بمقابلتهم بمثل مقالهم وفعالهم، ومع ذلك فقد كسب الراحة، والطمأنينة والرزانة والحلم).

ومن تأمل في خلقه وأمره وجد ما احتوى عليه شرعه من الرفق، وشرع الأحكام شيئًا بعد شيء، وجريانها على وجه السعة واليسر ومناسبة العباد، وما في خلقه من الحكمة؛ إذ خلق الخلق أطواراً، ونقلهم من حالة إلى أخرى بحكم وأسرار لا تحيط بها العقول.

وهو سبحانه رفيقٌ في أمره ونهيه، فلا يأخذ عباده بالتكاليف الشاقة مرة واحدة؛ بل يتدرج معهم من حال إلى حال، حتى تألفها نفوسُهم، وتأنس

إليها طباعُهم، كما فعل ذلك سبحانه في فرضية الصيام وفي تحريم الخمر والربا ونحوها.

فالمتأني الذي يأتي الأمور برفق وسكينة اتباعًا لسنن الله في الكون، واقتداء بهدي رسول الله ﷺ تتيسَّرُ له الأمور وتذلل الصعابُ، لا سيما إذا كان ممن يتصدَّى لدعوة الناس إلى الحق؛ فإنه مضطّر إلى استشعار اللين والرّفق، كما قال تعالى: ﴿وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ﴾ [فصلت: ٣٤].

عباد الله:

ومن رفق الله بعباده؛ رفقه سبحانه بهم في أحكامه وأمره ونهيه، فلا يكلف عباده ما لا يطيقون، وجعل فعل الأوامر قدر الاستطاعة، وأسقط عنهم كثيراً من الأعمال بمجرد المشقة، رخصة لهم ورفقًا بهم ورحمة، ولم يأخذ عباده بالتكاليف دفعة واحدة، بل تدرّج بهم من حال إلى حال حتى تألف النفوس وتلين الطباع ويتم الانقياد.

ومن رفقه سبحانه بعباده؛ إمهالُه راكب الخطيئة ومقترف الذنب وعدم معاجلته بالعقوبة لينيب إلى ربه وليتوب من ذنبه وليعود إلى رشده.

قال تعالى: ﴿وَرَبُّكَ ٱلْغَفُورُ ذُو ٱلرَّحْمَةِ ۖ لَوْ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُوا۟ لَعَجَّلَ لَهُمُ ٱلْعَذَابَ ۚ بَل لَّهُم مَّوْعِدٌ لَّن يَجِدُوا۟ مِن دُونِهِۦ مَوْئِلًا﴾ [الكهف: ٥٨]، وقال تعالى: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِظُلْمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً ۖ وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ [النحل: ٦١].

فبيَّن سبحانه أنه لو يؤاخذ الناس بما كسبوا من الذنوب كالكفر والمعاصي لعجّل لهم العذاب لشناعة ما يرتكبونه، ولكنه حليم رفيق لا يعجل بالعقوبة بل يمهل ولا يهمل.

ومن رفقه سبحانه؛ أن دينه كلَّه رفق ويسر ورحمة، وأمر عباده بالرفق، ويعطيهم على الرفق ما لا يعطي على الشّدة، ولا يكون في شيء من الأمور إلَّا زانه، ومن حُرمه حرم الخير، ولذا ينبغي على كل مسلم أن يكون رفيقا في أموره كلها، وأحواله جميعها، بعيداً عن العجلة والتّسرع والتّهور والاندفاع، فإنَّ العجلة من الشيطان، ولا يبوء صاحبها إلا بالخيبة والخسران، وكفى بالرّفق نبلاً وفضلاً أنه حبيب للرحمن، فهو سبحانه رفيق يحب الرفق.

ومن آثار رفقه سبحانه بعباده؛ ما شرع لهم من الرخص الشرعية التي ترفع عنهم الحرج.

والعبد إذا ترفه بالرخص الشرعية، فإنما يتعبد لله تعالى باسمه سبحانه (الرفيق) كما وضح ذلك الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ بقوله: (فرق بين أن يكون التفاته إليها ترفهاً وراحة وأن يكون متابعة وموافقة، ومع هذا فالالتفات إليها ترفهاً وراحة لا يُنافي الصدق، فإن هذا هو المقصود منها، وفيه شهود نعمة الله على العبد، وتعبد باسمه: (البرِّ)؛ (اللطيف)؛ (المُحسن)؛ (الرَّفيق)، فإنه (رفيقٌ) يحب الرفق).

وقد جاءت السنة النبويّة بالحث على الرفق في الأمور كلها، ففي صحيح مسلم عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، عن النبي ﷺ قال: «**إنَّ الرّفق لا يكون في شيء إلَّا زانه، ولا ينزع من شيء إلَّا شانه**».

وفيه عن جرير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبيّ ﷺ قال: «**من يُحْرم الرِّفقَ يُحْرم الخير**».

وفي المسند عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أن النبي ﷺ قال: «**إنه من أعطي حظَّه مِنَ الرِّفق فقد أعطي حظه من خير الدّنيا والآخرة، وحسن الخلق وحسن الجوار يعمران الدِّيار، ويزيدان في الأعمار**».

فربّنا سبحانه رفيقٌ يحبُّ الرِّفق، وديننا رفق ويسر كلُّه، ونبيُّنا ﷺ إمام أهل الرِّفق وقدوتهم، وواجبنا أنْ نتحلَّى بالرِّفق في شأننا كلِّه، والله وحده الموفق لا شريك له.

والله ﷻ يرفق ويغيث عباده إذا استغاثوا به سبحانه، فعن أنس بن مالك أن رجلاً دخل المسجد يوم الجمعة ورسول الله ﷺ يخطب ثم قال: يا رسول الله! هلكت الأموال وانقطعت السبل فادعُ الله يغيثنا، فرفع رسول الله ﷺ يديه ثم قال: «**اللهم أغثنا، اللهم أغثنا، اللهم أغثنا**» [رواه البخاري] فالله ﷻ يغيث عباده في الشدائد والمشقات، فهو يغيث جميع المخلوقات عندما تتعسّر أمورها وتقع في الشدئد والكربات: يُطعم جائعهم، ويكسو عاريهم، ويخلص مكروبهم، ويُنزّل الغيث عليهم في وقت الضرورة والحاجة، وكذلك يُجيب إغاثة اللهفان، أي دعاء من دعاه في حالة اللهف والشدة والاضطرار، فمن استغاثه أغاثه. وفي الكتاب والسنة من ذكر تفريجه للكربات، وإزالته الشدائد، وتيسيره للعسير شيء كثير جداً معروف.

وكان نبيُّنا محمدٌ ﷺ أرفق النّاس، وشواهد رفقه في سنته ظاهرة، ودلائل حلمه وأناته في سيرته واضحة، بل إنه ضرب أروع الأمثلة في تحقيق الرِفق والأناة في تعامله مع الناس ودعوته إلى دين الله، ومعالجته لما قد يقع من أخطاء أو مخالفات، ومن ذلكم ما رواه البخاري ومسلم عن أنس رضي الله عنه قال: «بينما نحن في المسجد مع رسول الله ﷺ إذ جاء أعرابي فقام يبول في المسجد، فقال أصحاب رسول الله ﷺ: مه مه، قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا تُزرِمُوه دعوه**»، فتركوه حتى بال، ثم إنَّ رسول الله ﷺ دعاه فقال له: «**إنَّ هذه**

المساجدَ لا تصلح لشيءٍ من هذا البول ولا القذر، إنما هي لذكر الله ﷻ والصلاة وقراءة القرآن» [رواه البخاري] من حديث أبي هريرة ﵁، وفيه: أنَّ النبي ﷺ قال لهم: «**دعوه وهَرِيقُوا على بَوله سَجْلاً من ماء -أو ذَنوبـًا من ماء-، فإنما بُعثتم ميسِّرين ولم تبعثوا معسِّرين**».

وعن أنس ﵁ قال: قال النبي ﷺ: «**إني لأقوم في الصلاة أريد أن أطول فيها، فأسمع بكاء الصبي، فأتجوز في صلاتي، كراهية أن أشق على أمه**» [رواه البخاري].

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلۡمُضۡطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكۡشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجۡعَلُكُمۡ خُلَفَآءَ ٱلۡأَرۡضِۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِۚ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ [النمل: ٦٢].

بارك الله لي ولكم...

الخــطــبــة الثـــانيـــة

الحمد لله رفق بعباده، وبين لهم سبيل الهداية، وحذرهم طريق الغواية، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن نبينا محمداً عبده ورسوله، وصفيه وخليله، صلى الله وسلم وبارك عليه، وعلى آله وأصحابه، والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم لقائه.

أما بعد:

فإن من آثار الإيمان باسمه سبحانه (الرفيق):

أولاً: محبته سبحانه وتعظيمه وإجلاله وحمده، حيث ظهرت آثار لطفه ورفقه بعباده في خلقه وشرعه وقدرته، ورأفته ورحمته، مع غناه سبحانه عن خلقه.

ومن ذلك إمهاله سبحانه للعصاة من عباده ليتوبوا، ولو شاء لعاجلهم بالعقوبة لكنه رفق بهم وتأنى، فلله الحمد حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه.

ثانيًا: شكره سبحانه وحمده والثناء عليه على هدايته إلى هذا الدين الكامل الحكيم الميسر الذي كله لطف ورفق ومصلحة للعباد.

ثالثًا: معرفة فضل الله وجوده في رفقه بالعباد في الأوامر والنواهي.

رابعًا: التخلق بصفة الرفق والتأني في الأمور مع النفس ومع الخلق بل حتى مع العدو كما جاء في حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا مع اليهود، وقد جاءت نصوص عديدة تحث على الرفق وتثني على أهله، ومن ذلك قوله ﷺ: «**إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه، ولا ينزع من شيء إلى شانه**» [رواه مسلم]، وقوله ﷺ: «**من يحرم الرفق يحرم الخير**» [رواه مسلم].

وقد أثنى الرسول ﷺ على أشج عبد القيس بقوله: «**إن فيك لخصلتين يحبهما الله ورسوله: الحلم والأناة**» [رواه مسلم].

وأولى الناس بالحلم والرفق واللين: الأهل وذوو الأرحام، قال ﷺ: «**إذا أراد الله بأهل بيت خيراً أدخل عليهم الرفق**» [رواه البخاري].

والرفق لا يعني التفريط والكسل وتفويت فرص الخير، بل الرفق الممدوح وسط بين العجلة والطيش، وبين الكسل وتفويت الفرص، والرفق من العبد لا ينافي الحزم، فيكون رفيقاً في أموره متأنياً، ومع ذلك لا يفوت الفرص إذا سنحت، ولا يهملها إذا عرضت.

هذا وصلوا...

❁ ❁ ❁

٥ الخطبة الأولى [١]

الحمد لله، الواحد المعبود، الرحيم الودود، أسبغ علينا نعمه ظاهرة وباطنة، فكل نعمة من فضله، وإلى فضله تعود، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صاحب المقام المحمود، واللواء المعقود، والحوض المورود، صلى الله وسلم وبارك عليه، وعلى آله وصحبه والتابعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وسلم تسليمًا كثيراً.

أما بعد:

فاتقوا الله عباد الله، واشكروا له نعمه وفضله، واستعينوا بها على طاعته وتقواه ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

عباد الله:

إن من علم أسماء الله وصفاته وتوسل إلى الله تعالى بها، استجاب الله دعاءه، فحصل له ما يرجوه من مرغوب، واندفع عنه ما يخافه من مرهوب.

والأسماء الحسنى لا تدخل تحت حصر ولا تحد بعدد، فإن لله تعالى أسماء وصفات استأثر بها في علم الغيب عنده، لا يعلمها ملك مقرب ولا نبي

---

(١) اسم (الرزاق).

مرسل؛ كما في الحديث الصحيح: «أسألك بكل اسم هو لك سمَّيتَ به نفسك، أو علّمتَه أحداً من خلقك، أو أنزلته في كتابك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك» [رواه أحمد].

فجعل أسماءه ثلاثة أقسام: قسم سمَّى به نفسه فأظهره لمن شاء من ملائكته أو غيرهم، ولم ينزل به كتابه، وقسم أنزل به كتابه فتعرف به إلى عباده، وقسم استأثر به في علم غيبه فلم يطلع عليه أحد من خلقه، ولذا قال: «استأثرت به» أي انفردت بعلمه، وليس المراد انفراده بالتسمِّي به؛ لأنه هذا الانفراد ثابت في الأسماء التي أنزل بها كتابه. ومن هذا قول النبي ﷺ في حديث الشفاعة: «فيفتح عليّ من محامده بما لا أحسنه الآن» [رواه مسلم]، وتلك المحامد هي تفي بأسمائه وصفاته.

ومنه قوله ﷺ: «لا أحصي ثناءً عليك أنت كما أثنيت على نفسك» [رواه مسلم].

وأما قوله ﷺ: «إن لله تسعة وتسعين اسمًا من أحصاها دخل الجنة» [رواه البخاري]، فالكلام جملة واحدة.

وقوله: «من أحصاها دخل الجنة» صفة لا خبر مستقبل. والمعنى له أسماء متعددة من شأنها من أحصاها دخل الجنة وهذا لا ينفي أن يكون له أسماء غيرها. وهذا كما تقول: لفلان مائة مملوك قد أعدهم للجهاد، فلا ينفي هذا أن يكون له مماليك سواهم معدون لغير ا لجهاد، وهذا لا خلاف بين العلماء فيه.

عباد الله:

(الرزاق) من أسماء الله الحسنى، وكل اسماءه حسنى.

قال الخطابي رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن اسم (الرزاق): (هو المتكفل بالرزق القائم على

كل نفس بما يقيمها من قوتها، وسع الخلق كلهم رزقه ورحمته فلم يختص بذلك مؤمنًا دون كافراً، ولاوليًا دون عدو، يسوقه إلى الضعيف الذي لا حيلة له ولا متكسب فيه، كما يسوقه إلى الجلد القوي ذي المرة السوي. قال سبحانه: ﴿وَكَأَيِّن مِّن دَآبَّةٍ لَّا تَحۡمِلُ رِزۡقَهَا ٱللَّهُ يَرۡزُقُهَا وَإِيَّاكُمۡۚ﴾ [العنكبوت: ٦٠]).

وقال ابن الأثير رَحِمَهُ اللهُ: (الرزاق): وهو الذي أعطى الأرزاق وأعطى الخلائق أرزاقها وأوصلها إليهم).

والرزق: عطاء الله جل ثناؤه، يقال: رزقه الله رزقًا.

والأرزاق نوعان: ظاهرة للأبدان كالأقوات، وباطنة للقلوب والنفوس كالمعارف والعلوم؛ والرزق: إباحة الانتفاع بالشيء على وجه يحسَّن ذلك.

قال السعدي رَحِمَهُ اللهُ: (الرزاق) لجميع عباده فما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها، ورزقه لعباده نوعان:

رزق عام شمل البر والفاجر، والأولين والآخرين وهو رزق الأبدان. ورزق خاص وهو رزق القلوب وتغذيتها بالعلم والإيمان، والرزق الحلال الذي يعين على صلاح الدين. وهذا خاص بالمؤمنين على مراتبهم منه بحسب ما تقتضيه حكمته ورحمته).

و(الرازق والرزَّاق): الذي يرزق الخلق أجمعين، وهو الذي خلق الأرزاق، وأعطى الخلائق أرزاقها وأوصلها إليهم.

وقد يوصل الرزق على العبد بسبب وبغير سبب، ويكون بطلب وبغير طلب.

وقد ورد اسمه سبحانه (الرازق) في القرآن الكريم بصيغة التفضيل خمس مرات؛ من ذلك قوله ﷻ: ﴿وَٱرۡزُقۡنَا وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾ [المائدة: ١١٤]، وقوله

سبحانه: ﴿أَمۡ تَسۡـَٔلُهُمۡ خَرۡجٗا فَخَرَاجُ رَبِّكَ خَيۡرٞۖ وَهُوَ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾ [المؤمنون: ٧٢]، وقوله جَلَّوَعَلَا: ﴿قُلۡ مَا عِندَ ٱللَّهِ خَيۡرٞ مِّنَ ٱللَّهۡوِ وَمِنَ ٱلتِّجَٰرَةِۚ وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾ [الجمعة: ١١].

وجاء أيضًا في قوله ﷺ: «إن الله هو المسعر القابض الباسط الرازق... الحديث».

عباد الله:

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلۡقُوَّةِ ٱلۡمَتِينُ﴾ [الذاريات: ٥٨].

الرزَّاق: هو مبالغة من رازق؛ للدلالة على الكثرة، والرزق هو العطاء.

فالله هو الرزاق المطلق كما قال سبحانه: ﴿أَمَّنۡ هَٰذَا ٱلَّذِي يَرۡزُقُكُمۡ إِنۡ أَمۡسَكَ رِزۡقَهُۥ﴾ [الملك: ٢١]، وما يجري على يد فلان وفلان إنما هو بالواسطة، وإلا فهو من الله تعالى. فهو سبحانه يرزق الخلق أجمعين، فما من دابَّة إلا على الله رزقها، رزق الأجنة في بطون الأمهات، ورزق البهائم في القفار، والحيتان في البحار، وخزائنه لا تنفد.

ورزقه سبحانه على نوعين: رزقٌ حسيّ ورزقٌ معنويّ.

الأول: الرزق الحسيّ: وهو ما تقوم به حاجة الأبدان، وهو عام للبَرِّ والفاجر وسائر المخلوقات، ولا يعني رزقه سبحانه للكافر وتوسعته عليه بالأموال والأولاد ونحو ذلك رضاهُ عنه، فإنَّه سبحانه يعطي الدنيا مَنْ يُحِب، ومن لا يحب، قال تعالى: ﴿وَقَالُواْ نَحۡنُ أَكۡثَرُ أَمۡوَٰلٗا وَأَوۡلَٰدٗا وَمَا نَحۡنُ بِمُعَذَّبِينَ ٣٥ قُلۡ إِنَّ رَبِّي يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقۡدِرُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ [سبأ: ٣٥-٣٦].

ومَنْ كُتب له رزق وصل إليه، قال ابن مسعود ﷺ: «إن رزق الله لا يجره حرص حريص، ولا يرده كراهية كاره» [رواه البيهقي].

وتقوى الله وطاعته سبب عظيم للرزق والبركة فيه، قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق: ٢ - ٣]، ورزق الله سبحانه أوسع الحلال وأطيبه، وجعل فيه صلاح للقلوب والأخلاق والطباع وسلامة الدين ومقام العزّ.

قال ابن القيم رحمه الله: (أربعة تجلب الرزق: قيام الليل، وكثرة الاستغفار بالأسحار، وتعاهد الصدقة، والذكر أول النهار وآخره، وأربعة تمنع الرزق: نوم الصبيحة، وقلة الصلاة، والكسل، والخيانة).

وقد كان من دعاء النبي ﷺ إذا أصبح قال: «**اللهم إني أسالك علماً نافعاً ورزقاً طيباً، وعملاً متقبلا**» [رواه ابن ماجة].

ومن الأسباب الجالبة للرزق: كثرة الاستغفار، قال تعالى: ﴿فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ۝ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا﴾ [نوح: ١٠، ١١]، وقال ﷺ: «**من لزم الاستغفار جعل الله له من كل هم فرجاً، ومن كل ضيق مخرجاً، ورزقه من حيث لا يحتسب**».

ومن الأسباب كذلك؛ صلة الرحم، قال ﷺ: «**من سره أن يُبسط له في رزقه، أو ينسأله في أثره، فليصل رحمه**».

ومن ذلك التوكل على الله ﷻ، قال ﷺ: «**لو أنكم توكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير، تغدو خماصاً، وتروح بطاناً**» [رواه أحمد].

ومن ذلك: الإنفاق في سبيل الله، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ لَهُۥ ۚ وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾ [سبأ: ٣٩].

والذنوب مانعة للرزق، قال ﷺ: «إن الرجل ليحرم الرزق بالذنب يُصيبه» [رواه ابن ماجة]، وقد يُعطى العاصي الرزق، ولكن يُحرم بركته أو سعته، أو الشكر عليه.

الثاني: الرزق المعنويّ: وهو ما تقوم به حياة القلوب، من العلم والإيمان، وهو خاص بالمؤمنين، فإن القلوب مفتقرة غاية الافتقار إلى أن تكون عالمة بالحق، مريدة له، متألهة لله متعبدة، وبذلك يحصل غناها ويزول فقرها.

والمخلوق قد يرزق غيره لكنه يفنى ما عنده فيقطع عطاءه عمن أفضل عليه، فإن لم يفن ما عنده فني هو وانقطع العطاء، وخزائن الله لا تنفد، وملكه لا يزول، ورزقه سبحانه ليس قاصراً على الرزق العام للأبدان، بل يشمل رزق القلوب وهو الرزق الخاص، وهو النافع الذي يستمر نفعه في الدنيا والآخرة، وذلك برزق القلوب العلم والإيمان. وهذا الرزق لا تبعه فيه، وهو موصل للعبد إلى أعلى الغايات، ويدخل فيه: أن الله يغني عبده بحلاله عن حرامه، وبفضله عمن سواه، وهذا الرزق وسيلة ومعين للعبد، إذا رزق الله العبد العلم النافع، والإيمان الصحيح، والرزق الحلال، والقناعة بما أعطاه، فقد تمت أموره، واستقامت أحواله الدينية والبدنية.

إن معرفة أسماء الله وصفاته هي أصل الدين وأساس الهداية، فالقرآن مليئ بالآيات التي ختمت بأسمائه أو صفاته، والآيات المتضمنة ذكر أسماء الله وصفاته أعظم مما فيه من ذكر المعاد، ولهذا كانت آية الكرسي أعظم آية

في كتاب الله، وسورة الإخلاص ثلث القرآن، ومن أحبها أحبه الله، لأنها صفة الرحمن، والله تعالى يحب من يحب ذكر صفاته سبحانه.

وصفات الله سبحانه وحقائق أسمائه هي الجاذبة للقلوب إلى محبته وطلب الوصول إليه، لأن القلوب إنما تحب من تعرفه وتخافه وترجوه، وتشتاق إليه وتتلذذ بقربه، وتطمئن إلى ذكره بحسب معرفتها بأسمائه وصفاته.

إن معرفة أسماء الله وصفاته أفضل وأوجب ما اكتسبته القلوب، وحصلته النفوس، وأدركته العقول، قال ابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (العلم النافع: ما عرف العبد بربه، ودله عليه حتى عرفه، ووحده وأنس به، واستحى من قربه، وعبده كأنه يراه).

وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (أطيب ما في الدنيا معرفته سبحانه ومحبته، وألذ ما في الجنة رؤيته ومشاهدته).

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿أَوَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [الزمر: ٥٢].

بارك الله لي ولكم...

الخطبة الثانية

الحمد لله حمداً كثيراً طيبًا مباركًا فيه، وأشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن نبينا محمداً عبده ورسوله، بلغ الرسالة، وأدى الأمانة، ونصح الأمة، وجاهد في الله حق جهاده، فصلوات ربي وسلامه عليه، وعلى آله وصحبه أجمعين، والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

عباد الله:

من آثار الإيمان بهذا الاسم الكريم (الرزاق):

أولاً: محبة الله ﷻ وإفراده سبحانه بالعبادة والانخلاع من الشرك بجميع أنواعه وأشكاله، لأن الخالق لعباده والرازق لهم هو وحده المستحق للعبادة وحده لا شريك له.

ثانيًا: أن اليقين بأنه سبحانه المتفرد برزق عباده، المتكفل بأقواتهم وأنه لا مانع لما أعطى ولا معطي لما منع، إن اليقين بذلك يثمر التوكل على الله ﷻ والتعلق به وحده مع القيام بالأسباب الشرعية في طلب الرزق وعدم التعلق بها.

ثالثًا: يثمر هذا اليقين ترك الأسباب المحرمة في طلب الرزق، وعدم الخوف من المخلوق في قطع الرزق.

رابعًا: المحبة العظيمة التي يثمرها هذا الاسم الكريم في قلوب أولياء الله ﷻ وأصفيائه، حيث منَّ عليهم بأعظم الرزق وأنفعه ألا وهو رزق العلم

النافع والعمل الصالح، والهداية إليه، والتقرب إليه، والأنس بطاعته، وسلوك الطريق الموصل لمرضاته وجناته.

خامسًا: إن أعظم ما استجلب به رزق الله والبركة فيه؛ تقوى الله ﷻ وطاعته، قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ۝ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ﴾ [الطلاق: ٢-٣].

سادسًا: الابتعاد عن المال الحرام فإنه باب نقص ومحق للبركة، والله تكفل برزق العبد ما دام حيًا. ومن كتب له رزقه وصل إليه، فرزق الله لا يجره حرص حريص ولا يرده كراهية كاره.

سابعًا: حمد الله وشكره على ما رزق ووهب، فلو كان الرزق بيد غيره لتوقف وقلّ وانقطع، فهو ﷻ يملك خزائن الدنيا ﴿مَا عِندَكُمۡ يَنفَدُ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٖ﴾ [النحل: ٩٦].

ثامنًا: اللجوء والافتقار إلى من بيده خزائن السموات والأرض، وسؤاله الحاجات وطلب الأعطيات من خيري الدنيا والآخرة والبركة فيما وهب وأعطى.

تاسعًا: كثرة الدعاء والإلحاح على الله ﷻ بطلب الخيرات والبركات، وكان من دعاء النبي ﷺ: «**اللهم إني أسألك علمًا نافعًا ورزقًا طيبا، وعملاً متقبلاً**» [رواه ابن ماجه].

هذا وصلوا...

❁ ❁ ❁

⑥ الخطبة الأولى [1]

الحمد لله المتكفل بأرزاق العباد تفضلاً منه وإحسانًا، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن نبينا محمداً عبده ورسوله، صلى الله وسلم وبارك عليه، وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وسلم تسليمًا كثيراً.

أما بعد:

فاتقوا الله وراقبوه في السر والعلن، واعلموا أنكم في دار عمل وغداً حساب ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۖ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ۗ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَـٰعُ ٱلْغُرُورِ﴾ [آل عمران: ١٨٥].

عباد الله:

قال ابن العربي: (شرف العلم بشرف المعلوم، والباري أشرف المعلومات، والعلم بأسمائه أشرف العلوم).

وقد بشر النبي ﷺ الذي كان يقرأ سورة الإخلاص بأن الله يحبه لما قال: «**لأنها صفة الرحمن**».

---

(١) اسم (الرازق).

وأسماؤه سبحانه أحسن الأسماء: وصفاته أكمل الصفات ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

عباد الله:

من أسماء الله الحسنى – وكل أسمائه حسنى، اسم (الرازق).

وهو مبالغة من: رازق للدلالة على الكثرة، والرزاق من أسمائه سبحانه.

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلۡقُوَّةِ ٱلۡمَتِينُ﴾ [الذاريات: ٥٨]، وقال تعالى: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزۡقُهَا وَيَعۡلَمُ مُسۡتَقَرَّهَا وَمُسۡتَوۡدَعَهَاۚ كُلّٞ فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ﴾ [هود: ٦].

وقد ورد اسم (الرّازق) في السنة النبويّة، ففي السنن، ومسند الإمام أحمد، عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: غلا السِّعر على عهد رسول الله ﷺ فقالوا: يا رسول الله! لو سعَّرتَ، فقال: «**إنَّ الله هو الخالق القابض الباسط الرازق المسعِّر، وإني لأرجو أن ألقى الله ولا يطلبني أحدٌ بمظلمة ظلمتها إيَّاه في دمٍ ولا مال**».

فالله سبحانه هو: (الرازق) أي: المتكفِّل بأرزاق العباد، القائم على كل نفس بما كسبت من قوتها، قال تعالى: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزۡقُهَا﴾ [هود: ٦].

وقال تعالى: ﴿وَكَأَيِّن مِّن دَآبَّةٖ لَّا تَحۡمِلُ رِزۡقَهَا ٱللَّهُ يَرۡزُقُهَا وَإِيَّاكُمۡ﴾ [العنكبوت: ٦٠]، وقال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٖ﴾ [البقرة: ٢١٢]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقۡدِرُۚ﴾ [الإسراء: ٣٠].

هذا؛ وقد ذكَّر سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ عباده في مواضع عديدة من القرآن الكريم أنه

هو وحده رازقهم، المتكفل بأقواتهم وأرزاقهم، وقد جاء التذكير بهذا في القرآن في مقامين: مقام التفضل والامتنان، ومقام الدعوة إلى الطاعة والخير والإحسان.

فمن أمثلة التفضل والامتنان قوله سبحانه: ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ أَزۡوَٰجٗا وَجَعَلَ لَكُم مِّنۡ أَزۡوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةٗ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِۚ أَفَبِٱلۡبَٰطِلِ يُؤۡمِنُونَ وَبِنِعۡمَتِ ٱللَّهِ هُمۡ يَكۡفُرُونَ﴾ [النحل: ٧٢].

وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ كَرَّمۡنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ وَرَزَقۡنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلۡنَٰهُمۡ عَلَىٰ كَثِيرٖ مِّمَّنۡ خَلَقۡنَا تَفۡضِيلٗا﴾ [الإسراء: ٧٠].

وقال تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ قَرَارٗا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءٗ وَصَوَّرَكُمۡ فَأَحۡسَنَ صُوَرَكُمۡ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [غافر: ٦٤].

وأما الأمثلة على مقام الدعوة إلى الطاعة والخير والإحسان؛ فإنَّ القرآن الكريم يكثر فيه تذكير الله عباده بذلك في مقام أمرهم بالعبادة وأنواع الطاعة، ومن ذلك قوله تعالى في أمره لهم بالتّوحيد: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ٢١ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فِرَٰشٗا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءٗ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزۡقٗا لَّكُمۡۖ فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢١ - ٢٢].

وقوله تعالى في إبطال الشرك: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ ثُمَّ رَزَقَكُمۡ ثُمَّ يُمِيتُكُمۡ ثُمَّ يُحۡيِيكُمۡۖ هَلۡ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَفۡعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَيۡءٖۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾ [الروم: ٤٠].

وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡۚ هَلۡ مِنۡ خَٰلِقٍ غَيۡرُ ٱللَّهِ يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ فَأَنَّىٰ تُؤۡفَكُونَ﴾ [فاطر: ٣].

وقوله تعالى في الأمر بالإنفاق في سبيله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ يَوۡمٞ لَّا بَيۡعٞ فِيهِ وَلَا خُلَّةٞ وَلَا شَفَٰعَةٞۗ وَٱلۡكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [البقرة: ٢٥٤].

وقوله تعالى في الأمر بالشكر: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ﴾ [البقرة: ١٧٢].

وقوله تعالى في النهي عن قتل الأولاد خوف الفقر: ﴿وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَوۡلَٰدَكُمۡ خَشۡيَةَ إِمۡلَٰقٖۖ نَّحۡنُ نَرۡزُقُهُمۡ وَإِيَّاكُمۡۚ﴾ [الإسراء: ٣١].

وقوله تعالى في بيان أثر لزوم تقواه: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ۝٢ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُ﴾ [الطلاق: ٢ – ٣].

وقوله تعالى في ثواب الإيمان والعمل الصالح: ﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ﴾ [الحج: ٥٠].

وقوله تعالى في ذمّ من قال عليه بلا علم في باب الحلال والحرام: ﴿قُلۡ مَنۡ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخۡرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزۡقِ﴾ [الأعراف: ٣٢]. وقوله تعالى: ﴿قُلۡ أَرَءَيۡتُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ لَكُم مِّن رِّزۡقٖ فَجَعَلۡتُم مِّنۡهُ حَرَامٗا وَحَلَٰلٗا قُلۡ ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمۡۖ أَمۡ عَلَى ٱللَّهِ تَفۡتَرُونَ﴾ [يونس: ٥٩].

وقوله تعالى في الحث على السعي في طلب الرزق الحلال: ﴿فَٱمۡشُواْ فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزۡقِهِۦۖ وَإِلَيۡهِ ٱلنُّشُورُ﴾ [الملك: ١٥]. والآيات في هذا المعنى كثيرة جدًّا.

ورزق الله لعباده نوعان:

الأوّل: رزق عامٌّ يشمَل البرَّ والفاجر، والمؤمن والكافر، والأوّلين والآخرين، وهو رزقُ الأبدان ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزۡقُهَا﴾ [هود: ٦].

ولا يعني رزقه سبحانه للكافر وتوسعته عليه بالأموال والأولاد ونحو ذلك رضاه عنه فإنَّه سبحانه يعطي الدنيا مَنْ يُحبّ ومن لا يُحبّ، قال تعالى: ﴿قُلۡ إِنَّ رَبِّي يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقۡدِرُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ۝٣٦ وَمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُم بِٱلَّتِي تُقَرِّبُكُمۡ عِندَنَا زُلۡفَىٰٓ إِلَّا مَنۡ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ جَزَآءُ ٱلضِّعۡفِ بِمَا عَمِلُواْ وَهُمۡ فِي ٱلۡغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ﴾ [سبأ: ٣٥ - ٣٧].

وقال تعالى: ﴿أَيَحۡسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٖ وَبَنِينَ ۝٥٥ نُسَارِعُ لَهُمۡ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِۚ بَل لَّا يَشۡعُرُونَ﴾ [المؤمنون: ٥٥ - ٥٦]، وقال تعالى: ﴿كُلّٗا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنۡ عَطَآءِ رَبِّكَۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحۡظُورًا ۝٢٠ ٱنظُرۡ كَيۡفَ فَضَّلۡنَا بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۚ وَلَلۡأٓخِرَةُ أَكۡبَرُ دَرَجَٰتٖ وَأَكۡبَرُ تَفۡضِيلٗا﴾ [الإسراء: ٢٠ - ٢١].

وليس كثرة العطاء في الدنيا دليلاً على كرامة العبد عند الله، كما أن قلَّته ليس دليلاً على هوانه عنده، قال تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلۡإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبۡتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكۡرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّيٓ أَكۡرَمَنِ ۝١٥ وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبۡتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيۡهِ رِزۡقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّيٓ أَهَٰنَنِ ۝١٦ كَلَّاۖ﴾ [الفجر: ١٥ - ١٧].

أي: ليس كلُّ من نعّمتُه في الدّنيا فهو كريم عليّ، ولا كل من قدَرْتُ عليه رزقه فهو مهان لدي، وإنما الغنى والفقر والسعة والضيق، ابتلاء من الله وامتحان، ليعلم الشاكر من الكافر والصابر من الجازع.

النوع الثاني: رزق خاص، وهو رزق القلوب وتغذيتها بالعلم والإيمان والرزق الحلال الذي يعين على صلاح الدين، وهذا خاص بالمؤمنين على مراتبهم منه بحسب ما تقتضيه حكمته ورحمته، ويتم سبحانه كرامته لهم، ومنّه عليهم بإدخالهم يوم القيامة جنات النعيم، قال تعالى: ﴿وَمَن يُؤْمِنْ بِٱللَّهِ وَيَعْمَلْ صَٰلِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ قَدْ أَحْسَنَ ٱللَّهُ لَهُۥ رِزْقًا﴾ [الطلاق: ١١]، وقال تعالى: ﴿هَٰذَا ذِكْرٌ ۚ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴿٤٩﴾ جَنَّٰتِ عَدْنٍ مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ ٱلْأَبْوَٰبُ ﴿٥٠﴾ مُتَّكِـِٔينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ ﴿٥١﴾ وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ أَتْرَابٌ ﴿٥٢﴾ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ ﴿٥٣﴾ إِنَّ هَٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ﴾ [ص: ٤٩ - ٥٤].

وقد حذَّر سبحانه عباده من الانشغال برزق الدّنيا الفاني عن رزق الآخرة الباقي فقال سبحانه: ﴿مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ ۖ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ ۗ﴾ [النحل: ٩٦]، وقال تعالى: ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿١٦﴾ وَٱلْـَٔاخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ﴾ [الأعلى: ١٦ - ١٧].

والعاقل لا يشغله رزق الدّنيا وإن كثر عن الغاية التي خُلِق لأجلها وأوجد لتحقيقها وهي عبادة الله وإخلاص الدين له، كما قال سبحانه: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ﴾ [الذاريات: ٥٦ - ٥٨]، بل يجعل ذلك سبيلا لنيل رضا الله وبلوغ جنّاتِ النعيم ﴿جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ عِبَادَهُۥ بِٱلْغَيْبِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ وَعْدُهُۥ مَأْتِيًّا ﴿٦١﴾ لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَٰمًا ۖ وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴿٦٢﴾ تِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِى نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيًّا﴾ [مريم: ٦١ - ٦٣].

بارك الله لي ولكم...

الخطبة الثانية

الحمد لله أسبغ علينا النعم، ودفع عنا النقم، أحمده وأشكره، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن نبينا محمداً عبده ورسوله، وصفيه وخليله، بلغ الرسالة وأدى الأمانة، وجاهد في الله حق جهاده، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه، والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

فإن رزق الله تعالى لخلقه عام، ومطلق.

فالعام إيصاله لجميع الخليقة جميع ما تحتاجه في معاشها وقيامها، فسهَّل لها الأرزاق، ودبّرها في أجسامها، وساقَ إلى كل عضوٍ صغير وكبير ما يحتاجه من القوت، وهذا عام للبرِّ والفاجر والمسلم والكافر، بل للآدميين والجن والملائكة والحيوانات كلها.

وعام أيضـًا من وجه آخر في حق المكلّفين؛ فإنه قد يكون من الحلال الذي لا تبعة على العبد فيه، وقد يكون من الحرام ويسمى رزقـًا ونعمة بهذا الاعتبار، ويقال: (رزقه الله) سواء ارتزق من حلال أو حرام، وهو مطلق الرزق.

وأما الرزق المطلق فهو النوع الثاني، وهو الرزق الخاص، وهو الرزق النافع المستمر نفعه في الدنيا والآخرة، وهو الذي على يد الرسول ﷺ، وهو نوعان:

النوع الأول: رزق القلوب بالعلم والإيمان وحقائق ذلك، فإن القلوب مفتقرة غاية الافتقار إلى أن تكون عالمة بالحق مريدة له متألّهة لله متعبّدة، وبذلك يحصل غناها ويزول فقرها.

النوع الثاني: رزق البدن بالرزق الحلال الذي لا تبعة فيه؛ فإنَّ الرزق الذي خصَّ به المؤمنين والذي يسألونه منه شامل للأمرين، فينبغي للعبد إذا دعا ربه في حصول الرزق أن يستحضر بقلبه هذين الأمرين، فمعنى (اللهم ارزقني) أي ما يصلح به قلبي من العلم والهدى والمعرفة ومن الإيمان الشامل لكل عمل صالح وخلق حسن، وما به يصلح بدني من الرزق الحلال الهنيّ الذي لا صعوبة فيه ولا تبعة تعتريه.

وإذا آمن العبد بأسماء الغنى والرزق واللطف والكرم والجود والعطاء والبر؛ امتلأ قلبه افتقاراً واضطراراً إليه والتفاتًا إليه في كل وقت وفي كل حال، وأثمر فيه قوة رجائه بالله وطمعه فيما عنده، وإظهار افتقاره إليه، واحتياجه له.

هذا وصلوا...

❁ ❁ ❁

⑦ الخطبة الأولى [١]

الحمد لله رأف بعباده المؤمنين ولطف بهم، وهداهم وأرشدهم، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن نبينا محمداً عبده ورسوله، صلى وسلم وبارك عليه، وعلى آله وصحبه أجمعين، والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

فاتقوا الله في السر والنجوى، وتجهزوا ليوم الحساب فاليوم عمل، وغداً حساب. ﴿وَٱتَّقُواْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٨١].

عباد الله:

الله حكيم كريم، جواد ماجد، محسن ودود، صبور شكور، يُطاع فيشكر، ويُعصى فيغفر، لا أحد أَصبر على أذى سمعه منه، ولا أحد أَحبّ إليه المدح منه، ولا أحد أَحبّ إليه العذر منه، ولا أحد أَحبّ إليه الإحسان منه. فهو محسن يحب المحسنين، شكور يحب الشاكرين، جميل يحب الجمال، طيب يحب كل طيب، نظيف يحب النظافة، عليم يحب العلماءَ من عباده،

---

(١) اسم (الرّؤوف).

كريم يحب الكرماءَ، قوي، والمؤمن القوي أحب إليه من المؤمن الضعيف، بر يحب الأبرار، عدل يحبّ من يعفو عن عابده ويغفر لهم، يحبّ أهل الحياءِ والستر، غفور عفو يحبّ من يعفو عن عباده ويغفر لهم، صادق يحب الصادقين، رفيق يحبّ الرفق، جواد يحبّ الجود وأهله، رحيم يحبّ الرحماءَ، وتر يحبّ الوتر، ويحبّ أسماءَه وصفاته، ويحبّ المتعبدين له بها، ويحبّ من يسأله ويدعوه بها، ويحبّ من يعرفها ويعقلها وأثنى عليه بها ويحمده ويمدحه بها، كما في الصحيح عن النبي ﷺ: «لا أَحَدَ أَحَبُّ إِلَيْهِ الْمَدْحُ مِنَ اللهِ مِنْ أَجْلِ ذلِكَ أَثْنَى عَلَى نَفْسِهِ، وَلا أَحَدَ أَغْيَرُ مِنَ اللهِ مِنْ أَجْلِ ذلك حَرَّمَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطنَ، وَلا أَحَدَ أَحَبُّ إِلَيْهِ الْعُذْرُ مِنَ اللهِ مِنْ أَجْلِ ذلِكَ أَرْسَلَ الرُّسُلَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ» [رواه بالخاري].

عباد الله:

من أسماء الحسنى اسم (الرؤوف) وقد ورد اسمه سبحانه (الرؤوف) في القرآن الكريم عشر مرات منها:

قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَـٰنَكُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [البقرة: ١٤٣]، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحج: ٦٥]. وقوله سبحانه: ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ بِكُمۡ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحديد: ٩]. وقوله تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [النور: ٢٠]. وقوله تعالى: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفۡسَهُۥۗ وَٱللَّهُ رَءُوفُۢ بِٱلۡعِبَادِ﴾ [آل عمران: ٣٠].

و(الرؤوف): هو الرحيم لعباده، العطوف عليهم بألطافه ورأفته عليهم، والله سبحانه ذو رأفة بجميع عباده.

ومن رأفته سبحانه أنه لم يحملهم ما لا يطيقون، بل حملهم أقل مما يطيقون بدرجات كثيرة، ومع ذلك غلّظ فرائضه في حالة شدة القوة، وخفّفها في حال الضعف ونقصان القوة، وهذا كله رأفة ورحمة.

قال الخطابي: ((الرؤوف) هو الرحيم العاطف برأفته على عباده).

وقال بعضهم: (الرأفة أبلغ الرحمة وأرقها، ويقال: إن الرأفة أخص والرحمة أعم، وقد تكون الرحمة في الكراهة للمصلحة، ولا تكاد الرأفة تكون في الكراهة فهذا موضع الفرق بينهما).

ويؤكد هذا الفرق القرطبي بقوله: (إن الرأفة نعمة ملذة من جميع الوجوه، والرحمة قد تكون مؤلمة في الحال ويكون عقباها لذة، ولذا قال سبحانه: ﴿وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ ٱللَّهِ﴾ [النور: ٢]، ولم يقل: رحمة، فإن ضرب العصاة على عصيانهم رحمة لهم لا رأفة؛ فإن صفة الرأفة إذا انسدلت على مخلوق لم يلحقه مكروه.

فلذلك تقول لمن أصابه بلاءٌ في الدنيا، وفي ضمنه خير في الأخرى: إن الله قد رَحِمه بهذا البلاء، وتقول لمن أصابه عافية في الدنيا، في ضمنها خير في الآخر واتصلت له العافية أولاً وآخراً، وظاهراً وباطناً: إنَّ الله قد رأف به).

قال الأُقليشي: (فتأمل هذه التفرقة بين الرأفة والرحمة، ولذلك جاء معًا، فقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحج: ٦٥] وعلى هذا الرأفة أعمُّ من الرحمة، فمتى أراد الله بعبدٍ رحمةً أنعم عليه بها، إلا أنها قد تكون عقيب بلاءٍ، وقد لا تكون، والرأفة بخلاف ذلك).

و(الرَّأفة) كما قال ابن جرير -رَحِمَهُ ٱللَّهُ-: (أعلى معاني الرحمة، وهي عامة لجميع الخلق في الدُّنيا، ولبعضهم في الآخرة. وهم أولياؤه المؤمنون، وعباده المتّقون).

هذا؛ وإنّ من القواعد المفيدة التي قرَّرها أهلُ العلم في باب فقه أسماء الله الحسنى أنَّ ختم الآيات القرآنية بأسماء الله الحسنى يدلُّ على أنَّ الحكم المذكور فيها له تعلُّق بذلك الاسم الكريم الذي ختمت به الآية، وتأمُّل ذلك من أعظم ما يعين العبد على فقه أسماء الله الحسنى.

وفيما يلي عرضٌ لمواضعِ ذكرِ هذا الاسم في القرآن الكريم، وتنبيه على دلالاته من خلال سياق الآيات التي ختمت به.

قال الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَـٰنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [البقرة: ١٤٣]، أي: لا ينبغي له ولا يليق به أن يضيع إيمانكم، وهذا من كمال رأفته ورحمته بهم، وفي هذا بشارة عظيمة لمن منّ الله عليهم بالإسلام والإيمان بأن الله سيحفظ عليهم إيمانهم، فلا يضيعه بل يحفظه من الضّياع والبطلان، ويتمّمه لهم، ويوفقهم لما يزدادُ به إيمانهم ويتمُّ به إيمانهم، فكما ابتدأهم بالهداية للإيمان فسيحفظه لهم ويتمه عليه، رأفة منه بهم ورحمة، ومَنًّا منه عليهم وتفضُّلاً.

وقال الله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ﴾ [البقرة: ٢٠٧]، وهؤلاء هم الموفقون من عباده الذين باعوا أنفسهم وأرخصوها وبذلوها طلباً لمرضاة الله ورجاءً لثوابه، فهم بذلوا الثمن للملي الوفي الرؤوف بالعباد، الذي من رأفته ورحمته بهم أن وفقهم

لذلك، ووعدهم عليه عظيم الثواب، وحسن المآب، ولا تسأل عما يحصل لهم من التكريم وما ينالونه من الفوز العظيم، فقدومُهم يوم القيامة على ربٍّ رؤوفٍ رحيم.

وقال تعالى: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ﴾ [آل عمران: ٣٠].

وهذا يفيد أنَّ الله سبحانه مع شدَّة عقابه وعِظَم نَكَاله فإنه رؤوفٌ بالعباد، ومن رأفته بهم أنْ خوَّف العباد وزَجرهم عن الغيِّ والفساد، ليسلموا من مغبتها، ولينجوا من عواقبها، فهو جَلَّوَعَلَا رأفةً منه ورحمةً سهَّل لعباده الطرق التي ينالون بها الخيرات ورفيع الدرجات، ورأفةً منه ورحمةً حذر عباده من الطرق التي تفضي به إلى المكروهات.

قال تعالى: ﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِى سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١١٧].

وفي هذا السياق أنّ من رأفة الله بهم أنْ منَّ عليهم بالتوبة ووفقهم لها، وقبلها منهم، وثبتهم عليها، ولولا أنه رأف بهم ورحمهم لما حصل لهم شيء من ذلك.

وقال تعالى: ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ۝٤ وَٱلْأَنْعَٰمَ خَلَقَهَا ۗ لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَٰفِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ۝٥ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ۝٦ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا۟ بَٰلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ ٱلْأَنفُسِ ۚ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [النحل: ٤ - ٧].

وفي هذا أنّ من رأفة الله بالإنسان أن سخر له الأنعام لأجل مصالحه ومنافعه، وجعل له فيها دفئا بما يتخذه من أصوافها وأشعارها وأوبارها من لباس ومنافع أخرى عديدة، ومنها يأكل، وجعل له فيها جمالات في وقت رواحها وحركتها ووقت هجوعها وسكونها، وسخرها له تحمل متاعه إلى البلدان الشاسعة، والأقطار البعيدة وكلُّ ذلك من رأفته ورحمته سبحانه، وليتنا نذكر رأفةَ الله بنا ورحمته وفضلَه ومنَّه بما سخَّر لنا في هذا الزمان من وسائل النقل الحديثة الحسنة في مراكبها المريحة في تحركها وتنقلها، الجميلة في شكلها ومنظرها، والسّريعة في سيرها، ويسر مع ذلك طرقها وذلل سبلها، وهيأ كل الوسائل المحققة للراحة فيها، ينتقل الناس عليها من مكان إلى مكان، ومن بلد إلى بلد لا مشقة أو تعب، فله الحمد كما ينبغي لجلال وجهه، وعظيم سلطانه، وسعة جوده وبرِّه.

وقال تعالى: ﴿أَفَأَمِنَ ٱلَّذِينَ مَكَرُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَخۡسِفَ ٱللَّهُ بِهِمُ ٱلۡأَرۡضَ أَوۡ يَأۡتِيَهُمُ ٱلۡعَذَابُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَشۡعُرُونَ ۝٤٥ أَوۡ يَأۡخُذَهُمۡ فِي تَقَلُّبِهِمۡ فَمَا هُم بِمُعۡجِزِينَ ۝٤٦ أَوۡ يَأۡخُذَهُمۡ عَلَىٰ تَخَوُّفٖ فَإِنَّ رَبَّكُمۡ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٌ﴾ [النحل: ٤٥ - ٤٧].

وفي هذا أنّ من رأفته سبحانه أنه لا يعاجل العاصين بالعقوبة، بل يمهلهم ويعافيهم ويرزقهم، وهم يؤذونه ويؤذون أولياءه، ومع هذا يفتح لهم أبواب التوبة، ويدعوهم إلى الإقلاع عن السيئات، ويعدهم بذلك أفضل الكرامات، ومغفرة ما كان منهم من ذنوب وخطيئات، أفلا يستحي المجرم من ربه الرؤوف الرحيم أن تكون نعم الله عليه نازلة في جميع اللحظات، متوالية عليه في كلِّ الأوقات؛ وهو مكبٌّ على إجرامه، متمادٍ في غيِّه وعصيانه.

وقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلْأَرْضِ وَٱلْفُلْكَ تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحج: ٦٥].

فتسخير الله الأرض وما فيها من حيوانات ونباتات وجمادات، والفلك تجري في البحر بأمره تحمل الناس وتجاراتهم وأمتعتهم من محل إلى محل، وإمساكه سبحانه السماء أن تسقط على الأرض فتتلف ما عليها، وتهلك من فيها، كل ذلكم من رحمته ورأفته سبحانه بالعباد.

وقال تعالى: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [النور: ٢٠]، قال ذلك سبحانه بعد بيانه لأحكامه العظيمة ومواعظه البليغة، ما يفيد أن هذا البيان النافع والشرع الحكيم هو من رأفة الله بالعباد ورحمته بهم.

وقال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِي يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبْدِهِۦٓ ءَايَٰتٍ بَيِّنَٰتٍ لِّيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحديد: ٩].

وهذه أعظم النعم وأجلّ العطايا والمنن؛ أنْ نزل على عبده ورسوله ﷺ آياته البيِّنات، وحججه الظاهرات؛ تدل أهل العقول على صحة جميع ما جاء به، وأنه الحقّ اليقين، ليخرج سبحانه من شاء من عباده بإرسال الرسول وما أنزل عليه من الآيات والحكمة من الظلمات إلى النور، وهذا من رأفته بعباده، ورحمته بأوليائه وأصفيائه.

وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠]، وهذا من رحمة الله ورأفته بعباده المؤمنين أنْ أوثق بينهم

عقد الإيمان ورابطة الدِّين ووشاج التقوى، وجعل اللاحق منهم محباً للسابق، داعيا له بكل خير، فما أسناها من عطيَّة، وما أجلها من منَّةٍ تفضَّل بها مولانا الرّؤوف الرّحيم.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [البقرة: ١٤٣].

بارك الله لي ولكم...

الخطبة الثانية

الحمد لله، وله المحامد كلها، رحم عباده ورأف بهم، وأشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن نبينا محمداً عبده ورسوله، صلى الله وسلم وبارك عليه، وعلى آله وصحابته والتابعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

فإن من آثار الإيمان باسمه ﷻ (الرؤوف).

أولاً: أن من رأفته سبحانه أنه لا يبطل عمل عباده الذين صلوا قبل تحويل القبلة، فقد تساءل الصحابة رضي الله عنهم عن عملهم وعمل إخوانهم الذين ماتوا وهم يصلون إلى بيت المقدس بعد أن حولت القبلة إلى الكعبة، فأنزل الله: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَـٰنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [البقرة: ١٤٣].

ثانيًا: ومن رأفته سبحانه أنه أخبر عباده بما سيلاقونه في يوم القيامة، حيث تجد كل نفس ما عملت من خير محضراً، وهذا الإخبار من رأفته، حتى يستعد الناس لذلك اليوم: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ﴾ [آل عمران: ٣٠].

ثالثًا: ومن رأفته تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ إنزاله الكتاب على رسوله ﷺ ليخرجنا من ظلمات الكفر والشرك إلى نور الحق ودين الإسلام: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبْدِهِۦٓ ءَايَـٰتٍۭ بَيِّنَـٰتٍ لِّيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَـٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحديد: ٩].

رابعـــاً: ومـــن رأفتـــه توبتـــه علـــى عبـــاده: ﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١١٧].

خامساً: ومن رأفته سبحانه تسخيره لنا وسائل النقل المتمثلة في الجمال والخيول والبغال والحمير قديماً، والسيارات والطائرات حديثاً: ﴿وَٱلْأَنْعَٰمَ خَلَقَهَا ۗ لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَٰفِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ۝ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ۝ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا۟ بَٰلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ ٱلْأَنفُسِ ۚ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [النحل: ٥ - ٧].

سادساً: والمؤمن الحق الذي يعلم أن ربّه رؤوف رحيم دائماً يلجأ إلى الله باسمه الرؤوف داعياً ومنادياً طالباً منه أن يرأف به، ويرحمه: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠].

ومعرفة العبد بربه الرؤوف يزداد العبد حباً لربه وشوقاً له، وحمداً له وشكراً، وأن يجدّ في العمل الصالح الذي يكون جالباً لرحمة الله تعالى.

هذا وصلوا...

❁ ❁ ❁

⑧ الخطبة الأولى[(١)]

الحمد لله، رحمان الدنيا والآخرة ورحيمهما، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبد الله ورسوله، أرسله الله رحمة للعالمين وحجة على المخالفين، صلى الله وسلم وبارك عليه، وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

فاتقوا الله حق التقوى، وتزودوا فإن خير الزاد التقوى.

أيها المسلمون:

من أسماء الله تعالى اسم (الرحمن والرحيم) وهما اسمان جليلان، كثر ورودهما في القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ [طه: ٥]، وقال: ﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۚ ٱلرَّحۡمَٰنُ﴾ [الفرقان: ٥٩]، وقال: ﴿إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ﴾ [مريم: ٤٥]، وقال: ﴿رَّبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا ٱلرَّحۡمَٰنِ﴾ [النبأ: ٣٧]، وقال: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ ۞ عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ﴾ [الرحمن: ١ – ٢].

وغالب مجيء اسمه (الرحيم) إما مقيداً كقوله: ﴿وَكَانَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَحِيمٗا﴾ [الأحزاب: ٤٣]، أو مقروناً باسم (الرحمن) كما في سورة الفاتحة والبسملة، أو باسم آخر نحو: ﴿ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ﴾ و﴿ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ و﴿ٱلۡبَرُّ ٱلرَّحِيمُ﴾ و﴿ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾.

---

(١) اسم (الرحمن، الرحيم).

ولهذين الاسمين شأنٌ كبير ومكانة عظيمة؛ فهما الاسمان اللّذان افتتح الله بهما أمَّ القرآن، وجعلهما عنوان ما أنزله من الهدى والبيان، وضمنهما الكلمة التي لا يثبت لها شيطان، وافتتح بها كتابه نبيُّ الله سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ، وكان جبريل ينزلُ بها على النبيِّ ﷺ عند افتتاح كلِّ سورةٍ من القرآن.

وقد ورد هذان الاسمان مقترنين في عدّة مواضعَ من القرآن، وكلٌّ منهما دالٌّ على ثبوت الرحمة صفة لله ﷻ، إلَّا أنَّ اقتران هذين الاسمين فيه دلالةٌ على ثبوت هذا الوصف وحصول أثره وتعلُّقاته؛ فالرحمن أي: الذي الرحمة وصفُة، والرحيم أي: لعباده، ولهذا يقول تعالى: ﴿وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ [الأحزاب: ٤٣]، ﴿إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١١٧]، ولم يجئ (رحمن بعباده) ولا (رحمن بالمؤمنين).

و(الرحمن) يجمع كل معاني الرحمة، فهو ذو الرحمة الذي لا نظير له فيها، وهو ذو الرحمة الشاملة التي وسعت الخلق في أرزاقهم وأسباب معاشهم ومصالحهم،وهو ذو النهاية في الرحمة الذي وسعت كل شيء، وهو سبحانه الذي رحم كافة خلقه مؤمنهم وكافرهم بأن خلقهم وأوسع عليهم في رزقهم، وهو الرحيم بعباده المؤمنين بأن هداهم إلى الإيمان وهو يثيبهم في الآخرة الثواب الدائم الذي لا ينقطع.

عباد الله:

و(الرحمن الرحيم): اسمان رقيقان أحدهما أرقُّ من الآخر، فالرحمن يجمع كل معاني الرحمة من الرأفة، والشفقة، والحنان، واللطف، والعطف، و(الرحيم) العاطف على خلقه بالرزق.

وقيل: (الرحمن): ذو الرحمة، و(الرحيم): الراحم، وقيل: رحمن الدنيا ورحيم الآخرة. (والرحمن) أبلغ من (الرحيم).

و(الرحمن) اسم مختص لله تعالى، وهو اسم ممتنع لا يسمى غير الله به، وقد عادل الله به الاسم الذي لا يشركه فيه غيره فقال: ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا۟ ٱلرَّحْمَـٰنَ﴾ [الإسراء: ١١٠].

و(الرحمن) جاء على وزن (فعلان) الدال على الصفة الثابتة اللازمة الكاملة، أي: من صفته الرحمة، والرحيم دالٌّ على تعديها للمرحوم، أي: من يرحم بالفعل.

عباد الله:

إنَّ في هذين الاسمين (الرحمن، الرحيم) دلالة على كمال الرحمة التي هي صفة الله وسعتها، فجميع ما في العالم العلوي والسفلي من حصول المنافع والمحابِّ والمسارِّ والخيرات من آثار رحمته، كما أنَّ ما صرف عنهم من المكاره والنِّقم والمخاوف والأخطار والمضارّ من آثار رحمته؛ فإنه لا يأتي بالحسنات ألَّا هو، ولا يدفع السيئات إلَّا هو، وهو أرحم الراحمين.

ورحمته تعالى سبقت غضبَه وغلبتْه، وظهرت في خلقه ظهوراً لا ينكر، حتى ملأت أقطار السماوات والأرض، وامتلأت منها القلوب حتى حنت المخلوقات بعضها على بعض بهذه الرحمة التي نشرها عليهم وأودعها في قلوبهم، وحتى حنّت البهائم التي لا ترجو نفعاً ولا عاقبة ولا جزاءً على أولادها، وشوهد من رأفتها بهم وشفقتها العظيمة ما يشهد بعناية باريها ورحمته الواسعة، وكذلك ظهرت رحمته في أمره وشرعه ظهورا تشهده

البصائر والأبصار، ويعترف به أولو الألباب، فشرعه نورٌ ورحمة وهداية، وكل شرعه محتويًا على الرحمة، وموصلاً إلى أجلّ رحمة وكرامة وسعادة وفلاح. شرَع فيه من التسهيلات والتيسيرات ونفي الحرج والمشقّات ما يدلُّ أكبر دلالة على سعة رحمته وجوده وكرمه، ومناهيه كلُّها رحمة؛ لأنها لحفظ أديان العباد، وحفظ عقولهم وأعراضهم، وأبدانهم وأخلاقهم وأموالهم من الشرور والأضرار.

ويوم القيامة يختص سبحانه بالرّحمة والفضل والإحسان المؤمنين به وبرسله، ويكرمهم بالصفح والعفو والغفران ما لا تعبر عنه الألسنة ولا تتصوره الأفكار، ففي الحديث «**إنّ لله مائةَ رحمة أنزل منها رحمةً واحدة بين الجنّ والإنس والبهائم والهوام، فيها يتعاطفون، وبها يتراحمون، وبها تعطف الوحش على ولدها. وأخَّر الله تسعًا وتسعين رحمة يرحم بها عباده يوم القيامة**» [متفق عليه].

فهي رحمة لا يعبر عنها لسان، يمنُّ بها أرحم الرّاحمين، ويتفضل بها من وسعت رحمته كل شيء على عباده المؤمنين ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٦].

والعبد كلما عظمت طاعته وزاد قربه وتقربه لربه عظم نصيبه من استحقاق هذه الرحمة، قال تعالى: ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُواْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٥]، وقال تعالى: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [النور: ٥٦]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [الأعراف: ٥٦]، والآيات في هذا المعنى كثيرة.

والله ﷻ أرحم بعباده منهم بعضهم ببعض مهما علا قدر الرحمة والتراحم بينهم، ففي الصّحيحين عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال: (قدم على رسول الله ﷺ بسبيٍ، فإذا امرأةٌ مِنَ السَّبْيِ تبتغي إذا وَجَدتْ صبيًّا في السبي أخذتهُ فألصقته ببطنها وأرضعته، فقال لنا رسول الله ﷺ: «أترون هذه المرأة طارحةً ولدها في النار؟» قلنا: لا والله وهي تقدر على أن لا تطرحه، فقال رسول الله ﷺ: «للهُ أرحم بعباده من هذه بولدها».

فأرحم ما يكون من الخلق بالخلق رحمة الأم بولدها، فهي رحمةٌ لا يساويها شيء من رحمة الناس، والله جَلَّ وَعَلَا أرحم بعباده منها بولدها، بل لو جمعت رحماتِ الرّاحمين كلِّهم فليست بشيءٍ عند رحمة أرحم الراحمين.

عباد الله:

اسم (الرحمن) من الأسماء التي لا يجوز للمخلوق أن يتسمى بها؛ قال الله تعالى: ﴿قُلِ ٱدْعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُواْ ٱلرَّحْمَٰنَ أَيًّا مَّا تَدْعُواْ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [الإسراء: ١١٠] فعادل به الاسم الذي لا يشركه فيه غيره وهو (الله) ﷻ وأما (الرحيم) فإنه تعالى وصف به نبيه ﷺ حيث قال: ﴿حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨].

قال ابن كثير رحمه الله: (والحاصل أن من أسمائه تعالى ما يسمى به غيره، ومنها ما لا يسمى به غيره كاسم (الله)، (الرحمن)، (الخالق)، (الرازق) ونحو ذلك؛ ولهذا بدأ باسم الله الموصوف (بالرحمن) لأنه أخص وأعرف من (الرحيم)؛ لأن التسمية أولاً إنما تكون بأشرف الأسماء؛ فلهذا ابتدأ بالأخص فالأخص).

ورحمة الله ﷻ لعباده نوعان:

الأولى: وهي لجميع الخلائق بإيجادهم، وتربيتهم، ورزقهم، وإمدادهم بالنعم والعطايا، وتصحيح أبدانهم، وتسخير المخلوقات من نبات وحيوان وجماد في طعامهم وشرابهم، ومساكنهم، ولباسهم، ونومهم، وحركاتهم، وسكناتهم، وغير ذلك من النعم التي لا تعد ولا تحصى.

قال الله ﷻ: ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا﴾ [غافر: ٧]، يقول الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ عند هذه الآية: (وهذه هي الرحمة العامة التي تشمل جميع المخلوقات، حتى الكفار؛ لأن الله قرن الرحمة هذه مع العلم؛ فكل ما بلغه علم الله، وعلم الله بالغ لكل شيء؛ فقد بلغته رحمته؛ فكما يعلم الكافر؛ يرحم الكافر أيضاً. لكن رحمته للكافر رحمة جسدية بدنية دنيوية مختصة بالدنيا؛ فالذي يرزق الكافر هو الله الذي يرزق بالطعام والشراب واللباس والمسكن والمنكح وغير ذلك).

الثانية: رحمة خاصة:

وهذه الرحمة لا تكون إلا للمؤمنين، فيرحمهم الله ﷻ في الدنيا بتوفيقهم إلى الهداية والصراط المستقيم، ويثيبهم عليه، ويدافع عنهم وينصرهم على الكافرين، ويرزقهم الحياة الطيبة، ويبارك لهم فيما أعطاهم، ويمدهم بالصبر واليقين عند المصائب، ويغفر لهم ذنوبهم ويكفرها بالمصائب، ويرحمهم في الآخرة بالعفو عن سيئاتهم والرضا عنهم، والإنعام عليهم بدخولهم الجنة ونجاتهم من عذابه ﷻ ونقمته. وهذه الرحمة هي التي جاء ذكرها في قوله تعالى: ﴿وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ [الأحزاب: ٤٣].

يقول الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ عن هذه الرحمة الخاصة بعد حديثه عن الرحمة العامة: (أما المؤمنون؛ فرحمتهم رحمة أخص من هذه وأعظم؛ لأنها رحمة إيمانية دينية دنيوية. ولهذا تجد المؤمن أحسنَ حالاً من الكافر، حتى في أمور الدنيا؛ لأن الله يقول: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً﴾ [النحل: ٩٧] الحياة الطيبة هذه مفقودة بالنسبة للكفار، حياتهم كحياة البهائم.. لكن المؤمن إن أصابته ضراء صبر واحتسب الأجر على الله ﷻ وإن أصابته سراء شكر فهو في خير في هذا، وفي هذا، وقلبه منشرح مطمئن).

عباد الله:

آثار رحمة الله ﷻ لا تعد ولا تحصى، إذ إن رحمة الله ﷻ قد وسعت كل شيء؛ فكما أن علم الله ﷻ قد وسع كل شيء ولم يخف عليه أي شيء، فكذلك رحمته سبحانه قد بلغت كل شيء بلغه علمه سبحانه، قال الله ﷻ: ﴿وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ﴾ [الأعراف: ١٥٦].

وقال عن دعاء الملائكة للمؤمنين: ﴿ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا۟ وَٱتَّبَعُوا۟ سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ﴾ [غافر: ٧].

وقال سبحانه عن نعمه التي هي من آثار رحمته: ﴿وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ [إبراهيم: ٣٤].

وآثار رحمة الله ﷻ تظهر في كل ما خلق الله ﷻ سواء في هذا الكون العريض وما فيه من المخلوقات العظيمة المسخرة بأمره سبحانه وما فيها من المنافع

والرحمة لعباده، أو ما في خلق الإنسان من الآيات الدالة على عظمته سبحانه ورحمته ﷻ بهذا الإنسان، حيث خلقه في أحسن تقويم وأقام جسمه وروحه، وأعطاه العقل وقواه، وأمده وأعده ورزقه وأنعم عليه بنعمه الظاهرة والباطنة. ولو ذهبنا نستعرض آثار رحمة الله تعالى في الآفاق وفي الأنفس لفنيت الأعمار ولم تنته من حصرها وعدها مع أنها جزء من مائة جزء من رحمته.

وبرحمته أطلع الشمس والقمر، وجعل الليل والنهار، وبسط الأرض وجعلها مهاداً وفراشاً وقراراً وكفاتاً للأحياء والأموات، وبرحمته أنشأ السحاب وأمطر المطر، وأطلع الفواكه والأقوات والمرعى، ومن رحمته سخر لنا الخيل والإبل والأنعام وذللها منقادة للركوب والحمل والأكل، ومن رحمته أن خلق للذكر من الحيوان أنثى من جنسه وألقى بينهما المحبة والرحمة، ليقع بينهما التواصل الذي به دوام التناسل وانتفاع الزوجين، ويمتع كل واحد منهما بصاحبه.

ومن رحمته أن أحوج الخلق بعضهم إلى بعض لتتم مصالحهم، ولو أغنى بعضهم عن بعض لتعطلت مصالحهم، وانحل نظامهم، وكان من تمام رحمته بهم أن جعل فيهم الغني والفقير، والعزيز والذليل، والعاجز والقادر، والراعي والمرعي، ثم أفقر الجميع إليه، ثم عم الجميع برحمته.

وأعظم آثار رحمته سبحانه؛ إرساله الرسل، وإنزاله الكتب هداية للناس، وإخراجاً لهم من الظلمات إلى النور، فالرسل رحمة من عند الله ﷻ لعباده قال الله ﷻ: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧].

وقال سبحانه: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ تِبْيَـٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل: ٨٩].

ومن رحمته سبحانه مغفرته لذنوب عباده والصفح عنهم، وتكفير سيئاتهم، وفتح باب التوبة لهم.

قال الله تعالى: ﴿قُلْ يَـٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الزمر: ٥٣].

وتتجلى رحمة الله ﷻ بعباده التائبين في أجلى صورها فيما أخبر به الرسول ﷺ بفرح الله ﷻ بتوبة عبده وقبوله لتوبة التائبين.

قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَعْفُوا۟ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ [الشورى: ٢٥].

ومن آثار رحمته سبحانه ما يضعه في قلوب الأمهات من رحمة نحو أولادهن سواء كان ذلك عند الإنسان أو الحيوان من وحش وطير وهوام. وأن رحمة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أعظم وأوسع من رحمة الأمهات بأولادهن.

بارك الله لي ولكم...

الخطبة الثانية

الحمد لله وله المحامد كلها، رحم عباده المؤمنين فوفقهم للطاعات والخيرات وثبتهم عليها، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن نبينا محمداً عبده ورسوله، صلى الله وسلم وبارك عليه، وعلى آله وصحبه أجمعين، والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

وتتجلى رحمة الله ﷻ في شرعه المطهر وأحكامه التي كلها خير ورحمة للخلق سواء ما يتعلق بهدايتهم وحفظ أديانهم، أو ما يتعلق بحفظ نفوسهم وأبدانهم، أو ما يتعلق بحفظ عقولهم وأفكارهم، أو ما يتعلق بحفظ أعراضهم وأنسابهم وأولادهم، أو ما يتعلق بحفظ أموالهم وممتلكاتهم.

كما تتجلى رحمة الله ﷻ في المصائب والمكروهات التي يقدرها على عباده المؤمنين، فهي وإن كانت مؤذية ومكروهة، إلا أن في أعطافها الرحمة والخير بالمصاب، لأن الله ﷻ كتب على نفسه الرحمة ورحمته سبقت غضبه.

وقد تظهر هذه الرحمة للمصاب عياناً ويتبين ما في المكروه من الرحمة واللطف، وقد لا يتبين ذلك في الدنيا، ولكن يظهر آثار رحمة الله فيها في الآخرة بتكفير السيئات، وغفران الذنوب بفعل هذه المصائب.

قال الله تعالى: ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ شَرّٞ لَّكُمۡۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢١٦].

وعن أبي هريرة ﵁ عن النبي ﷺ قال: «ما يصيب المسلم من نصب ولا وصب ولا هم ولا حزن ولا أذى ولا غم – حتى الشوكة يشاكها – إلا كفر الله بها من خطاياه».

أما ما يصاب به الكفار من المصائب والعقوبات فهي رحمة بالمؤمنين من شر الكفار وتسلطهم، وإفسادهم في الأرض، وهي عدل مع الكفار.

وتتجلى رحمة الله ﷻ في رحمته الخاصة بأوليائه، وتوفيقهم، وتسديدهم، وحفظهم، وتيسير أمورهم، وإجابة دعائهم، ونصرهم على أعدائهم الكافرين، وتمكينه لهم في الأرض، وإعانتهم وإغاثتهم في قضاء حوائجهم كما في جلب الرزق والمطر وكشف الكروب، وخرق السنن الكونية لهم، وإظهار الكرامات على أيديهم.

قال ابن القيم ﵀: (فانظر إلى ما في الوجود من آثار رحمته الخاصة والعامة، فبرحمته أرسل إلينا رسوله ﷺ، وأنزل علينا كتبه، وعلمنا من الجهاله، وهدانا من الضلالة، وبصرنا من العمى، وأرشدنا من الغي، وبرحمته عرفنا من أسمائه وصفاته وأفعاله ما عرفنا به أنه ربنا ومولانا، وبرحمته علمنا مالم نكن نعلم، وأرشدنا لصالح ديننا ودنيانا).

عباد الله:

ومن آثار الإيمان باسميه سبحانه: (الرحمن الرحيم):

أولاً: محبة الله ﷻ المحبة العظيمة وذلك حينما يفكر العبد وينظر في آثار رحمة الله ﷻ في الآفاق، وفي النفس والتي لا تعد ولا تحصى. وهذا يثمر تجريد المحبة لله تعالى والعبودية الصادقة له سبحانه، وتقديم محبته ﷻ

على النفس، والأهل، والمال، والناس جميعًا، والمسارعة إلى مرضاته، والدعوة إلى توحيده، والجهاد في سبيله، وفعل كل ما يحبه ويرضاه.

ثانيًا: عبودية الرجاء والتعلق برحمة الله تعالى، وعدم اليأس من رحمة الله تعالى فإن الله ﷻ قد وسعت رحمته كل شيء. وهو الذي يغفر الذنوب جميعًا.

ثالثًا: اتصاف العبد بالرحمة وبذلها لعباد الله تعالى.

رابعًا: التعرض لرحمة الله تعالى بفعل أسبابها من طاعة الله ﷻ، والبعد عما نهى عنه، والرفق بعباد الله، والإحسان إليهم وإعانتهم.

هذا وصلوا.

۞ ۞ ۞

⑨ الخطبة الأولى [١]

الحمد لله كريم الخصال، حميد الفعال، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له في ألوهيته وربوبيته وأسمائه وصفاته، وأشهد أن نبينا محمداً عبده ورسوله، وصفيه وخليله، صلى الله وسلم وبارك عليه، وعلى آله وصحبه، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

فاتقوا الله عباد الله ﴿وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا لَّا تَجۡزِي نَفۡسٌ عَن نَّفۡسٖ شَيۡـٔٗا وَلَا يُقۡبَلُ مِنۡهَا شَفَٰعَةٞ وَلَا يُؤۡخَذُ مِنۡهَا عَدۡلٞ وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ﴾ [البقرة: ٤٨].

عباد الله:

أسماء الله تعالى كلها أسماء مدح وثناء وتمجيد، ولذلك كانت حسنى، وصفاته كلها صفات كمال، ونعوته جلال، وأفعاله كلها حكمة ورحمة، ومصلحة وعدل.

ومن أسماء الله تعالى اسم (الأكرم) واسم (الكريم).

والكرم: الشرف في الشيء في نفسه، أو الشرف في خُلق من الأخلاق.

والكرم: سرعة إجابة النفس.

---

(١) اسم (الأكرم، الكريم).

والكرم في الخلق: يقال هو الصفح عن ذنب المذنب.

والكريم: الجواد والعزيز الصفوح.

فالكرم: اسم جامع لكل ما يُحمد، والكريم: الجامع لأنواع الخير والشرف والفضائل.

والكريم: هو الشيء النافع الذي يدوم نفعه ويسهل تناوله، فيقال: للناقة الحُوار: كريمة؛ لغزارة لبنها وكثرة دَرِّها.

والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: هو الكريم كثير الخير.

وهو المحسن بما لا يجب عليه، والصفوح عن حق وجب له، فهو الصفوح عن ذنوب عباده المؤمنين، ومن كرم عفوه أن العبد إذا تاب من السيئة محاها عنه وكتب مكانها حسنة، وهو سبحانه الجواد المعطي الذي لا ينفد عطاؤه، وهو يبدأ بالنعمة قبل استحقاق، ويتبرع بالإحسان من غيره استثابة، وهو الكريم المطلق.

ومن كرم الله سبحانه أنه يأمر عباده بدعائه، ويعدهم بإجابة دعواتهم وإسعافهم بجميع مراداتهم ويؤتيهم من فضله ما يسألونه وما لم يسألوه.

والله سبحانه هو الأكرم فلا يوازيه كريم، ولا يعادله فيه نظير، وكرمه ليس قاصراً على مجرد الإعطاء بل الإعطاء من تمام معناه؛ فإن الإحسان إلى الغير تمام المحاسن، والكرم كثرة الخير ويسرته، والله هو الأكرم وحده، فهو الأكرم مطلقاً من غير قيد، فهو متصف بغاية الكرم الذي لا شيء فوقه ولا يلحقه نقص.

واسم (الكريم) ورد في ثلاثة مواضع، قال تعالى: ﴿وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّى غَنِىٌّ كَرِيمٌ﴾ [النمل: ٤٠]، وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ﴾ [الانفطار: ٦]، وقال تعالى: ﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ﴾ [المؤمنون: ١١٦]، على قراءة من قرأ برفع (الكريم) على أنه صفة للربّ.

وأما (الأكرم) فقد ورد في موضع واحد، وهو قوله تعالى: ﴿ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ﴾ [العلق: ٣].

و(الكريم): هو الكثير الخير العظيم النفع، وهو مِن كلِّ شيء أحسنُه وأفضلُه، والله سبحانه وصف نفسه بالكرم كما في الآيات المتقدمة.

ووصف كلامه بالكرم في قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ﴾ [الواقعة: ٧٧]، أي: كثير الخير غزير العلم، فكلّ خير وعلم إنما يستفاد من القرآن.

ووصف عرشه بذلك كما في قوله: ﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ﴾ [المؤمنون: ١١٦]، على قراءة مَن قرأ بالكسر على أنه صفة للعرش، أي: حسن المنظر بهيّ الشكل.

ووصف بذلك ثوابَه العظيم ونعيمه المقيم الذي أعده لعباده المؤمنين، قال تعالى: ﴿لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ [الأنفال: ٤]، وقال تعالى: ﴿إِن تَجْتَنِبُوا۟ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا﴾ [النساء: ٣١]، والمدخل الكريم هو الطيب الحسن السالم من الآفات والعاهات، ومن الهموم والأحزان ومن المنغصات والمكدرات.

ووصف بذلك ما كثر خيره وحسن منظره من النبات وغيره، كما في قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الْأَرْضِ كَمْ أَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ﴾ [الشعراء: ٧].

عباد الله:

قال تعالى: ﴿اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ﴾ [العلق:٣] وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ﴾ [الإنفطار: ٦].

و(الكريم – الأكرم): كثير الخير والعطاء لعموم قدرته وسعة عطائه، وهو الجواد المعطي الذي لا يَنْفَدُ عطاؤه كما جاء في الحديث القدسي الذي رواه ﷺ عن ربّه سبحانه: «**لو أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ فَسَأَلُونِي فَأَعْطَيْتُ كُلَّ إِنْسَانٍ مَسْأَلَتَهُ ما نَقَصَ ذلك مِمَّا عِنْدِي إلا كما يَنْقُصُ الْمِخْيَطُ إذا أُدْخِلَ الْبَحْرَ**»، تحقيق لأن ما عنده لا ينقص البتة، قال سبحانه ﴿مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ اللَّهِ بَاقٍ﴾ [النحل: ٩٦]، فإن البحر إذا غُمست فيه إبرة ثم أخرجت لم ينقص من البحر بذلك شيء، وكذا لو فرض أنه شرب منه عصفور فإنه لا ينقص البحر البتَّة.

وهو الذي ترفع إليه كل حاجة صغيرة أو كبيرة، قال تعالى: ﴿يَسْأَلُهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ [الرحمن: ٢٩].

ومن كرم عفوه؛ أن العبد إذا تاب من السيئة محاها عنه وكتب مكانها حسنة، قال تعالى: ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ﴾ [الفرقان: ٧٠].

ومن كرمه: أنه يأمر عباده بدعائه، ويعدهم بإجابة دعواتهم، ويؤيتهم من فضله ما يسألونه وما لم يسألوه.

ومن كرمه: أنه سبحانه يستحي من عبده إذا مدّ يديه إليه متذللاً أن يردهما صفراً خائبين.

ومن كرم الله سبحانه: أن المؤمن إذا مات ينقطع عمله إلا من ثلاث، كما قال ﷺ «إذا مَاتَ ابْنُ آدَمَ انْقَطَعَ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثٍ: مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ» [رواه مسلم].

وهو الأكرم سبحانه وحده فلا يوازيه كريم، ولا يعادله فيه نظير.

وأعظم أسباب نيل كرم الكريم سبحانه: تقواه جَلَّوَعَلَا في السر والعلن، فالأكرم عنده سبحانه الأتقى له من عباده، كما قال سبحانه: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣].

عباد الله:

قال السعدي رَحِمَهُٱللَّهُ: (الرحمنُ، الرحيمُ، البرُ، الكريمُ، الجوادُ، الرؤوفُ، الوهابُ – هذه الأسماء تتقارب معانيها، وتدلّ كلُّها على اتصاف الرب، بالرحمة، والبر، والجود، والكرم، وعلى سعة رحمته ومواهبه التي عمَّ بها جميع الوجود بحسب ما تقتضيه حكمته. وخصَّ المؤمنين منها بالنصيب الأوفر، والحظ الأكمل، قال تعالى: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٦].

والنعم والإحسان وخيرات الدنيا والآخرة، كله من آثار رحمته، وجوده، وكرمه.

قال ابن تيمية رَحِمَهُٱللَّهُ في تفسير قوله تعالى: ﴿ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝٣ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ [العلق: ٣ - ٥]، سمّى ووصف نفسه بالكرم،

وبأنه الأكرم بعد إخباره أنه خلق ليتبين أنه ينعم على المخلوقين ويوصلهم إلى الغايات المحمودة كما قال تعالى: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ۝ وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ﴾ [الأعلى: ٢ - ٣]، ﴿رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ﴾ [طه: ٥٠]، ﴿ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ﴾ [الشعراء: ٧٨]، فالخلق يتضمن الابتداء والكرم تضمن الانتهاء. كما قال في سورة الفاتحة: ﴿رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾.

ثم قال: ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾، ولفظ الكرم جامع للمحاسن والمحامد، لا يراد به مجرد الإعطاء بل الإعطاء من تمام معناه؛ فإن الإحسان إلى الغير تمام المحاسن، والكرم كثرة الخير ويسرته، والله سبحانه أخبر أنه الأكرم بصيغة التفضيل والتعريف لها. فدل على أنه الأكرم وحده بخلاف ما لو قال: (وربك أكرم) فإنه لا يدل على الحصر.

ولم يقل: (الأكرم من كذا) بل أطلق الاسم، ليبين أنه الأكرم مطلقاً غير مقيّد، فدلّ على أنه متصف بغاية الكرم الذي لا شيء فوقه ولا نقص فيه).

ولفظ (الكرم) لفظ جامع للمحاسن والمحامد، لا يراد به مجرد الإعطاء، بل الإعطاء من تمام معناه، ولذا ورد عن أهل العلم في معنى هذا الاسم أقوال عديدةٌ، فقيل: معناه: أي: كثير الخير والعطاء، وقيل: الدّائم بالخير.

وقيل: الذي له قدر عظيم وشأن كبير، وقيل: المنزَّه عن النقائص والآفات، وقيل: معناه: المكرم المنعم المتفضل.

وقيل: الذي يُعطي لا لعوض، وقيل: الذي يعطي لغير سبب، وقيل: الذي يعطي من يحتاج ومن لا يحتاج، وقيل: الذي إذا وعد وفّى.

وقيل: الذي ترفع إليه كل حاجة صغيرة أو كبيرة، وقيل: الذي لا يضيع من التجأ إليه، وقيل في معناه: الذي يتجاوز عن الذنوب ويغفر السيئات، إلى غير ذلك مما قيل في معنى هذا الاسم العظيم، وكل ذلك حقّ؛ لأن هذا الاسم من الأسماء الحسنى الدّالة على معانٍ عديدة لا على معنى مفرد، وإذا اعتبرت جميع ما قيل في معنى هذا الاسم علمت أن الذي وجب لله تعالى من ذلك لا يحصى من جلائل المعاني وكرائم الأوصاف.

اللهم أكرمنا ولا تهنا، وأعطنا ولا تحرمنا، ووفقنا للهدى، ويسر أمورنا، واغفر ذنوبنا، وتب علينا يا أكرم الأكرمين.

بارك الله لي ولكم..

الخــطــبــة الثــانيـــة

الحمد لله، نتقلب في كرم الكريم، ونرجوا المزيد من كرمه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن نبينا محمداً عبده ورسوله، صلى الله وسلم عليه، وعلى آله وصحبه أجمعين، والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

ربنا جواد كريم يفيض على عباده من خيرات الدنيا، وهو الكريم.

فإذا قلنا: الكريم: هو الكثير الخير والعطاء؛ فمن أكثر خيرا من الله؛ لعموم قدرته وسعة عطائه، بل الخير كله في يديه.

وإذا قلنا: إنه الدائم بالخير؛ فذلك بالحقيقة لله وحده، فإن كل شيء ينقطع إلا الله وإحسانه، فإنه دائم متَّصل في الدنيا والآخرة.

وإذا قلنا: إن الكريم هو الذي له قدر عظيم وشأن كبير؛ فالله جَلَّوَعَلَا لا يقدر قدره ولا يدرك العباد كنه صفاته وكمال نعوته.

وإذا قلنا: إن الكريم هو المنزّه عن النقائص والآفات؛ فهو الله وحده بالحقيقة القدوس السلام، الذي لا يلحق النقصُ شيئًا من صفاته، المنزه عن النقائص والعيوب.

وإذا قلنا: إن الكريم معناه المكرم المنعم المتفضل؛ فمن المكرم المنعم المتفضل إلا الله وحده، الذي بيده مقاليد السموات والأرض، وخزائن كل

شيء، والفضل كله بيده، يؤتيه من يشاء، والله ذو الفضل العظيم، ومن لم يكرمه الله فمن الذي يكرمه ﴿وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ﴾ [الحج: ١٨].

وإذا قلنا: معناه الذي يعطي لا لعوض؛ فليس كذلك إلا الله وحده، فالخلق خلقه، والملك ملكه، والعطاء عطاؤه، ولا يبلغ العباد نفعه بشيء، فهو الغني الحميد.

وإذا قلنا: معناه: الذي يعطي لغير سبب، فهو الله وحده المتفضل بالنوال من غير سؤال، بدأ الخلق بالنعم، وأوسع عليهم العطاء تفضُّلاً منه وكَرمًا.

وإذا قلنا: معناه الذي يعطي من يحتاج ومن لا يحتاج؛ فهو الله وحده يعطي المحتاج حاجته ويزيده إنعامًا منه وتفضّلاً.

وإذا قلنا: معناه الذي إذا وعد وفى؛ فإن كل من يعد يمكن أن يفي ويمكن أن يقطعه عذر، ويحول بينه وبين الوفاء أمر، والباري صادق الوعد لعموم قدرته وعظيم ملكه، لا مانع لما أعطى، ولا معطي لما منع.

وإذا قلنا: معناه الذي ترفع إليه كل حاجة صغيرة وكبيرة فهو الله وحده ﴿يَسْـَٔلُهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ﴾ [الرحمن: ٢٩].

وإذا قلنا: معناه أي: لا يضيع من التجأ إليه؛ فهو الله وحده القائل عن نفسه: ﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾ [الكهف: ٣٠]، والقائل: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠].

وإذا قلنا: معناه الذي يتجاوز عن الذنوب ويغفر السيئات؛ فهو الله وحده وهو من كرمه سبحانه لا يتعاظمه ذنب أن يغفره، فمن كرمه أنه هو الذي جاد

وتفضل بالتوبة على التائب، ومن كرمه؛ تفضله سبحانه بقبولها مهما عظم الذنب وكبر الجرم.

ومن كرمه؛ أنه يبدل سيئات التائبين حسنات. ومن كرمه سبحانه؛ أنه يفرح بتوبة التائبين وإنابة المنيبين، ومن كرمه سبحانه؛ أنه يستحي من عبده إذا مد يديه إليه سائلا متذللا أن يردهما صفراً خائبتين.

وأعظم أسباب نيل كرامة الكريم سبحانه تقواه جَلَّوَعَلَا في السر والعلن، فالأكرم عنده سبحانه الأتقى له من عباده، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ﴾ [الحجرات: ١٣].

ومن ثمرات الإيمان بهذين الاسمين: أن العبد إذا آمن بأن الله هو الكريم الأكرم سارع إلى طرق بابه يسأله من خيرات الدنيا والآخرة، رافعًا حوائجه إليه، تائبًا راجعًا إليه، ومن كرمه أنه يقبل توبته، ويبدل سيئات التائب حسنات ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلٗا صَٰلِحٗا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمۡ حَسَنَٰتٖۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا﴾ [الفرقان: ٧٠].

هذا وصلوا...

❁ ❁ ❁

١٠ الخطبة الأولى[١]

الحمد لله خلق فسوى، وقدر فهدى، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ولاند ولا نظير، ليس كمثله شيء وهو السميع البصير، وأشهد أن نبينا محمداً عبده ورسوله، الصادق الأمين، صلى الله وسلم وبارك عليه، وعلى آله وأصحابه أجمعين، والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

فاتقوا الله وراقبوه، واعلموا أنه سبحانه يعلم السر وأخفى.

عباد الله:

من أعظم ما يُقوي الإيمان وتجلبه؛ معرفة أسماء الله الحسنى الواردة في الكتاب والسنة، والحرص على فهم معانيها، والتعبد لله بها، قال الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَـٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٠]، وقد ثبت في الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «**إن لله تسعة وتسعين اسمًا مائةً إلا واحداً من أحصاها دخل الجنة**» [رواه البخاري] أي من حفظها، وفهم معانيها ومدلولها، وأثنى على الله بها، وسأله بها، واعتقدها، دخل الجنة، والجنة لا يدخلها إلا المؤمنون. فعلم أن ذلك أعظم ينبوع ومادة لحصول الإيمان، وقوته وثباته.

---

(١) اسم (الخالق، الخلاق).

ومعرفة الأسماء الحسنى – بمراتبها الثلاث: إحصاء ألفاظها وعددها، وفهم معانيها ومدلولها، ودعاء الله به.

ودعاء الثناء والعبادة، ودعاء المسألة – هي أصل الإيمان، والإيمان يرجع إليها؛ لأن معرفتها تتضمن أنواع التوحيد الثلاثة: توحيد الربوبية، وتوحيد الألوهية، وتوحيد الأسماء والصفات، وهذه الأنواع هي روح الإيمان، وأصله وغايته، فكلما ازداد العبد معرفة بأسماء الله وصفاته ازداد إيمانه، وقوي يقينه. فينبغي للمؤمن أن يبذل مقدروه ومستطاعه في معرفة الله بأسمائه، وصفاته، وأفعاله. من غير تعطيل، ولا تمثيل، ولا تحريف ولا تكييف. بل تكون المعرفة مُتلقاة من الكتاب والسنة، وما روي عن الصحابة والتابعين لهم بإحسان. فهذه هي المعرفة النافعة التي لا يزال صاحبها في زيادة في إيمانه، وقوة يقينه، وطمأنينة في أحواله، ومحبة لربه، فمن عرف الله بأسمائه، وصفاته، وأفعاله أحبه لا محالة؛ والعبد كلما ازداد معرفة بأسماء الله وصفاته ازداد خشية وعبادة لله ﷻ، فمن كان بالله أعرف كان له أخشى، ومن ذلك:

أن العبد إذا آمن بأن الله (يُحب ويرضى) عمل ما يحبه معبوده وما يرضيه، ومن أحبه الله حاز كل خير.

وإذا علم أن من صفاته سبحانه: الغضب والكره والسخط والمقت والأسف؛ فإن هذا يثمر له الخشية والخوف والحذر والبعد عن مساخط الله.

وإذا آمن بصفة: الفرح والضحك؛ أَنِسَ لهذا الرب الذي يفرح لعباده ويضحك لهم، ما عدمنا خيرا من رب يضحك.

وإذا آمن العبد أن الله متصف بصفات القهر والغلبة والسلطان، والقدر والهيمنة والجبروت؛ امتلأ قلبه خوفًا من الله الذي لا يعجزه شيء، فهو قادر أن يخسف به الأرض، وأن يعذبه في الدنيا قبل الآخرة لو سار على غير الهدى.

وإذا آمن العبد بأسماء العظمة والكبرياء؛ امتلأ قلبه تعظيمًا لله وإجلالاً له وخضوعا له. وإذا آمن العبد بأسماء الجمال والبر والإحسان والرحمة والرأفة والجود؛ امتلأ قلبه محبة لله وحمداً له وشكراً، وشوقًا لقائه.

وإذا آمن العبد بأسماء العزة والعلو على خلقه؛ امتلأ قلبه خضوعًا لله وخشوعًا وانكساراً بين يديه.

وإذا آمن العبد بأسماء العلم والمراقبة والمشاهدة؛ امتلأ قلبه حياءً من الله ومراقبة له في الحركات والسكنات، وتذكر وقوفه بين يديه يوم العرض الأكبر.

وإذا آمن العبد بأن الله حكيم فيما يقضي ويقدر، رحيم أرحم من الأم بولدها، فإنه إذا أحاطت به البلايا والمصائب، علم أن الله لم ينزل البلاء ليعذبه، وإنما ليهذبه ويطهره، ويرفع درجاته ويزيد حسناته، فيطمئن قلبه وينشرح صدره. وإذا آمن العبد بأن الله هو الشافي؛ دعا ربه أن يشفيه عند المرض، وعند قساوة قلبه وفتوره عن الطاعات.

وإذا آمن العبد بأن الله قريب مجيب؛ أنزل حوائجه بربه، وطرق بابه، ولاذ بجنابه، وانكسر بين يديه ليعطيه سؤاله.

عباد الله:

من أسماء الله الحسنى، وكل أسمائه حسنى، اسم (الخالق).

والخلق: تقدير الشيء، يقال: خلقت الأديم للسقاء إذا قدرته.

والخلق: ابتداع الشيء على مثال لم يُسبق إليه، وكل شيء خلقه الله فهو مبتدؤه على غير مثال سُبق عليه، والخلق: الصنع.

قال: أبو بكر الأنباري: (الخلق في كلام العرب على وجهين: أحدهما الإنشاء على مثال أبدعه، والآخر: التقدير. وقال في قول الله ﷻ: ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ﴾ [المؤمنون: ١٤] معناه أحسن المقدرين، وكذلك قوله: ﴿إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَٱبْتَغُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ وَٱعْبُدُوهُ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥٓ ۖ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [العنكبوت: ١٧]، أي: تقدرون كذبًا).

والعرب تقول: خلقت الأديم إذا قدَّرته وقسته لتقطع منه مزادةً أو قِربةً أو خُفًا.

ومعناهما في حق الله ﷻ: قال الخطابي: (الخالق) هو المبدع للخلق المخترع له على غير مثال سابق، قال سبحانه: ﴿هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ﴾ [فاطر: ٣]. فأما في نعوت الآدميين فمعنى الخلق: التقدير كقوله ﷻ: ﴿أَنِّىٓ أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ﴾ [آل عمران: ٤٩]).

والخلاق: من أفعال المبالغة من الخالق تدل على كثرة خلق الله تعالى وإيجاده، فكم يحصل في اللحظة الواحدة من بلايين المخلوقات التي هي أثر من آثار اسمه سبحانه الخلاق: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [الحجر: ٨٦].

واسمه سبحانه (الخالق والخلاق) مما أقرت به جميع الأمم مؤمنهم وكافرهم.

ومعنى (الخالق والخلاق): هو الذي أوجد الأشياء جميعها بعد أن لم تكن موجودة، وقد أبدعها على غير مثال سبق، ولا تجوز هذه الصفة بالألف واللام لغير الله ﷻ، وأفعال الله سبحانه مقدرة على مقدار ما قدرها عليه. والله سبحانه هو خالق الخلق ومنشؤهم ومتممهم ومدبرهم.

وهو سبحانه المقدر الفاعل الصانع، والخلق منه على ضروب: منه خلق بيديه، ويخلق بهما إذا شاء، ومنه خلق بمشيئته وكلامه، وهو يخلق إذا شاء، ولم يزل موصوفاً بالخالق البارئ المصور قبل الخلق؛ بمعنى أنه يخلق ويصور.

وقيل (الخالق): الذي صنف المبدعات، وجعل لكل صنف منها قدراً، فوجد فيها الصغير والكبير، والطويل والقصير، والإنسان والبهيمة، والدابة والطائر، والحيوان والموات.

و(الخلاق) هو الخالق خلقاً بعد خلق. ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [الحجر: ٨٦]. الذي خلق جميع الموجودات وبرأها، وسوّاها بحكمته، وصوّرها بحمده وحكمته، وهو لم يزل، ولا يزال على هذا الوصف العظيم.

وقد ورد (الخالق) في القرآن: في قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ﴾ [الحشر: ٢٤].

وبلفظ: (خالق) مضافاً في سبعة مواضع، منها قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ﴾ [الأنعام: ١٠٢].

وجاء بصيغة الجمع في قوله تعالى: ﴿ءَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلْخَٰلِقُونَ﴾ [الواقعة: ٥٩].

وجاء بلفظ: (أحسن الخالقين) في موضعين هما قوله تعالى: ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ﴾ [المؤمنون: ١٤]، وقوله ﴿أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ ٱلْخَٰلِقِينَ﴾ [الصافات: ١٢٥].

وجاء بلفظ: (الخلاق) في موضعين هما قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [الحجر: ٨٦]، وقوله ﴿أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [يس: ٨١].

وقوله تعالى: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ﴾ [الحشر: ٢٤] أي: الذي إذا أراد شيئًا قال له كن فيكون على الصفة التي يريد والصورة التي يختار، كقوله: ﴿فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ﴾ [الانفطار: ٨]؛ ولهذا قال المصور، أي الذي ينفذ ما يريد إيجاده على الصفة التي يريدها.

فتفسير الخلق هنا بالتقدير ينتظم به ذكر هذه الأسماء الثلاثة بهذا الترتيب الوارد في الآية؛ فالخلق أوَّلا وهو تقدير وجود المخلوق، ثم بريه وهو إيجاده من العدم، ثم جعله بالصورة التي شاءها سبحانه.

قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ﴾ [الأعراف: ١١]، فالخلق أوَّلا ثم التصوير، كما أن الخلق أوَّلا ثم البري، قال تعالى: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الحديد: ٢٢].

والبريّة هم الخليقة، وقد خلقهم الله فجعل منهم الكافر ومنهم المؤمن كما قال سبحانه: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُمۡ فَمِنكُمۡ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤۡمِنٌۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [التغابن: ٢]، فمن كان منهم مؤمنا مطيعـًا فأولئك خير البرية، ومن كان منهم كافراً مشركـًا فأولئك شرُّ البريّة، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ وَٱلۡمُشۡرِكِينَ فِى نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ شَرُّ ٱلۡبَرِيَّةِ ۝٦ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ خَيۡرُ ٱلۡبَرِيَّةِ ۝٧ جَزَآؤُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ جَنَّٰتُ عَدۡنٍ تَجۡرِى مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًاۖ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ ذَٰلِكَ لِمَنۡ خَشِىَ رَبَّهُۥ﴾ [البينة: ٦ – ٨].

وقد خلق الله سبحانه الإنس والجن لحكمة عظيمة ﴿وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]، وخلق السموات والأرض والشمس والقمر والأفلاك، خلق الإنسان والحيوان والنبات والأشجار، وقد قال سبحانه: ﴿هَٰذَا خَلۡقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِى مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ﴾ [لقمان: ١١]، تحدى الله جميع الخلق في هذه الآية، بل أثبت سبحانه عجز الناس أجمعين ولو اجتمعوا عن آخرهم عن خلق ذباب واحد، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسۡتَمِعُواْ لَهُۥٓۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخۡلُقُواْ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجۡتَمَعُواْ لَهُۥ﴾ [الحج: ٧٣]. فالخالق – سبحانه -: هو المقدّر للأشياء على مقتضى حكمته.

هذا وصلوا...

الخطبة الثانية

الحمد لله، وله المحامد كلها، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن نبينا محمداً عبده ورسوله، صلى الله وسلم وبارك عليه، وعلى آله وصحبه أجمعين، والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

عباد الله:

من آثار الإيمان باسمه (الخالق، الخلاق):

أولاً: الإيمان باسمه سبحانه (الخالق، الخلاق) يستلزم الإيمان بوحدانيته سبحانه وألوهيته وإفراده وحده بالعبادة.

ثانيًا: الإيمان باسمه سبحانه (الخالق) يورث المحبة الكاملة له ﷻ لأنه سبحانه الذي خلقنا، وأنعم علينا بنعمة الإيجاد بعد أن لم نكن شيئًا مذكوراً، ثم أمدنا سبحانه بما خلقه في هذا الكون من نعم وبما سخره لنا من مخلوقاته، وبما خلق في قلوب الأمهات والآباء من الرحمة والرعاية، وبما أمدنا به من السمع والبصر والأفئدة وغير ذلك من النعم التي لا تعد ولا تحصى. فحقيق بمن خلقنا وأوجدنا وربانا بنعمه أن يُحب غاية الحب، وأن يذل له غاية التذلل، وهذان هما قطبا التعبد لله ﷻ.

ثالثًا: الإيمان باسمه سبحانه (الخالق) يدل على صفاته سبحانه الأخرى كالحياة والقدرة والعلم والإرادة والحكمة، يقول ابن القيم رحمه الله: (من طرق إثبات الصفات وهو دلالة الصنعة عليها، فإن المخلوق يدلُّ على وجود خالقه، وعلى حياته وعلى قدرته وعلى علمه ومشيئته).

رابعـًا: الإيمان باسمه سبحانه (الخالق) يستلزم الإيمان بحكمته سبحانه من هذا الخلق، وأنه سبحانه منزه عن العبث واللهو، وأنه لا بد من يوم يبعث فيه الخلق فيحاسبون، قال تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ [المؤمنون: ١١٥].

خامسـًا: تعظيم الله ﷻ وتكبيره وإجلاله، وذلك عند معاينة مخلوقاته العظيمة في الآفاق والأنفس، لأن هذا دليل عظمة خالقها وبارئها سبحانه.

هذا وصلوا...



الخطبة الأولى [(١)]

الحمد لله نحمده ونستعينه، ونستغفره ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَـٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠- ٧١].

أما بعد:

فإن خير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل ضلالة في النار.

---

(١) اسم (البارئ، المصور).

عباد الله:

أسماء الله تعالى بالغة الحُسن، لأنها تضمنت صفات الكمال المطلق، الذي لا نقص فيه بوجه من الوجوه لا احتمالاً ولا تقديراً، ذلك أنها كلها ثناء ومدح وتمجيد للرب جَلَّوَعَلَا.

ومن أسماء الله ﷻ اسم (البارئ) وقد ورد اسمه سبحانه (البارئ) ثلاث مرات في القرآن الكريم، مرة معرفًا كما في قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلۡخَٰلِقُ ٱلۡبَارِئُ ٱلۡمُصَوِّرُۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ﴾ [الحشر: ٢٤].

ومرتين مضافًا كما في قوله تعالى: ﴿وَإِذۡ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِۦ يَٰقَوۡمِ إِنَّكُمۡ ظَلَمۡتُمۡ أَنفُسَكُم بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلۡعِجۡلَ فَتُوبُوٓاْ إِلَىٰ بَارِئِكُمۡ فَٱقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ عِندَ بَارِئِكُمۡ فَتَابَ عَلَيۡكُمۡۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ٥٤].

والبرء في اللغة له معنيان: أحدهما الخلق؛ يقال: برأ الله الخلق يبرؤهم بَرْءاً، وثانيهما: التباعد عن الشيء ومزايلته، من ذلك البُرء وهو السلامة من السقُّم، ومن ذلك البراءة من العيب والمكروه. ويقال: برئ إذا تخلص.

ويقال برأ الخلق: فطرهم.

و(البارئ): سبحانه هو الخالق الذي برأ الخالق فأوجدهم بقدرته. وهو الذي خلق النفوس في الأرحام، وصورها كما يشاء في ظلمات ثلاث، وهو الذي خلق لا عن مثال، واختص اللفظ بخلق الحيوان وقلما يستعمل في غيره، فيقال: برأ الله النسمة، وخلق السموات والأرض.

وقيل: برأ الخلق أي خلقهم، ويكون في الجواهر والأعراض كما في قوله تعالى: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مِّن قَبۡلِ أَن نَّبۡرَأَهَآۚ﴾ [الحديد: ٢٢].

وفُرّق بين الخلق والبرء: بأن الخلق هو التقدير، والبَرء الفري وهو التنفيذ وإبراز ما قدره وقرره إلى الوجود، وليس كل من قدر شيئا ورتبه بقدر على تنفيذه وإيجاده سوى الله ﷻ.

قال الزجاج: (والبرء خلق على صفة، فكل مبروء مخلوق وليس كل مخلوق مبروء؛ وذلك لأن البرء من تبرئة الشيء من الشيء؛ من قوله: برأت من المرض، وبرئت من الدين أبرأ منه. فبعض الخلق إذا فصل من بعض سمي فاعله بارئًا).

وقال الخطابي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (البارئ هو الخالق، ثم قال: إلا أن لهذه اللفظة من الاختصاص بالحيوان ما ليس لها بغيره من الخلق، وقلما يستعمل في خلق السماوات والأرض والجبال، فيقال: برأ الله السماء كما يقال: برأ الله الإنسان وبرأ النسم).

و(البارئ): هو الموجد لها بعد العدم.

و(البارئ) هو الموجد والمبدع، من برأ الله الخلق إذا خلقهم.

و(البارئ) هو الذي فصل بعض الخلق عن بعض، أي: ميز بعضه عن بعض، وأن أصله من البرء الذي هو القطع والفصل.

و (البارئ) يدل على أنه تعالى خلق الإنسان من التراب كما قال: ﴿مِنۡهَا خَلَقۡنَٰكُمۡ وَفِيهَا نُعِيدُكُمۡ﴾ [طه: ٥٥]، وأن أصله من البري وهو التراب.

وهناك معنى رابع ذكره الزمخشري فقال: (البارئ) هو الذي خلق الخلق بريئًا من التفاوت: ﴿مَّا تَرَىٰ فِي خَلۡقِ ٱلرَّحۡمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٖۖ فَٱرۡجِعِ ٱلۡبَصَرَ هَلۡ تَرَىٰ مِن فُطُورٖ﴾ [الملك: ٣]، أي: خلقهم خلقًا مستويًا ليس فيه اختلاف، ولا تنافر، ولا نقص، ولا عيب، ولا خلل، أبرياء من ذلك كله.

عباد الله:

ومن أسمائه ﷻ اسم (المصور) وقد ورد اسمه سبحانه (المصور) في القرآن الكريم مرة واحدة، وذلك في قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلۡخَٰلِقُ ٱلۡبَارِئُ ٱلۡمُصَوِّرُۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ﴾ [الحشر: ٢٤].

وجاء بصيغة الفعل مرات؛ من ذلك قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِي يُصَوِّرُكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡحَامِ كَيۡفَ يَشَآءُۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾ [آل عمران: ٦]، وقوله تعالى: ﴿وَصَوَّرَكُمۡ فَأَحۡسَنَ صُوَرَكُمۡۖ وَإِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ﴾ [التغابن: ٣].

قال الزجاج رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (المصور هو مفعِّل من الصورة وهو تعالى مصور كل صورة لا على مثال احتذاه ولا رسم ارتسمه تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً).

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ في معنى قوله تعالى: (﴿ٱلۡخَٰلِقُ ٱلۡبَارِئُ ٱلۡمُصَوِّرُ﴾ [الحشر: ٢٤] أي: الذي إذا أراد شيئًا قال له كن فيكون على الصفة التي يريد والصورة التي يختار، كقوله تعالى: ﴿فِيٓ أَيِّ صُورَةٖ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ﴾ [الانفطار: ٨]، ولهذا قال: (المصور) أي: الذي ينفذ ما يريد إيجاده على الصفة التي يريدها).

وقال الخطابي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (المصور) هو الذي أنشأ خلقه على صور مختلفة ليتعارفوا بها فقال: ﴿وَصَوَّرَكُمۡ فَأَحۡسَنَ صُوَرَكُمۡ﴾ [غافر: ٦٤]).

وقد جمع الله هذه الأسماء الثلاثة (الخالق والبارئ والمصور) في قوله سبحانه: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلۡخَٰلِقُ ٱلۡبَارِئُ ٱلۡمُصَوِّرُۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ﴾ [الحشر: ٢٤]، أي: هو المنفرد بخلق جميع المخلوقات، وبرَأ بحكمته جميع البريّات، وصوّر بإحكامه وحسن خلقه جميع الكائنات، فَخَلَقها وأبدعها وفطرها في

الوقت المناسب لها، وقدر خلقها أحسن تقدير، وصنعها أتقن صنع، وهداها لمصالحها، وأعطى كل شيء خلقه اللائق به، ثم هدى كل مخلوق لما هيئ وخلق له.

فالخالق هو المقدر للأشياء على مقتضى حكمته، والبارئ الموجد لها بعد العدم، والمصور أي المخلوقات والكائنات كيف شاء.

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: (الخلق التقدير، والبرء هو الفري وهو التنفيذ، وإبراز ما قدره وقرره إلى الوجود، وليس كل من قدر شيئا ورتبه يقدر على تنفيذه وإيجاده سوى الله عَجَّلَ).

ويقول صاحب أضواء البيان رَحِمَهُ اللَّهُ: (فـ (الخالق) هو المقدر قبل الإيجاد، و(البارئ) الموجد من العدم على مقتضى الخلق والتقدير، وليس كل من قدر شيئًا أوجده إلا الله (والمصور) المُشكِّل لكل موجود على الصورة التي أوجده عليها، ولم يفرد كل فرد من موجوداته على صورة تختص به إلا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ كما هو موجود في خلق الله للإنسان والحيوان والنبات، كل في صورة تخصه).

وهذه الفروق تعرف عند اجتماع هذه الأسماء، أما عند افتراقها فإن كل اسم من هذه الأسماء الحسنى يشمل معناه ومعاني الاسمين الآخرين.

عباد الله:

امتنَّ الله علينا بأنه صورنا فأحسن صورنا، قال تعالى: ﴿وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ﴾ [غافر: ٦٤]، وقال: ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ﴾ [التغابن: ٣].

وتصويرنا الذي امتن الله علينا به يتمُّ على وجهين.

الأول: تصوير أبينا آدم عليه السلام فقد خلقه الله تبارك وتعالى بيده، وصوره، ثم نفخ فيه الروح، وأسجد له ملائكته: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ﴾ [الأعراف: ١١].

والتصوير الثاني لبني آدم، وهو الذي تم في الأرحام: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُصَوِّرُكُمْ فِى ٱلْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَآءُ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [آل عمران: ٦].

وتصوير الله خلقه إعجاز وأي إعجاز، فلو نظرنا إلى نوع واحد من أنواع المخلوقات وهو الإنسان فضلاً عن الجان والملائكة وأنواع الحيوان وغيرها لوجدنا كل إنسان يمتاز بصورة لا يشابهه فيها غيره، فعلى الأرض اليوم ما يزيد على خمسة مليارات من البشر، كل واحد منهم تغير صورته صورة غيره في الملامح والسمات، وفي الألوان والهيئات، وكم من البشر ولدوا فوق هذه الأرض فيما مضى، وكم سيخلق من البشر فيما سيأتي إلى يوم الدين، كل إنسان له صورته التي خلقه الله عليها، وعند التدقيق في الخلق والتكوين تتضح الفوارق أكثر وأكثر، فهي تختلف في بصمة الأصبع، وفي الجينات الوراثية، وما الله به عليم، إنه سبحانه الخالق البارئ المبدع المصور فتبارك الله رب العالمين.

عباد الله:

قال ابن القيم رحمه الله: (وإذا تجلى بصفات العز والكبرياءأعطت نفسه المطمئنة ما وصلت إليه من الذل لعظمته، والانكسار لعزته، والخضوع لكبريائه، وخشوع القلب والجوارح له، فتعلوه السكينة والوقار في قلبه ولسانه وجوارحه وسمته، ويذهب طيشه وقوته وحدته.

وجماع ذلك أنه سبحانه يتعرف إلى العبد بصفات إلهيته تارةً وبصفات ربوبيته تارةً، فيوجب له شهود صفات الإلهية المحبة الخاصة، والشوق إلى لقائه، والأنس والفرح به، والسرور بخدمته، والمنافسة في قربه، والتودد إليه بطاعته، واللهج بذكره، والفرار من الخلق إليه، ويصير هو وحده همه دون ما سواه.

ويوجب له شهود صفات الربوبية التوكل عليه، والافتقار إليه، والاستعانة به، والذل والخضوع والانكسار له.

وكمال ذلك أن يشهد ربوبيته في إلهيته، وإلهيته في ربوبيته، وحمده في ملكه، وعزّه في عفوه، وحكمته في قضائه وقدره، ونعمته في بلائه، وعطاءه في منعه، وبره ولطفه وإحسانه ورحمته في قيوميته، وعدله وانتقامه وجوده وكرمه في مغفرته وستره وتجاوزه، ويشهد حكمته ونعمته في أمره ونهيه، وعزه في رضاه وغضبه، وحلمه في إمهاله، وكرمه في إقباله، وغناه في إعراضه.

ولا ريب أن الله وصف نفسه بصفات، وسمّى نفسه بأسماء، وأخبر عن نفسه بأفعال، وأخبر أنه يحب ويكره، ويمقت ويرضى، ويغضب ويسخط، ويجيء ويأتي، وينزل إلى سماء الدنيا، وأنه استوى على عرشه، وأن له علمًا وحياة، وقدرة وإرادة، وسمعًا وبصراً ووجهًا، وأن له يدين، وأنه فوق عباده، وأن الملائكة تعرج إليه وتنزل بالأمر من عنده، وأنه قريب، وأنه مع المحسنين ومع الصابرين ومع المتّقين، وأن السموات مطويات بيمينه. ووصفه رسوله بأنه يفرح ويضحك، وأن قلوب العباد بين أصابعه وغير ذلك.

وإذا تجلّى بصفات الكفاية والحسب والقيام بمصالح العباد، وسوق أرزاقهم إليهم، ودفع المصائب عنهم ونصره لأوليائه وحمايته لهم ومعيَّته

الخاصة لهم، انبعثت من العبد قوة التوكُّل عليه والتفويض إليه والرضا به، وما في كل ما يجريه على عبده ويقيمه فيه مما يرضى به هو سبحانه، والتوكل معنى يلتئم من علم العبد بكفاية الله وحسن اختياره لعبده وثقته به، ورضاه بما يفعله به، ويختاره له.

هذا وصلوا...

الخـــطــبـة الثـــانيـــة

الحمد لله البارئ المصور، له الأسماء الحسنى، وأشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن نبينا محمداً عبد الله ورسوله، أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون، صلى الله وسلم وبارك عليه، وعلى أصحابه أجمعين، والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

فأوصيكم ونفسي بتقوى الله، فإن من إتقاه كفاه وآواه.

عباد الله:

من ثمرات الإيمان بهذه باسمي (البارئ، المصور):

أولاً: استشعار عظمة الله سبحانه وقدرته، وأن لا يعيب أحدٌ غيره على صفته التي خلقه الله عليها. قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٦٤ هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [غافر: ٦٤ - ٦٥]. وقال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُصَوِّرُكُمْ فِى ٱلْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَآءُ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [آل عمران: ٦].

ولهذا حرَّم سبحانه على عباده تصوير ذوات الأرواح لما فيه من مضاهاة لخلق الله، ولما فيه من فتح الأبواب للشرك والضلال.

ففي الصحيحين عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إنَّ أشدَّ الناس عذاباً عند الله يوم القيامة المصوِّرون».

وفي الحديث عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: «أشد الناس عذابا يوم القيامة الذين يضاهون بخلق الله» [رواه البخاري].

وفيه من حديث أبي هريرة: (قول الرب سبحانه: «ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقي، فليخلقوا ذرة، أو ليخلقوا حبة، أو ليخلقوا شعيرة».

وفيهما من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «إن الذين يصنعون هذه الصور يعذبون يوم القيامة يقال لهم أحيوا ما خلقتم».

وفي هذا الحديث الأخير بيان لصفة تعذيب المصور يوم القيامة؛ بأنه يكلف نفخ الروح في الصورة التي صورها، وهو لا يقدر على ذلك فيستمر تعذيبه.

والممنوع هو تصوير الأحياء من الإنسان والحيوان، أما النبات والجماد فلا بأس بتصويره إن لم يشغل عن طاعة الله.

ثانيًا: معرفة حق الله عز وجل وقدرته على خلق الخلق على غير مثال سابق، مما يدل على عظمته وقدرته، ﴿إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢].

ثالثًا: التقرب إلى الله عز وجل والتفكر في عظم مخلوقاته، وتعددها وتنوعها وكثرتها على مر الأزمان والعصور.

رابعًا: دعاء الله عز وجل باسميه (البارئ المصور) والتوسل إليه بهما.

خامسًا: بيان ضعف الإنسان وقلة حيلته أمام عظمة المخلوقات التي خلقها الله تعالى وأوجدها من العدم. وهذا يورث الخوف من اقتراف المعاصي، والسعي في عمل الطاعات والقربات.

هذا وصلوا...

١٢ الخطبة الأولى[١]

الحمد لله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر، وهو الولي الحميد، وأشهد أن لا إله إلا الله وحد لا شريك له ولاند ولا ظهير، وأشهد أن نبينا محمداً الرسول الأمين، صلى الله وسلم وبارك عليه، وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

فاتقوا الله عباد الله، وتزودا من دنياكم لأخراكم، فإن خير الزاد التقوى.

أيها المسلمون:

لازلنا نتفيأ في ظلال ذكر أسماء الله الحسنى، ومعرفة بعض معانيها، والدعاء والتوسل إلى الله ﷻ بها. والإحصاء للأسماء الحسنى ثوابه الجنة، كما قال ﷺ: «**إن لله تسعة وتسعين إسمًا، من أحصاها دخل الجنة**».

ومن أسماء الله ﷻ الحسنى، وكل أسمائه أسماء حسنى، اسم: (القابض، الباسط).

ولم يرد هذان الاسمان في القرآن الكريم، وإنما وردا بصيغة الفعل كما في قوله سبحانه: ﴿وَٱللَّهُ يَقۡبِضُ وَيَبۡصُۜطُ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ﴾ [البقرة: ٢٤٥].

---

(١) اسم (القابض، الباسط).

أما الحديث النبوي فقد ورد فيه ذكر هذين الاسمين الكريمين كما في سنن أبي داود وابن ماجة عن أنس ﷺ قال: قال الناس: يا رسول الله غلا السعر فسعر لنا، فقال رسول الله ﷺ: «**إن الله هو المسعر، القابض الباسط الرازق، وإني لأرجو أن ألقى الله وليس أحد منكم يطلبني بمظلمة في دم ولا مال**».

والبسط: هو امتداد الشيء في عرِض أو غير عَرَض، والبساط ما يبسط، ويد فلان بِسْط إذا كان منفاقًا.

والبسطة في كل شيء: السَّعة.

و(الباسط): هو الذي يبسط الرزق لعباده، ويوسّعه عليهم بجوده ورحمته، ويبسط الأرواح في الأجساد عند الحياة.

و(الباسط) أي: الذي يبسط رزقه لمن شاء من عباده.

و(القابض) أي: الذي يضيق أو يحرم من شاء منهم من رزقه، لما يرى سبحانه في ذلك المصلحة لهم، قال تعالى: ﴿وَلَوۡ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزۡقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٖ مَّا يَشَآءُ﴾ [الشورى: ٢٧].

والقبض: أصله يدل على شيء مأخوذ وتجمع في شيء، ويطلق على الإسراع؛ لأنه إذا أسرع جمع نفسه وأطرافه قال تعالى: ﴿أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ إِلَى ٱلطَّيۡرِ فَوۡقَهُمۡ صَٰٓفَّٰتٖ وَيَقۡبِضۡنَۚ﴾ [الملك: ١٩].

أي؛ يسرعن في الطيران. ويطلق القبض على التقتير والتضييق، وعلى الجمع كما في قبض الله السماء، وقبض الأرض.

فالقبض: التضييق في الرّزق. والبسط: التوسعة فيه والإكثار منه، وكل ذلكم بيد الله ﷻ، فهو القابض الباسط، الخافض الرافع، المعطي المانع، المعز المذل، لا شريك له.

والقابض: هو الذي يمسك الرزق وغيره من الأشياء عن العباد بلطفه وحكمته، ويقبض الأرواح عند الممات، وهو سبحانه يقبض القلوب والنفوس ويبسطها وذلك تبع لحكمته ورحمته.

قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَقۡبِضُ وَيَبۡصُۜطُ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ﴾ [البقرة: ٢٤٥]، قال ابن جرير الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسيرها: (يعني – تعالى ذكره – بذلك أنه الذي بيده قبضُ أرزاق العباد وبَسطُها دون غيره ممن ادَّعى أهلُ الشِّرك به أنهم آلهةٌ واتَّخذوه ربًّا دونه يعبدونه، وذلك نظير الخبر الذي روي عن رسول الله ﷺ... عن أنس قال: «غلا السِّعر على عهد رسول الله ﷺ، قال: فقالوا: يا رسول الله، غلا السِّعر فأَسْعِر لنا...) الحديث.

عباد الله:

وهذان الاسمان (القابض والباسط) الأدب في ذكرهما: أن يقرن أحدهما بالآخر في الذكر، ويوصل به؛ ليكون أنبأ عن القدرة وأدل على الحكمة، والله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ هو الذي يوسع الرزق على العبد ويقتِّره، ويبسطه بجوده ورحمته، ويقبضه بحكمته وعدله على النظر لعبده، قال تعالى: ﴿وَلَوۡ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزۡقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٖ مَّا يَشَآءُۚ﴾ [الشورى: ٢٧]. والله سبحانه إذا زاده لم يزده سرفًا وخَرَقًا، وإذا نقصه لم ينقصه عدمًا ولا بخلاً.

كما أن ذكرهما فيه تمام القدرة؛ فإن العبد إذا قال: إلى الله قبض أمري وبسطه، دلاَّ بمجموعهما أنه يريد أن جميع أمره إليه، والكمال المطلق لله تعالى يكون باجتماع هذين الوصفين ونحوهما من الأوصاف المتقابلة التي لا ينبغي أن يثنى على الله بها إلا كل واحد منها مع الآخر.

وفي الحديث قول رسول الله ﷺ: «إنّ الله الباسط القابض الرّازق».

يعني بذلك ﷺ أنَّ الغلاء والرُّخص والسَّعة والضِّيق بيد الله دون غيره، فكذلك قوله تعالى ذكره: ﴿وَٱللَّهُ يَقۡبِضُ وَيَبۡصُۜطُ﴾ [البقرة: ٢٤٥]، يعني بقوله: ﴿يَقۡبِضُ﴾ يقتر بقبضه الرزق عمن يشاء من خلقه، ويعني بقوله: ﴿وَيَبۡصُۜطُ﴾ يوسِّع ببسطه الرزق على من يشاء منهم.

وقال ﷺ: «من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين، والله المعطي وأنا القاسم..» [رواه البخاري].

وقال ﷺ: «إن الله ﷻ لا ينام ولا ينبغي له أن ينام، يخفض القسط ويرفعُهُ، يُرفع إليه عمل الليل قبل عمل النهار، وعمل النهار قبل عمل الليل...» [رواه مسلم].

وقال تعالى: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلۡمُلۡكِ تُؤۡتِي ٱلۡمُلۡكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلۡمُلۡكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُۖ بِيَدِكَ ٱلۡخَيۡرُۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾ [آل عمران: ٢٦].

وقال ﷺ: «إن الله يرفعُ بهذا الكتاب أقوامًا ويضَعُ به آخرين» [رواه مسلم].

وقد كان ﷺ يقول بعد السلام من الصلاة حينما ينصرف إلى الناس: «لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمدُ وهو على كل شيء قدير، اللهم لا مانع لما أعطيت ولا مُعطي لما منعت، ولا ينفع ذا الجدِّ منك الجدُّ» [رواه البخاري].

ففي هذا السياق تنبيهٌ لمن بسط الله له في ماله أو علمه أو مكانته أن ينفق مما آتاه الله، وأن يحسن إلى عباد الله كما أحسن الله إليه، ومن ضيّق عليه في ذلك فليلجأ إلى الله وحده طالبًا مده وعونه وفضله، ومعتقداً أنه لا باسطَ لما

قبض، ولا قابض لما بسط، ولا مانع لما أعطى، ولا معطي لما منع، كما قال نبينا ﷺ يوم أُحد حين انكفأ المشركون قال: «استووا حتى أثني على ربي» فصاروا خلفه صفوفًا فقال: «اللهم لك الحمد كله، اللهم لا قابض لما بسطتَ، ولا باسط لما قبضتَ، ولا هادي لما أضللت، ولا مضل لمن هديتَ، ولا معطي لما منعتَ، ولا مانع لما أعطيت، ولا مقرب لما باعدت، ولا مباعد لما قربت، الله ابسط علينا من بركاتك ورحمتك وفضلك ورزقك، اللهم إني أسألك النعيم المقيم الذي لا يحول ولا يزول، اللهم إني أسألك النعيم يوم العيلة، والأمن يوم الخوف، اللهم إني عائذ بك من شر ما أعطيتنا، وشرِّ ما منعت، اللهم حبب إلينا الإيمان وزينه في قلوبنا، وكره إلينا الكفر والفسوق والعصيان، واجعلنا من الراشدين، اللهم توفنا مسلمين وأحيينا مسلمين، وألحقنا بالصالحين، غير خَزايا ولا مفتونين، اللهم قاتل الكَفرة الذين يكذِّبون رسلك، ويصدُّون عن سبيلك، واجعل عليهم رجزَك وعذابَك، اللهم قاتل الكفرة الذين أوتوا الكتاب إله الحق» [رواه أحمد].

وقد ورد ذكر البسط والقبض مضافا إلى الله ﷻ في نصوص كثيرة من الكتاب والسنة، قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ وَفَرِحُوا۟ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ إِلَّا مَتَـٰعٌ﴾ [الرعد: ٢٦]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا﴾ [الإسراء: ٣٠]، وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ رَبِّى يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [سبأ: ٣٦]، وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ رَبِّى يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن

يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦ وَيَقۡدِرُ لَهُۥۚ وَمَآ أَنفَقۡتُم مِّن شَيۡءٖ فَهُوَ يُخۡلِفُهُۥۖ وَهُوَ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾ [سبأ: ٣٩]، وقال تعالى: ﴿بَلۡ يَدَاهُ مَبۡسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيۡفَ يَشَآءُۚ﴾ [المائدة: ٦٤].

فدلّت هذه النّصوص ونظائرها أن القبض والبسط كله بيد الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، وبتصريفه وتدبيره سبحانه يبسط لمن يشاء في ماله أو عافيته، أو عمره أو علمه أو حياته، ويقبض وهو الحكيم الخبير.

قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في التعليق على قول ابن القيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في (نونيته):

هو قابض هو باسط هو خافض　　　هو رافع بالعدل والمـــيزان

(يعني أنه القابض للأرزاق والأرواح والنفوس، الباسط للارزاق والرحمة والنفوس، وهو الخافض لأقوام، الرافع لآخرين، وذلك كله عدل من الله وحكمة، يحمد عليه أتم الحمد وأكمله، قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَقۡبِضُ وَيَبۡصُۜطُ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ﴾ [البقرة: ٢٤٥].

وقال تعالى: ﴿وَلَوۡ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزۡقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ [الشورى: ٢٧]، فقبضُة نعمةٌ في حقِّ عباده المؤمنين؛ لأنه يمنعهم به مِنَ البَغي والظلم والعدوان، وقال تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقۡدِرُۚ﴾ [الرعد: ٢٦].

وقال تعالى: ﴿إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلۡعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرۡفَعُهُۥ﴾ [فاطر: ١٠]، وقال تعالى: ﴿بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيۡهِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمٗا﴾ [النساء: ١٥٨]، وإن كان الله تعالى هو القابض الباسط الخافض الرافع قدراً وقضاءً؛ فلا يمتنع أن يكون هذه الأمور بأسباب من العباد متى قاموا بها حصلت لهم، وهذا هو الواقع، فإنَّ الأسباب محل حكمته وسنَّته الجارية التي لا تتبدل ولا تغير.

وقد جمع بين هذين الأمرين في قوله ﷺ: «مَن أحبَّ أن يُبسَطَ لـه في رزقـه، ويُنسَأَه في عمره؛ فليَصِل رَحمَه» [متفق عليه].

فبَسطُ الرِّزق بيد الله، وصلةُ الرَّحم سبب يبذله العبد، وكذلك كون المسعِّر هو الله ﷻ لا يمنع أن يكون هناك أسباب يبذلها العبد يزول بها الغلاء ويحصل بها الرّخص، كما قيل لأحد الأفاضل: لقد غلت الأسعار! فقال: أرخصوها بالتقوى.

فهو سبحانه القابض الباسط، يقبض الأرواح عن الأشباح عند الممات، ويبسط الأرواح في الأجساد عند الحياة، ويقبض الصدقات من الأغنياء، ويَبسط الأرزاق للضعفاء، ويبسط الرزق لمن يشاء حتى لا تبقى فَاقة، ويَقبضه عمن يشاء حتى لا تبقى طاقة.

وهو ﷻ يقبض القلوب فيُضيِّقها حتى تصير حَرجًا كأنما تصَّعَّدَ في السماء، ويبسطها بما يُفيض عليها من معاني بره ولُطفه وجماله، قال تعالى: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهۡدِيَهُۥ يَشۡرَحۡ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِۖ وَمَن يُرِدۡ أَن يُضِلَّهُۥ يَجۡعَلۡ صَدۡرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجٗا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ [الأنعام: ١٢٥].

عباد الله:

هذه الصفات الكريمة من الأسماء المتقابلات التي لا ينبغي أن يُثنى على الله بها إلا كل واحد منها مع الآخر؛ لأن الكمال المطلق من اجتماع الوصفين، فهو القابض للأرزاق والأرواح والنفوس، والباسط للأرزاق والرحمة والقلوب، وهو الرافع لأقوام قائمين بالعلم والإيمان، والخافض لأعدائه، وهو المُعِزُّ لأهل طاعته، وهذا عز حقيقي؛ فإن المطيع لله عزيز وإن

كان فقيراً ليس له أعوان، المُذِلُّ لأهل معصيته وأعدائه ذُلاًّ في الدنيا والآخرة. فالعاصي وإن ظهر بمظاهر العز فقلبه حشوه الذُّلُّ وإنْ لم يشعر به لانغماسه في الشهوات؛ فإنّ العزّ كلّ العزّ بطاعة الله، والذُّلُّ بمعصيته: ﴿وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكۡرِمٍ﴾ [الحج: ١٨]، ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ جَمِيعًا﴾ [فاطر: ١٠]، ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [المنافقون: ٨].

وهو تعالى المانع المعطي فلا معطي لما منع، ولا مانع لما أعطى، وهذه الأمور كلها تبع لعدله وحكمته وحمده؛ فإنّ له الحكمة في خفض من يخفضه ويُذِلُّه ويحرمه، ولا حجّة لأحد على الله، كما له الفضل المحض على من رفعه وأعطاه وبسط له الخيرات، فعلى العبد أن يعترف بحكمه الله، كما عليه أن يعترف بفضله ويشكره بلسانه وجنانه وأركانه.

وكما أنه سبحانه هو المنفرد بهذه الأمور وكلها جارية تحت أقداره، فإن الله جعل لرفعه وعطائه وإكرامه أسبابًا، ولضد ذلك أسبابًا من قام بها ترتبت عليه مسبباتها، وكل ميسر لما خلق له، أما أهل السعادة فيُيَسَّرون لعمل أهل السعادة، وأما أهل الشقاوة فيُيَسَّرون لعمل أهل الشقاوة، وهذا يُوجب للعبد القيام بتوحيد الله، والاعتماد على ربِّه في حصول ما يُحب، ويجتهد في فعل الأسباب النافعة فإنها محلّ حكمة الله.

بارك الله لي ولكم...

الخطـــبـة الثـــانيـــة

الحمد لله، حمداً يليق بجلاله، وعظيم سلطانه، أحمده وأشكره، وأشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وأصلى وأسلم على رسوله أكرم خلقه وأعظم رسله، صلى الله وسلم وبارك عليه، وعلى آله وأصحابه وأتباعه.

أما بعد:

فإن من آثار الإيمان بهذين الاسمين الكريمين مقترنين ما يلي:

أولاً: محبة الله ﷻ الذي بيده البسط والسعة، وبيده القبض والتضيق، وهو العليم الحكيم، وهذا يثمر المحبة لله تعالى والأنس به، كما يثمر الخوف منه سبحانه وإجلاله وتعظيمه، وهذا كله يثمر تجريد التوحيد له سبحانه والصدق والإخلاص في عبادته لا شريك له، لأنه لا أحد من خلقه يملك البسط والقبض في كل شيء.

ثانيًا: تجريد التوكل عليه وحده وتفويض الأمور إليه سبحانه، ذلك أنه القابض الباسط وحده، إذ لا باسط لما قبض، ولا قابض لما بسط، كما جاء في دعائه – عليه الصلاة والسلام –.

ثالثًا: الرضا بما يقسم الله ﷻ من رزق وغيره، سواء كان بسطًا أو قبضًا؛ لأنه سبحانه الحكيم العليم بخلقه وما يصلح لهم، فله الحمد على كل أفعاله، وله الحمد في خلقه وأمره.

قال ابن الحصار: (وهذان الاسمان يختصان بمصالح الدنيا والآخرة... وذلك يتضمن قوام الخلق باللطف والخبرة، وحسن التدبير والتقدير، والعلم

بمصالح العباد في الجملة، والتفاصيل وبحسب ذلك يرسل الرياح ويسخر السحاب فيمطر بلداً ويمنع غيره، ويقل ويكثر وكذلك يصرف جملة العوالم لجملة العالمين).

رابعـًا: سؤال الله ﷻ أعظم البسط وأفضله، وهو بسط الرحمة والهداية على القلب حتى يستضيء بنور الإيمان ويتخلص من آثار الذنوب، كما قال تعالى: ﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٖ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ [الزمر: ٢٢].

وضد ذلك أعظم القبض والتضييق وهو كما في قوله تعالى: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهۡدِيَهُۥ يَشۡرَحۡ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِۖ وَمَن يُرِدۡ أَن يُضِلَّهُۥ يَجۡعَلۡ صَدۡرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجٗا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي ٱلسَّمَآءِۚ﴾ [الأنعام: ١٢٥].

خامسـًا: الإيمان بأن كل ما يصدر عن الله ﷻ من بسط وقبض، فله الحكمة البالغة فيه. ولا يعني بسطه سبحانه على أحد من خلقه في شيء من الدنيا رضاه عن المبسوط له، كما لا يعني أيضـًا قبضه سبحانه عن أحد من خلقه في شيء من الدنيا سخطه عليه ومقته له، كلا، بل قد يدل ذلك على العكس؛ إذ إن الله ﷻ يضيق على بعض أوليائه رحمة بهم ولطفـًا، ويوسع ويبسط على أعدائه إملاء لهم واستدراجـًا.

سادسـًا: من وسع الله عليه رزقه فلينفق مما أعطاه الله، قال تعالى: ﴿وَمَآ أَنفَقۡتُم مِّن شَيۡءٖ فَهُوَ يُخۡلِفُهُۥۖ وَهُوَ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾ [سبأ: ٣٩] في الحديث قال ﷺ: «**إن الله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده**» قيل: حتى يعرفهم أهل الحاجات فيقصدونهم.

سابعـًا: ومن ضيق عليه رزقه، فليصبر وليحتسب وليستعفف، ولا يسأل الناس إلا لضرورة. وليسأل الرب الجواد من جوده، ومن كرمه وعطاءه.

هذا وصلوا...

١٣ الخطبة الأولى (١)

الحمد لله البر الرحيم، بر بعباده، رحيم بخلقه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن نبينا محمداً عبده ورسوله، ومصطفاه وخليله، أرسله رحمة للعالمين، وحجة على الناس أجمعين، صلى الله وسلم وبارك عليه، وعلى آله وأصحابه الغر الميامين، وعلى التابعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

فاتقوا الله حق التقوى، واستمسكوا من الإسلام بالعروة الوثقى.

عباد الله:

أسماء الله كل ما دل على ذات الله مع صفات الكمال القائمة به، مثل: القادر، العليم، الحكيم، السميع، البصير، فإن هذه الأسماء دلت على ذات الله، وعلى ما قام بها من العلم والحكمة والسمع والبصر.

أما الصفات: فهي نعوت الكمال القائمة بالذات كالعلم والحكمة والسمع والبصر، فالأسم دال على أمرين، والصفة دلت على أمر واحد.

ومن أسماء الله ﷻ (البر).

---

(١) اسم (البر).

و(البَرّ): مأخوذ من البِرّ، وهو كمال الإحسان، فهو سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ يُحسن إلى عباده ويصلح أحوالهم.

بَرٌّ بالمطيع في مضاعفة الثواب: الحسنة بعشر أمثالها، وبَرٌّ بالمسيء في الصفح والتجاوز.

قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: (البر هو اللطيف).

وقال الحسن: (هو المحسن إلى عباده لا ينقطع بره وإحسانه. والله تعالى بَرٌّ بخلقه؛ بمعنى: أنه يحسن إليهم ويصلح أحوالهم. وهو العطوف على عباده، والمحسن إليهم، الرحيم بهم، ومن بره بعباده إمهاله العاصي لا يؤاخذه فيعجله عن التوبة).

فالبرُّ: هو العطوف على عباده المحسن إليهم، عمَّ ببره جميع خلقه فلم يبخل عليهم برزقه، وهو البر بأوليائه إذ خصهم بولايته واصطفاهم لعبادته، وهو البر بالمحسن بمضاعفة الثواب له، والبر بالمسيء في الصفح والتجاوز عنه.

قال الزجاج: (البار: اسم فاعل من قولك: برَّ فهو بار، وبره بعباده: إنعامه وإفضاله عليهم، وهو إحسان بجميع العباد، وخاص بالأبرار الصالحين).

وقد ورد اسم (البر) في القرآن الكريم في موضع واحد، وهو قوله تعالى: ﴿إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْبَرُّ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الطور: ٢٨] ومعناه: أي: الذي شمل الكائنات بأسرها ببره ومنِّه وعطائه، فهو مولي النعم، واسع العطاء، دائم الإحسان، لم يزل ولا يزال بالبر والعطاء موصوفًا، وبالمنِّ والإحسان معروفًا، وتفضل على العباد بالنعم السابغة،والعطايا المتتابعة، والآلاء المتنوعة، ليس لجوده وبره وكرمه مقدار، فهو سبحانه ذو الكرم الواسع والنوال المتتابع، والعطاء المدرار.

عباد الله:

وبرُّه سبحانه بعباده نوعان: عام وخاص.

فالعام: وَسِعَ الخلقَ كلَّهم، فما من شخص إلا وسعه منُّ الله تعالى وفاض عليه إحسانه، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ [الإسراء: ٧٠]، وهذا التكريم يدخل فيه خلق الإنسان على هذه الهيئة الحسنة والصورة الجميلة، والقامة الطيبة، وجعل له سمعا وبصرا وفؤادا، وجعله يمشي قائما منتصبا على رجليه، ويأكل بيده، وغيره من الحيوانات يمشي على أربع، ويأكل بفمه، وخصه بأنواع من المطاعم والمشارب والملابس، إلى غير ذلك مما خص به بني آدم وكرمهم به.

ومنه قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا﴾ [غافر: ٧] ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الأعراف: ١٥٦] وقال تعالى: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ﴾ [النحل: ٥٣] وهذا يشترك فيه البر والفاجر وأهل السماء وأهل الأرض.

والخاصّ: هو هدايته من شاء منهم لهذا الدين القويم، وتوفيقهم لطاعة ربّ العالمين، ونيل ما يترتب على ذلك من السّعادة في الدّنيا والآخرة، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ﴾ [الانفطار: ١٣]، أي: في دورهم الثلاثة: في الدنيا، والبرزخ، ويوم القيامة، وتفاصيل بره بعباده وأصفيائه أمر لا يمكن حصره، ولا سبيل إلى استقصائه.

فمِن برِّه بهم أنه تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ يريد بهم اليسر، ولا يريد بهم العسر، يتقبل منهم القليل من العمل، ويثيب عليه الثواب الكثير، ويعفو عن كثير من سيئاتهم،

ولا يؤاخذهم بجميع جناياتهم، ويجزيهم بالحسنة عشر أمثالها، ويضاعف لمن يشاء، ولا يجزي بالسيِّئة إلَّا مثلها، ويكتب لهم الهم بالحسنة، ولا يكتب عليهم الهم بالسيئة، فعن أبي هريرة ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: «مَن همَّ بحسنة فلم يعملها كُتبت له حسنة، ومن همَّ بحسنة فعملها كُتبت له عشراً إلى سبعمائة ضعف، ومن همَّ بسيّئةٍ فلم يعملها لم تُكتب، وإن عملها كُتبت» [رواه مسلم].

ومِن برِّهِ بعباده فتحه أبواب الإنابة والتوبة والأوبة إليه مهما كثرت الذنوب وتعددت الآثام، قال تعالى: ﴿قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الزمر: ٥٣].

وفي الحديث القدسي يقول تعالى: «يا ابن آدم إنك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك على ما كان منك ولا أبالي، يا ابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني غفرت لك ولا أُبالي، يا ابن آدم لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئا لأتيتك بقرابها مغفرة».

ومن برِّهِ بهم معاملتهم بالصفح والعفو وستر الذنوب والتجاوز عنها، فعن ابن عمر ﵄ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الله يدني المؤمن فيضع عليه كنفه، ويستره، فيقول: أتعرفُ ذنب كذا؟ أتعرف ذنب كذا؟ فيقول: نعم أي ربّ، حتى إذا قرَّره بذنوبه ورأى في نفسه أنه هلك قال: سترتها عليك في الدنيا، وأنا أغفرها لك اليوم، فيعطى كتاب حسناته، وأما الكافر والمنافق فيقول الأشهاد: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمۡۚ أَلَا لَعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [هود: ١٨]» [رواه البخاري].

أيها المسلمون:

ومطالعة العبد لهذا البرّ العظيم من سيده ومولاه نافع له غاية النفع؛ إذ به يعرف عزة الله في قضائه، وبره في ستره، وحلمه في إمهاله، وكرمه في تيسيره لعبده التوبة والإنابة، وفضله في مغفرته، وهذا يسوق العبد على حُسن الإقبال على مولاه خضوعًا وتذلُّلاً، رغبًا ورهبًا، رجاءً وطمعًا.

قال ابن القيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (...يعرف برّه سبحانه في ستره عليه حال ارتكاب المعصية مع كمال رؤيته له، ولو شاء لّفضَحه بين خلقه فحَذِرُوه، وهذا من كمال برِّه، ومن أسمائه: (البرّ)، وهذا البر من سيِّده كان عن كمال غناه عنه، وكمال فقر العبد إليه فيشتغل بمطالعة هذه المنة ومشاهدة هذا البر والإحسان والكرم، فيذهل عن ذكر الخطيئة، فيبقى مع الله سبحانه، وذلك أنفع له من الاشتغال بجنايته، وشهود على معصيته، فإن الاشتغال بالله والغفلة عما سواه هو المطلب الأعلى والمقصد الأسنى).

ومما ينبغي أن يعلم هنا: أنَّ البَرّ سبحانه يحب أهل البِرِّ، فيقرِّب قلوبهم منه بحسب ما قاموا به من البِرّ، ويحب أعمال البِرّ، فيجازي عليها بالهدى والفلاح والرفعة في الدنيا والآخرة. ومما ينبغي أن يعلم هنا أنَّ البَرَّ سبحانه يحب أهل البِرِّ، فيقرب قلوبهم منه بحسب ما قاموا به من البر، ويحب أعمال البر، فيجازي عليها بالهدى والفلاح والرفعة في الدنيا والآخرة، والبر أصله التوسع في فعل الخيرات.

قال الله تعالى: ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ﴾ [آل عمران: ٩٢].

يقول ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (الله سبحانه تعرف إلى عباده من أسمائه وصفاته وأفعاله بما يُوجب محبَّتهم له، فإن القلوب مفطورة على محبَّة الكمال؛ ومن قام به، والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ له الكمال المطلق من كلِّ وجهٍ؛ الذي لا نقص فيه بوجهٍ ما.

قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: الرحمنُ، الرحيمُ، والبرُ، الكريمُ، الجوادُ، الرؤوفُ، الوهابُ – هذه الأسماء تتقارب معانيها، وتدلّ كلُّها على اتصاف الرب، بالرحمة، والبر، والجود، والكرم، وعلى سعة رحمته ومواهبه التي عمَّ بها جميع الوجود بحسب ما تقتضيه حكمته. وخصَّ المؤمنين منها، بالنصيب الأوفر، والحظ الأكمل، قال تعالى: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ۚ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٦] الآية. والنعم والإحسان، كله من آثار رحمته، وجوده، وكرمه.

ومِن عظيم برِّه بعباده أنه سبحانه – مع كمال غناه – يفرح بتوبة التائبين وإنابة المنيبين، ففي صحيح مسلم من حديث أنس بن مالك رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لله أشدُّ فرحًا بتوبة عبده حين يتوب إليه من أحدكم كان على راحلته بأرض فلاة فانفلتت منه، وعليها طعامه وشرابه، فأَيِسَ منها، فأتى شجرة فاضطجع في ظلِّها قد أَيس من راحلته، فبينا هو كذلك إذا هو بها قائمة عنده، فأخذ بخطامها ثم قال من شدَّة الفرح: اللهم أنت عبدي وأنا ربُّك، أخطأ مِن شدَّة الفَرَح**».

وهذا الفرح فرح بر وإحسان ورحمة، لا فرحة محتاج إلى توبة عبده منتفع بها.

بارك الله لي ولكم...

الخـــطـــبـة الثـــانيـــة

الحمد لله حمداً يكافئ نعمه، وله الحمد حتى يرضى، وله الحمد بعد الرضا، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ولاند، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وأصلي وأسلم على نبينا محمداً، وعلى آله وأصحابه البررة الأخيار.

عباد الله:

من آثار الإيمان باسمه سبحانه (البر):

أولاً: محبته سبحانه المحبة الحقيقية التي تقتضي عبادته وحده لا شريك له، تقتضي شكره سبحانه وحمده على بره، ورحمته ولطفه وكرمه حيث خلقنا وأمدنا بنعمه التي لا تعد ولا تحصى. وخص أولياءه بأعظم بره ورحمته ألا وهي هدايته لهم وتوفيقهم وتثبيتهم وإثابتهم على ذلك برضوانه وجنته.

ثانيًا: الله – جل شأنه – بَرٌّ يُحبُّ البرَّ ويأمر به، ويحب من يتخلَّقُ به من عباده الأبرار.

ومن أجمع الآيات التي ذكرت أعمال البرِّ قوله تعالى: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ ۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٧٧].

وأثنى تعالى على ابني الخالة عيسى ويحيى – عليهما الصلاة والسلام – برهما أبويهما، فقال في وصف عيسى عليه الصلاة والسلام: ﴿وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَتِي وَلَمۡ يَجۡعَلۡنِي جَبَّارٗا شَقِيّٗا﴾ [مريم: ٣٢]، وفي وصف يحيى عليه الصلاة والسلام: ﴿وَبَرَّۢا بِوَٰلِدَيۡهِ وَلَمۡ يَكُن جَبَّارًا عَصِيّٗا﴾ [مريم: ١٤].

وجعل رسول الله ﷺ كلَّ الأخلاق الفاضلة الحسنة من البرِّ، فعن النَّواس بن سمعان قال: سألت رسول الله ﷺ عن البر والإثم؟ فقال: «**البرُّ حسن الخلق، والإثم ما حاك في صدرك وكرهت أن يطلع عليه الناس**» [رواه مسلم].

ثالثًا: لن ينال العبدُ برَّ الله تعالى به في الآخرة إلا باتباع ما يُفضى إلى بره ومرضاته ورحمته، قال تعالى: ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلۡبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيۡءٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٞ﴾ [آل عمران: ٩٢].

وقد فُسِّر (البر) في هذه الآية بالجنة وثواب الله تعالى.

ومما يدخل في هذا المعنى قوله ﷺ: «**إن الصدق يهدي إلى البر، وإن البر يهدي إلى الجنة، وإن الرجل ليصدق حتى يكتب صديقًا، وإن الكذب يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلى النار، وإن الرجل يكذب حتى يكتب كذابًا**» [رواه البخاري].

ومن ثمرات الإيمان بهذا الاسم: أن يمتلئ القلب محبة لله وشكراً له بما أولاه من نِعمِه الظاهرة والباطنة.

هذا وصلوا...

❁ ❁ ❁

١٤ الخطبة الأولى[1]

الحمد لله السميع البصير، الذي قد استوى في سمعه سرّ القول وجهره، وسع سمعه الأصوات؛ فلا تختلف عليه أصوات الخلق، ولا تشتبه عليه، ولا يشغله منها سمع عن سمع، ولا تغلطه المسائل، ولا يبرمه كثرة السائلين.

الحمد لله (البصير) جَلَّجَلَالُهُ، الذي يرى دبيب النملة السوداء على الصخرة الصماء في حندس الظلماء، ويرى تفاصيلَ خَلْق الذرّة الصغيرة ومخها وعروقها ولحمها وحركتها، ويرى مدَّ البعوضة جناحَها في ظلمة الليل، وأعطى هذا المشهد حقّه من العبودية يحرس حركاتها وسكناتها، وتيقن أنها بمرأى منه سبحانه ومشاهدة لا يغيب عنه منها شيء.

وأشهد أن لا إله إلا الله الحق المبين، وأشهد أن نبينا محمداً الصادق الأمين، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

فأوصيكم ونفسي بتقوى الله، فإنها الزاد ليوم المعاد. ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

(١) اسم (السميع، البصير).

عباد الله:

مفتاح دعوة الرسل، وزبدة رسالتهم، معرفة المعبود بأسمائه وصفاته وأفعاله، إذ على هذه المعرفة تبنى مطالب الرسالة كلها من أولها إلى آخرها، فالاشتغال بمعرفه الله اشتغال بما خلق له العبد، وتركه وتضييعه إهمال لما خلق له، وليس معنى الإيمان، هو التلفظ به فقط دون معرفة الله، لأن حقيقة الإيمان بالله أن يعرف العبد ربه الذي يؤمن به، ويبذل جهده في معرفة الله بأسمائه وصفاته، وبحسب معرفته بربه يزداد إيمانه.

إن معرفة الله تدعو إلى محبته وخشيته، وخوفه ورجائه، وإخلاص العمل له، وهذا هو عين سعادة العبد، ولا سبيل إلى معرفة الله، إلا بمعرفة أسمائه الحسنى، والتفقه في فهم معانيها.

عباد الله:

من أسماء الله: اسم (السميع والبصير).

والسَّمْعُ يُرادُ به إدراك الصوت، ويراد به فَهْم المعنى، ويُراد به القبول والإجابة، والثلاثة في القرآن.

فمن الأول: قوله: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَـٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ﴾ [المجادلة: ١] وهذا أصرحُ ما يكون في إثبات صفة السمع له، ذكر الماضي والمضارع واسم الفاعل؛ سمع ويسمع وهو سميع وله السمع، كما قالت عائشة رضي الله عنها: (الحمد لله الذي وسع سمعه الأصوات، لقد جاءت المجادلة تشكو إلى رسول الله ﷺ، وأنا في جانب البيت، وإنه ليخفى عليّ بعضُ كلامها، فأنزل الله: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى

تُجَـٰدِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٌ﴾ [المجادلة: ١]).

والثاني: سمع الفهم كقوله: ﴿وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ﴾ [الأنفال: ٢٣] أي لأفهمهم ﴿وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّواْ وَّهُم مُّعْرِضُونَ﴾ [الأنفال: ٢٣] لما في قلوبهم من الكبر والإعراض عن قبول الحق، ففيهم آفتان: إحداهما أنهم لا يفهمون الحق لجهلهم ولو فهموه لتولوا عنه وهم معرضون عنه لكبرهم، وهذا غاية النقص والعيب.

والثالث: سمع القَبُول والإجابة، كقوله تعالى: ﴿لَوْ خَرَجُواْ فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالاً وَلَأَوْضَعُواْ خِلَـٰلَكُمْ يَبْغُونَكُمُ ٱلْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّـٰعُونَ لَهُمْ﴾ [التوبة: ٤٧] أي قابلون له مستجيبون. ومنه قوله ﴿سَمَّـٰعُونَ لِلْكَذِبِ﴾ [المائدة: ٤٢] أي قابلون له مستجيبون لأهله. ومنه قول المصلِّي: سمع الله لمن حمده، أجاب الله حمد من حمده ودعاء من دعاه، وقول النبي ﷺ كما روى مسلم: «**إذا قال الإمام سمع الله لمن حمده فقولوا: ربنا ولك الحمد، يسمع الله لكم**» أي يجيبكم.

ويندفعُ شَرُّ الحاسدِ عن المحسود بعشرة أسباب: أحدها: التعوذ بالله من شرّه، والتحصّن به، واللجأ إليه، والله تعالى سميعٌ لاستعاذته، عليم بما يستعيذ به.

والسمع هنا المراد به سمع الإجابة لا السمع العام، فهو مثل قوله: سمع الله لمن حمده. وقول الخليل ﷺ: ﴿إِنَّ رَبِّى لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ﴾ [إبراهيم: ٣٩]، ومرة يقرنه بالعلم ومرة بالبصر لاقتضاء حال المستعيذ ذلك، فإنه يستعيذُ به من عدو يعلم أن الله يراه ويعلم كيده وشره، فأخبر اللهُ تعالى هذا المستعيذَ أنه

سميع لا ستعاذته، أي مجيب عليم بكيد عدوه يراه ويبصره، لينبسط أملُ المستعيذ، ويقبل بقلبه على الدعاء.

وتأمل حكمة القرآن كيف جاء في الاستعاذة من الشيطان الذي نعلم وجوده ولا نراه بلفظ السميع العليم في الأعراف، وحم السجدة، وجاءت الاستعاذة من شرّ الإنس الذين يؤنسون ويرون بالأبصار بلفظ السميع البصير في سورة حم المؤمن، فقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ سُلۡطَٰنٍ أَتَىٰهُمۡ إِن فِي صُدُورِهِمۡ إِلَّا كِبۡرٞ مَّا هُم بِبَٰلِغِيهِۚ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾ [غافر: ٥٦] لأن أفعال هؤلاء أفعال مُعَايَنة تُرى بالبصر، وأما نزغ الشيطان فوساوس وخطرات يُلقيها في القلب، يتعلّق بها العلم، فأمر بالاستعاذة بالسميع العليم فيها، وأمر بالاستعاذة بالسميع البصير في باب ما يُرى بالبصر ويُدرك بالرؤية.

عباد الله:

ومن أسماء الله تعالى اسم (البصير) فالله البصير الذي لكمال بصره يرى تفاصيل خلق الذرة الصغيرة وأعضائها ولحمها ودمها ومخها وعروقها، ويرى دبيبها على الصخرة الصماءِ في الليلة الظلماءِ، ويرى ما تحت الأرضين السبع كما يرى ما فوق السموات السبع.

و(البصير) اسم تكرَّر وروده في القرآن الكريم في مواضع تزيد على الأربعين، منها قوله تعالى: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعَۢا بَصِيرٗا﴾ [النساء: ٥٨]، وقال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ﴾ [البقرة: ٢٦٥]، وقال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِٱلۡعِبَادِ﴾ [آل عمران: ١٥]، وقال تعالى:

﴿إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيۡءِۭ بَصِيرٌ﴾ [الملك: ١٩]، وقال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرُۢ بَصِيرٞ﴾ [الشورى: ٢٧]، وقال تعالى: ﴿وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرَۢا بَصِيرٗا﴾ [الإسراء: ١٧].

و(البصير) أي: الذي يرى جميع المبصرات، ويبصر كل شيء وإن دق وصغر، فيبصر دبيب النملة السوداء على الصخرة الصماء في الليلة الظلماء، ويرى مجاري القوت في أعضائها، ويرى جريان الدم في عروقها، ويبصر ما تحت الأرضين السبع كما يبصر ما فوق السموات السبع، ويرى تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ تقلبات الأجفان، وخيانات العيون.

و(البصير): الذي أحاط بصره بجميع المُبْصَرَات في أقطار الأرض والسموات، فهو سبحانه يُبصر كل شيء وإن دق وصغر؛ فيرى دبيب النملة السوداء على الصخرة الصماء في الليلة الظلماء، ويرى سريان المياه في أغصان الأشجار وعروقها، ويرى نياط عروق النملة والبعوضة وأصغر من ذلك، ويبصر ما تحت الأرضين السبع، وهو سبحانه يرى خيانات الأعين وحركات الجنان، كما أنه سبحانه بصير بمن يستحق الجزاء بحكمته.

فشمل اسم البصير أمرين:

بصره لكل مرئي: فهو سبحانه يرى كل شيء وإن خفي. وبصره بمعنى علمه بأفعال عباده ﴿وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِمَا يَعۡمَلُونَ﴾ [المائدة: ٧١]، فهو سبحانه يرى خلقه أينما كانوا، وذلك يُورِث للعبد مراقبة الله وخوفه ورجائه.

فالخوف عند المعصية: لأنَّ يراه، فيعمل جاهداً أن لا يراه حيث نهاه، ولا يفتقده حيث أمره.

والرجاء عند الطاعة: لأنَّ الله يراه ولا شك أنَّه سيثيبه فتقوى عزائمه للطاعات، وأيضًا يُورث الحرص على إخلاص العمل لله لأنَّه سبحانه يراه.

قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (البصير الذي أحاط بصره بجميع المبصرات في أقطار الأرض والسماوات، حتى أخفى ما يكون فيها، فيرى دبيب النملة السوداء على الصخرة الصماء في الليلة الظلماء، وجميع أعضائها الباطنة والظاهرة، وسريان القوت في أعضائها الدقيقة، ويرى سريان المياه في أغصان الأشجار، وعروقها وجميع النباتات على اختلاف أنواعها، وصغرها، ودقتها، ويرى نياط عروق النملة، والنحلة، والبعوضة، وأصغر من ذلك، فسبحان من تحار العقول في عظمته، وسعة متعلقات صفاته، وكمال عظمته، ولطفه، وخبره بالغيب، والشهادة والحاضر والغائب، ويرى خيانات الأعين، وتقلبات الأجفان، وحركات الجنان، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ۝٢١٨ وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّـٰجِدِينَ ۝٢١٩ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [الشعراء: ٢١٨ - ٢٢٠]، ﴿يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ﴾ [غافر: ١٩].

﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ﴾ [البروج: ٩]، أي: مطلع، ومحيط علمه، وبصره، وسمعه بجميع الكائنات).

بارك الله لي ولكم...

الخطبة الثانية

الحمد لله، أحمد ربي وأشكره، وأثني عليه الخير كله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن نبينا محمداً عبد الله ورسوله وصفيه وخليله، صلى الله وسلم وبارك عليه، وعلى آله وصحبه والتابعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

فإن من آثار الإيمان باسمه سبحانه (السميع، البصير):

أولاً: مراقبة الله ﷻ والخوف منه حيث لا تخفى عليه خافية في ليل أو نهار، في سر أو إعلان، في خلوة أو اجتماع، في باطن الأرض أو ظاهرها.

إن اليقين بهذا يثمر في قلب المؤمن خوفًا من الله ﷻ من أن يراه على حال لا ترضيه، ويستحي من ربه سبحانه أن يراه على معصية.

ثانيًا: الإخلاص لله تعالى في جميع الأعمال، لأنه سبحانه يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور، وهو سبحانه يرى عبده إذا قام لعبادته كما قال سبحانه: ﴿ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٨ - ٢١٩].

وكما قال ﷺ: «**الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك**»،ومن علم أن الله ﷻ يراه أحسن عمله وعبادته، وأخلص فيها لربه.

ثالثًا: الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى بصير بأحوال عباده، خبير بها، عليم بمن يستحق الهداية ممن يستحق الضلالة، وهو الله لا يُسأل عما يفعل وهم يسألون، وما ذلك إلا لحكمته ورحمته، بصير خبير بأعمالهم وذنوبهم.

رابعـًا: إثبـات صـفة الســمع والبصـر لـه جـل شـأنه، إثباتـًا يليـق بجلالـه وعظمته، لأنه وصف نفسه بذلك وهو أعلم بنفسه.

وصفة البصر من صفات الكمال كصفة السمع، فالمتصف بهما أكمل ممن لا يتصف بذلك، قال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ ۚ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ﴾ [الأنعام: ٥٠].

ثـم إنّ لهـذين الاسـمين العظيمـين مقتضـياته مـن الـذّل والخضـوع، ودوام المراقبة والإحسان في العبادة والبعد عن المعاصي والذنوب.

هذا وصلوا..

❁ ❁ ❁

١٥ الخطبة الأولى[1]

الحمد لله التواب الرحيم، يتوب على من شاء من عباده، فيقربه ويدينه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، أفاض على عباده التائبين رحمة ومغفرة، وأشهد أن نبينا محمداً عبده ورسوله خير التائبين وأول المقبلين، صلى الله وسلم وبارك عليه، وعلى أصحابه الغر الميامين، وعلى الصحابة أجمعين، والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

فاتقوا الله وراقبوه. وتوبوا إليه يمتعكم متاعاً حسناً إلى أجل مسمى ويغفر لكم.

عباد الله:

من أسماء الله تعالى اسم (التواب) وقد ورد اسمه سبحانه (التواب) في إحدى عشرة آية في القرآن الكريم، منها تسع آيات اقترن فيها باسمه سبحانه (الرحيم) كما في قوله تعالى: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ٣٧]، وقوله سبحانه: ﴿وَتُبْ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٨]، وقوله ﷻ: ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحجرات: ١٢].

---

(١) اسم (التواب).

وجاء في آية واحدة مقترناً باسمه سبحانه (الحكيم) كما في قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ﴾ [النور: ١٠].

وجاء مفرداً في قوله تعالى: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًۢا﴾ [النصر: ٣].

قال تعالى: ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَأْخُذُ ٱلصَّدَقَٰتِ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [التوبة: ١٠٤].

وأبواب عفوه وغفرانه مفتوحة، ولم يزل ولا يزال عفوًّا غفوراً، وقد وعد بالمغفرة والعفو لمن أتى بأسبابها، كما قال سبحانه: ﴿وَإِنِّى لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ﴾ [طه: ٨٢].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [التوبة: ١١٨].

والتوبة في اللغة معناها: الرجوع من الذنب. يقال: تاب إلى الله: أي؛ أناب ورجع عن المعصية إلى الطاعة.

(التوَّاب): الذي يتوب على عبده بفضله إذا تاب إليه من ذنبه.

و(التَّوَّابُ) الذي لم يزل يتوب على التائبين، ويغفر ذنوب المنيبين، فكل من تاب إلى الله توبة نصوحاً، تاب الله عليه.

فهو سبحانه التائب على التائبين: أولاً بتوفيقهم للتوبة والإقبال بقلوبهم إليه. وهو التائب عليهم بعد توبتهم، قبولاً لها، وعفواً عن خطاياهم.

وتوبة الله على عبده نوعان:

الأول: توفيقه للتوبة وإرجاعه للطاعة: فيُلهم عبده التوبة إليه والإنابة إليه ويُيَسرها له ويُحرِّك قلبه لها، ويوفقه لتحصيل شروطها؛ من الندم

والاستغفار، والإقلاع عن المعصية، والعزم على عدم العودة إليها واستبدالها بعمل الصالحات ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓاْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [التوبة: ١١٨].

الثاني: توبته على عبده بقبولها وإجابتها ومحو الذنوب بها؛ فإن التوبة النصوح تجبّ ما قبلها. فهو سبحانه يقبل توبته ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ﴾ [الشورى: ٢٥] فيمحو الذنوب بتوبته، فإن التوبة النصوح تَجُبُّ ما قبلها لقوله تعالى: ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [الفرقان: ٧٠].

قال ابن كثير: في معنى قوله تعالى: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ﴾ [الفرقان: ٧٠] قولان:

أحدهما: أنهم بدَّلوا مكان عمل السيئات بعمل الحسنات...، هذا في الدنيا: يكون الرجل على صفة قبيحة ثم يبدِّله الله بها خيراً.

والقول الثاني: أن تلك السيئات الماضية تنقلب بنفس التوبة النصوح حسنات، وما ذاك إلاَّ لأنَّه كلما تذكر ما مضى ندم واسترجع واستغفر، فينقلب الذنب طاعة بهذا الاعتبار، فيوم القيامة وإن وجده مكتوبـًا عليه فإنه لا يضره، وينقلب حسنة في صحيفته كما في صحيح مسلم «فَإِنَّ لَكَ بِكُلِّ سَيِّئَةٍ حَسَنَةً».

قال الله تعالى: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًۢا﴾ [النصر: ٣].

والتّوّاب: هو الذي يتوب على من يشاء من عباده بالتوفيق للتوبة، كما قال سبحانه: ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓاْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [التوبة: ١١٨]،

والقبول لها، كما قال سبحانه : ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَعْفُواْ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾ [الشورى: ٢٥].

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ عند قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ٣٧] (إن الله – جل ثناؤه – هو (التواب) على من تاب إليه من عباده المذنبين من ذنوبه، التارك مجازاته بإنابته إلى طاعته بعد معصيته بما سلف من ذنبه، وتوبة الله على عبده هو أن يرزقه ذلك ويؤوب من غضبه عليه إلى الرضا عنه، ومن العقوبة إلى العفو والصفح عنه).

وقال الزجاجي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (فجاء تواب على أبنية المبالغة لقبوله توبة عباده، وتكرير الفعل منهم دفعة، وواحداً بعد واحد على طول الزمان، وقبوله ﷻ ممن يشاء أن يقبل منه فلذلك جاء على أبنية المبالغة، فالعبد يتوب إلى الله ﷻ ويقلع عن ذنوبه، والله يتوب عليه أي: يقبل توبته. فالعبد تائب، والله تواب).

والعفو والمغفرة من لوازم ذاته لا يكون إلا كذلك، ولا تزال آثار ذلك متعلقاتُه تشمل الخليقة آناء الليل والنهار، فعفوه ومغفرته وسعت المخلوقات والذنوب والجرائم، فهو سبحانه لم يزل ولا يزال بالعفو والتجاوز معروفاً وبالصّفح والغفران موصوفاً، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا﴾ [النساء: ٤٣]، وقال تعالى: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا﴾ [النساء: ٩٩].

عباد الله:

والتقصير الواقع من الخلق يقتضي العقوبات المتنوعة، ولكن عفو الله ومغفرته تدفع هذه الموجبات والعقوبات ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُواْ مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ

﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِۦ بَصِيرَۢا﴾ [فاطر: ٤٥]، وهذا من كمال عفوه، فلولا كمال عفوه وحلمه ما ترك على ظهر الأرض من دابة، ومثلها قوله تعالى: ﴿وَلَوۡ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِظُلۡمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيۡهَا مِن دَآبَّةٖ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمۡ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗىۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمۡ لَا يَسۡتَـٔۡخِرُونَ سَاعَةٗ وَلَا يَسۡتَقۡدِمُونَ﴾ [النحل: ٦١].

ومن هذا الباب ما ورد في الصّحيحين من حديث أبي موسى الأشعري ﵁، قال: قال رسول الله ﷺ: «**ليس أحدٌ ـ أو ليس شيء ـ أصبرَ على أذى سَمِعَه من الله، إنّهم ليدعون له ولداً، وإنه ليعافيهم ويرزقهم**».

عباد الله:

وعفوه تعالى نوعان:

النوع الأول: عفوه العام عن جميع المجرمين من الكفار وغيرهم، بدفع العقوبات المنعقدة أسبابها، والمقتضية لقطع النّعم عنهم، فهم يؤذونه بالسَّبِّ والشِّرك وغيرها من أصناف المخالفات، وهو يعافيهم ويرزقهم ويدرُّ عليهم النّعم الظاهرة والباطنة، ويبسط لهم الدّنيا، ويعطيهم من نعيمها ومنافعها، ويمهلهم ولا يهملهم بعفوه وحلمه سبحانه.

والنوع الثاني: عفوه الخاص، ومغفرته الخاصّة للتائبين والمستغفرين والدّاعين والعابدين، والمصابين بالمصائب المحتسبين، فكلّ من تاب إليه توبة نصوحاً ـ وهي الخاصة لوجه الله، العامة الشاملة التي لا يصحبها تردُّد ولا إصرار ـ فإنّ الله يغفر له من أيّ ذنب كان، من كفر وفسوق وعصيان، وكلّها داخلة في قوله تعالى: ﴿قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الزمر: ٥٣].

وقد تواترتْ النّصوص من الكتاب والسنة في قبول الله التوبة من عباده من أيِّ ذنب كان، وكذلك الاستغفار المجرّد يحصل به من مغفرة الذنوب والسيئات بحسبه، وفي الحديث القدسي، قال الله تعالى: «**يا ابن آدم إنّك ما دعوتني ورجوتني غفرتُ لك ما كان فيك ولا أبالي، يا ابن آدم لو بلغتْ ذنوبُك عنان السّماء، ثم استغفرتني غفرتُ لك ولا أبالي، يا ابن آدم لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئًا لأتيتُك بقرابها مغفرة**» [رواه الترمذي].

وكذلك من عفوه سبحانه أنّ الحسنات والأعمال الصّالحة تكفّر السيئات والخطايا، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْحَسَنَـٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ﴾ [هود: ١١٤]، وفي الحديث: «**وأتبع السّيئة الحسنةَ تمحُها**» [رواه أحمد].

وكذلك من عفوه أنّ المصائب التي تصيبُ العبد في نفسه أو ولده أو ماله تكفِّر سيِّئاته، خصوصاً إذا احتسب ثوابها وقام بوظيفة الصّبر أو الرّضى.

عباد الله:

ومن عظيم عفوه سبحانه أنّ العبد يبارز ربَّه بالعظائم والجرائم فيلطف به ربُّه، ويحل عليه عفوه، فيشرح صدره للتوبة، ويتقبّل منه متابه، بل إنّه سبحانه يفرح بتوبة عبده إذا تاب مع أنه غني حميد، لا تنفعه طاعةُ مَنْ أطاع، ولا تضرّه معصيةُ مَنْ عصى.

روى مسلم في صحيحه من حديث أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي ﷺ أنه قال: «**لله أشدُّ فرحاً بتوبة عبده وعليها طعامه وشرابه، فأيس منها، فأتى شجرة فاضطجع في ظلِّها قد أيس من راحلته، فبينا هو كذلك إذ هو بها قائمة عنده، فأخذ بخطامها، ثم قال – من شدّة الفرح – اللهمّ أنت عبدي وأنا ربّك، أخطأ من شدّة الفرح**».

وينبغي هنا أن يعلم أنَّ علمَ العبد بهذه الأسماء العظيمة بابٌ عظيم لنيل عالي المقامات، ولا سيما مع مجاهدة النّفس على تحقيق مقتضياتها، من لزوم الاستغفار، وطلب العفو، ودوام التوبة، ورجاء المغفرة، والبعد عن القنوط وتعاظم غفران الذنوب، فهو سبحانه عفو غفور لا يتعاظمه ذنب أن يغفره مهما بلغ الذنب وعظم الجرم، والعبد على خير عظيم ما دام طالبًا عفو ربِّه، راجيًا غفرانه.

وتأمّلوا في هذا المقام ما رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما عن أبي هريرة ﵁، عن النبي ﷺ فيما يحكيه عن ربِّه ﷿ قال: «**أذنب عبدٌ ذنبًا، فقال: اللهمّ اغفر لي ذنبي، فقال تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: أذنب عبدي ذنبًا، فعلم أنّ له ربًّا يغفر الذّنب، ويأخذ بالذنب، ثم عاد فأذنب، فقال: أي ربِّ لي ذنبي، فقال تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: عبدي أذنب ذنبًا فعلم أنّ له ربًّا يغفر الذنب ويأخذ بالذنب. ثم عاد فأذنب فقال: أي ربّ اغفر لي ذنبي، فقال تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: أذنب عبدي ذنبًا فعلم أنّ له ربًّا يغفر الذنب ويأخذ بالذّنب، اعمل ما شئتَ فقد غفرتُ لك**» أي ما دُمتَ تائبًا أوّاهًا منيبًا.

بارك الله لي ولكم...

الخطبة الثانية

الحمد لله الرب الرحيم، التواب الكريم، يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات، وأشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن نبينا محمداً عبده ورسوله، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه أجمعين، وعلى الصحابة والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

يفرح ربنا سبحانه بتوبة عبده أشد الفرح كما قالﷺ «**لله أفرح بتوبة عبده من رجل نزل منزلا وبه مهلكة ومعه راحلته، عليها طعامه وشرابه فوضع رأسه فنام نومة، فاستيقظ وقد ذهبت راحلته حتى إذا اشتد عليه الحر والعطش أو ما شاء الله، قال: أرجع إلى مكاني فرجع فنام نومة، ثم رفع رأسه فإذا راحلته عنده**».

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: (ولو كان في الفرح المشهود في هذا العالم نوع أعظم من هذا الذي ذكره النبي ﷺ لذكره، ولكن لا فرحة أعظم من فرحة هذا الواجد الفاقد لمادة حياته وبلاغه في سفره بعد إياسه، ومن أسباب الحياة بفقده، وهذا كشدة محبته لتوبة التائب المحب إذا اشتدت محبته للشيء وغاب عنه، ثمّ وجده وصار طوع يده، فلا أعظم من فرحته به.

وهذا الفرح منه سبحانه فرحُ إحسانٍ وبرٍ ولطف، لا فرح محتاج إلى توبةٍ عبده ينتفع بها، فإنه سبحانه غني عن طاعة عباده، وإنما يفرح بذلك تكرّماً وتفضلاً منه على عبده المؤمن لأنه يحبه ويحب له الخير والنجاة من

العـذاب، فـالرّب هـو الـذي وفقـه للتوبـة حـرّك قلبـه لهـا ويسـر لـه أسـبابها وهداه إليها).

وهو سبحانه لا يَرُدُّ تائبًا، مَنْ جاء إليه في ليل أو نهار قبِلَه، بل وأحبه ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ﴾ [البقرة: ٢٢٢].

ويؤكد هذا المعنى الشيخ السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ بقوله: (فهو التائـب علـى التـائبين أولاً: بتوفيقهم للتوبة، والإقبال بقلوبهم إليـه، وهـو التائـب علـى التـائبين بعـد توبتهم قبولاً لها وعفـواً عـن خطايـاهم)، ووصـف الله سـبحانه نفسـه بـالتواب لكثرة من يتوب عليه، ولتكريره ذلك في الشخص الواحد حتى يقضي عمره.

عباد الله:

من آثار الإيمان باسمه سبحانه (التواب):

أولاً: محبة الله ﷻ والأنس به، لأنـه سـبحانه الـرحيم بعبـاده، ومـن رحمتـه بهم ولطفه بهم أن وفق من شـاء مـن عبـاده إلـى التوبـة والرجـوع إليـه، ثـم قبـل ذلك منهم، بل إنـه سـبحانه يفـرح بتوبـة عبـده إليـه أشـد مـا يكـون مـن الفـرح، فحري بمن هذا وصفه في رحمته بعباده أن يُحب الحب كله، وأن يُعبـد وحـده لا شريك له، وأن تظهر آثار هذه المحبـة بـإخلاص العبـادة لـه، والتقـرب إليـه بطاعته ومحبة من يحبه وما يحبه، وبغض من يبغضه وما يبغضه.

ثانيًا: إفراد الله ﷻ بالتوبة وطلب العفو وغفران الذنوب، لأنه لا يغفر الذنوب ولا يوفق إلى التوبة ويقبلها إلا الله وحده، قال الله ﷻ: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَقۡبَلُ ٱلتَّوۡبَةَ عَنۡ عِبَادِهِۦ وَيَعۡفُواْ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ [الشورى: ٢٥]، وقال سبحانه: ﴿وَمَن يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ١٣٥].

ثالثًا: الحياء من الله ﷻ البر الرحيم التواب الغفور الذي يفرح بتوبة عبده، وهذا الحياء إذا تمكن من القلب أثمر تعظيمًا لله ﷻ وحياءً منه، ومبادرة إلى طاعته وترك معاصيه قدر الجهد والاستطاعة.

رابعًا: المبادرة إلى التوبة النصوح عند الوقوع في المعصية مهما كان عظمها، وعدم التمادي فيها وعدم اليأس من رحمة الله تعالى، والقوة في رجائه سبحانه.

هذا وصلوا...

❁ ❁ ❁

١٦

الخطبة الأولى [١]

الحمد لله الملك الجبار، جبر كسر قلوب عباده، وأغناهم من فضله، ووعدهم بالمزيد من عطاءه. أحمده سبحانه وأشكره على ما أولى وأنعم، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن نبينا محمداً عبده ورسوله، وصفيه وخليله، أرسله بالهدى والدين، وأظهر للعالمين سبيله الحق، فأعز به دينه، صلى الله وسلم وبارك عليه، وعلى آله وأصحابه، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

فاتقوا الله تعالى، وتقربوا إليه بصالح العمل، واحذروا سخطه ومعاصيه. ﴿وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا تُرۡجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٨١].

عباد الله:

أسماء الله ﷻ كلها مدح وحمد، وثناء وتمجيد؛ ولذلك كانت حسنى، وصفاته كلها صفات كمال، ونعوته كلها نعوت جلال، وأفعاله كلها حكمة ورحمة ومصلحة وعدل.

---

(١) اسم (الجبار).

يقول ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وكذلك أسماء الرب تعالى كلها أسماء مدح؛ فلو كانت ألفاظًا مجردةً لا معانيَ لها لم تدل على المدح. وقد وصفها الله سبحانه بأنها حسنى كلها. فقال: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٠] فهي لم تكن حسنى لمجرد اللفظ بل لدلالتها على أوصاف الكمال..).

ومن أسماء الله الحسنى اسم (الجبار)، والجبر يرجع في اللغة إلى ثلاثة أصول:

أحدها: أن يغني الرجل من فقر، أو يجبر عظمه من كسر، وهذا من الإصلاح.

الأصل الثاني: الإكراه والقهر، وأكثر ما يستعمل هذا على أفعل، يقال: أجبرته على كذا إذا أكرهته عليه.

والأصل الثالث: من العز والامتناع، ومنه نخلة جبارة. والجبار من النخل ما طال وفات اليد.

وقد جاء ذكر اسمه سبحانه ((الجبار) مرة واحدة في القرآن الكريم، وذلك في قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الحشر: ٢٣].

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (الجبار): يعني المصلح أمور خلقه المصرفهم فيما فيه صلاحهم).

ويقال: هو الذي جبر مفاقر الخلق وكفاهم أسباب المعاش والرزق، ويقال: بل الجبار العالي فوق خلقه من قولهم: تجبر النبات: إذا علا واكتهل.

وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (قال محمد بن كعب القرظي في اسم (الجبار) إنه سبحانه هو الذي جبر العباد على ما أراد)، فالجبر بهذا المعنى: القهر والقدرة وأنه سبحانه قادر على أن يفعل بعبده ما شاء، وإذا شاء منه شيئًا وقع ولابد، وإن لم يشأ لم يكن، ليس كالعاجز الذي يشاء ما لا يكون، ويكون ما لا يشاء).

وقال في موطن آخر: (وأما (الجبار) من أسماء الله تعالى فقد فسر بأنه الذي يجبر الكسير ويغني الفقير).

وكان النبي ﷺ يقول: «**سبحان ذي الجبروت والملكوت والكبرياء والعظمة**» [رواه أحمد] فالجبار اسم من أسماء التعظيم؛ كالمتكبر والملك والعظيم والقهار، فالجبار في صفة الرب سبحانه ترجع إلى ثلاثة معان: الملك، والقهر، والعلو فإن النخلة إذا طالت وارتفعت وفاتت الأيدي سميت جبارة).

وقال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (الجبار: هو بمعنى العلي الأعلى، وبمعنى القهار، وبمعنى الرؤوف الجابر للقلوب المنكسرة، وللضعيف العاجز، ولمن لاذ به ولجأ إليه).

وفي معرفة ومعان اسم الجبار تعظيم الله ﷻ والخوف منه، والتوكل عليه وحده في طلب الهداية والتوفيق والسداد لأنه المتفرد بتصريف أمور عباده، وقد كان من أذكاره ﷺ في الركوع والسجود قوله: «**سبحان ذي الجبروت والملكوت والكبرياء والعظمة**».

وفيه التواضع لله تعالى بقبول حكمه وما نزل من الحق، والتواضع للخلق وترك التجبر والتكبر عليهم. لأن (الجبار) اسم خاص به سبحانه، وهو صفة

كمال لله تعالى يمدح بها؛ لأن في جبروته سبحانه رحمة ونعمة؛ فبجبروته قهر الجبابرة وأذل الأكاسرة والفراعنة والطواغيت، وأنصف المظلومين من الظلمة، ونصر جنده على المعاندين والكافرين الفجرة.

أما بالنسبة للمخلوق فهي صفة ذم وقد ينهى عنها.

وقد ذم الله تعالى المتجبرين من خلقه وبين أنه سبب في الطبع على القلوب، كما في قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾ [غافر: ٣٥].

وتوعد الله سبحانه الجبابرة بالعذاب الشديد، قال تعالى: ﴿وَٱسْتَفْتَحُواْ وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿١٥﴾ مِّن وَرَآئِهِۦ جَهَنَّمُ وَيُسْقَىٰ مِن مَّآءٍ صَدِيدٍ ﴿١٦﴾ يَتَجَرَّعُهُۥ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُۥ وَيَأْتِيهِ ٱلْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ وَمِن وَرَآئِهِۦ عَذَابٌ غَلِيظٌ﴾ [إبراهيم: ١٥ - ١٧].

جاء في الحديث عنه ﷺ: «**تحاجت الجنة والنار، فقالت النار: أوثرت بالمتكبرين والمتجبرين... الحديث**» [رواه البخاري].

والجبّار له ثلاثة معانٍ:

الأوّل: بمعنى القهّار.

الثاني: يرجع إلى لطف الرّحمة والرّأفة، فهو الذي يجبر الكسير، ويغني الفقير، وييسر العسير، ويجبر المريض والمصاب بتوفيقه للصبر وتيسير المعافاة له، مع تعويضه على مصابه أعظم الأجر، ويجبر جبراً خاصا قلوبَ الخاضعين لعظمته وجلاله، وقلوب المحبين له الخاضعين لكماله، والراجين لفضله ونواله، بما يفيضه على قلوبهم من المحبة وأنواع المعارف

والتوفيق الإلهي، والهداية والرشاد، وقول الداعي: (اللهم اجبرني) يراد به هذا الجبر الذي حقيقته إصلاح العبد ودفع جميع المكاره والشرور عنه، وقد كان النبي ﷺ يقول بين السجدتين: «**اللهم اغفر لي وارحمني واجبرني واهدني وارزقني**» [رواه الترمذي].

الثالث: من معاني الجبّار: أي: العليّ على كل شيء، الذي له جميع معاني العلو: علو الذات: وعلو القدر، وعلو القهر.

عباد الله:

وبما أن من معاني (الجبار) الذي يجبر كسر عباده ويغنيهم من الافتقار، فإن هذه المعاني تثمر في قلب المؤمن محبة الله تعالى والانكسار بين يديه وطلب الحاجات منه وحده، ولذا كان من دعائه ﷺ في الجلسة بين السجدتين: «**اللهم اغفر لي وارحمني واجبرني، وارفعني واهدني، وعافني وارزقني**» [رواه الترمذي].

وفيه تعظيم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ومراقبته في السر والعلن، وبيان فضله ورحمته على عباده.

وقد كان النبي ﷺ يعظم ربه في ركوعه وسجوده بذكر جبروت الله ﷻ الدال عليه اسمه الجبّار، في الحديث عن عوف بن مالك الأشجعي قال: «**قمتُ مع رسول الله ﷺ ليلةً، فقام فقرأ سورة البقرة، لا يمر بآية رحمةٍ إلا وقف فسأل، ولا يمر بآية عذاب إلا وقف فتعوَّذ، قال: ثم ركع بقدر قيامه، يقول في ركوعه: سبحان ذي الجبروت والملكوت والكبرياء والعظمة، ثم سجد بقدر قيامه، ثم قال في سجوده مثل ذلك، ثم قرأ بآل عمران، ثم قرأ سورة سورة**» [رواه أحمد].

والجبروت لله وحده، ومن تجبّر من الخلق باء بسخط الله، واستحقّ وعيده وقد توعد جَلَّوَعَلَا من كان كذلك بالنكال الشديد والطبع على القلوب ودخول النار يوم القيامة، قال الله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾ [غافر: ٢٥].

وقال تعالى: ﴿وَٱسْتَفْتَحُواْ وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ۝ مِّن وَرَآئِهِۦ جَهَنَّمُ وَيُسْقَىٰ مِن مَّآءٍ صَدِيدٍ ۝ يَتَجَرَّعُهُۥ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُۥ وَيَأْتِيهِ ٱلْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ ۖ وَمِن وَرَآئِهِۦ عَذَابٌ غَلِيظٌ﴾ [إبراهيم: ١٥ - ١٧].

وروى أحمد والترمذي عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**يخرج عنق من النار يوم القيامة له عينان يبصر بهما، وأذنان يسمع بهما، ولسان ينطق به، فيقول إني وكّلت بثلاثة: بكلِّ جبَّار عنيد، وبكلِّ من ادَّعى مع الله إلها آخر، والمصوِّرين**».

نعوذ بالله من النار، ومن سخط الجبَّار، ونعوذ به سبحانه من منكرات الأخلاق والأهواء والأدواء، إنه تَبَارَكَ وَتَعَالَى سميع الدّعاء.

وصفة الجبار بمعنى القهر والطغيان، فهي في حقه الإنسان صفة ذميمة، وخُلق مهين، قال تعالى عن قوم عاد: ﴿وَٱسْتَفْتَحُواْ وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ﴾ [إبراهيم: ١٥].

ولذا ينفي الحق جَلَّوَعَلَا عن نبيه يحي عَلَيْهِ السَّلَامُ هذه الصفة فيقول تعالى: ﴿يَٰيَحْيَىٰ خُذِ ٱلْكِتَٰبَ بِقُوَّةٍ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا ۝ وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَوٰةً ۖ وَكَانَ تَقِيًّا ۝ وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَيْهِ وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا﴾ [مريم: ١٢ - ١٤].

كما نفاها سُبْحَانَهُوَتَعَالَى عن عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ فقال على لسانه: ﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ ٱلْكِتَـٰبَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ۝٣٠ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَـٰنِي بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ۝٣١ وَبَرًّا بِوَٰلِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا﴾ [مريم: ٣٠ - ٣٢].

عباد الله:

وأما الجبر: بمعنى جبر خواطر الناس فيه صفة ممدوحة، قال سفيان الثوري: (ما رأيت عبادة أجل وأعظم من جبر الخواطر).

فتواضعوا لإخوانكم ولينوا بأيديهم، وأحسنوا إليهم. وأسألوا الجبار أن يجبر قلوبكم وأن يهديكم سواء السبيل.

بارك الله لي ولكم...

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين، ولا عدوان إلا على الظالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن نبينا محمداً عبده ورسوله، صلى الله وسلم وبارك عليه، وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

فالجبَّار: اسم من أسماء التعظيم؛ كالمتكبر والملك والعظيم والقهار.

قال ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: ﴿ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ﴾ [الحشر: ٢٣] هو العظيم. وجبروت الله: عظمته.

وقال السُّدي: (هو الذي يجبر الناس ويقهرهم على ما يريد، وعلى هذا فالجبّار معناه القهار).

فالله سبحانه هو جبار القلوب على فطرتها شقيها وسعيدها، وهو الذي جبر خلقه على ما يشاء من أمره بأن شرع لهم من الشرائع ما شاء، وأمرهم باتباعها، قال تعالى: ﴿وَٱسْتَفْتَحُوا۟ وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ۝١٥ مِّن وَرَآئِهِۦ جَهَنَّمُ وَيُسْقَىٰ مِن مَّآءٍ صَدِيدٍ ۝١٦ يَتَجَرَّعُهُۥ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُۥ وَيَأْتِيهِ ٱلْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ ۖ وَمِن وَرَآئِهِۦ عَذَابٌ غَلِيظٌ﴾ [يس: ٨٢].

وهو المصلح أمر خلقه، ومصرفهم فيما فيه صلاحهم.

ويدخل في معنى الجبار أنه سبحانه إذا أراد شيئًا كان كما أراد ولم يمتنع عليه، وقد أحدث كل شيء عن عدم، وإذا أراد وجود شيء لم يتخلف كونه

عن حال إرادته، فيكون فعله له كالجبر. والله هو القهار لكل شيء، الذي دان وخضع له كل شيء.

وهو يجبر الفقر بالغني، وهو جابر كل كسير وفقير، وهو جابر دينه الذي ارتضاه. وهو سبحانه يجبر المصاب بتوفيقه للثبات والصبر، ويعيضه على مصابه أعظم الأجر، ويجبر جبراً خاصاً قلوب الخاضعين لعظمته وجلاله، وقلوب المحبين بما يفيض عليهم من أنواع كراماته، وهذا الجبر في حقيقته إصلاح للعبد، ودفع لجميع المكاره عنه.

فالجبار بمعنى العلي الأعلى، وبمعنى القهار، وبمعنى الرؤوف الجابر القلوب المنكسرة وللضعيف العاجز لمن لاذ به ولجأ إليه.

عباد الله:

ومن آثار الإيمان باسمه الجبار: أن يستسلم المسلم ويرضى لقضاء الله تعالى فلا يجزع ولا يتسخط، وأن يعلم أن الله تعالى هو المُشرع، هو الذي خلق الخلق وأنزل الكتب وأرسل الرسل ليطاع وحده لا شريك له.

والمسلم يثق بربه الجبار ثقة كاملة تامة، فهو يأوي إلى ركن شديد، وأنه يلجأ إلى رب جواد كريم، نواصي الخلق بيده، وأنه لو اجتمعت عليه الأمة على أن ينفعوه بشيء لن ينفعوه إلا بشيء قد كتبه الله له، ولو اجتمعوا على أن يضروه بشيء لم يضروه إلا بشيء قد كتبه الله عليه.

ومن الآثار العظيمة أن يكون المرء جابراً مواسياً من حوله من الضعفاء والمساكين وذوي الحاجات.

هذا وصلوا...

١٧ الخطبة الأولى[1]

الحمد لله، البر الرحيم، الجواد الكريم، جاد علينا بنعمه، وأكرمنا بكرمه، أحمده وأشكره، وأثني عليه ولا أكفره، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن نبينا محمداً عبده ورسوله، صلى الله وسلم وبارك عليه، وعلى آله وصحبه والتابعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

فاتقوا الله - عباد الله - وتوبوا إليه ﴿وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ [هود: ٣].

عباد الله:

أسماء الله كلها حسنى، لا تدخل تحت حصرٍ؛ ولا تحد بعددٍ، فإن لله تعالى أسماء وصفات استأثر بها في علم الغيب عنده لا يعلمها ملكٌ مقربٌ ولا نبيٌ مرسلٌ، كما في الحديث الصحيح: «**أسالك بكلِّ اسم هو لك، سميت به نفسك، أو أنزلته في كتابك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك**».

فجعل أسماءه ثلاثة أقسام:

قسم: سمى به نفسه؛ فأظهره لمن شاء من ملائكته أو غيرهم، ولم ينزل به كتابه.

---

(١) اسم (الجواد).

وقسم: أنزل به كتابه؛ فتعرف به إلى عباده.

وقسم: استأثر به في علم غيبه؛ فلم يُطلع عليه أحداً من خلقه، ولهذا قال: «**استأثرت به**» أي: انفردت بعلمه.

وليس المراد انفرداه بالتسمي به، لأن هذا الانفراد ثابتٌ في الأسماء التي انزل الله بها كتابه.

ومن هذا قول النبي ﷺ في حديث الشفاعة: «**فيفتح عليَّ من محامده بما لا أحسنه الآن**» [رواه البخاري]. وتلك المحامد هي بأسمائه وصفاته.

ومنه قوله ﷺ: «**لا أحصي ثناءً عليك؛ أنت كما أثنيت على نفسك**» [رواه مسلم].

عباد الله:

(الجواد) من أسماء الله الحسنى، والجواد: كثير العطاء، الذي يجودُ على عباده بأعظم أنواع الجود.

فَمِنْ جُوُدِهِ سبحانه: حلمه على العاصين، وستره على المخالفين.

ومِنْ جُوُدِهِ سبحانه: أنه لا يخلو مخلوق من إحسانه طرفة عين.

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: (وقال أهل العلم: الجواد في كلام العرب معناه: الكثير العطاء؛ يقال: منه جاد الرجل يجود جوداً فهو جواد. قال أبو عمر بن العلاء: الجواد: الكريم... وتسمية الرب سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ جواداً، وإن كان قد قيل هو بمعنى كونه كريماً فالاسم الكريم يتناول معاني الجود، فإن فيه معنى الشرف والسؤدد ومعنى الحلم وفيه معنى الإحسان).

واسمه تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ (الجواد) جاء ذكره في الحديث القدسي، حديث أبي ذرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**يقول الله تعالى: يا عبادي كلكم ضالٌّ إلا من هديته..**» الحديث.

وفي آخره عند الترمذي وابن ماجة: «**ذلك بأنّي جوادٌ ماجد أفعل ما أريد، عطائي كلام وعذابي كلام، إنما أمري لشيء إذا أردته أن أقول له كنْ فيكون**».

وكذلك ورد في حديث أنس بن مالك ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنَّ الله ﷻ جوادٌ كريم، يستحي من العبد المسلم أن يمد يديه إليه ثم يقبضهما من قبل أن يجعل فيهما ما سأله**».

وفي حديث طلحة بن عبيد الله بن كريز مرسلا قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله جوادٌ يحب الجود، ويحب معالي الأخلاق، ويكرّهُ سَفسَافَها**» رواه ابو عبيد في (فضائل القرآن)، والبيهقي في (شعب الإيمان) وغيرهما.

و(الجواد) هو: الكثير العطايا.

فالله هو الجواد المطلق الذي عمّ بجوده جميع الكائنات، وملأها من فضله وكرمه ونعمه المتنوعة، وخصّ بجوده السائلين بلسان المقال أو الحال من برَّ وفاجر، ومسلم وكافر، حسبما تقتضيه حكمته سبحانه، وهو أجود الأجودين، والجود كله له، وأحب ما إليه أن يجود على عباده ويوسعهم فضلاً ويغمرهم إحسانًا وجوداً.

ومن جوده الواسع: ما أعد لأوليائه في دار النعيم مما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، ومن جوده سبحانه حلمه على العاصين، وستره على المخالفين، وصبره على المحاربين له ولرسله، وعفوه عن الذنوب، وجوده سبحانه لا يخلو منه مخلوق، ويتفاوت العباد في إفاضة الجود عليهم بحسب مامنّ به عليهم من الأسباب المتقضية لجوده وكرمه.

وهو سبحانه المتصف بالجود: وهو كثرة الفضل والإحسان، وجوده تعالى أيضًا نوعان:

النوع الأول: **جودٌ مطلق** عمَّ جميع الكائنات وملأها من فضله وكرمه ونعمه المتنوعة.

النوع الثاني: **جودٌ خاص** بالسائلين بلسان المقال أو لسان الحال من برٍّ وفاجرٍ، ومسلم وكافر، فمن سأل الله أعطاه سؤله وأناله ما طلب، فإنه البرّ الرحيم: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ﴾ [النحل: ٥٣].

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ في نونيته:

وهو الجواد فجوده عم الوجود ... جميعه بالفضل والإحسان
وهو الجواد فلا يُخيِّب سائلاً ... ولو أنه من أمة الكفران

وتحدث رَحِمَهُ اللَّهُ عن آثار جوده سبحانه فقال: (إن الربَّ: هو القادر الخالق البارئ المصور؛ الحي القيوم؛ العليم السميع البصير؛ المحسن المنعم(الجواد)؛ المعطي المانع؛ الضار النافع؛ المقدم المؤخر الذي يُضلُّ من يشاء ويهدي من يشاء؛ ويُسعد من يشاء ويُشقي من يشاء؛ ويُعِزُّ من يشاء ويُذِلُّ من يشاء؛ إلى غير ذلك من معاني ربوبيته التي له منها ما يستحقه من الأسماء الحسنى).

كما قرَّر رَحِمَهُ اللَّهُ معنى هذا الاسم؛ وبيَّن أنَّ الله تعالى هو الجواد لذاته بقوله: (إنه يُحِبُّ الإحسان والجود والعطاء والبرَّ، وإن الفضل كلَّه بيده؛ والخير كلَّه منه؛ والجود كلَّه له. وأحبُّ ما إليه: أن يجود على عباده ويُوسِعهم فضلاً،

ويغمره إحسانًا وجوداً، ويتم عليهم نعمته، ويضاعف لديهم منته، ويتعرف إليه بأوصافه وأسمائه، ويتحبب إليه بنعمه وآلائه، فهو الجواد لذاته، وجود كل جواد خلقه الله، ويخلقه أبداً أقل من ذرة بالقياس إلى جوده. فليس الجواد على الإطلاق إلا هو، وجود كل جواد فَمِنْ جوده. ومحبته للجود والإعطاء والإحسان، والبر والإنعام والإفضال فوق ما يخطر ببال الخلق، أو يدور في أوهامهم.

ولو أن أهل سماواته وأرضه، وأول خلقه وآخرهم، وإنسهم وجنهم، ورطبهم ويابسهم قاموا في صعيد واحد فسألوه فأعطى كل واحد ما سأله: ما نقص ذلك مما عنده مثقال ذرة.

وهو الجواد لذاته، كما أنه الحي لذاته، العليم لذاته، السميع البصير لذاته. فجوده العالي من لوازم ذاته، والعفو أحب إليه من الانتقام، والرحمة أحب إليه من العقوبة، والفضل أحب إليه من العدل، والعطاء أحب إليه من المنع.

فإذا تعرض عبده ومحبوبه الذي خلقه لنفسه، وأعد له أنواع كرامته، وفضله على غيره، وجعله محل معرفته، وأنزل إليه كتابه، وأرسل إليه رسوله، واعتنى بأمره ولم يهمله، ولم يتركه سدى؛ فتعرض لغضبه، وارتكب مساخطه وما يكرهه وأبَق منه، ووالى عدوه وظاهَره عليه، وتحيز إليه، وقطع العقوبة والغضب والانتقام، فقد استدعى من الجواد الكريم خلاف ما هو موصوف به من الجود، والإحسان، والبر، وتعرض لإغضابه وإسخاطه وانتقامه، وأن يصير غضبه وسخطه في موضع رضاه، وانتقامه وعقوبته في موضع كرمه وبره وعطائه. فاستدعى بمعصيته من أفعاله ما سواه أحب إليه منه، وخلاف ما هو من لوازم ذاته من الجود والإحسان).

وقال السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ: (والجواد الذي عم بجوده أهل السماء، والأرض، فما بالعباد من نعمة فمنه، وهو الذي إذا مسهم الضر فإليه يرجعون، وبه يتضرعون، فلا يخلو مخلوق من إحسانه طرفة عين، ولكن يتفاوت العباد في أفاضة الجود عليه بحسب ما منّ الله به عليهم من الأسباب المقتضية لجوده وكرمه، وأعظمها تكميل عبودية الله الظاهرة، والباطنة العلمية، والعملية القولية، والفعلية، والمالية، وتحقيقها باتباع محمد ﷺ بالحركات والسكنات).

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: (وأخبر في عهده أنَّه أجود الأجودين، وأكرم الأكرمين، وأرحم، الرّاحمين، وأنه سبقت رحمتُه غضبَه، وحلمُه عقوبتَه، وعفوُهُ مؤاخذَتَه، وأنه قد أفاض على خلقه النعمة، وكتب على نفسه الرحمة، وأنه يحب الإحسان والجود والعطاء والبر، وأنَّ الفضل كلَّه بيده، والخيرَ كلَّه منه، والجودَ كلَّه له، وأحبّ ما إليه أن يجود على عباده ويُوسعهم فضلاً، ويغمرهم إحساناً وجوداً، ويتمّ عليهم نعمته، ويضاعف لديهم منَّته، ويتعرّف إليه بأوصافه وأسمائه، ويتحبَّب إليهم بنعمه وآلائه.

فهو الجواد لذاته، وجُودُ كلِّ جوادٍ خلَقَه الله ويَخلُقُه أبداً أقلُّ من ذرَّةٍ بالقياس إلى جُودِه، فليس الجواد على الإطلاق إلَّا هو، وَجُودُ كلِّ جوادٍ فَمِنْ جُودِه، ومحبَّتُه للجود والإعطاء والإحسان والبر والإنعام والإفضال فوقَ ما يخطرُ ببالِ الخلق أو يدور في أوهامهم، وهو الجوادُ لذاته، كما أنَّه الحيُّ لذاته، العليم لِذاته، السميع البصير لذاته، فجُودُه العالي من لوازم ذاتِه، والعفوُ أحبُّ إليه من الانتقام، والرحمةُ أحبُّ إليه من العقوبة، والفضلُ أحبُّ إليه مِنَ العدل، والعطاءُ إليه مِنَ المنع).

بارك الله لي ولكم...

الخطبة الثانية

الحمد لله حمداً يكافئ نعمه، له الحمد في الأولى والأخرى، أحمده وأشكره، وأثني عليه الخير كله. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن نبينا محمداً عبده ورسوله، وصفيه وخليله، بلغ الرسالة، وأدى الأمانة، ونصح الأمة، فصلوات ربي وسلامه عليه، وعلى آله وصحبه، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

عباد الله:

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: (وأنه سبحانه يحبُّ من عباده أن يُؤمِّلوه ويَرجُوهُ ويَسألوه من فضله؛ لأنَّه الملك الحقُّ الجواد، أجود من سُئِل، وأوسع من أعطَى، وأحبُّ ما إلى الجواد أن يرجى، ويُؤمَّل ويُسأل، وفي الحديث: «من لم يسأل الله يغضب عليه»).

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ: (ولو لم يكن من تحببه إلى عباده وإحسانه إليهم وبِرِّه بهم إلَّا أنَّه خلق لهم ما في السموات والأرض وما في الدنيا والآخرة، ثمَّ أهَّلَهم وكرمهم، وأرسل إليهم رسله، وأنزل عليهم كتبه، وشرع لهم شرائعه، وأذن لهم في مناجاته كل وقت أرادوا، وكتب لهم بكل حسنة يعملونها عشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة، وكتب لهم بالسيئة واحدة، فإن تابوا منها محاها، ولو لقيه بقراب الأرض خطايا ثم لقيه بالتوحيد لا يشرك به شيئًا لأتاه بقرابها مغفرة، وشرع لهم التوبة الهادمة للذنوب، فوفقهم لفعلها، ثم

قبلها منهم، وشرع لهم الحج الذي يهدم ما قبله، فوفقهم لفعله وكفر عنهم سيئاتهم به، وكذلك ما شرعه لهم من الطاعات والقربات، وهو الذي أمرهم بها، وخلقها لهم، وأعطاهم إياها، ورتب عليها جزاءها، فمنه السبب ومنه الجزاء، ومنه التوفيق، ومنه العطاء أولا وآخرا، وهم محل إحسانه كله منه أولا وآخرا، وأعطى عبده المال وقال: تقرب بهذا إلي أقبله منك، فالعبد له والمال والثواب منه، فهو المعطي أولا وآخرا.

فكيف لا يُحب من هذا شأنه، وكيف لا يستحي العبد أن يصرف شيئًا من محبته إلى غيره، ومن أولى بالحمد والثناء والمحبة منه؟! ومن أولى بالكرم والجود والإحسان منه؟! فسبحانه وبحمده لا إله إلا هو العزيز الحكيم).

عباد الله:

وينبغي للعبد وقد عرف فضل الله وجودَه وعطاءَه وأن العطاء أحبُّ إليه من المنع، والعفوَ أحبُّ إليه من الانتقام؛ أن لا يتعرَّضَ لغضبه سبحانه بفعل مساخطه وارتكاب مناهيه، فإنَّ مَن فَعَل ذلك فقد استدعى من الجواد الكريم خلافَ ما هو موصوف به من الجود والإحسان والبِرّ، وتعرَّض لإغضابه وإسخاطه وانتقامه، وأن يصير غضبُه وسَخَطُه في موضع رضاه، وانتقامُه وعقوبتُه في موضع كرمه وبرِّه وعطائِه، فاستدعى بمعصيته من أفعاله ما سواه أحبُّ إليه منه، وخلاف ما هو من لوازم ذاته من الجود والإحسان.

والمرجُوُّ مِنَ الكريم سبحانه أن يَمُنَّ علينا جميعا بفعل الأسباب المؤدية إلى نيل جودِه وكرَمِه، وأن يُعيذَنا من الأسباب الموصلة إلى سخطه وعقوبته وانتقامه، فالجود جوده، والمنُّ منُّه، والأمر إليه من قبل من بعد لا شريك له.

هذا وصلوا...

(١٨) الخطبة الأولى [(١)]

الحمد لله لا مانع لما أعطى، ولا معطي لما منع، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن نبينا محمداً عبده ورسوله وصفيه وخليله، بلغ الرسالة، وأدى الأمانة، ونصح الأمة، وجاهد في الله حق جهاده حتى أتاه اليقين، فصلوات ربي وسلامه عليه، وعلى آله وصحبه أجمعين، والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

فاتقوا الله حق التقوى، واشكروه على ما أسدى وأعطى. ﴿وَٱتَّقُوا يَوۡمًا تُرۡجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفۡسٍ مَّا كَسَبَتۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٨١].

عباد الله:

ربنا ﷻ يذكر لنا من أوصاف كماله ونعوت جلاله ما يجلب قلوبنا إلى المبادرة إلى دعوته، والمسارعة إلى طاعته، والتنافس في القرب منه، ولزوم ذكره وشكره وحسن عبادته، ويذكر صفاته أيضا عند ترغيبه لنا وترهيبه وتخويفه ليعرف القلوب من تخافه وترجوه، وترغب إليه وترهب منه.

---

(١) اسم (المعطي).

ويذكر صفاته أيضا عند أحكامه وأوامره ونواهيه ليعظِّم العبادُ أمره ويلزموا شرعه، فقلَّ أن تجد آية فيها حكم من أحكام المكلَّفين إلَّا وهي مختتمةٌ بصفة من صفاته أو صفتين، وقد يذكر الصفة في أوَّل الآية ووسطها وآخرها، كقوله: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَـٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ﴾ [المجادلة: ١].

ويذكر صفاته عند سؤال عباده لرسوله عنه، ويذكرها عند سؤالهم له عن أحكامه، وأحكامه كلها قائمة لذكر أسماء الرب وصفاته حتى إن الصلاة لا تنعقد إلَّا بذكر أسمائه وصفاته، فذكر أسمائه وصفاته، رُوحها وسرُّها، يصحبها من أوَّلها إلى آخرها، وإنما أَمر بإقامتها ليُذَّكر بأسمائه وصفاته.

أيها المسلمون:

ومن أسماء الله ﷻ الحسنى، وكلها حسنى، اسم: (المعطي).

واسمه تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ (المعطي) ثابت في صحيح البخاري من حديث معاوية رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَن يرد الله به خيراً يفقهه في الدِّين، والله المعطي وأنا القاسم، ولا تزال هذه الأمّة ظاهرين على من خالفهم حتى يأتي أمر الله وهم ظاهرون**».

و(المعطي): المتفرِّد بالعطاء على الحقيقة، لا مانع لما أعطى، ولا معطي لما منع، عطاءه سبحانه كلام، ومنعه كلام، إنما أمره إذا أراد شيئًا أن يقول له كن فيكون، وكل ما بالعباد من نعمة فهي من منِّه وعطائه سبحانه.

و(المعطي) سبحانه هو الذي أعطى كل شيء خلقه، وتولى أمره ورزقه في الدنيا والآخرة، كما قال تعالى عن موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ وهو يصف عطاء الربوبية: ﴿قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ﴾ [طه: ٥٠].

وقال تعالى عن عطاء الآخرة ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُواْ فَفِى ٱلْجَنَّةِ خَـٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَـٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾ [هود: ١٠٨].

وعطاء الله قد يكون عاماً أو خاصاً، فالعطاء العام يكون للخلائق أجمعين، والعطاء الخاص يكون للأنبياء والمرسلين وصالح المؤمنين.

(والمعطي) وسع عطاؤه العباد كلَّهم، مؤمنَهم وكافرَهم، برَّهم وفاجرَهم، هذا في الدُّنيا، أما يوم القيامة فخص به أولياءه المؤمنين، قال تعالى: ﴿كُلًّا نُّمِدُّ هَـٰٓؤُلَآءِ وَهَـٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ ۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴿٢٠﴾ ٱنظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ وَلَلْـَٔاخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَـٰتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا﴾ [الإسراء: ٢٠ - ٢١].

وقال تعالى: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَـٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ ۚ قُلْ هِىَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْـَٔايَـٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٢].

وقال ﷺ فيما يرويه عن ربّه: «يَا عِبَادِي، لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ، قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ فَسَأَلُونِي، فَأَعْطَيْتُ كُلَّ إِنْسَانٍ مَسْأَلَتَهُ، مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدِي، إِلَّا كَمَا يَنْقُصُ الْمِخْيَطُ إِذَا أُدْخِلَ الْبَحْرَ»، تحقيق لأن ما عنده لا ينقص البتَّة، كما قال تعالى: ﴿مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ ۖ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ﴾ [النحل: ٩٦]، فإن البحر إذا غُمس فيه إبرة ثم أُخْرِجت لم ينقص من البحر بذلك شيء، وكذا لو فرض أنه شرب منه عصفور مثلاً فإنه لا نقص البحر البتَّة.

فجميع الخلق راتعون في عطائه وفضله، ﴿كُلًّا نُّمِدُّ هَـٰٓؤُلَآءِ وَهَـٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ ۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا﴾ [الإسراء: ٢٠] أي لا يمنعه أحد ولا يرده رادّ ﴿ٱنظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ [الإسراء: ٢١].

فَضَّل سبحانه بعضهم في الدنيا بسعة الأرزاق وقلتها، والعسر واليسر، والعلم والجهل، والعقل والسفه، وغير ذلك من الأمور التي فضّل الله العباد بعضهم على بعض بها، ﴿وَلَلْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا﴾ [الإسراء: ٢١]، أي وتفاوتهم في الدار الآخرة أكبر من الدنيا، فإنَّ منهم مَنْ يكون في الدَرَكَات في جهنم وسلاسلاً وأغلالاً، ومنهم من يكون في الدرجات العليا ونعيمها وسرورها، ثم أهلُ الدركات يتفاوتون فيما هم فيه كما أن أهل الجنة يتفاوتون، فإنَّ الجنة مائة درجة، ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض.

عباد الله:

وإذا بارك الله فيما أعطى حصل الخير، فالبركة: قدرٌ زائدٌ على العطاء: وهي دوام الخير وكثرته، ولا خير أدوم من خير الله سبحانه، والتقوى سبب لها ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ [الأعراف: ٩٦]، فكم يعطي الله القليل من المال والعلم والجاه والولد لعباده المتقين، وفي عطائه الخيرات والبركات، وكم يعطي سبحانه الكثير من المال والعلم والجاه والولد للعصاة، وليس في عطائه البركة.

عباد الله:

لم يرد (المعطي) في القرآن بلفظ الاسم، وجاء بلفظ الفعل في قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾ [الكوثر: ١]. ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ﴾ [الضحى: ٥].

ولم يرد المنع وصفاً ولا فعلاً لله تعالى في القرآن. جاء اسم (المعطي) في حديث معاوية رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين، والله المعطي وأنا القاسم**» [رواه البخاري].

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ فيما يتضمنه قوله ﷺ: «**اللَّهم لا مانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت**» من معانٍ: (لما كان المقصود بهذا تفرد الرب سبحانه بالعطاء والمنع لم يكن لذكر الْمعطَى ولا لحظ الْمعطي معنى، بل المقصود أن حقيقة العطاء والمنع إليك لا إلى غيرك، بل أنت المتفرد بها لا يشركك فيها أحد).

وإن ما يتضمنه اسم الجلالة (الْمعطي): أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لا يتبرم بعطائه بل إنه سبحانه يحب أن يجود على عباده ويحسن إليهم، بل محبته للجود والإعطاء والإحسان، والبر والإنعام والإفضال فوق ما يخطر ببال الخلق، أو يدور في أوهامهم.

إذ هذا شأن الجواد من الخلق؛ ولو أن أهل سماواته وأرضه، وأول خلقه وآخره، وإنسهم وجنهم، ورطبهم ويابسهم قاموا في صعيد واحد فسألوه فأعطى كل واحد ما سأله: ما نقص ذلك مما عنده مثقال ذرة.

وهو الجواد لذاته، كما أنه الحي لذاته، والعليم لذاته، السميع البصير لذاته.

فجوده العالي من لوازم ذاته، والعفو أحب إليه من الانتقام، والرحمة أحب إليه من العقوبة، والفضل أحب إليه من العدل، والعطاء أحب إليه من المنع.

والله سبحانه هو المعطي على الحقيقة، لا مانع لما أعطى ولا معطي لما منع، وعطاؤه سبحانه واسع ليس له حدود ولا قيود، يعطي عباده في الدنيا كافرهم ومؤمنهم، أما في الآخرة فإن عطاءه وفضله لا يكون إلا للمؤمنين به فحسب، قال الله تعالى: ﴿كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ ۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ۝٢٠ ٱنظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ وَلَلْءَاخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَٰتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا﴾ [الإسراء: ٢٠ – ٢١].

وعطـــاؤه سـبحانه واسـع يشـمل كـل العطايـا والهبـات وأعظمهـا عطيـة الإيمان والهداية.

فالله سبحانه هو الذي يعطي من استحق العطاء، ويمنع مـن لـم يسـتحق إلا المنع، ويعطي من يشاء، ويمنـع مـن يشـاء، وهـو العـادل في جميـع ذلـك، فـإذا أعطى فتفضل وإصـلاح، وإذا منـع فحكمـة وصـلاح، لا مـانع لمـا أعطـى ولا معطي لما منع.

وفُسّر المانع بأنه يمنع أهل دينه. أي يحوطهم وينصرهم، ولا منعة لمن لم يمنعه الله، وقيل: يمنع من يريد من خلقه ما يريد، ويعطيه ما يريد، وليس منعـه سبحانه الشيء بخلاً به، لكن منعه حكمة، وعطاءه جود ورحمة.

اللهم أعطنا ولا تحرمنا، وزدنا ولا تنقصنا، وبارك لنا فيما أعطيتنا.

بارك الله لي ولكم...

الخطبة الثانية

الحمد لله جزيل العطايا، واسع الهبات، رب الأرض والسموات، أحمده وأشكره، وأصلي وأسلم على عبده ورسوله، صلى الله وسلم وبارك عليه، وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

عباد الله:

(والمعطي) سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى هو المتفرِّد بالعطاء على الحقيقة، لا مانع لما أعطى، ولا معطي لما منع، عطاؤه سبحانه كلام، ومنعه كلام، إنما أمره إذا أراد شيئا يقول له كن فيكون، وكل ما بالعباد من نعمة فهي من منِّه وعطائه سبحانه، وسع عطاؤه العباد كلَّهم، مؤمنَهم وكافرَهم، برَّهم وفاجرَهم، هذا في الدُّنيا، أما يوم القيامة فخص به أولياءه المؤمنين، قال تعالى: ﴿كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ ۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴿٢٠﴾ ٱنظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ وَلَلْءَاخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَٰتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا﴾ [الإسراء: ٢٠ - ٢١].

وقال تعالى: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ ۚ قُلْ هِىَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٢].

ومن آثار اسمه تعالى (المعطي):

أولاً: محبته سبحانه وحمده والثناء عليه وشكره على ما له من العطايا المتنوعة في الدين والدنيا والتي لا تعد ولا تحصى، والشكر على ذلك يستلزم العمل بطاعته سبحانه واجتناب محارمه وتعظيم أوامره ونواهيه.

ثانياً: سؤاله سبحانه وحده والتعلق به في جلب المنافع والمصالح، ودفع المضار، إذ إن المخلوق الضعيف لا يملك من ذلك شيئاً إلا أن يأذن الله ﷻ ويجعله سبباً في العطية، والحرص في سؤال الله ﷻ على العطية العظيمة التي لا تبيد ولا تفنى ألا وهي الجنة ونعيمها ورؤية الله ﷻ قال الله تعالى: ﴿كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنۡ عَطَآءِ رَبِّكَۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحۡظُورًا ٢٠ ٱنظُرۡ كَيۡفَ فَضَّلۡنَا بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۚ وَلَلۡأٓخِرَةُ أَكۡبَرُ دَرَجَٰتٖ وَأَكۡبَرُ تَفۡضِيلٗا﴾ [الإسراء: ٢٠ - ٢١].

ثالثاً: السخاء بما في اليد وإعطاؤه لمستحقيه من الفقراء والمحتاجين، لأن المال مال الله ﷻ وهو المعطي على الحقيقة، فمن شكر الله ﷻ في نعمة المال؛ والجود به وإعطائه لمستحقيه، قال الله ﷻ: ﴿وَأَنفِقُواْ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسۡتَخۡلَفِينَ فِيهِۖ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَأَنفَقُواْ لَهُمۡ أَجۡرٞ كَبِيرٞ﴾ [الحديد: ٧].

رابعاً: كما أن من آثار اسمه سبحانه (المعطي) عدم المن بالعطية لأنها من الله ﷻ: ﴿وَرَفَعَ بَعۡضَكُمۡ فَوۡقَ بَعۡضٖ دَرَجَٰتٖ لِّيَبۡلُوَكُمۡ فِي مَآ ءَاتَىٰكُمۡۗ﴾ [الأنعام: ١٦٥].

وعلى المسلم السعي في طلب الرزق وطلب البركة فيه، والتضرع إلى الله ﷻ في طلب الخير.

خامساً: اليقين بتفرد الله سبحانه بالعطاء على الحقيقة، وطلب جميع حوائج الدنيا والآخرة منه وحده سبحانه.

اللهم أعطنا ولا تحرمنا، وزدنا ولا تنقصنا، وبارك لنا فيما أعطيتنا، واجعله عوناً على طاعتك، ومقرباً إلى جنتك.

هذا وصلوا...

❁ ❁ ❁

١٩ الخطبة الأولى (١)

الحمد لله الجميل، واهب الجمال، سبحانه جميل بذاته، وأسمائه وصفاته وأفعاله، أحمده حمداً يليق بجلاله وجماله وعظيم سلطانه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له في أسمائه وصفاته، وأشهد أن نبينا محمداً عبده ورسوله، أرسله الله بالآيات البينات والحجج الواضحات، صلى الله وسلم وبارك عليه، وعلى آله وأصحابه، والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

فاتقوا الله – عباد الله – وتجملوا بالتقوى ﴿وَٱتَّقُواْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٨١].

عباد الله:

من أسماء الله ﷻ اسم (الجميل) ولم يرد هذا الاسم الكريم في القرآن، وإنما ورد في الحديث النبوي، وذلك فيما رواه مسلم في صحيحه عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر**»، قال رجل: عن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسناً ونعله حسناً قال: «**إن الله جميل يحب الجمال، الكبر بطر الحق وغمط الناس**».

---

(١) اسم (الجميل).

والجمال: الحسن في الخلقة والخُلق، والجمال: مصدر الجميل، والفعل: جَمُل.

وقوله ﷻ: ﴿وَلَكُمۡ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسۡرَحُونَ﴾ [النحل: ٦]، أي: بهاء وحسن.

قال ابن سيده: (الجمال: الحُسن ويكون في الفعل والخلق، وقد جُمل الرجل بالضم جمالاً فهو جميل وجُمَال وجُمَّال).

وهذا الاسم الكريم يدلُّ على ثبوت الجمال لله سبحانه في أسمائه وصفاته وفي ذاته وأفعاله، قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وجماله سبحانه على أربع مراتب: جمال الذّات، وجمال الصفات، وجمال الأفعال، وجمال الأسماء، فأسماؤه كلُّها حسنى، وصفاته كلّها صفات كمال، وأفعاله كلها حكمة ومصلحة وعدل ورحمة، وأما جمال الذات وما هو عليه فأمرٌ لا يدركه سواه، ولا يعلمه غيرُه، وليس عند المخلوقين منه إلّا تعريفات تعرَّف بها إلى مَن أكرمه من عباده، فإن ذلك الجمال مَصونٌ عن الأغيار، محجوبٌ بستر الرِّداء والإزار، كما قال رسوله ﷺ فيما يحكى عنه: «**الكبرياء ردائي، والعظمة إزاري...**» [رواه أحمد].

ولولا حجاب النور على وجهه لأحرقت سُبُحات وجهه سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ ما انتهى إليه بصره من خلقه، كما في صحيح البخاري من حديث أبي موسى رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ قال: قام فينا رسول الله ﷺ بخمس كلمات فقال: «**إنَّ اللهَ لا ينام، ولا ينبغي له أن ينام، يَخْفِضُ القِسْطَ ويَرْفَعُهُ، يُرْفَعُ إليه عملُ الليل قبل عمل النهار، وعملُ النهار قبل عمل الليل، حِجَابُه النور، لو كشفه لأحرقتْ سُبُحاتُ وجهه ما انتهى إليه بَصَرُهُ مِن خَلْقِهِ**».

و(**الجميل**): من الجَمَال وهو الحُسن الكثير، فهو سبحانه الجميل بذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله.

ربنا (الجميل) بذاته: فهو سبحانه واهب الجمال، وواهب الجمال لا بد أن يكون جميلاً، ولا يمكن لمخلوق أن يعبر عن بعض جمال ذاته، حتى أنَّ أهل الجنة مع ما هم فيه من النعيم المقيم واللذات السرور التي لا يُقدَّر قدرها إذا رأوا ربهم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، نسوا ما هم في من النعيم، وتلاشى ما هم فيه من الأفراح، قال ﷺ: «**إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ، قَالَ: يَقُولُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: تُرِيدُونَ شَيْئًا أَزِيدُكُمْ؟ فَيَقُولُونَ: أَلَمْ تُبَيِّضْ وُجُوهَنَا، أَلَمْ تُدْخِلْنَا الْجَنَّةَ، وَتُنَجِّنَا مِنَ النَّارِ؟ قَالَ: فَيَكْشِفُ الْحِجَابَ، فَمَا أُعْطُوا شَيْئًا أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنَ النَّظَرِ إِلَى رَبِّهِمْ عَزَّ وَجَلَّ**» [رواه مسلم].

ويعلق ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ على قوله ﷺ: «**إن الله جميل...**» الحديث، فيقول: (والمقصود أن هذا الحديث الشريف مشتمل بالجمال الذي لا ماثله فيه شيء، ويعبد بالجمال الذي يحبه من الأقوال والأعمال والأخلاق، فيحب من عبده أن يجمل لسانه بالصدق، وقلبه بالإخلاص والمحبة والإنابة والتوكل، وجوارحه بالطاعة، وبدنه بإظهار نعمه عليه في لباسه وتطهيره له من الأنجاس والأحداث والأوساخ، والشعور المكروهة، والختان، وتقليم الأظافر، فيعرفه بصفات الجمال ويتعرّف إليه بالأفعال والأقوال والأخلاق الجميلة فيعرفه بالجمال الذي هو وصفه ويعبده بالجمال الذي هو شرعه ودينه).

قال النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وقوله ﷺ: «**إن الله جميل يحب الجمال**» اختلفوا في معناه، فقيل: إن معناه: أن كل أمره سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى حسن جميل، وله الأسماء الحسنى، وصفات الجمال والكمال».

وقال القشيري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (معناه جليل، وحكى الإمام أبوسليمان أنه بمعنى: ذو النور والبهجة؛ أي: مالكهما).

وقيل معناه: جميل الأفعال بكم باللطف والنظر إليكم، يكلفكم اليسير من العمل ويعين عليه، ويثيب عليه الجزيل ويشكر عليه.

وقال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في شرحه لأبيات ابن القيم في نونيته: (الجميل من له نعوت الحسن والإحسان، فإنه جميل في ذاته، وأسمائه، وصفاته، وأفعاله، فلا يمكن لمخلوق أن يعبر عن بعض جمال ذاته، حتى أن أهل الجنة مع ما هم فيه من ا لنعيم المقيم، واللذات، والسرور، والأفراح التي لا يقدر قدرها إذا رأوا ربهم، وتمتعوا بجماله نسوا ما هم فيه من النعيم، وتلاشى ما هم فيه من الأفراح، وودّوا أن لو تدوم هذه الحال، ليكتسبوا من جماله، ونوره جمالاً إلى جمالهم، وكانت قلوبهم في شوق دائم ونزوع إلى رؤية ربهم، ويفرحون بيوم المزيد فرحًا تكاد تطير له القلوب).

وكذلك هو جميل في أسمائه، فإنها كلها حسنى، بل أحسن الأسماء على الإطلاق وأجملها، قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠]، وقال تعالى: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا﴾ [مريم: ٦٥]، فكلها دالة على غاية الحمد، والمجد، والكمال، لا يسمى باسم منقسم إلى كمال وغيره.

وكذلك هو الجميل في أوصافه؛ فإن أوصافه كلها أوصاف كمال، ونعوت ثناء وحمد، فهي أوسع الصفات، وأعمّها، وأكثرها تعلقًا، خصوصًا أوصاف الرحمة، والبر، والكرم، والجود.

وكذلك أفعاله كلها جميلة فإنها دائرة بين أفعال البر والإحسان التي يحمد عليها ويثنى عليها ويشكر، وبين أفعال العدل التي يحمد عليها لموافقتها للحكمة والحمد، فليس في أفعاله عبث ولا سفه، ولا سدى ولا ظلم، كلها خير وهدى ورحمة ورشد وعدل: ﴿إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُم ۚ مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذٌۢ بِنَاصِيَتِهَآ ۚ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [هود: ٥٦].

فلكماله الذي لا يحصي أحد عليه به ثناء كملت أفعاله كلها، فصارت أحكامه من أحسن الأحكام، وصنعه وخلقه أحسن خلق وصنع، وأتقن ما صنعه: ﴿صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ﴾ [النمل: ٨٨].

وأحسن ما خلق: ﴿ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ۖ﴾ [السجدة: ٧]، ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [المائدة: ٥٠].

وهو سبحانه (الجميل)؛ الذي لا أجمل منه، بل لو كان جمال الخلق كلِّهم على رجلٍ واحدٍ منهم؛ وكانوا جميعهم بذلك الجمال: لما كان لجمالهم قطُّ نسبة إلى جمال الله؛ بل كانت النسبة أقلَّ من نسبة سراجٍ ضعيف إلى حذاء جرم الشمس: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ ۚ﴾ [النحل: ٦٠].

عباد الله:

(الجميل) من أسمائه الحسنى ومن أحقُّ بالجمال ممَّنْ كُلُّ جمال في الوجود فهو من آثار صنعه؟ فله جمال الذات؛ وجمال الأوصاف؛ وجمال الأفعال؛ وجمال الأسماء، فأسماؤه كلُّها حسنى؛ وصفاته كلُّها كمالٌ؛ وأفعاله كلُّها جميلةٌ.

فلا يستطيع بشرٌ النظرَ إلى جلاله وجماله في هذه الدار، فإذا رأوه سبحانه في جنات عدن: أنْسَتْهُم رؤيته ما هم فيه من النعيم، فلا يلتفتون حينئذ إلى شيءٍ غيره).

ومن الجمال الذي يحبّه الله: - قال ابن القيم تعليقاً على حديث أبي الأحوص الجشمي الذي قال فيه: رآني النبي ﷺ في ثوبٍ دونٍ، فقال: «**ألك مال**»؟ قلت: نعم، قال: «**من أي المال**» قلت: قدآتاني الله من الإبل والغنم والخيل والرقيق، فقال ﷺ «**فإذا آتاك الله مالاً فلير أثر نعمة اله عليك وكرامته**».

فهو سبحانه يحب ظهور أثر نعمته على عبده، فإنه من الجمال الذي يحبه، وذلك من شكره على نعمه، وهو جمال باطن، فيُحب أنْ يرى على عبده الجمال الظاهر بالنعمة، والجمال الباطن بالشكر عليها، ولمحبته سبحانه للجمال أنزل على عباده لباساً وزينة تُجّمل ظواهرهم، وتقوى تجمل بواطنهم، فقال: ﴿يَـٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ لِبَاسٗا يُوَٰرِي سَوۡءَٰتِكُمۡ وَرِيشٗاۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقۡوَىٰ ذَٰلِكَ خَيۡرٞۚ ذَٰلِكَ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ لَعَلَّهُمۡ يَذَّكَّرُونَ﴾ [الأعراف: ٢٦].

وقال في أهل الجنة ﴿وَلَقَّىٰهُمۡ نَضۡرَةٗ وَسُرُورٗا ۝ وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُواْ جَنَّةٗ وَحَرِيرٗا﴾ [الإنسان: ١١ - ١٢]. فجمّل وجوههم بالنضرة، وباطنهم بالسرور، وأبدانهم بالحرير.

وهو سبحانه كما يحب الجمال في الأقوال والأفعال واللباس والهيئة، يبغض القبيح من الأقوال والأفعال واللباس والهيئة، فيبغض القبيح وأهله ويحب الجمال وأهله.

ويدخل فيه بطريق العموم الجمال من كل شيء، وفي الصحيح: «**إن الله طيب لا يقبل إلا طيبًا**».

ولمحبته تعالى للجمال أنزل على عباده لباسًا وزينة تُجمل ظواهرهم، وتقوى تجمل بواطنهم، فقال: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ لِبَاسٗا يُوَٰرِي سَوۡءَٰتِكُمۡ وَرِيشٗاۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقۡوَىٰ ذَٰلِكَ خَيۡرٞۚ﴾ [الأعراف: ٢٦] وقال في أهل الجنة: ﴿فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمِ وَلَقَّىٰهُمۡ نَضۡرَةٗ وَسُرُورٗا ١١ وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُواْ جَنَّةٗ وَحَرِيرٗا﴾ [الإنسان: ١١ - ١٢].

وقد أمر الله تعالى عبادة بملازمة كل خلق جميل، وأوصى نبيه ﷺ وأمته بذلك في آيات عديدة: فقال سبحانه: ﴿فَٱصۡبِرۡ صَبۡرٗا جَمِيلاً﴾ [المعارج: ٥] أي صبراً لا شكوى فيه لأحد غير الله تعالى. وقوله تعالى: ﴿فَٱصۡفَحِ ٱلصَّفۡحَ ٱلۡجَمِيلَ﴾ [الحجر: ٨٥].

والله ﷻ يحب التجمل في غير إسراف ولا مخيلة، ولا بطر ولا كبر، كماجاء في الحديث «**إن الله جميل يحب الجمال**».

بارك الله لي ولكم..

الخطـــبـة الثـــانيـــة

الحمد لله، ربنا جميل يحب الجمال، ويثيب على الأخلاق والأفعال الجميلة، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن نبينا محمداً عبده ورسوله، وصفيه وخليله، صلى الله وسلم وبارك عليه، وعلى آله وصحبه والتابعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

فإن من آثار الإيمان باسمه سبحانه (الجميل):

أولاً: إثبات صفة الجمال له سبحانه على الوجه اللائق به ﷻ على الحقيقة بلا كيف ولا تمثيل، جمال الذات والصفات والأسماء والأفعال، قال سبحانه: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

قال القاضي أبو يعلى الفراء رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (اعلم أنه غير ممتنع وصفه وتعالى بالجمال وأن ذلك صفةٌ راجعة إلى الذات، لأنَّ الجمال في معنى الحُسْن.

ثانياً: محبته سُبْحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ لما له من كمال الجمال في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله، وما يرى من جمال في خلق الله ﷻ هو من جماله سبحانه، فحقيق بمن هذا وصفه أن يُحب لذاته فليس في أسمائه، ولا في صفاته، ولا في أفعاله صفة نقص وذم، بل هي جميلة وحسنى وطيبة وخير كلها. وهذا يفضي إلى أن يمتلئ القلب محبة لله وشوقاً إلى لقائه، ومحبة ما يحبه الله ﷻ من جمال المظهر والمخبر.

ثالثًا: الرضا بما يقدر الله ﷻ ويقضيه من المصائب والمكدرات، لأنه سبحانه لا يفعل إلا ما فيه الحكمة والخير لعبده المؤمن لأن كل أفعاله جميلة وما ينشأ من الفعل الجميل إلا جميل، وهذا يثمر في قلب المؤمن الطمأنينة إلى أقدار الله ﷻ المؤلمة، وحسن الظن بالله تعالى وذلك بعد الأخذ بالأسباب الشرعية لمدافعة ما يمكن مدافعته.

رابعًا: الشوق إلى رؤية الله ﷻ الذي له الجمال كله، والاستعداد بالعمل الصالح المقرب إلى جنته، والتنعم بأعظم نعيم في الجنة ألا وهو رؤية الله ﷻ، وقد كان الرسول ﷺ يكثر أن يقول في دعائه: «**وأسألك لذة النظر إلى وجهك الكريم الشوق إلى لقائك في غير ضراء مضرة ولا فتنة مضلة**»، وحرى بالمسلم أن يتأسى بالرسول ﷺ في هذا الدعاء.

خامسًا: في قوله ﷺ: «**إن الله جميل يحب الجمال**» حث على التجميل والنظافة، وهذا التجمل يشمل جمال الظاهر في الجسد واللباس من غير إسراف، كما يشمل جمال الأخلاق، وجمال الباطن في القلب وما ينطوي عليه من الأعمال القلبية الجميلة كالإخلاص والمحبة وسلامته من كل ما يدنسه ويكدره.

وربنا سبحانه يحب ظهور أثر نعمته على عبده، فإنَّه من الجمال الذي يحبه، وذلك من شكره على نعمه، وهو جمال باطن، فيُحب أنْ يرى على عبده الجمال الظاهر بالنعمة، والجمال الباطن بالشكر عليه، ولمحبته سبحانه للجمال أنزل على عباده لباسًا وزينة تُجّمل ظواهرهم، وتقوى تُجمل بواطنهم، فقال: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ لِبَاسٗا يُوَٰرِي سَوۡءَٰتِكُمۡ وَرِيشٗاۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقۡوَىٰ ذَٰلِكَ خَيۡرٞۚ ذَٰلِكَ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ لَعَلَّهُمۡ يَذَّكَّرُونَ﴾ [الأعراف: ٢٦].

وقال في أهل الجنة ﴿وَلَقَّىٰهُمۡ نَضۡرَةٗ وَسُرُورٗا ۝١١ وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُواْ جَنَّةٗ وَحَرِيرٗا﴾ [الإنسان: ١١ - ١٢]. فجمّل وجوههم بالنضرة، وبواطنهم بالسرور، وأبدانهم بالحرير.

وهو سبحانه كما يحب الجمال في الأقوال والأفعال واللباس والهيئة، يبغض القبيح من الأقوال والأفعال واللباس والهيئة، فيبغض القبيح وأهله ويحب الجمال وأهله.

هذا وصلوا...

٢٠ الخطبة الأولى [١]

الحمد لله الحافظ الحفيظ، يحفظ عباده من المهالك والمعاطب، ويحفظ أولياءه من شر الشياطين، وعن مواقعه الذنوب. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن نبينا محمداً عبده ورسوله، ومصطفاه وخليله، صلى الله وسلم وبارك عليه، وعلى آله وأصحابه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

فإن الوصية المبذولة من رب العالمين؛ التزام التقوى: ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ وَإِن تَكْفُرُوا۟ فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا﴾ [النساء: ١٣١].

عباد الله:

إنَّ مشهدَ الإلهية هو مشهدُ الرسل وأتباعهم الحنفاء، وهو شهادةُ أن لا إله إلاّ هو، وأن إلهيةَ ما سواه باطلٌ ومحال، كما أنَّ ربوبيةَ ما سواه كذلك، فلا أحدَ سواه يستحقّ نهاية الحب مع نهاية الذّل لكمال أسمائه وصفاته وأفعاله، فهو المطاعُ وحده على الحقيقة، والمألوه لغيره عذاب لصاحبها، وكلّ غنى لغيره فقر وضلال، وكلّ عزّ بغيره ذلّ وصَغار، وكلّ تكثّر بغيره قلة وفاقة.

---

(١) اسم (الحافظ، الحفيظ).

فكما استحال أن يكون للخلق ربٌّ غيرُه فكذلك استحال أن يكون لهم إلهٌ غيره، فهو الذي انتهتْ إليه الرغباتُ، وتوجَّهت نحوه الطلبات.

ويستحيل أن يكون معه إله آخر؛ فإنَّ الإلهَ على حقيقته هو الغنّي الصَّمد ولا حاجةَ به إلى أحد، وقيام كلّ شيء به وليس قيامه بغيره، ومن المحال أن يحصل في الوجود اثنان كذلك، ولو كان في الوجود إلهان لفسد نظامه أعظم فساد، واختلّ أعظم اختلال، كما يستحيل أن يكون له فاعلان متساويان كلّ منهما مستقلّ بالفعل، فإنَّ استقلالهما يُنافي استقلالهما، واستقلال أحدهما يمنعُ ربوبية الآخر، فتوحيدُ الربوبية أعظمُ دليلٍ على توحيد الإلهية.

عباد الله:

من أسماء الله الحسنى – وأسماؤه كلها حسنى، اسم (الحافظ)، و(الحفيظ)، وقد ورد اسمه سبحانه (الحافظ) في القرآن الكريم مرة واحدة بصيغة المفرد، كما في قوله تعالى: ﴿فَٱللَّهُ خَيۡرٌ حَٰفِظٗاۖ وَهُوَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [يوسف: ٦٤]، وورد مرتين بصيغة الجمع كما في قوله تعالى: ﴿وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٍ حَفِيظٞ﴾ [الأنبياء: ٨٢].

أما اسمه سبحانه (الحفيظ) فقد ورد في القرآن الكريم ثلاث مرات وذلك في قوله تعالى: ﴿وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٍ حَفِيظٞ﴾ [سبأ: ٢١]، وقوله ﷻ: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهُ حَفِيظٌ عَلَيۡهِمۡ﴾ [الشورى: ٦]. وقوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٍ حَفِيظٞ﴾ [هود: ٥٧].

قال الخطابي رَحِمَهُ اللَّهُ: (الحفيظ هو الحافظ، فعيل بمعنى فاعل كالقدير والعليم يحفظ السموات والأرض وما فيها لتبقى مدة بقائها فلا تزول ولا تندثر كقوله ﷻ: ﴿وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَا﴾ [البقرة: ٢٥٥]، وقال: ﴿وَحِفۡظٗا مِّن كُلِّ شَيۡطَٰنٖ مَّارِدٖ﴾ [الصافات: ٧]، أي حفظناها حفظًا والله أعلم.

وهو سبحانه الذي يحفظ عبده من المهالك والمعاطب، يقيه مصارع السوء كقوله سبحانه: ﴿لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٞ مِّنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ يَحۡفَظُونَهُۥ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۗ﴾ [الرعد: ١١]، أي: بأمره.

ويحفظ على الخلق أعمالهم، ويحصي عليهم أقوالهم، ويعلم نياتهم وما تكِنَّ صدورهم، ولا تغيب عنه غائبة ولا تخفى عليه خافية.

ويحفظ أولياءه، فيعصمُهم عن مواقعة الذنوب، ويحرسهم عن مُكايَدةِ الشيطان، ليسلموا من شره، وفتنته).

ولا حافظ للعبد في دينه ودنياه، وفي أي أمر من أموره إلا الله ﴿فَٱللَّهُ خَيۡرٌ حَٰفِظٗاۖ وَهُوَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [يوسف: ٦٤].

وقال السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ: (الحفيظ الذي حفظ ما خلقه، وأحاط علمه بما أوجده، وحفظ أولياءه من وقوعهم في الذنوب والمهلكات، ولطف بهم في الحركات والسكنات، وأحصى على العباد أعمالهم وجزاءها).

والمسلم يتوجَّه إلى الله بالدعاء أن يعافيه في دينه ودنياه، وأن يحفظه من كلّ شرّ وبلاء، وفي المسند وغيره عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: «**لم يكن رسول الله ﷺ يدع هؤلاء الدعوات حين يمسي وحين يصبح: اللهمّ إنّي أسألك العافية في الدّنيا والآخرة، اللهمّ إني أسألك العفو والعافية في ديني ودنياي وأهلي ومالي، اللهمّ**

استر عوراتي، وآمن روعاتي، اللهمّ احفظني من بين يدي ومن خلفي، وعن يميني وعن شمالي، ومن فوقي، وأعوذ بعظمتك أن أغتال من تحتي».

عباد الله:

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (إنّ التوسل إليه سبحانه بأسمائه وصفاته أحب إليه، وأنفع للعبد من التوسل إليه بمخلوقاته، وكذلك سائر الأحاديث، كما في حديث الاسم الأعظم: «اللهم إني أسألك بأنّ لك الحمد لا إله إلاّ أنت، المنان، بديع السموات والأرض، يا ذا الجلال والإكرام، ياحي يا قيوم» [رواه ابو داود].

وفي الحديث الآخر: «أسألك بأني أشهد أنك أنت الله الذي لا إله إلاّ أنت الأحد الصمد، الذي لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد» [رواه ابو داود].

وفي الحديث الآخر: «اللهم إني أسألك بعلمك الغيبَ، وقدرتك على الخلق» [رواه أحمد].

وكلها أحاديث صحاح رواها ابن حبان والإمام أحمد والحاكم. وهذا تحقيق لقوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠].

وقوله: «أن تجعل القرآن ربيع قلبي ونور صدري» [رواه أحمد].

ويجمع أصلين: الحياة والنور، فإن الربيع هو المطر الذي يحيي الأرض فينبت الربيع، فيسأل الله بعبوديته وتوحيده وأسمائه وصفاته أن يجعل كتابه، الذي جعله روحاً للعالمين ونوراً وحياة لقلبه، بمنزلة الماء الذي يحي به الأرض، ونوراً له بمنزلة الشمس التي تستنير بها الأرض والحياة، والنور جماع الخير كله، قال تعالى: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَـٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَـٰتِ﴾ [الأنعام: ١٢٢].

وقال تعالى: ﴿صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ﴾ [الشورى: ٥٣].

فأخبر أنه روح تحصل به الحياة، ونور تحصل به الحياة، ونور تحصل به الهداية، فأتباعه لهم الحياة والهداية، ومخالفوه لهم الموت والضلال.

وكان من دعاء النبي ﷺ: «**اللهم احفظني بالإسلام قائمًا، واحفظني بالإسلام قاعداً، واحظفني بالإسلام راقداً، ولا تُشمت بي عدواً ولا حاسداً، اللهم إني أسألك من كل خير خزائنه بيد، وأعوذ بك من كل شر خزائنه بيدك**».

يشرح الشيخ السعدي رحمه الله اسمه سبحانه (الحفيظ) فيقول:

(والحفيظ يتضمن معنيين:

أحدهما: أنه قد حفظ على عباده ما عملوه من خير، وشر، وطاعة، ومعصية، فإن علمه محيط بجميع أعمالهم ظاهرها، وباطنها وقد كتب ذلك في اللوح المحفوظ، ووكل بالعباد ملائكة كراماً كاتبين يعلمون ما تفعلون. فهذا المعنى من حفظه يقتضي إحاطة علم الله بأحوال العباد، كلها ظاهرها، وباطنها، وكتابتها في اللوح المحفوظ، وفي الصحف التي في أيدي الملائكة، وعلمه بمقاديرها، وكمالها، ونقصها، ومقادير جزائها في الثواب والعقاب ثم مجازاته عليها بفضله، وعدله.

والمعنى الثاني: من معنيي الحفيظ: أنه تعالى الحافظ لعباده من جميع ما يكرهون.

وحفظه لخلقه نوعان؛ عام وخاص: فالعام حفظه لجميع المخلوقات بتيسيره لها ما يقيتها ويحفظ بنيتها، وتمشي إلى هدايته، وإلى مصالحها

بإرشاده، وهدايته العامة التي قال عنها: ﴿ٱلَّذِىٓ أَعۡطَىٰ كُلَّ شَىۡءٍ خَلۡقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ﴾ [طه: ٥٠]، أي: هدى كل مخلوق إلى ما قدر له وقضى له من ضروراته وحاجاته، كالهداية للمأكل، والمشرب، والمنكح، والسعي في أسباب ذلك، وكدفعة عنهم أصناف المكاره، والمضار، وهذا يشترك فيه البر، والفاجر، بل الحيوانات، وغيرها فهو الذي يحفظ السماوات، والأرض أن تزولا، ويحفظ الخلائق بنعمه، وقد وكل بالآدمي حفظة من الملائكة الكرام يحفظونه من أمر الله، أي: يدفعون عنه كل ما يضره مما هو بصدد أن يضره لولا حفظ الله.

والنوع الثاني: حفظه الخاص لأوليائه سوى ما تقدم، يحفظهم عما يضر إيمانهم أو يزلزل إيقانهم من الشبه والفتن والشهوات، فيعافيهم منها ويخرجهم منها بسلامة وحفظ وعافية، ويحفظهم من أعدائهم من الجن والإنس فينصرهم عليهم ويدفع عنهم كيدهم، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ [الحج: ٣٨]، وهذا عام في دفع جميع ما يضرهم في دينهم ودنياهم فعلى حسب ما عند العبد من الإيمان تكون مدافعة الله عنه بلطفه، وفي الحديث: «**احفظ الله يحفظك**»، أي: احفظ أوامره بالامتثال ونواهيه بالاجتناب، وحدوده بعدم تعديها، يحفظك في نفسك ودينك ومالك وولدك، وفي جميع ما آتاك الله من فضله).

بارك الله لي ولكم...

الخـــطـبـة الثــانيـــة

الحمد لله الحافظ الحفيظ، وأشهد أن لا إله إلا الله رب العالمين، واشهد أن نبينا محمداً الرسول الأمين، صلى الله وسلم وبارك عليه، وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

فإن من آثار الإيمان باسميه سبحانه (الحافظ)، و(الحفيظ):

أولاً: مراقبة الله ﷻ في الأقوال والأعمال بأن تكون في مرضاته، ذلك لأن الله ﷻ لا يغيب عن عمله شيء، فهو الحافظ المحصي لأعمال عباده، في كتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها، قال تعالى: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَـٰفِظِينَ﴾ [الانفطار: ١٠].

ومن ذلك حفظ الأعمال مما يحبطها كالرياء وغيره، مما يعلمه الله تعالى ويحصيه على العبد وإن خفي على الناس.

ثانيًا: تعظيم الله ﷻ وإجلاله وعبادته وحده؛ لأنه هو الخالق لهذا الكون العظيم وهو الحافظ له وللسموات والأرض أن تزولا.

قال تعالى: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، وقال سبحانه: ﴿وَجَعَلْنَا ٱلسَّمَآءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا ۖ وَهُمْ عَنْ ءَايَـٰتِهَا مُعْرِضُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٢].

وقال ﷻ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُمۡسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ أَن تَزُولَاۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنۡ أَمۡسَكَهُمَا مِنۡ أَحَدٖ مِّنۢ بَعۡدِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورٗا﴾ [فاطر: ٤١].

وقال تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَلَقَدۡ جَعَلۡنَا فِي ٱلسَّمَآءِ بُرُوجٗا وَزَيَّنَّٰهَا لِلنَّٰظِرِينَ ١٦ وَحَفِظۡنَٰهَا مِن كُلِّ شَيۡطَٰنٖ رَّجِيمٍ﴾ [الحجر: ١٧].

ثالثًا: صدق التوكل على الله وحده، لأن المحفوظ من حفظه الله وعصمه، ومن تخلى عنه حفظ الله فإنه هالك ضائع، ولن يستطيع أحد أن يحفظه بعد ذلك، فالواجب التعلق بالله وحده في الحفظ، والكفاية وترك التعلق بالمخلوق الضعيف الذي هو في حاجة إلى الحفظ من ربه.

رابعًا: الأخذ بأسباب حفظ الله ﷻ للعبد، وأعظمها: توحيده سبحانه، وفعل ما يحبه الله تعالى، واجتناب ما يسخطه، وحفظ الله تعالى في حرماته ودينه وشرعه؛ قال الرسول ﷺ في معرض وصيته لابن عباس رضي الله عنهما: «**يا غلام احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك..**».

وقبل ذلك قوله سبحانه: ﴿هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٖ﴾ [ق: ٣٢].

خامسًا: محبة الله ﷻ وحمده وشكره على حفظه لعباده من الشرور والآفات والمهلكات، إذ لو خُلي بين العبد وبين هذه المهلكات لما بقي على ظهرها من دابة، ولكنه حفظ الله تعالى، فوجبت محبته وحمده وعبادته وحده، قال الله ﷻ: ﴿لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٞ مِّنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ يَحۡفَظُونَهُۥ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۗ﴾ [الرعد: ١١].

وقال سبحانه: ﴿وَهُوَ ٱلۡقَاهِرُ فَوۡقَ عِبَادِهِۦۖ وَيُرۡسِلُ عَلَيۡكُمۡ حَفَظَةً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ تَوَفَّتۡهُ رُسُلُنَا وَهُمۡ لَا يُفَرِّطُونَ﴾ [الأنعام: ٦١]، هذا حفظه العام

للناس مؤمنهم وكافرهم، أما حفظه الخاص لأوليائه فشيء آخر ونعمة أخرى، تقتضي من أهلها المحبة العظيمة، والحمد والقيام بحقوق عبوديته سبحانه وطاعته، وبقدر تحقيق العبودية والطاعة لله ﷿ يكون الحفظ والرعاية من الله ﷿ لعبده.

هذا وصلوا...

❁ ❁ ❁

(٢١) الخطبة الأولى [١]

الحمد لله الإله الحق، قوله حق، ووعده حق، وأمره حق، ولقاءه حق، والجنة حق، والنار حق. وأشهد أن لا إله إلا الله الحق، وأشهد أن نبينا محمداً عبد الله ورسوله، وصفيه وخليله، أرسله بالهدى ودين الحق، صلى الله وسلم وبارك عليه، وعلى آله وأصحابه، ومن تبعهم بإحسان على طريق الهدى والرشاد والحق.

أما بعد:

فاتقوا الله – عباد الله – وراقبوه ﴿وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا تُرۡجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا كَسَبَتۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٨١].

عباد الله:

من الأسماء الحسنى لله ﷻ، وكل أسمائه حسنى؛ اسم (الحق).

والحق: نقيض الباطل، والحق يدل على إحكام الشيء وصحته.

يقال: حق الشيء إذا وجب، ويقال: حققت الشيء أحققه: إذا تيقنت كونه ووجوده.

---

(١) اسم (الحق).

قال الخطابي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (الحق هو المتحقق كونه ووجوده، وكل شيء صح وجوده وكونه فهو حق، ومنه قول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ٱلْحَآقَّةُ ۝ مَا ٱلْحَآقَّةُ﴾ [الحاقة: ١ - ٢] معناه والله أعلم: الكائنة حقاً لا شك في كونها، ولا مدفع لوقوعها.

ويقال: الجنة حق، والنار حق، والساعة حق، يراد أن هذه الأشياء كائنة لا محالة).

والعرب تقول: إن فلاناً الرجل حق الرجل، والشجاع حق الشجاع وحاق الشجاع، وحاقة الشجاع، إذا اثبتوا له الشجاعة وحقيقتها.

قال القشيري: (الحق من أسمائه، وهو بمعنى الموجود).

وقال السعدي –رحمه الله تعالى -: (الحق في ذاته وصفاته، فهو واجب الوجود، كامل الصفات والنعوت، وجوده من لوازم ذاته، ولا وجود لشيء من الأشياء إلا به، فهو الذي لم يزل ولا يزال بالجلال والجمال والكمال موصوفاً، ولم ولا يزال بالإحسان معروفاً).

وقد جاء وروده في القرآن في تسعة مواضع منها قوله تعالى: ﴿ثُمَّ رُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّۚ أَلَا لَهُ ٱلْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ ٱلْحَٰسِبِينَ﴾ [الأنعام: ٦٢]، وقوله تعالى: ﴿هُنَالِكَ تَبْلُواْ كُلُّ نَفْسٍ مَّآ أَسْلَفَتْۚ وَرُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّۖ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ﴾ [يونس: ٣٠]. وقوله تعالى: ﴿فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ﴾ [يونس: ٣٢].

و(الحق) سبحانه هو الذي يحق الحق بكلماته ويقول الحق، وإذا وعد فوعده الحق، ودينه حق، وكتابه حق، وما أخبر عنه حق، وما أمر به حق، كما قال تعالى: ﴿وَيُحِقُّ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ﴾ [يونس: ٨٢] وقال سبحانه: ﴿وَهُوَ

ﭐلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِٱلۡحَقِّۖ وَيَوۡمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُۚ قَوۡلُهُ ٱلۡحَقُّۚ وَلَهُ ٱلۡمُلۡكُ يَوۡمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ﴾ [الأنعام: ٧٣]، وقال تعالى: ﴿يَوۡمَئِذٖ يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ دِينَهُمُ ٱلۡحَقَّ وَيَعۡلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ ٱلۡمُبِينُ﴾ [النور: ٢٥].

والله ﷻ هو الحق في ذاته وصفاته، فهو واجد الوجود، كامل الصفات والنعوت، وجوده من لوازم ذاته، ولا وجود لشيء من الأشياء إلا به، فهو الذي لم يزل، ولا يزال بالجلال، والجمال، والكمال موصوفًا، ولم يزل ولا يزال بالإحسان معروفًا.

فقوله حق، وفعله حق، ولقاؤه حق، ورسله حق، وكتبه حق، ودينه هو الحق، وعبادته وحده لا شريك له هي الحق، وكل شيء ينسب إليه فهو حق. ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلۡبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡكَبِيرُ﴾ [الحج: ٦٢].

﴿وَقُلِ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكُمۡۖ فَمَن شَآءَ فَلۡيُؤۡمِن وَمَن شَآءَ فَلۡيَكۡفُرۡۚ﴾ [الكهف: ٢٩]. ﴿فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلۡحَقُّۖ فَمَاذَا بَعۡدَ ٱلۡحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُۖ﴾ [يونس: ٣٢]، وقال تعالى: ﴿وَقُلۡ جَآءَ ٱلۡحَقُّ وَزَهَقَ ٱلۡبَٰطِلُۚ إِنَّ ٱلۡبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقٗا﴾ [الإسراء: ٨١]. وقال الله تعالى: ﴿يَوۡمَئِذٖ يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ دِينَهُمُ ٱلۡحَقَّ وَيَعۡلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ ٱلۡمُبِينُ﴾ [النور: ٢٥]. فأوصافه العظيمة حق، وأفعاله هي الحق، وعبادته هي الحق، ووعده حق، ووعيده وحسابه هو العدل الذي لا جور فيه.

قال ابن جرير في تفسير قوله تعالى: ﴿وَرُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ مَوۡلَىٰهُمُ ٱلۡحَقِّ﴾ [يونس: ٣٠]: (ورجع هؤلاء المشركون يومئذ إلى الله، الذي هو ربهم ومالكهم الحق لا شك فيه، دون ما كانوا يزعمون أنهم لهم أرباب من الآلهة والأنداد.

يقول: وبطل عنهم ما كانوا يتخرصون من الفرية والكذب على الله بدعواهم أوثانهم أنها لله شركاء، وأنها تقربهم منه زلفى.

وقال في قوله تعالى: ﴿فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ﴾ [يونس: ٣٢]، (يقول تعالى ذكره لخلقه: أيها الناس فهذا الذي فعل هذه الأفعال، فيرزقكم من السماء والأرض، ويملك السمع والأبصار، ويخرج الحي من الميت، والميت من الحي، ويدبر الأمر: الله ربكم الحق لا شك فيه ﴿فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ﴾ يقول: فأي شيء سوى إلا الضلال، وهو: الجور عن قصد السبيل.

يقول: ف إذا كان الحق هو ذا، فادعاؤكم غيره إلهاً ورباً هو الضلال والذهاب عن الحق لا شك فيه فأنى تصرفون).

ويقول الخطابي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (الحق: هو المتحقق كونه ووجوده، وكل شيء صح وجوده وكونه فهو حق، ومنه قول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ٱلْحَاقَّةُ ۝١ مَا ٱلْحَاقَّةُ﴾ [الحاقة: ١ - ٢] معناه والله أعلم: الكائنة حقاً لا شك في كونها، ولا مُدفع لوقوعها).

وقد ورد ذكر هذا الاسم الكريم في أدعية الرسول ﷺ الصحيحة ومن ذلك: ما كان يستفتح به صلاة الليل حيث يقول: «**اللَّهم لك الحمد أنت قيوم السماوات والأرض ومن فيهن، ولك الحمد أنت ملك السماوات والأرض ومن فيهن، ولك الحمد أنت نور السماوات والأرض ومن فيهن، ولك الحمد أنت الحق، وقولك الحق، ولقاؤك حق، والجنة حق، والنار حق، والنبيون حق، ومحمد ﷺ حق، والساعة حق.... الحديث**» [رواه البخاري].

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (فكما أن ذاته (الحق): فقوله الحق، ووعده الحق، وأمره الحق، وأفعاله كلها حق وجزاؤه المستلزم لشرعه ودينه ولليوم الآخر حق. فمن أنكر شيئًا من ذلك فما وصف الله بأنه (الحق) المطلق من كل وجه، وبكل اعتبار فكونه حقًا يستلزم شرعه ودينه وثوابه وعقابه).

عباد الله:

مما سبق من النقولات يتبين لنا بعض المعاني التي يتضمنها هذا الاسم الكريم من أسمائه سبحانه الحسنى ومنها:

أنه سبحانه له الوجود الحق: فالخلق كلهم يزولون ويفنون، وهو سبحانه الحي الذي لا يموت، وهو الذي لا تأخذه سنة ولا نوم، ولا تعب، ولا لغوب.

وأن أسماءه سبحانه وصفاته كلها حق فليس فيها شيء باطل، لا في علمه، ولا قدرته، ولا عزته، ولا حكمته؛ فهو الإله الحق، والكامل في ذاته، وأسمائه وصفاته.

وأنه هو الحق في ربوبيته وألوهيته فهو (الرب) الحق لكل مربوب وهو المعبود الحق لكل مألوه وعابد مربوب.

وأن أفعاله سبحانه كلها حق ومقتضى الحكمة، فخبره حق، وشرعه حق، وقضاؤه حق وجزاؤه حق، والله أنزل الكتب بالحق، وأرسل رسله بالحق، وخلق السماوات والأرض بالحق، وقص الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ القصص بالحق. ووعد الله حق لا يتخلف، فنصره لأوليائه حق، والبعث بعد الموت حق، والجنة حق، والنار حق، والساعة حق، وكل ما وعد الله به فهو حق؛ لأنه

صـدر عـن الحـق سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، وفي ذلـك يقـول ابـن القـيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (خلـق مخلوقاته بسبب الحق ولأجل الحق، وخلقها متلبس بالحق، وهو في نفسه (حق) فمصدره حق، وغايته حق، وهو متضمن للحق).

قال تعالى في كتابه الكريم ﴿فَتَعَـٰلَى ٱللَّهُ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡحَقُّۖ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡكَرِيمِ﴾ [المؤمنون: ١١٦] فالله ﷻ هو الحق، وكل معبود دونه باطل، والحق نقيض الباطل، ويقال: حق الشيء يحق حقـًا: تأويله يجب وجوبـًا، فالله ﷻ حق، وكل ما أمر به ونهى عنه حق على العباد امتثاله أي واجب ذلك عليهم، فالله الحق أي هو الحق وما عبد من دونه باطل، وهو سبحانه الحق في ذاته وصفاته ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

عباد الله:

هذا الاسـم العظيم فيـه كمـال تعظيم الله سبحانه واتباع أوامره واجتناب نواهيـه. ومعرفـة أنهـا حـق مـن عنـد الله، جـاءت لمصـالح الـبلاد والعبـاد، في العاجل والآجل.

وقد بين الله ﷻ حال الموحد المتمسك بالحق الثابت عليه، وحال المشرك المبطل المتذبذب المحتار في قوله تعالى: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا رَّجُلٗا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَـٰكِسُونَ وَرَجُلٗا سَلَمٗا لِّرَجُلٍ هَلۡ يَسۡتَوِيَانِ مَثَلًاۚ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِۚ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ [الزمر: ٢٩].

وفي قوله سبحانه: ﴿۞أَفَمَن يَعۡلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ ٱلۡحَقُّ كَمَنۡ هُوَ أَعۡمَىٰٓۚ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَـٰبِ﴾ [الرعد: ١٩].

وقوله ﷻ: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهۡدِيَهُۥ يَشۡرَحۡ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِۖ وَمَن يُرِدۡ أَن يُضِلَّهُۥ يَجۡعَلۡ صَدۡرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي ٱلسَّمَآءِۚ كَذَٰلِكَ يَجۡعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجۡسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾ [الأنعام: ١٢٥].

فالحمد لله الذي هدانا للإسلام وما كنا لنهتدي لو لا أن هدانا الله، ونسأله سبحانه الثبات على الحق حتى نلقاه.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلۡحَقُّۖ فَمَاذَا بَعۡدَ ٱلۡحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ﴾ [يونس: ٣٥].

بارك الله لي ولكم...

الخطبة الثانية

الحمد لله، رب العالمين، الرحمن الرحيم، وأشهد أن إله إلا الله الحق المبين، وأشهد أن نبينا محمداً عبده ورسوله الصادق الأمين، صلى الله وسلم عليه، وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

فإن من آثار الإيمان بهذا الاسم الكريم:

أولاً: تجريد المحبة لله ﷻ وتعظيمه وإجلاله حيث إنه الموجود الحق، والرب الحق والإله الحق.

فحري بمن هذه صفاته أن يُحب ويعظم ويؤله، وتوجه العبادة له وحده دون ما سواه؛ لأنه الرب الحق، والإله الحق الذي يستحق غاية الحب، وغاية الذل والتعظيم والإجلال.

ثانيًا: الشعور بالغبطة والسعادة والسرور بالهداية إلى دين الإسلام الحق الذي هو دين الله، والذي من هُدي إليه واستقام عليه اطمأنت نفسه، وانشرح صدره، وسلم من التشتت والاضطراب والحيرة التي تكون من نصيب المبطل المعرض عن الله ﷻ وعن أحكامه والذي هو في أمر مريج وفي حيرة وعماية.

ثالثًا: الرضى والطمأنينة بما يصيب المؤمن من المصائب المؤلمة، والإيمان بأنها كائنة بعلم الله ﷻ وإرادته وحكمته، وهي حق لا باطل فيها ولا

عبث، ولا ظلم ولا هوى. فعِلمُ العبد ويقينه بأن كل ما يأتي من الله ﷻ حق وعدل ورحمة، يجعله يطمئن ويسلم الأمر لإله الحق، ويسلم قلبه من أمراض الريبة والتسخط والاعتراض.

رابعًا: التسليم التام لأحكامه سبحانه الشرعية فيما يأمر به وينهى عنه، واليقين بأن أحكام الله تعالى كلها حق وخير؛ لأنها من الله الحق الحكيم العليم فينشأ من ذلك القبول التام، والإذعان، والتسليم، والاغتباط، والسعي لإقرارها بين الناس حتى ينعموا بما فيها من الحق والخير والأمن والسلام.

خامسًا: القبول التام والتصديق الذي لا يخالطه أدنى ريبة أو شك في كل ما أخبر الله ﷻ به المغيبات؛ لأنها حق وصدق: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا﴾ [النساء: ٨٧].

سادسًا: التواضع للحق، والانقياد له بعد تبينه؛ لأن الخير كله في الحق وما بعد الحق إلا الضلال والشر والشقاء. ومن رد الحق بعد بيانه فهو المتكبر الظالم لنفسه. قال ﷺ: «**الكبر بطر الحق وغمط الناس**» [رواه مسلم].

سابعًا: صدق التوكل على (الحق) سُبْحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ لأن من كان على الحق الذي هو دين الله ﷻ فإنه يثق في الله ﷻ ويعتمد عليه في نصره لدينه، وتأييده لأوليائه. قال الله ﷻ: ﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۖ إِنَّكَ عَلَى ٱلْحَقِّ ٱلْمُبِينِ﴾ [النمل: ٧٩].

ثامنًا: الثقة في نصر الله ﷻ لدينه الحق وأوليائه الثابتين عليه، وعدم الاغترار بانتفاش الباطل وزبده في وقت من الأوقات فإنه ذاهب. ولكن الله ﷻ يبتلي به العباد ليعلم المؤمن الصادق الثابت على الحق من المنافق أو ضعيف الإيمان الذين يبهرهم زبد الباطل فيشكون في وعد الله ﷻ ونصرته لأوليائه.

تاسعًا: الإيمان باسمه سبحانه (الحق) وما يستلزم ذلك من كون وعده الحق، ولقاؤه الحق، والجنة حق، والنار حق؛ فكل ذلك يثمر في القلب الاستعداد للقاء الله ﷻ والخوف من المقام بين يديه سبحانه والشوق إلى جنته، والخوف من عذابه؛ لأن كل ذلك حق وصدق، وآت لا محالة، وهذا الخوف يثمر التقوى في القلب، والتي علامتها امتثال أوامر الله ﷻ وترك مناهيه بإخلاص ومتابعة، والاستقامة على ذلك.

هذا وصلوا...

٢٢ الخطبة الأولى [١]

الحمد لله الحق المبين، إله الأولين والآخرين، وأشهد أن لا إله إلا الله رب العالمين، وأشهد أن نبينا محمداً الصادق الأمين، صلى الله وسلم وبارك عليه، وعلى آله وأصحابه والتابعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

فأوصيكم ونفسي بتقوى الله ﷻ، فإن اليوم عمل وغداً حساب، فأحسنوا النقلة، وتزودوا فإن خير الزاد التقوى. ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [التوبة: ١١٩].

عباد الله:

قال ابن العربي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (شرف العلم بشرف المعلوم والباري أشرف المعلومات؛ فإن العلم بأسمائه أشرف العلوم).

ومن أسماء الله تعالى الحسنى، وكل أسمائه حسنى، اسم (المبين).

وقد ورد في موضع واحد مقروناً بالحق، قال تعالى: ﴿يَوۡمَئِذٖ يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ دِينَهُمُ ٱلۡحَقَّ وَيَعۡلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ ٱلۡمُبِينُ﴾ [النور: ٢٥].

والبَيْن: بُعد الشيء وانكشافه.

---

(١) اسم (المبين).

وبان الشيء وأبان: أبان رأسه من جسده فهو مُبين.

وبان الشيء: أي اتضح. وتبين: أي ظهر.

والقرآن هو الكتاب المبين: أي البيِّن.

وقيل: المبين الذي أبان طرق الهدى من طرق الضلالة، وأبان كل ما تحتاج إليه الأمة، وهو مبين خيره وبركته، وهو مبين الحق من الباطل، والحلال من الحرام، ومبين أن نبوة محمد ﷺ حق، ومبين قصص الأنبياء.

والله سبحانه هو المبين لعباده سبيل الرشاد، والموضح لهم الأعمال الموجبة لثوابه، والأعمال الموجبة لعقابه، والمبين لهم ما يأتون وما يذرون.

وهو سبحانه البيِّن أمره في الوحدانية، وأنه لا شريك له، وهو سبحانه بيّن الربوبية والملكوت.

وهو مبين لا يخفى ولا ينكتم؛ لأنه له من الأفعال الدالة عليه ما يستحيل معها أن يخفى فلا يُقف عليه ولا يُدرى.

و(المبين): أي أنه سبحانه البيّن أمره في الوحدانية فلا ندَّ له ولا شريك في عبادته، فهذه المخلوقات بسمائها وأرضها وهوائها وأنهارها وأشجارها وبحارها وإنسها وجنها.. دالة عليه وحده لا شريك له.

ويقول ﷻ: ﴿ٱنظُرۡ كَيۡفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلۡأٓيَٰتِ ثُمَّ ٱنظُرۡ أَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ﴾ [المائدة: ٧٥]. ﴿وَيُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [النور: ١٨]، والله ﷻ يُبيِّن للناس الأحكام الشرعية ويوضّحها، ويُبيِّن الحكم القدرية، وهو عليم بما يصلح عباده، حكمي في شرعه وقدره، فله الحكمة البالغة، والحجة الدامغة.

وقال ﷻ: ﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٣]، وقال: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًۢا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰهُمْ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [التوبة: ١١٥]، يخبر الله عن نفسه الكريمة وحكمه العادل أنه لا يضل قومـًا إلا بعد إبلاغ الرسالة إليهم حتى يكونوا قد قامت عليهم الحجة.

ومعنى اسم ربنا: (المبين) أي: المبين لعباده سبيل الرشاد، الموضح لهم الأعمال الصالحة التي ينالون بها الثواب، والأعمال السيئة التي ينالون عليه العقاب، قال تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [النساء: ٢٦].

وقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًۢا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰهُمْ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ﴾ [التوبة: ١١٥].

ومن معاني (المبين) أي: البين أمره في الوحدانية، فهو الإله الحق المبين لا شريك له.

هذا؛ وقد نوَّع تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ في كتابه الدلائل والبراهين والحجج والبيِّنات على أنه إله الحق لا شريك له، وأنَّ ألوهيَّة من سواه باطل وضلال، وزيغ وانحلال ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ﴾ [الحج: ٦٢].

وقوله: ﴿ذَٰلِكَ﴾ أي: الذي بُيِّن لكم من عظمته وصفاته ما بين ﴿هُوَ ٱلْحَقُّ﴾ هو المعبود بحق، ولا معبود بحق سواه، الكامل في ذاته وأسمائه وصفاته، ودينه حق، ورسله حق، ووعده حق، ووعيده حق، ولقاؤه وعبادته حق.

وقوله: ﴿وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ﴾ [الحج: ٦٢] أي: الذي هو باطل في نفسه، وعبادته باطلة من الأصنام والأنداد، ومن الحيوانات والجمادات؛ لأنها كلها مضمحلة زائلة، لا تملك لنفسها ضرّاً ولا نفعاً، ولا موتاً ولا حياةً ولا نشوراً، فضلاً عن أن تملك شيئاً من ذلك لغيرها، ولولا إيجاد الله لها وإمداده لها لما بقيت، فعبادة مَن هذه شأنه أبطل الباطل، وأضل الضلال.

ومن أنواع الدلائل والحجج التي ذكر الله في القرآن لبيان أنه المعبود بحق ولا معبود بحق سواه ما يلي:

أولاً: تفرُّده تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بالربوبية لا شريك له، فهو الخالق وحده، الرازق وحده، المنعم وحده، المتصرِّف في هذا الكون وحده لا شريك له في شيء من ذلك، فهو الرب الحق لا شريك له.

ومن لوازم معرفته بذلك والإقرار له به أن يُفرَد بالعبادة، وأن يخص وحده بالخضوع والطاعة، قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿٦١﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٦٢﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَتُصْبِحُ ٱلْأَرْضُ مُخْضَرَّةً ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿٦٣﴾ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٦٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلْفُلْكَ تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٥﴾ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَكَفُورٌ﴾ [الحج: ٦١ - ٦٦].

وقال تعالى: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَـٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَـٰلُ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ﴾ [يونس: ٣١ - ٣٢].

ثانيًا: ذكرُه سبحانه لأسمائه الحسنى، وصفاته العلى الدالَّة على كماله وجلاله وعظمته، وأنّه المستحق للعبادة وحده دون سواه، ومن الأمثلة على ذلك آية الكرسي التي أخلصت لبيان التوحيد وتقريره، وحيث ذُكر فيها من أسماء الله الحسنى خمسةُ أسماء، وذكر من صفاته العظيمة ما يزيد على العشرين صفة.

ثالثًا: ذكر تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ تعدد نعمه على العباد وتوالي مننه، وفي سورة النحل التي يسمِّيها بعض أهل العلم (سورة النعم) لكثرة ما عدّ فيها سبحانه من النعم على العباد أكبر شاهد على أنه المعبود بحق، ولذا ختم هذه النعم بقوله: ﴿كَذَٰلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ ﴿٨١﴾ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَـٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٨٢﴾ يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾ [النحل: ٨١ - ٨٣].

رابعًا: ذكر سبحانه إجابته المضطرين وكشفه كربات المكروبين، ولا يقدر على ذلك أحدٌ سواه، قال تعالى: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَـٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ [النمل: ٦٢].

خامسًا: إخباره عن نفسه بأنه النافع الضار، المعطي المانع، وأنَّ مَن سواه لا يملك شيئًا من ذلك لنفسه ولا لغيره، قال تعالى: ﴿قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِىَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَـٰشِفَـٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَـٰتُ رَحْمَتِهِۦ ۚ قُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ ۖ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ﴾ [الزمر: ٣٨].

سادسًا: إخباره سبحانه عن دقة صنعه للمخلوقات، وبديع إيجاده للكائنات، قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَـٰتِ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ [غافر: ٦٤].

سابعًا: إخباره عن حقارة الأوثان وعجزها، وأنها لا تملك شيئًا، قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُوا۟ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا۟ لَهُۥ ۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ ۝٧٣ مَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحج: ٧٣ - ٧٤].

إلى غير ذلك من الدلائل البيِّنات، والحجج الواضحات، التي سيقت في القرآن الكريم مبينة أن الله ﷻ هو الإله المبين، وأن ألوهيَّة من سواه كفر وطغيان، وضلال وبهتان.

هذا وصلوا...

الخطبة الثانية

الحمد لله أبان سبيل الرشاد، وحذر من المعاصي والموبقات، وأشهد أن لا إله إلا هو وحده لا شريك له، وأشهد أن نبينا محمداً عبده ورسوله، أرسله بالهدى ودين الحق، صلى الله وسلم وبارك عليه، وعلى آله وصحبه الكرام، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم المعاد.

أما بعد:

وصف الله ﷻ كتابه الكريم بأنه (مبين) كما في قوله ﷻ: ﴿الٓر ۚ تِلْكَ ءَايَـٰتُ ٱلْكِتَـٰبِ ٱلْمُبِينِ﴾ [يوسف: ١]، ووصفه بأنه (تبيانًا) لكل شيء وذلك في قوله سبحانه: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ تِبْيَـٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ﴾ [النحل: ٨٩].

ففي القرآن البيان الشامل الواضح لكل ما يحتاجه بنو الإنسان في حياتهم بأفصح عبارة وأجمل أسلوب.

وفي القرآن بيان كل شيء من البداية إلى النهاية، حتى يستقر أهل الجنة في نعيمهم وأهل النار في جحيمهم.

ووصف نبيه ﷺ بأنه (مبين) كما في قوله سبحانه: ﴿أَنَّىٰ لَهُمُ ٱلذِّكْرَىٰ وَقَدْ جَآءَهُمْ رَسُولٌ مُّبِينٌ﴾ [الدخان: ١٣].

وقوله سبحانه: ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا۟ ۗ مَا بِصَاحِبِهِم مِّن جِنَّةٍ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ [الأعراف: ١٨٤].

فمعرفة الله ومعرفة أسمائه وصفاته، وما يجب له تعالى وما لا يجب، والعقيدة الإسلامية، وأحكام العبادات والمعاملات، وجميع الشؤون الاجتماعية، والأحوال الشخصية، وكل ما يحتاجه البشر، في كل زمان ومكان، وأحكام المعاد والبعث والنشور، والحساب والجزاء والعقاب وغير ذلك مما هو مبين وموضح، وصدق الله تعالى: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ ۚ﴾ [الأنعام: ٣٨]، ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَٰهُ تَفْصِيلًا﴾ [الإسراء: ١٢]).

عباد الله:

من آثار الإيمان باسمه سبحانه (المبين):

أولاً: محبته سبحانه المتجلية في رحمته سبحانه لعباده، حيث أبان لهم الحق والآيات في الآفاق وفي الأنفس الدالة على وجوده سبحانه ووحدانيته، وأقام عليهم الحجة بإنزال الكتب وإرسال الرسل الذين يعرفون الخلق بربهم سبحانه وأسمائه وصفاته وما تقتضيه من إفراده سبحانه بربوبيته وألوهيته، وتجريد المحبة والإخلاص والخوف والرجاء له وحده؛ حيث أبان لهم الخير وحثهم عليه، وعرَّفهم بالشر وحذرهم منه؛ وذلك في كتابه وسُنَّة نبيه ﷺ.

ثانيًا: قيام الحجة على الخلق بهذا البيان مع ما قام في العقول والفطر من الآيات البينات الدالة على وحدانيته سبحانه وتفرده بالخلق والأمر، ولكن من رحمته سبحانه أنه لا يعذب عباده بحجة العقل والفطرة، وإنما بعد إرسال الرسل وبيانهم للناس، كما قال تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء: ١٥]، وقوله سبحانه: ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ١٦٥].

ثالثًا: الإعجاز البياني للقرآن الكريم الذي هو كلام الله ﷻ (المبين) الذي تحدى عظماء العرب وبلغاءهم بأن يأتوا بآية من مثله فلم يستطيعوا، وهذا من الأدلة الكثيرة على أن القرآن كلام الله ﷻ منه بدأ وإليه يعود.

هذا وصلوا...

❁ ❁ ❁

(٢٣) الخطبة الأولى [١]

الحمد لله الحكم، وهو خير الحاكمين، وأشهد أن لا إله إلا الله الحق المبين، وأشهد أن نبينا محمداً عبده ورسوله، وصفيه وخليله، أرسله ربه رحمة للعالمين، وهداية للسالكين، وقدوة للمتقين، صلى الله وسلم وبارك عليه، وعلى آله وصحبه أجمعين، والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

فاتقوا الله – عباد الله – فإن من اتقاه كفاه وآواه، وقربه وأدناه. ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ۝ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠ - ٧١].

عباد الله:

إن معرفة أسماء الله وصفاته على الوجه الذي أخبر به ﷻ ورسوله ﷺ، توجب على العبد القيام بعبوديته –سبحانه– على الوجه الأكمل؛ فكلما كان الإيمان به أكمل، كان الحب والإخلاص والتعبد أقوى. وأكملهم عبودية المتعبد بجميع الأسماء والصفات التي يطلع عليها البشر، فالإيمان بما تقتضيه الأسماء والصفات يوجد استقامة كاملة في العبد.

(١) اسم (الحكم).

ثـم إن مفتـاح الـدعوة الإلهيـة معرفـة الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ بأسـمائه الحسـنى وصفاته العلا، لأنه لا حياة للقلوب ولا نعيم، ولا لـذة ولا سرور، ولا أمان ولا طمأنينـة إلا بـأن تعـرف ربهـا ومعبودهـا وفاطرهـا بمـا سـمى بـه نفسـه أو وصف به نفسه، ويكون أحب إليها مما سواه، ويكون سعيها في مـا يقربهـا إليـه ويدنيها من مرضاته. فبعث الله الرسل وجعل مفتاح دعـوتهم وزبـدة رسـالتهم معرفة المعبود الحق بأسمائه وصفاته وأفعاله.

وأحـب الأشـياء إلـى الله حمـده ومدحـه، والثنـاء عليـه بأسـمائه وصـفاته وأفعالـه، ولا يسـتقر للعبـد قـدم في المعرفـة، بـل ولا في الإيمـان، حتـى يـؤمن بصفات ربه جَلَّجَلَالُهُ، فالإيمان بالصفات هو أساس الإسلام وقاعـدة الإيمـان وثمـرة شـجرة الإحسـان، ودليـل تعلـق القلـب بهـا، وشـهوده لهـا هـو روح السالكين وحاديهم إلى الوصول، ومحرك عزماتهم إذا فـتروا، ومثـير هممهـم إذا قصروا.

أيها المسلمون:

من أسماء الله ﷻ (الحكـم). وقـد ورد اسـمه سـبحانه (الحكـم) في القـرآن الكـــريم مـــرة واحـــدة، وذلـــك في قولـــه تعـــالى: ﴿أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْتَغِى حَكَمًا﴾ [الأنعام: ١١٤].

قـال الطـبري رَحِمَهُٱللَّهُ: (قـل: فلـيس لـي أن أتعـدى حكمـه وأتجـاوزه؛ لأنـه لا حكم أعدل منه، ولا قائل أصدق منه).

وورد في السُّنة قوله ﷺ: «**إن الله هو الحكم، وإليه الحُكم**»، وهناك من أدخل اسمه (الحاكم)، في عداد أسمائه الحسنى، حيث ورد في القرآن خمس

مرات بصيغة التفضيل؛ منها: قوله تعالى: ﴿فَٱصْبِرُوا۟ حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُ بَيْنَنَا ۚ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ﴾ [الأعراف: ٨٧].

وقوله: ﴿رَبِّ إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ ٱلْحَٰكِمِينَ﴾ [هود: ٤٥].

وقوله تعالى: ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَحْكَمِ ٱلْحَٰكِمِينَ﴾ [التين: ٨].قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (أي أما هو أحكم الحاكمين الذي لا يجور ولا يظلم أحداً).

ومعنى الحكم في اللغة: المنع، وأوله: المنع من الظلم، يقال: حكمت الدابة إذا منعتها، والحكمة تمنع من الجهل، والمحكّم: المجرب المنسوب إلى الحكمة.

والله سبحانه هو (الحكم) الذي سُلم له الحكم ورُدَّ إليه فيه الأمر، وهو الحكيم الذي يُحكم الأشياء ويتقنها ويحسن التدبير لها، وقيل: الحكيم ذو الحكمة، فهو سبحانه لا يقول ولا يفعل إلا الصواب.

وجاء في شرح السنة: (أن الحكم، هو الحاكم الذي إذا حكم لا يرد حكمه، وهذه الصفة لا تليق بغير الله تعالى).

وقال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (ومن أسمائه الحكم العدل الذي يحكم بين عباده في الدنيا والآخرة، بعدله، وقسطه، فلا يظلم مثقال ذرة، ولا يُحمِّل أحداً وزر أحد، ولا يجازي العبد بأكثر من ذنبه، ويؤدي الحقوق إلى أهلها، فلا يدع صاحب حق إلا وصل إليه حقه).

وهو العدل في تدبيره، وتقديره: ﴿إِنِّى تَوَكَّلْتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّى وَرَبِّكُم ۚ مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذٌۢ بِنَاصِيَتِهَآ ۚ إِنَّ رَبِّى عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [هود: ٥٦].

أمَّا كمال الحكمة فثبوت الحكمة لـه سبحانه في خلقه وفي أمره وشرعه، حيث يضع الأشياء مواضعها وينزلها منازلها، ولا يتوجه إليه سؤال ولا يقدح في حكمته مقال.

أمَّا الحكمة في الخلق فإنه سبحانه خلق الخلق بالحق، ومشتملا على الحق، وكان نهايته وغايته الحق، أوجده بأحسن نظام، ورتبه بأكمل إتقان، وأعطى كل مخلوق خلقه اللائق به، بل أعطى كل جزءٍ من أجزاء المخلوقات، وكل عضو من أعضاء الحيوانات خلقته وهيئته اللائقة به، بحيث لا يُرى فيه شيء من التفاوت والخلل ﴿مَّا تَرَىٰ فِي خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ ۖ فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ۝٣ ثُمَّ ٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ ٱلْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ﴾ [الملك: ٣ - ٤]، ولو اجتمعت عقول الخلق على أن يقترحوا مثلا أو أحسن من هذه الموجودات لم يقدروا على ذلك ﴿صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ ۚ﴾ [النمل: ٨٨].

وأمَّا الحكمة في أمره وشرعه فإنه تعالى شرع الشرائع، وأنزل الكتب، وأرسل الرسل ليَعرِفَه العباد ويعبدوه، فلم يخلقهم هملا، ولم يوجدهم سُدًى، بل خلقهم لأكمل مقصد، وأوجدهم لأجلِّ غاية.

و(الحكم) العدل الذي إليه الحكم في كل شيء فيحكم تعالى بشرعه، ويبين لعباده جميع الطرق التي يحكم بها بين المتخاصمين، ويفصل بين المتنازعين، من الطرق العادلة الحكيمة، ويحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه، ويحكم فيها بأحكام القضاء، والقدر، فيجري عليهم منها ما تقتضيه حكمته، ويضع الأشياء مواضعها وينزلها منازلها، ويقضي بينهم يوم الجزاء

والحساب، فيقضي بينهم بالحق، ويحمده الخلائق على حكمه حتى من قضى عليهم بالعذاب يعترفون له بالعدل، وأنه لم يظلمهم مثقال ذرة).

قال تعالى: ﴿أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْتَغِي حَكَمًا﴾ [الأنعام: ١١٤] قال تعالى: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ وَٰسِعًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ١٣٠].

وهذان الاسمان العظيمان دالّان على ثبوت كمال الحكم لله، وكمال الحكمة.

والحَكَم: له الحُكم وحده سبحانه: يحكم بين عباده بما شاء، ويقضي فيهم بما يريد، لا رادّ لحكمه ولا معقب لقضائه ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَحْكَمِ ٱلْحَٰكِمِينَ﴾ [التين: ٨] فليس لأحدٍ أنْ يُراجع الله في حكمه كما يُراجع الناس بعضهم بعضاً في أحكامهم ﴿لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِۦ ۚ وَهُوَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾ [الرعد: ٤١].

له الحكم في الأولى والآخرة، لا يظلم مثقال ذرة، يجازي المحسن بإحسانه، والمسيء بإساءته ﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ [الجاثية: ٢١].

وقال تعالى: ﴿أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ﴾ [ص: ٢٨].

أي: لا نفعل ذلك ولا يستوون عند الله، وإذا كان الأمر كذلك، فلابُدّ من دارٍ أخرى يثاب فيها هذا المطيع، ويُعاقب فيها الفاجر، وهذا الإرشاد يدلّ العقول السليمة والفطر المستقيمة على أنه لابدّ من معاد وجزاء، فإنا نرى الظالم الباغي يزداد ماله وولده ويموت كذلك، ونرى المطيع المظلوم

يموت بكمده، فلابد في حكمة الحكيم العليم العادل الذي لا يظلم مثقال ذرة من إنصاف هذا من هذا، وإذا لم يقع هذا في هذه الدار فتعيّن أن هناك داراً أخرى لهذا الجزاء والمواساة.

عباد الله:

جاء في الحديث عن هانئ بن يزيد الحارثي: أنه لما وفد إلى رسول الله ﷺ مع قومه سمعهم يكنونه بأبي الحكم، فدعاه رسول الله ﷺ فقال: «**إن الله تعالى هو الحكم، إليه الحكم، فلِمَ تكنى أبا الحكم؟**» فقال: إنّ قومي إذا اختلفوا في شيء أتوني فحكمتُ بينهم فرضي كلا الفريقين. فقال رسول الله ﷺ: «**ما أحسن هذا فما لك من الولد**»، قال: لي شريح ومسلم وعبد الله، قال: «**فمن أكبرهم؟**»، قلت: شريح، قال: «**فأنت أبو شريح**» [رواه البخاري].

بارك الله لي ولكم...

الخطبة الثانية

الحمد لله يحكم ما يشاء ويفعل ما يريد، إليه الحكم وهو الحكيم الخبير، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ولا ند ولا شبيه، وأشهد أن نبينا محمداً عبده ورسوله المصطفى الأمين، صلى الله وسلم وبارك عليه، وعلى آله وأصحابه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

ومن حكمه وحكمته سبحانه مجازاة المحسن بإحسانه، والمسيء بإساءته، قال تعالى في شأن المحسن: ﴿هَلۡ جَزَآءُ ٱلۡإِحۡسَٰنِ إِلَّا ٱلۡإِحۡسَٰنُ﴾ [الرحمن: ٦٠]، وقال في شأن المسيء: ﴿ثُمَّ كَانَ عَٰقِبَةَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ ٱلسُّوٓأَىٰٓ﴾ [الروم: ١٠]، فلا يسوّي سبحانه بين محسن ومسيء، لا في الدنيا ولا في الآخرة ﴿أَمۡ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجۡتَرَحُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجۡعَلَهُمۡ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءٗ مَّحۡيَاهُمۡ وَمَمَاتُهُمۡۚ سَآءَ مَا يَحۡكُمُونَ﴾ [الجاثية: ٢١]، وهذا من كمال عدله، وهو مناسب غاية المناسبة لحكمة أحكم الحاكمين سبحانه.

وهو حكيم عليم؛ لأن الفاعل للأشياء المتقنة المحكمة لا يجوز أن يكون جاهلاً بها.

والله سبحانه هو الحكم في الدنيا والآخرة، فيحكم في الدنيا بينهم بوحيه الذي أنزله على أنبيائه، وفي الآخرة يحكم بينهم بعلمه فيما اختلفوا فيه، وينصف المظلوم من الظالم.

والله سبحانه له الحكمة العليا في خلقه وأمره، الذي أحسن كل شيء خلقه، فلا يخلق شيئًا عبثًا ولا يشرع شيئًا سدى، الذي له الحكم في الأولى والآخرة، وله الأحكام كلها لا يشاركه فيها مشارك. وهو الذي يحكم بين عباده في شرعه وقدره وجزائه.

وهو سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ واسع العلم والاطلاع على مبادئ الأمور وعواقبها، وهو واسع الحمد، تام القدرة، غزير الرحمة، يضع الأشياء في مواضعها، وينزلها منازلها اللائقة بها في خلقه وأمره.

ومن ثمرات معرفة هذا الإسم والإيمان به:

أولاً: إثبات صفة العدل، فهو العدل ﷻ، ولا عدل أكثر من عدله. وفي الصحيحين يوم قسم النبي ﷺ غنائم حنين (قال رجل: والله إن هذه القسمة ما عُدل فيها! وما أريد بها وجه الله! فبلغ ذلك النبي ﷺ فقال: «**فمن يعدل إذا لم يعدل الله ورسوله؟ رحم الله أخي موسى قد أوذي بأكثر من هذا فصبر**».

ثانيًا: الانقياد والقبول لجميع أحكام الله تعالى، قال ﷻ: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥] وقال تعالى: ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [المائدة: ٥٠].

ثالثًا: إثبات اسم وصفه الحكم له وحده سبحانه: فالحكم له وحده لا شريك له في حكمه، كما أنه لا شريك له في عبادته، قال تعالى: ﴿وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٢٦].

وقال تعالى: ﴿إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۖ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُۖ وَعَلَيۡهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُتَوَكِّلُونَ ۝٦٧ وَلَمَّا دَخَلُواْ مِنۡ حَيۡثُ أَمَرَهُمۡ أَبُوهُم مَّا كَانَ يُغۡنِي عَنۡهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَيۡءٍ إِلَّا حَاجَةً فِي نَفۡسِ يَعۡقُوبَ قَضَىٰهَاۚ وَإِنَّهُۥ لَذُو عِلۡمٍ لِّمَا عَلَّمۡنَٰهُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ [يوسف: ٦٧ - ٦٨].

رابعًا: خطر منازعة الله هذه الصفة، وذلك بالحكم بغير ما أنزل الله.

خامسًا: أن الحكمه كلها في الوحي وما جاء به الرسول ﷺ فعلى المسلم التمسك بها والقيام بحقها.

هذا وصلوا...

❊ ❊ ❊

(٢٤) الخطبة الأولى[1]

الحمد لله يحكم ما يشاء ويفعل ما يريد، له الحكم وهو على كل شيء قدير، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن نبينا محمداً عبده ورسوله الصادق الأمين، أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره الكافرون. صلى الله وسلم وبارك عليه، وعلى آله وأصحابه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

فاتقوا الله في السر والعلن ﴿وَٱتَّقُوا يَوۡمًا تُرۡجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفۡسٍ مَّا كَسَبَتۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٨١].

عباد الله:

روى الإمامان البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**إن لله تسعة وتسعين اسمًا، مئة إلا واحداً من أحصاها دخل الجنة**».

ومن أسماء الله تعالى التي وردت في القرآن اسم (الحكيم).

---

(١) اسم (الحكيم).

وجاء (الحكيم) مُعّرفًا في ثمانية وثلاثين موضعًا، قُرن في تسعة وعشرين منها بالعزيز، وفي ستة مواضع بالعليم، وفي ثلاثة منها بالخبير، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [سبأ: ١].

وجاء بلفظ: (حكيم) في ثمانية وثلاثين موضعاً قُرن في عشرين منها بعليم، وفي ثلاثة عشر موضعاً بعزيز، واقترن مرة بكل من عليٍّ وحميد، وتواب، وخبير، ومن أمثلته قوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلْقُرْءَانَ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ﴾ [النمل: ٦].

وجاء بالنصب حكيماً في ستة عشر موضعاً، قُرن في عشرة منها بعليم، وفي خمسة بعزيز، وفي موضع بواسع وهو قوله تعالى: ﴿وَإِن يَتَفَرَّقَا يُغْنِ ٱللَّهُ كُلًّا مِّن سَعَتِهِۦ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ وَٰسِعًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ١٣٠].

وجاء بلفظ خير الحاكمين في ثلاثة مواضع، منها قوله تعالى: ﴿فَٱصْبِرُوا۟ حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُ بَيْنَنَا ۚ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ﴾ [الأعراف: ٨٧].

وجاء بلفظ خير الحاكمين في موضعين، منهما قوله تعالى حكاية عن نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ ٱلْحَٰكِمِينَ﴾ [هود: ٤٥].

وقد ورد اسم الله (الحَكيم) في القرآن الكريم ما يقرب من مائة مرّة، قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [الأنعام: ١٨]، وقال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٢٨]، وقال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [النساء: ٢٦]، وقال تعالى: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ وَٰسِعًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ١٣٠].

وللحكيم معنيان: أحدهما؛ الحاكم الذي له الحكم المطلق الكامل من

جميع الوجوه، والخلق كلهم محكومون، له الحكم كله، وإليه يرجع الأمر كله، يحكم على عباده بقضائه وقدره، ويحكم بينهم بدينه وشرعه، ثم يوم القيامة يحكم بينهم بالجزاء بين فضله وعدله، فلا حاكم إلا الله، ولا يجوز تحكيم قانون ولا نظام سوى حكم الله، قال تعالى: ﴿أَفَحُكْمَ ٱلْجَـٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [المائدة: ٥٠].

وللحكيم معنى آخر، وهو ذو الحكمة، والحكمة ضد السفه، وهي وضع الأشياء في مواضعها اللائقة بها.

فاسم الحكيم يدل على صفة الحكم وصفة الحكمة، وبهذا نعلم أن من أسماء الله ما يكون دالًّا على عدة صفات، ويكون ذلك الاسم متناولاً لجميعها تناول الاسم الدال على الصفة الواحدة لها.

وهذا الاسم العظيم (الحكيم) دال على ثبوت كمال الحكم لله وكمال الحكمة.

أمَّا كمال الحُكم فبثبوت أنَّ الحكم لله وحده يحكم بين عباده بما يشاء ويقضي فيهم بما يريد، لا راد لحكمه، ولا معقب لقضائه، قال تعالى: ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَحْكَمِ ٱلْحَـٰكِمِينَ﴾ [التين: ٨]، وقال تعالى: ﴿أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْتَغِى حَكَمًا﴾ [الأنعام: ١١٤]، وقال تعالى: ﴿وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَـٰكِمِينَ﴾ [الأعراف: ٨٧]، وقال تعالى: ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾ [الأنعام: ٥٧]، وقال تعالى: ﴿وَلَا يُشْرِكُ فِى حُكْمِهِۦٓ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٢٦].

وليس لأحد أن يراجع الله في حكمه كما يراجع الناس بعضهم بعضا في أحكامهم، قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِۦ ۚ وَهُوَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾ [الرعد: ٤١]، فحكمه في خلقه نافذ لا رادّ له.

وثبوت الحكم له سبحانه يتضمَّن ثبوت جميع الأسماء الحسنى والصفات العليا؛ لأنه لا يكون حكمًا إلَّا سميعًا بصيرًا، عليمًا خبيرًا، متكلِّمًا مدبِّرًا، إلى غير ذلك من الأسماء والصفات.

وفي هذا إبطال لجعل الحكم لغير الله؛ الحكم لا يكون إلَّا لكامل الصفات، الذي له الأمر، وبيده التصرف، وتأمل هذا المعنى في قوله تعالى: ﴿فَٱلْحُكْمُ لِلَّهِ ٱلْعَلِيِّ ٱلْكَبِيرِ﴾ [غافر: ١٢]، وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْأُولَىٰ وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَلَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [القصص: ٧٠]، وقوله تعالى: ﴿وَمَا ٱخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَىْءٍ فَحُكْمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ ۚ﴾ [الشورى: ١٠]، ثم قال مبيِّنًا صفات من له الحكم: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبِّى عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ۝ فَاطِرُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَمِنَ ٱلْأَنْعَٰمِ أَزْوَٰجًا ۖ يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ ۚ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ۝ لَهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الشورى: ١٠ - ١٢]، أي: أن الذي له هذه الصفات هو الذي يستحقّ أن يشرع ويحلل ويحرم، وجعلُ ذلك لغيره أظلم ا لظلم وأعظم الجور ﴿أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [المائدة: ٥٠].

كما أنَّ في ذلك دلالة على أنَّ من هذا شأنه هو المستحق وحده أن يفرد بالذل والخضوع، قال تعالى: ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يوسف: ٤٠]، وقال تعالى: ﴿وَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ۘ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ ۚ لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [القصص: ٨٨].

وربنا (الحكيم): هو الذي يحكم الأشياء ويُتقنها ويُحسن التدبير لها.

حكيمٌ في خلقه: خلق الخلق في أحسن صورة، أعطى كل عضو خلقه وهيئته اللائقة به، خلق السموات والأرضين، لا يُرى فيها شيء من الخلل والتفاوت ﴿مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَـٰنِ مِن تَفَـٰوُتٍ ۖ فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ﴾ [الملك: ٣].

حكيم في شرعه: أي في أمره ونهيه، فلا يأمر عباده بأمر إلا فيه مصلحة وخير لهم، ولا ينهى عن شيء إلا فيه خير ومصلحة لهم، فشرعه اشتمل على كل خير، ونهى عن كل شر، ولا يصلح لخلقه إلا شرعه المطهر.

يقول الحليمي رَحِمَهُ اللَّهُ: (الحكيم: الذي لا يقول ولا يفعل إلا الصواب. وإنما ينبغي أن يوصف بذلك لأن أفعاله سديدة، وصنعه متقن، ولا يظهر الفعل المتقن السديد إلا من حكيم، كما لا يظهر الفعل على وجه الاختيار إلا من حي عالم قدير).

وقال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ: (الحكيم): الذي لا يدخل تدبيره خلل ولا زلل).

وقال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: (قد دلت العقول الصحيحة والفطر السليمة على ما دل عليه القرآن والسنُّة: أنه سبحانه (حكيم) لا يفعل شيئًا عبثًا، ولا لغير معنى ومصلحة، وحكمة هي الغاية المقصودة بالفعل. بل أفعاله سبحانه صادرة عن حكمة بالغة لأجلها فعل ما فعل كما هي ناشئة عن أسباب بها فعل.. وقد دل كلامه وكلام رسوله على هذا. وهذا في مواضع لا تكاد تحصى، ولا سبيل على استيعاب أفرادها).

قال الله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [الأنعام: ١٨].

وهو تعالى (الحكيم) الموصوف بكمال الحكمة وبكمال الحكم بين المخلوقات، فالحكيم هو واسع العلم والاطّلاع على مبادئ الأمور وعواقبها، واسع الحمد، تام القدرة، غزير الرحمة، فهو الذي يضع الأشياء مواضعها، وينزلها منازلها اللائقة بها في خلْقه وأمره، فلا يتوجه إليه سؤال، ولا يقدح في حكمته مقال.

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: (وإذا سَدَ عليكَ بحكمته طريقًا من طرقه، فتح لك برحمته طريقًا أنفع لك منه).

هذا وصلوا...

الخطبة الثانية

الحمد لله حكم فعدل، والصلاة والسلام على خير البشر، نبينا محمد وعلى آله وصحبه الأخيار الدرر. وعلى من تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

عباد الله:

وحكمته سبحانه نوعان:

النوع الأول: الحكمة في خلقه؛ فإنه خلق الخلق بالحق ومشتملاً على الحق، وكان غايته والمقصود به الحق، خلق المخلوقات كلها بأحسن نظام، ورتبها أكمل ترتيب، وأعطى كل مخلوق خلقه اللائق به، بل أعطى كل جزء من أجزاء المخلوقات وكل عضو من أعضاء الحيوانات خلقته وهيئته، فلا يرى أحد في خلقه خللاً، ولا نقصًا، ولا فطوراً، فلو اجتمعت عقول الخلق من أولهم إلى آخرهم ليقترحوا مثل خلق الرحمن أو ما يقارب ما أودعه في الكائنات من الحسن والانتظام والإتقان لم يقدروا، وأنّى لهم القدرة على شيء من ذلك، وحسب العقلاء الحكماء منهم أن يعرفوا كثيراً من حكمه، ويطَّلعوا على بعض ما فيها من الحسن والإتقان. وهذا أمر معلوم قطعًا بما يُعلم من عظمته وكمال صفاته، وتَتَبُّع حكمه في الخلق والأمر، وقد تحدَّى عباده وأمرهم أن ينظروا ويكرّروا النظر والتأمل هل يجدون في خلقه خللاً أو نقصًا، وأنه لابد أن ترجع الأبصار كليلة عاجزة عن الانتقاد على شيء مخلوقاته.

النوع الثاني: الحكمة في شرعه وأمره، فإنه تعالى شرع الشرائع، وأنزل الكتب، وأرسل الرسل ليعرفه العباد ويعبدوه، فأي حكمة أجلّ من هذا، وأيّ فضل وكرم أعظم من هذا، فإنّ معرفته تعالى وعبادته وحده لا شريك له، وإخلاص العمل له وحمده، وشكره والثناء عليه أفضل العطايا منه لعباده على الإطلاق، وأجلّ الفضائل لمن يمنّ الله عليه بها. وأكمل سعادة وسرور للقلوب والأرواح، كما أنها هي السبب الوحيد للوصول إلى السعادة الأبدية والنعيم الدائم، فلو لم يكن في أمره وشرعه إلا هذه الحكمة العظيمة التي هي أصل الخيرات، وأكمل اللذات، ولأجلها خلقت الخليقة وحق الجزاء، وخلقت الجنة والنار، لكانت كافية شافية.

هذا وقد اشتمل شرعه ودينه على كل خير، فأخباره تملأ القلوب علمـًا، ويقينـًا، وإيمانـًا، وعقائد صحيحة، وتستقيم بها القلوب ويزول انحرافها، وتثمر كل خلق جميل وعمل صالح وهدى ورشد.

وأوامره ونواهيه محتوية على غاية الحكمة والصلاح والإصلاح للدِّين والدنيا، فإنه لا يأمر إلا بما مصلحته خالصة أو راجحة، ولا ينهى إلا عما مضرّته خالصة أو راجحة.

ومن حكمة الشرع الإسلامي أنه كما أنه هو الغاية لصلاح القلوب، والأخلاق، والأعمال، والاستقامة على الصراط المستقيم، فهو الغاية لصلاح الدنيا، فلا تصلح أمور الدنيا صلاحـًا حقيقيـًا إلا بالدين الحق الذي جاء به محمد ﷺ، وهذا مشاهد محسوس لكل عاقل، فإنّ أُمّة محمد لما كانوا قائمين بهذا الدين أصوله وفروعه وجميع ما يهدي ويرشد إليه، كان

أحوالهم في غاية الاستقامة والصلاح، ولّما انحرفوا عنه وتركوا كثيراً من هداه، ولم يسترشدوا بتعاليمه العالية، انحرفت دنياهم كما انحرف دينهم.

ومن آثار الإيمان بهذا الاسم العظيم:

أولاً: أن الأحكام الشرعية في الإسلام من لدن حكيم خبير، جاءت لاسعاد البشرية، وإقامة العدل، قال تعالى: ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَحْكَمِ ٱلْحَٰكِمِينَ﴾ [التين: ٨] وقال تعالى: ﴿فَٱصْبِرُوا۟ حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُ بَيْنَنَا ۚ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ﴾ [الأعراف: ٨٧].

ثانيًا: أن الله حكيم في أقداره، فما يقدره الله تعالى على العباد من خير أو شر إنما هو لحكمه بالغة، وتدبير حكيم، قال تعالى: ﴿حِكْمَةٌۢ بَٰلِغَةٌ ۖ فَمَا تُغْنِ ٱلنُّذُرُ﴾ [القمر: ٥].

ثالثًا: الرضى بحكم الله وشرعه، قال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥].

رابعًا: معرفة فضل الحكيم على عباده أن شرع الشرائع، وأنزل الكتب، وأرسل الرسل لعبادة الله وحده لا شريك له.

هذا وصلوا...

❀ ❀ ❀

٢٥ الخطبة الأولى (١)

الحمد لله الغفور الحليم، رب السموات ورب الأرض ورب العرش العظيم، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ولا ند له ولا شبيه ولا مثيل، وأشهد أن نبينا محمداً عبدالله ورسوله، أرسله الله إلى الثقلين بشيراً ونذيراً، وهادياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً، صلى الله وسلم وبارك عليه، وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

فاتقوا الله وأطيعوه ﴿وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا لَّا تَجۡزِي نَفۡسٌ عَن نَّفۡسٖ شَيۡـٔٗا وَلَا يُقۡبَلُ مِنۡهَا شَفَٰعَةٞ وَلَا يُؤۡخَذُ مِنۡهَا عَدۡلٞ وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ﴾ [البقرة: ٤٨].

عباد الله:

أسماء الله تعالى كلها حسنى، وصفاته كلها علا، ومن أسماء الله تعالى اسم (الحليم).

والحِلْمُ: نقيض السَّفَهِ.

أمّا الحُلْمُ فهو الرُّؤْيا، والجمع أَحْلامٌ يقال: حَلَمَ يحْلُمُ: إذا رأى في المنام.

قال الراغب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (الحِلْمُ ضَبطُ النفس والطبع عن هيجان الغضب وجمعه أحلامٌ).

---

(١) اسم (الحليم).

ومعناه في حق الله تعالى:

قال ابن جرير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (حليم) يعني أنّه ذو أناة، لا يعجل على عباده بعقوبتهم على ذنوبهم).

وقال في موضع آخر: (حليماً عمّن أشرك وكفر به من خلقه، في تركه تعجيل عذابه له).

ويقول السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (والحليم الذي يدر على خلقه النعم الظاهرة، والباطنة مع معاصيهم، وكثرة زلاتهم، فيحلم عن مقابلة العاصين بعصيانهم، ويستعتبهم كي يتوبوا، ويمهلهم كي ينيبوا).

والله حليم ذو أناة لا يعجل على عباده بعقوبتهم على ذنوبهم.

وقيل الحليم: الصبور وهو الذي لا يستخفه عصيان العصاة، ولا يستفزه الغضب عليهم، وهو سبحانه لو أراد أخذ العاصي في وقته أخذه، لكنه جعل لكل شيء مقداراً، فهو منتهٍ إليه، فهو يحلم عنه ويؤخره إلى أجله.

وقال الخطابي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: هو ذو الصَّفحِ والأناةِ، الذي لا يَستفزُّهُ غضبٌ، ولا يَستَخِفُّهُ جهلُ جاهل، ولا عصيانُ عاصٍ.

ولا يستحق الصافح مع العجزِ اسم الحِلمِ، إنّما الحليمُ هو الصَّفُوح مع القدرة والمتأنّي الذي لا يَعجَلُ بالعقوبة.

قال الله تعالى: ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ فَٱحۡذَرُوهُۚ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٞ﴾ [البقرة: ٢٣٥].

الذي يَدِرُّ على خلقه، النعم الظاهرة والباطنة، مع معاصيهم وكثرة زلاَّتهم، فيحلم عن مقابلة العاصين بعصيانهم. ويستعتبهم كي يتوبوا، ويمهلهم كي ينيبوا.

وهو سبحانه الذي له الحلم الكامل الذي وسع أهل الكفر والفسوق.

وقد ورد اسمه سبحانه (الحليم) في القرآن الكريم إحدى عشرة مرة، من ذلك قوله سبحانه: ﴿يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِيٓ أَيْمَـٰنِكُمْ وَلَـٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٢٥].

وقوله سبحانه: ﴿وَلَقَدْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ [آل عمران: ١٥٥].

وقوله ﷻ: ﴿وَصِيَّةٍ يُوصَىٰ بِهَآ أَوْ دَيْنٍ غَيْرَ مُضَآرٍّ ۚ وَصِيَّةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ﴾ [النساء: ١٢]. وقوله تعالى: ﴿قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَآ أَذًى ۗ وَٱللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٦٣]. وقوله تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿إِن تُقْرِضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَـٰعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ﴾ [التغابن: ١٧].

كما جاء ذكر اسمه سبحانه (الحليم) في دعائه ﷺ عند الكرب ومنه: «**لا إله إلا الله العظيم الحليم...**» الحديث.

عباد الله:

(الحليم) اسم تكرَّر وروده في القرآن الكريم في عدة مواضع، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا ۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ [فاطر: ٤١].

وقال الله تعالى: ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ فَٱحْذَرُوهُ ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٣٥]، وقال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥١].

ومعناه: أي: الذي لا يعجل على عباده بعقوبتهم على ذنوبهم ومعاصيهم، يرى عباده وهم يكفرون به ويعصونه، وهو يحلم عليهم فيؤخر وينظر

ويؤجل ولا يعجل، ويوالي النعم عليهم مع معاصيهم وكثرة ذنوبهم وزلاتهم، فيحلم عن مقابلة العاصين بعصيانهم، ويمهلهم كي يتوبوا، ولا يعاجلهم بالعقوبة كي يُنيبوا ويرجعوا.

وحلمه سبحانه عمن كفر به وعصاه عن علم وقوّة وقدرة لا عن عجز، قال الله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَكَانُوٓا۟ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعْجِزَهُۥ مِن شَىْءٍ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا﴾ [فاطر: ٤٤].

وقد أخبر سبحانه عن حلمه بأهل المعاصي والذنوب وأنواع الظلم بأنه لو كان يؤاخذهم بذنوبهم أولاً لما أبقى على ظهر الأرض من دابة، كما قال سبحانه: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِظُلْمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَـٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً ۖ وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ [النحل: ٦١]، وقال تعالى: ﴿وَرَبُّكَ ٱلْغَفُورُ ذُو ٱلرَّحْمَةِ ۖ لَوْ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُوا۟ لَعَجَّلَ لَهُمُ ٱلْعَذَابَ ۚ بَل لَّهُم مَّوْعِدٌ لَّن يَجِدُوا۟ مِن دُونِهِۦ مَوْئِلًا﴾ [الكهف: ٥٨].

فمع ما يكون منهم من شرك به سبحانه، ووقوع في مساخطه واجتهاد في مخالفته ومحاربة دينه، ومعاداة لأوليائه يحلم عليهم، ويسوق إليهم أنواع الطّيبات، ويرزقهم ويعافيهم، جاء في الصّحيح من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ فيما يرويه عن ربّه أنه قال: «**يشتمني ابن آدم، وما ينبغي له أن يشتمني، ويكذِّبني، وما ينبغي له، أما شتمه فقوله: إنَّ لي ولداً، وأما تكذيبه فقوله: ليس يعيدني كما بدأني**».

وفي الصّحيحين من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «**ليس أحدٌ أو ليس أصبرَ أذى سمعه من الله، إنهم ليدعون له ولداً، وإنّه ليعافيهم ويرزقهم**».

قال ابن القيِّم رحمه الله: (وهو مع هذا الشتم له والتكذيب يرزق الشاتم المكذب، ويعافيه، ويدفع عنه، ويدعوه إلى جنته، ويقبل توبته إذا تاب إليه، ويبدله بسيئاته حسنات، ويلطف به في جميع أحواله، ويؤهله لإرسال رسله، ويأمرهم بأن يلينوا له القول ويرفقوا به).

ومن ذلكم حلمه بفرعون مع شدة طغيانه وعلوه في الأرض وإفساده للخلق، قال تعالى: ﴿ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ۝٤٣ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾ [طه: ٤٣ - ٤٤].

وكذلك حلمُه سبحانه بالذين نَسَبوا له الولد حيث دعاهم للتوبة، وفتح لهم أبوابها، قال تعالى: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ ۘ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۚ وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا۟ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝٧٣ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾

[المائدة: ٧٣ - ٧٤].

وحلمُه سبحانه بأصحاب الأخدود وهم قوم من الكفار، كان عندهم قوم مؤمنون، فراودوهم للدّخول في دينهم، فامتنعوا، فشق الكفار أخدُودا في الأرض أجَّجوا فيه ناراً، ثم فتنوا المؤمنين وعرضوهم على النار، فمن استجاب لهم أطلقوه، ومن امتنع قذفوه في النار، وهذا في غاية المحاربة لله ولأوليائه المؤمنين، ومع هذا كله دعاهم سبحانه للتوبة.

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُوا۟ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا۟ فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ ٱلْحَرِيقِ﴾ [البروج: ١٠].

قال الحسن البصري رَحِمَهُ اللَّهُ: (انظروا إلى هذا الكرم والجود، قتلوا أولياءه وهو يدعوهم إلى التّوبة والمغفرة).

ومن حلمه سبحانه إمساكه للسماء أن تقع على الأرض، وإمساكه لهما أن تزولا مع كثرة ذنوب بني آدم ومعاصيهم، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُمۡسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ أَن تَزُولَاۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنۡ أَمۡسَكَهُمَا مِنۡ أَحَدٖ مِّنۢ بَعۡدِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورٗا﴾ [فاطر: ٤١].

قال السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ: في تفسير لهذه الآية: (يخبر تعالى عن كمال قدرته، وتمام رحمته، وسعة حلمه ومغفرته، وأنه تعالى يمسك السموات والأرض عن الزوال، فإنهما لو زالتا ما أمسكهما أحد من الخلق، ولعجزت قدرتهم وقواهم عنهما، ولكنه تعالى قضى أن يكونا كما وجدا، ليحصل للخالق القرار والنفع والاعتبار، وليعلموا من عظيم سلطانه،وقوة قدرته ما به تمتلئ قلوبهم له إجلالًا وتعظيمًا، ومحبة وتكريمًا، وليعلموا كمال حلمه ومغفرته بإمهال المذنبين، وعدم معالجته للعاصين، مع أنه لو أمر السماء لحصبتهم، ولو أذن للأرض لابتلعتهم، ولكمن وسعتهم مغفرته وحلمه وكرمه ﴿إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورٗا﴾ [فاطر: ٤١].

وقد اقترن اسمه تبارك (الحليم) بالعليم في قوله تعالى: ﴿لَيُدۡخِلَنَّهُم مُّدۡخَلٗا يَرۡضَوۡنَهُۥۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٞ﴾ [الحج: ٥٩].

واقترن بالغني في قوله: ﴿قَوۡلٞ مَّعۡرُوفٞ وَمَغۡفِرَةٌ خَيۡرٞ مِّن صَدَقَةٖ يَتۡبَعُهَآ أَذٗىۗ وَٱللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٞ﴾ البقرة: ٢٦٣].

واقترن بالشكور في قوله: ﴿إِن تُقۡرِضُواْ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنٗا يُضَٰعِفۡهُ لَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ﴾ [التغابن: ١٧].

واقـترن بـالغفور في قولـه: ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ فَٱحۡذَرُوهُۚ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٞ﴾ [البقرة: ٢٣٥].

وفي هـذا دلالـة علـى أنّ حلمـه عـن إحاطـة بالعبـاد وأعمـالهم، وعـن غنـى عـنهم، فـلا تنفعـه طاعـة مـن أطاع ولا تضـره معصـية مـن عصـى ومـن شـكر؛ فيشكر القليل من العمل ويثيـب عليـه الثـواب العظـيم، وعـن مغفـرة فيتجـاوز عن التائب المنيب مهما عظم إثمه وكبر جرمه).

وقال في موطن آخر: (الحليم الذي له الحلم الكامل، والـذي وسـع حلمـه أهل الكفر، والفسوق، والعصيان، ومنع عقوبته أن تحل بأهل الظلـم عـاجلاً، فهو يمهلهم ليتوبوا، ولايهملهم إذا أصروا، واستمروا في طغيانهم، ولـم ينيبـوا والله تعالى حليم عفو، فله الحلم الكامل، وله العفـو الشـامل، ومتعلـق هـذين الوصفين العظيمين معصية العاصين، وظلم المجرمين، فإن الـذنوب تقتضـي ترتيب آثارها عليهما من العقوبات العاجلة المتنوعـة. وحلمـه تعـالى يقتضـي إمهال العاصين، وعـدم معـاجلتهم، ليتوبـوا، وعفـوه يقتضـي مغفـرة مـا صـدر منهم من الذنوب خصوصـاً إذا أتوا بأسـباب المغفـرة مـن الاسـتغفار، والتوبـة والإيمـان، والأعمـال الصـالحة، وحلمـه وسـع السـماوات والأرض، فلـولا عفوه ما ترك على ظهرها من دابـة، وهـو تعـالى عفـو يحـب العفـو عـن عبـاده، ويحب منهم أن يسعوا بالأسباب التي ينالون بها عفوه من السـعي في مرضـاته، والإحسان إلى خلقه.

ومن كمال عفوه أن المسرفين على أنفسهم إذا تابوا إليه غفر لهـم كل جـرم صغير وكبير، وأنه جعل الإسلام يجب ما قبله، والتوبة تجب ما قبلها).

بارك الله لي ولكم...

الخـطـبـة الثـانيـة

الحمد لله، وله المحامد كلها، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن نبينا محمداً عبده ورسوله، وصفيه وخليله، صلى الله وسلم عليه، وعلى آله وصبحه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

فإن من آثار الإيمان باسمه سبحانه (الحليم): محبة الله ﷻ والحياء منه، حيث إن حلمه العظيم اقتضى الصبر على عباده العصاة، وعدم الاستعجال في عقوبتهم لعلهم يستعتبون ويتوبون.

فعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «**ما أحد أصبر على أذى يسمعه من الله تعالى، إنهم يجعلون له نداً ويجعلون له ولداً وهو مع ذلك يرزقهم ويعافيهم ويعطيهم**» [رواه مسلم].

وقد كان ﷺ يقول عند الكرب: «**لَا إِلَـهَ إِلَّا اللهُ الحَلِيمُ الحَكِيمُ، لَا إِلَـهَ إِلَّا اللهُ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ، لَا إِلَـهَ إِلَّا اللهُ رَبُّ السَّموَاتِ، وَرَبُّ الْأَرْضِ، وَرَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ**» [رواه الترمذي].

ومن ثمرات الإيمان بهذا الاسم: معرفة سعة حلم الله على عباده والتقرب إليه وإخلاص العبادة له.

قال ابن القيم رحمه الله: (شهود حلم الله سبحانه وتعالى في إمهال راكب الخطيئة ولو شاء لعاجله بالعقوبة ولكنه (الحليم) الذي لا يعجل فيحدث له ذلك

معرفة ربه سبحانه باسمه (الحليم) ومشاهدة صفة الحلم والتعبد بهذا الاسم).

ويقول أيضًا: (ولما كان اسم (الحليم) أدخل في الأوصاف، واسم (الصبور) في الأفعال، كان الحلم أصل الصبر وموقع الاستغناء بذكره في القرآن عن اسم الصبور).

والله سبحانه يعفو عن كثير من السيئات، ويمهل عباده بعد المعصية، ولا يعاجلهم بالعقوبة والانتقام، ويقبل توبتهم بعد ذلك.

وهو سبحانه الحليم؛ لأنه يصفح مع القدرة، أما من يصفح مع العجز فليس بحليم.

وحلم الله تعالى لا يزل ولم يزول، وأما حلم المخلوق فلم يكن في الصغر ثم كان في الكبر، وقد يتغير بالمرض والغضب والأسباب الحادثة، كما أنه يفني بفنائه، والمخلوق يحلم عمن لا يقدر عليه، والله تعالى حليم مع القدرة.

فالله سبحانه حليم يدرُّ على خلقه النعم الظاهرة والباطنة، مع معاصيهم وكثرة زلاتهم، فيحلم عن مقابلة العاصين بعصيانهم، ويستعتبهم كي يتوبوا، ويمهلهم كي ينيبوا.

حلمه كامل، وقد وسع حلمه سبحانه أهل الكفر والعصيان، ومنع عقوبته أن تحل بأهل الظلم عاجلاً.

هذا وصلوا...

❁ ❁ ❁

٢٦ الخطبة الأولى[1]

الحمد لله الشاكر الشكور، يعطي الجزيل على اليسير من العمل، الحسنة بعشر، والسيئة بواحدة ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [الأنعام: ١٦٠]، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وإليه المرجع والمعاد، وأشهد أن نبينا محمداً عبده ورسوله، خير شاكر لربه، وعابد وقانت، صلى الله وسلم وبارك عليه، وعلى آله وأصحابه، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

فاتقوا الله ربكم، وسارعوا إلى مرضاته، فإن التقي هو السعيد.

عباد الله:

الشكر: عرفان الإحسان ونشره، ورجل شكور: كثير الشكر. وفي التنزيل: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾ [الإسراء: ٢] والشكور من أبنية المبالغة.

و(الشكور) من صفات الله جَلَّ وَعَلَا، ومعناه: أنه يزكو عنده القليل من أعمال العباد فيضاعف لهم الجزاء.

---

(١) اسم (الشاكر، الشكور).

وأما الشكور من عباد الله فهو الذي يجتهد في شكر ربه بطاعته وأدائه ما فرض عليه من عبادته.

والشكر مثل الحمد؛ إلا أن الحمد أعم منه، فإنك تحمد الإنسان على صفاته الجميلة وعلى معروفه، ولا تشكره إلا على معروفه دون صفاته.

وقد ورد اسمه سبحانه (الشكور) في القرآن الكريم أربع مرات كما في قوله سبحانه ﴿وَٱللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ﴾ [التغابن: ١٧]، وقوله ﷻ: ﴿لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾ [فاطر: ٣٠].

وقوله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ﴾ [فاطر: ٣٤].

وقوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُۥ فِيهَا حُسْنًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾ [الشورى: ٢٣].

أما اسمه سبحانه (الشاكر)، فقد ورد في القرآن الكريم مرتين فقط وذلك في قوله ﷻ: ﴿وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ١٥٨]. وقوله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنتُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا﴾ [النساء: ١٤٧].

و ربنا (الشاكرُ الشَّكور) الذي لا يضيع سعي العاملين لوجهه بل يضاعفه أضعافاً مضاعفة؛ فإن الله لا يُضيع أجر من أحسن عملاً، وقد أخبر في كتابه وسنّة نبيِّه بمضاعفة الحسنات الواحدة بعشر إلى سبعمائة إلى أضعاف كثيرة، وذلك من شكره لعباده، فبعينه ما يحتمل المتحمّلون لأجله ومن فعل لأجله أعطاه فوق المزيد، ومن ترك شيئاً لأجله عوّضه خيراً، من كراماته، ما لا عينٌ رأت، ولا أذنٌ سمعت، ولا خطر على قلب بشر، وكل هذا ليس حقاً واجباً عليه، وإنّما هو الذي أوجبه على نفسه جوداً ومنّه وكرماً.

قال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ﴾ [فاطر: ٣٤]، وقال تعالى: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ١٥٨].

وهو سبحانه يحب الشَّكُور من العباد، ويحب شكرهم، وإذا شكروا زادهم من فضله، قال تعالى: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [إبراهيم: ٧].

عباد الله:

والشكر وقت الرخاء من أهم أسباب النجاة وقت الشدة، فقد منّ الله على نبيه لوط عَلَيْهِ السَّلَامُ بنجاته ﴿نِّعْمَةً مِّنْ عِندِنَا ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى مَن شَكَرَ﴾ [القمر: ٣٥].

والشكر: الثناء على الإنسان بمعروف يوليكه، ويقال إن حقيقة الشكر الرضا باليسير، ويطلق الشكر على عرفان الإحسان ونشره، والفرق بينه وبين الحمد: أن الحمد يكون عن يد وعن غير يد، والشكر لا يكون إلا عن يد.

والشكر من الله: المجازاة والثناء الجميل، والشكور: كثير الشكر.

والشكر هو: مقابلة النعمة بالقول والفعل والنيّة، فيثني على المنعم بلسانه يجتهد في طاعته، ويعتقد أنه موليها.

والله سبحانه شكور للحسنات يضاعفها، وهو سبحانه يشكر لهم نعماً هو أعطاهم إياه وجعلها لهم.

قال ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (هلك من غلبت واحدته أعشاره). أي؛ غلبت سيئاته حسناته، لأن السيئة بواحدة، والحسنة بعشر.

وهو الذي يزكو عنده اليسير من أعمال العباد، فيضاعف لهم الجزاء، ولا يضيع لديه عمل عامل، ومن شكره لعباده مغفرته لهم، وهو سبحانه يعطي الجزيل من النعمة فيرضى باليسير من الشكر.

ومن شكره؛ إثابته الشاكر على شكره، فجعل ثوابه للشكر وقبوله للطاعة شكراً، وهو سبحانه شكور يدوم شكره ويعم كل مطيع، وكل صغير من الطاعة أو كبير.

وشكر الله تعالى ليس كشكر المخلوقين؛ فمن ذلك أن المخلوق يشكر من أحسن إليه، والله سبحانه يشكر لنا إحساننا على أنفسنا.

وهو الذي يشكر القليل من العمل، ويغفر الكثير من الزلل، ويضاعف للمخلصين أعمالهم بغير حساب، ويشكر الشاكرين، ويذكر من ذكره. ومن فعل شيئًا لأجله سبحانه أعطاه فوق المزيد، ومن ترك شيئًا لأجله عوّضه خيراً منه، وهو سبحانه وفّق المؤمنين لمرضاته، ثم شكرهم على ذلك وأعطاهم من كراماته، ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، وهذا ليس واجبًا عليه – سبحانه – وإنما أوجبه على نفسه جوداً وكرمًا.

عباد الله:

والله سُبْحَانَهُوَتَعَالَى هو الشكور على الحقيقة، فهو يشكر القليل من العمل والعطاء فلا يستقله أن يشكره، ويشكر الحسنة بعشر أمثالها إلى أضعاف مضاعفة، ويشكر عبده بقوله بأن يثني عليه بين ملائكته وفي ملئه الأعلى، ويلقي له الشكر بين عباده، ويشكره بفعله فإذا ترك له شيئًا أعطاه أفضل منه، وإذا بذل له شيئًا رده عليه أضعافًا مضاعفة، وهو الذي وفقه للترك والبذل وشكره على هذا وذاك.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (قال قتادة: ﴿إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾ [فاطر: ٣٠]، إنه غفور لذنوبهم، شكور لحسناتهم).

وقال أيضـًا: (إن الله غفور للذنوب، شكور للحسنات يضاعفها).

قال الخطابي رَحِمَهُ اللَّهُ: (الشكور): هو الذي يشكر اليسير من الطاعة فَيُثِبُ عليه الكثير من الثواب، ويعطي الجزيلَ من النعمة، فيرضى باليسير من الشكر كقوله سبحانه: ﴿إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ﴾ [فاطر: ٣٤].

ومعنى الشكر المضاف إليه: الرضا بيسير الطاعة من العبد والقبولُ له، وإعظام الثواب عليه والله أعلم. وقد يحتمل أن يكون معنى الثناء على الله عَزَّ وَجَلَّ الشكور ترغيب الخلق في الطاعة، قَلَّتْ أو كثُرت، لئلا يستقلُّوا القليل من العمل فلا يتركوا اليسير من جملته إذا أعوزهم الكثير منه).

وقال السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ: (ومن أسمائه تعالى الشاكر والشكور، وهو الذي يشكر القليل من العلم الخالص النقي النافع، ويعفو عن الكثير من الزلل ولا يضيع أجر من أحسن عملاً، بل يضاعفه أضعافًا مضاعفة بغير عدٍ ولا حساب، ومن شكره أنه يجزي بالحسنة عشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة، وقد يجزي الله العبد على العمل بأنواع من الثواب العاجل قبل الآجل. وليس عليه حق واجب بمقتضى أعمال العباد وإنما هو الذي أوجب الحق على نفسه كرمـًا منه وجوداً، والله لا يضيع أجر العاملين إذا أحسنوا في أعمالهم وأخلصوا لله تعالى).

وقال أيضـًا: (فإذا قام عبد بأوامره، وامتثل طاعته أعانه على ذلك، وأثنى عليه، ومدحه، وجازاه في قلبه نوراً وإيماناً وسعة، وفي بدنه قوة ونشاطـًا وفي جميع أحواله زيادة بركة ونماء، وفي أعماله زيادة توفيق.

ثم بعد ذلك يقدم على الثواب الآجل عند ربه كاملاً موفوراً، لم تنقصه

هذه الأمور. ومن شكره لعبده أن من ترك شيئًا لله عوضه الله خيراً منه...).

عباد الله:

يفصل ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ بعض معاني شكر الله ﷻ فيقول: (وأما شكر الربِّ تعالى: فله شأنٌ آخر كشأن صبره، فهو أولى بصفة الشكر من كلِّ شكور، بل هو الشكور على الحقيقة، فإنه يُعطي العبد؛ ويوفّقه لما يشكره عليه، ويشكر القليلَ من العمل والعطاء؛ فلا يستقلّه أن يشكره، ويشكر الحسنة بعشر أمثالها إلى أضعاف مضاعفة.

ولما عقر نبيهُ سليمانُ الخيلَ - غضباً له إذ شغلته عن ذكره؛ فأراد ألا تشغله مرة أخرى – أعاضه عنها متن الريح، ولما ترك الصحابة ديارهم وخرجوا منها في مرضاته، أعاضهم عنها أن ملَّكهم الدنيا؛ وفتحها عليهم، ولما احتمل يوسف الصديق ضيق السجن، شكر له ذلك بأن مكَّن له: ﴿فِي ٱلۡأَرۡضِ يَتَبَوَّأُ مِنۡهَا حَيۡثُ يَشَآءُۚ﴾ [يوسف: ٥٦]، ولما بذل الشهداء أبدانهم له حتى مزَّقها أعداؤه، شكر له ذلك بأن أعاضهم منها طيراً خضراً أقرَّ أرواحهم فيها ترد أنهار الجنة، وتأكل من ثمارها ليوم البعث، فيردها عليهم أكمل ما تكون وأجمله وأبهاه، ولما بذل رسله أعراضهم فيه لأعدائهم فنالوا منهم وسبُّوهم: أعاضهم من ذلك بأن صلَّى عليهم هو وملائكته؛ وجعل لهم أطيب الثناء في سماواته وبين خلقه؛ فأخلصهم: ﴿بِخَالِصَةٖ ذِكۡرَى ٱلدَّارِ﴾ [ص: ٤٦].

ومن شكره سبحانه؛ أنه يُجازي عدوَّه بما يفعله من الخير والمعروف في الدنيا؛ ويُخفِّف به عنه يوم القيامة؛ فلا يُضيع عليه ما يعمله من الإحسان؛ وهو من أبغض خلقه إليه.

ومن شكره؛ أنه غفر للمرأة البغيِّ بسقيها كلبًا كان قد جهده العطش؛ حتى أكل الثرى، وغفر لآخر بتنحيته غصن شوكٍ عن طريق المسلمين، فهو سبحانه يشكر العبد على إحسانه لنفسه، والمخلوق إنما يشكر من أحسن إليه.

وأبلغ من ذلك أنه سبحانه هو الذي أعطى العبد ما يحسن به إلى نفسه؛ وشكرَه على قليله بالأضعاف المضاعفة؛ التي لا نسبة لإحسان العبد إليها، فهو المحسن بإعطاء الإحسان وإعطاء الشكر، فمَنْ أحقُّ باسم (الشكور) منه سبحانه؟

ومن شُكْرِه سبحانه؛ أنه يُخرج العبد من النار بأدنى مثقال ذرةٍ من خير، ولا يُضيع عليه هذا القدر، ومِن شُكْرِه سبحانه: أن العبد من عباده يقوم له مقامًا يُرضيه بين الناس، فيشكره له، ويُنوِّه بذكره، ويُخبر به ملائكته وعباده المؤمنين، كما شكر لمؤمن آل فرعون ذلك المقام، وأثنى به عليه، ونوَّه بذكره بين عباده، وكذلك شكره لصاحب يس مقامه ودعوته إليه، فلا يهلك عليه بين شكره ومغفرته إلا هالك، فإنه سبحانه: غفور شكور يغفر الكثير من الزلل، ويشكر القليل من العمل).

عباد الله:

إنَّ منزلة الشكر من أعلى المنازل، وهي فوق منزلة الرضا وزيادة؛ فالرضا مندرجٌ في الشكر، إذ يستحيل وجودُ الشكر بدونه. وهو نصف الإيمان، والإيمان نصفان: نصف شكر، ونصف صبر.

وقد أمر الله بالشكر، ونهى عن ضده، وأثنى على أهله، ووصف به خواصّ خلقه، وجعله غايةَ خلقه وأمره، ووعد أهلَه بأحسن جزائه، وجعله سببًا

للمزيد من فضله، وحارساً وحافظاً لنعمته، وأخبر أنَّ أهلَه هم المنتفعون بآياته، واشتق لهم اسماً من أسمائه؛ فإنه سبحانه هو (الشكور)، وهو يُوصِلُ الشاكر إلى مشكوره، بل يعيد الشاكر مشكوراً، وهو غاية الرب من عبده، وأهلُه هم القليل من عباده. قال الله تعالى: ﴿وَٱشْكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ [البقرة: ١٧٢]. وقال: ﴿وَٱشْكُرُواْ لِى وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ [البقرة: ١٥٢].

وقال عن خليله إبراهيم عليه السلام: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾ شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ ٱجْتَبَىٰهُ وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [النحل: ١٢٠ - ١٢١].

وقال عن نوح عليه السلام: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾ [الإسراء: ٣].

وقال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [النحل: ٧٨].

وقال تعالى: ﴿وَٱعْبُدُوهُ وَٱشْكُرُواْ لَهُۥٓ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [العنكبوت: ١٧]، وقال تعالى: ﴿وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٤].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ [لقمان: ٣١].

وسمى نفسه (شاكراً) (وشكوراً)، وسمى الشاكرين بهذين الأسمين، فأعطاهم من وصفه، وسمّاهم باسمه، وحسبك بهذا محبة للشاكرين وفضلاً وإعادته للشاكر مشكوراً، كقوله: ﴿إِنَّ هَٰذَا كَانَ لَكُمْ جَزَآءً وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا﴾ [الإنسان: ٢٢].

ورضا الرب عن عبده به، كقوله: ﴿وَإِن تَشْكُرُواْ يَرْضَهُ لَكُمْ﴾ [الزمر: ٧].

وقلة أهله في العالمين تدلّ على أنهم هم خواصه، وكقوله: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ﴾ [سبأ: ١٣].

في الصحيحين عن النبي ﷺ أنه قام حتى تورّمت قدماه، فقيل له: تفعل هذا، وقد غفر الله لك ما تقدَّم من ذنبك وما تأخر؟! فقال: «أفلا أكونُ عبداً شكوراً» [رواه البخاري].

وقال ﷺ لمعاذ رضي الله عنه: «والله يا معاذُ! إني لأحبُّك، فلا تنسَ أن تقولَ في دُبُر كلِّ صلاةٍ: اللهم أعِنِّي على ذِكْرِكَ، وشُكرِكَ، وحُسْنِ عِبَادَتِكَ» [رواه أبو داود].

والشُّكر هو القيامُ له بطاعته، والتقرّب إليه بأنواع محابّه ظاهراً وباطناً، وهذان الأمران هما جماع الدِّين، فذكرُه مستلزمٌ لمعرفته، وشكره متضمن لطاعته، وهذان هما الغايةُ التي خُلِق لأجلها الجن والإنس والسموات والأرض، ووضع لأجلها الثواب والعقاب وما بينهما، وأرسل الرسل، وهي الحق الذي به خلقت السموات والأرض وما بينهما، وضدّها هو الباطل والعبث الذي يتعالى ويتقدس عنه وهو ظن أعدائه به.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ [إبراهيم: ٧].

بارك الله لي ولكم...

الخطبة الثانية

الحمد لله حمد الشاكرين، أحمده وأشكره، وأثني عليه الخير كله، وأصلي وأسلم على عبده ورسوله، وصفيه من خلقه، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه أجمعين، والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

عباد الله:

من آثار الإيمان باسميه سبحانه (الشاكر، الشكور):

أولاً: محبته سبحانه والسعي في مرضاته حيث إنه سبحانه قد غمر العباد بفضله وإحسانه وكرمه، وهو الذي أنعم عليهم بنعمة الإيجاد والإعداد والإمداد، ومع ذلك فحينما يعملون العمل الصالح القليل الذي هو بتوفيقه وفضله يشكرهم عليه ويضاعف لهم الأجور ويغفر لهم الذنوب، فسبحانه من إله بر رحيم، جواد كريم، يستحق الحمد كله والحب كله، وإفراده وحده بالعبادة لا شريك له.

ثانيـًا: الحياء من الله ﷻ والقيام بشكر نعمه سبحانه وحمده، وذلك بالقلب واللسان والجوارح.

ثالثـًا: القيام بشكر الله ﷻ لا يتوقف على النطق فقط، وإنما هو من أعمال القلوب واللسان والجوارح، وقد مدح الله ﷻ أنبياءه وعباده الصالحين بأنهم من الشاكرين.

والمؤمن لا يستطيع شكر ربه سبحانه إلا بأن يعينه الله ﷻ على ذلك، ولذا أوصى النبي ﷺ معاذ بن جبل رضي الله عنه أن يقول دبر كل صلاة: «**اللَّهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك**» [رواه ابو داود].

وجاء في الحديث: «**اللَّهم اجعلني لك شكاراً لك ذكاراً.. الحديث**» [رواه أبوداود].

ويذكر ابن القيم رحمه الله: (أن الشكر مبني على خمس قواعد: خضوع الشاكر للمشكور، وحبه له، واعترافه بنعمته، وثناؤه عليه بها، وأن لا يستعملها فيما يكره، فهذه الخمس هي أساس الشكر وبناؤه عليها، فمتى عدم منها واحدة اختل من قواعد الشكر قاعدة، وكل من تكلم في الشكر وحده فكلامه إليها يرجع، وعليها يدور).

رابعـًا: ومن شكر الله ﷻ شكر من أجرى الله سبحانه النعمة على يده، فقد أمر الله سبحانه به في قوله تعالى: ﴿أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ﴾ [لقمان: ١٤] فأمر بشكره ثم بشكر الوالدين إذ كانا سبب وجوده في الدنيا، وسَهِرَا وتعبا في تربيته وتغذيته، فمن عقَّهما أو أساء إليهما فما شكرهما على صنيعهما، بل جحد أفضالهما عليه، ومن لم يشكرهما فإنه لم يشكر الله الذي أجرى تلك النعم على أيديهما، وقد قال ﷺ: «**من لا يشكر الناس لا يشكر الله**» [رواه الترمذي].

خامسـًا: إن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ شكور يحب الشاكرين له، والشاكرين لعباده المحسنين، لذا فإن من آثار اسمه سبحانه (الشاكر، والشكور): الاتصاف بموجب هذا الاسم الكريم، والبعد عن ضده وهو الكفر والجحود.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (ولّما كان سبحانه هو الشكور على الحقيقة، كان أحب خلقه إليه من اتصف بصفة الشكر، كما أن ابغض خلقه إليه من عطَّلها واتصف بضدها).

هذا وصلوا...

✿ ✿ ✿

٢٧ الخطبة الأولى[1]

الحمد لله الشهيد الذي لا يغيب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض، وأشهد أن لا إله إلا وحده لا شريك له، وأشهد أن نبينا محمداً عبده ورسوله، وصفيه وخليله، بلغ الرسالة، وأدى الأمانة، ونصح الأمة، فصلوات ربي وسلامه عليه، وعلى آله وأصحابه، والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

فاتقوا الله حق التقوى، وتعاونوا على البر والتقوى.واستمسكوا من الإسلام بالعروة الوثقى، واعلموا أن أقدامكم وأجسامكم على النار لا تقوى.

عباد الله:

من أسماء الله ﷻ اسم (الشهيد): والشهيد هو الأمين في شهادته، وقيل: هو الذي لا يغيب عن علمه شيء، والشهيد الحاضر، وهو أيضًا الذي يشهد على الخلق يوم القيامة، وهو سبحانه قد دلَّ على توحيده بجميع ما خلق.

و(الشهيد، والخبير، والعليم): كلها ترجع إلى العلم، فالأول يرجع إلى الأمور الظاهرة، والثاني إلى الأمور الباطنة، والثالث يشملهما.

---

(١) اسم (الشهيد) و(الرقيب).

والله ﷻ لما كانت الأشياء لا تخفى عليه كان شاهداً لها وشهيداً، أي عالماً بها وبحقائقها علم المشاهد لها؛ لأنه لا تخفى عليه خافية.

وقد ورد اسمه سبحانه (الشهيد) في القرآن ثماني عشرة مرة، من ذلك قوله سبحانه: ﴿فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [المائدة: ١١٧].

وقوله ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلصَّـٰبِـِٔينَ وَٱلنَّصَـٰرَىٰ وَٱلْمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [الحج: ١٧].

وقوله سبحانه: ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا﴾ [النساء: ١٦٦].

عباد الله:

و(الشهيد): المطلع على جميع الأشياء، يسمع جميع الأصوات خفيّها وجليّها، يبصر جميع الموجودات دقيقها وجليلها صغيرها وكبيرها، أحاط علمه بكل شيء، الذي شهد لعباده وعلى عباده ما عملوا.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ عند قوله تعالى: ﴿وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [المائدة: ١١٧] (وأنت تشهد على كل شيء لأنه لا يخفى عليك شيء).

وقال الخطابي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (هو الذي لا يغيب عنه شيء، يقال: شاهد وشهيد كعالم وعليم، أي: كأنه الحاضر الشاهد الذي لا يعزب عنه شيء، وقد قال سبحانه: ﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾ [البقرة: ١٨٥]، أي: من حضر منكم الشهر فليصمه.. وهو أيضاً الشاهد للمظلوم الذي لا شاهد له ولا ناصر، على الظالم المتعدي الذي لا مانع له في الدنيا لينتصف له منه).

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (شهيد على أفعالهم، حفيظ لأقوالهم، عليم بسرائرهم وما تكن ضمائرهم).

وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (من أسمائه (الشهيد) الذي لا يغيب عنه شيء ولا يعزب عنه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء، بل هو مطلع على كل شيء، مشاهد له، عالم بتفاصيله).

قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (الرقيب) و(الشهيد) مترادفان، وكلاهما يدلُّ على إحاطة سمع الله بالمسموعات، وبصره بالمبصرات، وعلمِه بجميع المعلومات الجليّة والخفية، وهو الرقيب على ما دار في الخواطر، وما تحركت به اللواحظ، ومن باب أولى الأفعال الظاهرة بالأركان، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾ [النساء: ١]، ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ﴾ [المجادلة: ٦].

ولهذا كانت المراقبة التي هي من أعلى أعمال القلوب هي التعبّد لله باسمه الرقيب الشهيد، فمتى علم العبد أن حركاته الظاهرة والباطنة قد أحاط الله بعلمها، واستحضر هذا العلم في كل أحواله، أوجب له ذلك حراسة باطنة عن كل فكر وهاجس يبغضه الله، وحفظ ظاهره عن كل قول أو فعل يسخط الله، وتعبّد بمقام الإحسان فعَبَدَ اللهَ كأنَّهُ يَرَاهُ، فإن لم يكن يراه فإن الله يراه.

فإذا كان الله رقيباً على دقائق الخفيات، ومطلعاً على السرائر والنيات، كان من باب أولى شهيداً على الظواهر والجليات، وهي الأفعال التي تفعل بالأركان: أي الجوارح.

والمؤمن يجتهد في طاعة ربه ويخلص في عمله سراً وجهراً، لأن الله شهيد مُطَّلِع عليه، قال ﷺ: «مَنِ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ أَنْ يَكُونَ لَهُ خَبِيءٌ مِنْ عَمَلٍ صَالِحٍ

فَلْيَفْعَلْ»، وقال بعض السلف: الإخلاص أن لا تطلب على عملك شاهداً غير الله ولا مجازياً سواه.

ومن فضل الله سبحانه: أن قيّض للمسلم من يشهد له: فالحجر والشجر يشهد لمن ذكر الله، كما قال ﷺ: «واذْكُروا اللهَ عِنْدَ كُلِّ حَجَرٍ وَشَجَرٍ» [رواه أحمد].

قال ابن القيم رحمه الله: إنَّ في دوام الذكر في الطريق والبيت والحضر والسفر والبقاع تكثيراً لشهود العبد يوم القيامة، فإن البقعة والدار والجبل والأرض تشهد للذاكر يوم القيامة ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾ [الزلزلة: ٤] قال ﷺ: «أَتَدْرُونَ مَا أَخْبَارُهَا؟» قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: «فَإِنَّ أَخْبَارَهَا: أَنْ تَشْهَدَ عَلَى كُلِّ عَبْدٍ أَوْ أَمَةٍ بِمَا عَمِلَ عَلَى ظَهْرِهَا، أَنْ تَقُولَ عَمِلَ كَذَا وَكَذَا يَوْمَ كَذَا وَكَذَا، قَالَ: فَهَذِهِ أَخْبَارُهَا» [رواه الترمذي].

ومن علامة حسن الخاتمة: شهود الصالحين للميِّت بالخير كما ورد في البخاري وغيره أنه مُرَّ بجنازة عند رسول الله ﷺ فأثنوا عليها خيراً، فقال النبي ﷺ: «وَجَبَتْ، وَجَبَتْ، وَجَبَتْ» ثم مُرَّ بأخرى فأثنوا عليها شراً، فقال النبي ﷺ: «وَجَبَتْ، وَجَبَتْ، وَجَبَتْ» فقال عمر رضي الله عنه: فدى أبي. ما وجبت؟ قال: «هذا أثنيتم عليه خيراً فوجبت له ا لجنة، وهذا أثنيتم عليه شراً فوجبت له النار، أنتم شهداء الله في الأرض».

عباد الله:

ومن أسمائه الحسنى، اسم (الرقيب) وقد ورد اسم (الرقيب) في ثلاثة مواطن، قرن معه في أحدها اسم الشهيد، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ

﴿رَقِيبًا﴾ [النساء: ١]، وقال تعالى: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ رَّقِيبًا﴾ [الأحزاب: ٥٢]، وقال تعالى: ﴿وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [المائدة: ١١٧].

ومعنى (الرقيب) أي: المطَّلع على ما أكنَّتهُ الصدور، القائم على كل نفس بما كسبت، الذي حفظ المخلوقات وأجراها على أحسن نظام وأكمل تدبير، رقيب للمبصرات ببصره الذي لا يغيب عنه شيء، ورقيب للمسموعات بسمعه الذي وسع كل شيء، ورقيب على جميع المخلوقات بعمله المحيط بكلّ شيء.

ومن تأمَّل مدلول هذين الاسمين يجد بينهما شيئًا من الترادف؛ ولهذا قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (الرّقيب والشّهيد مترادفان، وكلاهما يدلّ على إحاطة سمع الله بالمسموعات، وبصره بالمبصرات، وعلمه بجميع المعلومات الجلية والخفية، وهو الرقيب على ما دار في الخواطر وما تحركت به اللواحظ، ومن باب أولى الأفعال الظاهرة بالأركان، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١]، ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [البروج: ٩]، ولهذا كانت المراقبة التي هي من أعلى أعمال القلوب هي التعبد لله باسمه الرقيب والشهيد، فمتى علم العبد أن حركاته الظاهرة والباطنة قد أحاط الله بعلمها، واستحضر هذا العلم في كل أحواله أوجب له ذلك حراسة باطنه عن كل فكر وهاجس يبغضه الله وحفظ ظاهره عن كل قول أو فعل يسخط الله، وتعبد بمقام الإحسان فعبد الله كأنه يراه فإن لم يكن يراه فإنه يراه).

قال تعالى: ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ فَٱحۡذَرُوهُۚ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٞ﴾ [البقرة: ٢٣٥]، وقال تعالى: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ رَّقِيبٗا﴾ [الأحزاب: ٥٢]، وقال تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمۡ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ﴾ [الحديد: ٤]، وقال تعالى: ﴿أَلَمۡ يَعۡلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ﴾ [العلق: ١٤]، وقال تعالى: ﴿وَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعۡيُنِنَا﴾ [الطور: ٤٨]، وقال تعالى: ﴿يَعۡلَمُ خَآئِنَةَ ٱلۡأَعۡيُنِ وَمَا تُخۡفِي ٱلصُّدُورُ﴾ [غافر: ١٩]. والآيات في هذا المعنى كثيرة.

وفي حديث جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ أنه سأل النبيَّ ﷺ عن الإحسان فقال له: «أنْ تعبدَ الله كأنّك تراه، فإنْ لم تكنْ تراهُ فإنّه يراكَ» [رواه مسلم].

فتأمّلْ هذه النّصوص وما في معناها يحرِّك في العبد مراقبة الله ﷻ في كل أعماله وجميع أحواله، إذ المراقبة ثمرة من ثمار علم العبد بأن الله سبحانه رقيب عليه، ناظر إليه، سامع لقوله، مطَّلع على عمله في كلّ وقت، وكلّ لحظة، وكل نَفَس، وكلّ طرفة عين.

والمراقبة مَنزلة عليّة من منازل السّائرين إلى الله والدار الآخرة، وحقيقتها دوام علم العبد وتيقنه باطّلاع الحقّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى على ظاهره وباطنه، فاستدامته لهذا العلم واليقين هي المراقبة، وهي مراقبة لله عند أمره ليفعله العبد على أحسن حال، ومراقبة له عند نهيه ليجتنبه العبد وليحذر من الوقوع فيه.

عباد الله:

إن التعبد لله سبحانه باسمه (الرقيب) يثمر في القلب مراقبة الله ﷻ في السر والعلن، في الليل والنهار، في الخلوة والجلوة، لأنه سبحانه مع عبده لا تخفى عليه خافية، يسمع كلامنا ويرى مكاننا، ويعلم خائنة الأعين وما تخفي

الصدور، فإذا أيقن العبد بهذه الحقائق سعى إلى حفظ قلبه، وسمعه وبصره، ولسانه وجوارحه كلها من أن يكون منها أو فيها ما يسخط الله ﷻ، ومن راقب الله في خواطره، عصمه في حركات جوارحه.

وعن منزلة المراقبة يقول ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: و(المراقبة) هي التعبد باسمه (الرقيب، الحفيظ، العليم، السميع، البصير) فمن عقل هذه الأسماء وتعبد بمقتضاها: حصلت له المراقبة.

ويقول أيضًا: (المراقبة دوام علم العبد، وتيقنه بإطلاع الحق سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ على ظاهره وباطنه، فاستدامته لهذا العلم واليقين: هي المراقبة وهي ثمرة علمه بأن الله سبحانه رقيب عليه، ناظر إليه، سامع لقوله، وهو مطلع على عمله كل وقت وكل لحظة، وكل نفس وكل طرفة عين، والغافل عن هذا بمعزل عن حال أهل البدايات، فكيف بحال المريدين، فكيف بحال العارفين؟

ثم استطرد رَحِمَهُ ٱللَّهُ في موجبات هذه المراقبة فقال: (وهي توجب صيانة الباطن والظاهر، فصيانة الظاهر: بحفظ الحركات الظاهرة. وصيانة الباطن: بحفظ الخواطر والإرادات والحركات الباطنة التي منها رفض معارضة أمره وخبره، فيتجرد الباطن من كل شهوة وإرادة تعارض أمره، ومن كل إرادة تعارض إرادته، ومن كل شبهة تعارض خبره، ومن كل محبة تزاحم محبته، وهذه حقيقة القلب السليم الذي لا ينجو إلا من أتى الله به؛ وهذا هو حقيقة تجريد الأبرار المقربين العارفين).

وفي الحديث الصحيح عن النبي ﷺ: «صريح الإيمان أن تعلمَ أنَّ اللهَ معك حيث كنت».

ولهذا كانت المراقبةُ التي هي من أجلّ أعمال القلوب هي التعبُّدُ لِلَّهِ باسمه الرقيب الشهيد، فمتى علم العبدُ أنَّ حركاته الظاهرة والباطنة قد أحاطَ اللهُ بعلمها، واستحضر هذا العلمَ في كلِّ أحواله، أوجبَ له ذلك حراسةً باطنةً عن كلّ فكر وهاجس يبغضه الله، وحفظ ظاهره عن كلّ قول أو فعل يسخط الله، وتعبّد بمقام الإحسان فَعَبَدَ اللهَ كأنه يراه، فإن لم يكن يراه فإنه يراه.

والله سبحانه المطلع على ما أكنته الصدور، وهو القائم على كل نفس بما كسبت، رقيب على كل شيء، حفيظ لا يعزب عنه علم شيء من ذلك، ولا يؤوده حفظ ذلك كله.

وهو سبحانه (الرقيب) على ما دار في الخواطر، وما تحركت به اللواحظ، ومن باب أولى الأفعال الظاهرة بالأركان.

وهو سبحانه لا يغفل عما خلق فلا يلحقه نقص أو يدخل عليه خلل من قبل غفلته عنه.

وقد ورد اسمه سبحانه (الرقيب) في القرآن الكريم ثلاث مرات وذلك في قوله ﷻ: ﴿فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [المائدة: ١١٧].

وقوله سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ عند قوله سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

(ويعني بقوله: (رقيباً): حفيظاً محصياً عليكم أعمالكم، متفقداً رعايتكم حرمة أرحامكم وصلتكم إياها وقطعكموها وتضييعكم حرمتها).

و(الرقيب): الذي يراقب عباده ويراهم ويسمعهم ولا يخفون عليه، بل لا تخفى عليه ضمائرهم، ولا يخفى عليه شيء من أمورهم، قال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِيٓ ءَايَـٰتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَآ ۗ﴾ [فصلت: ٤٠].

بارك الله لي ولكم....

الخطبة الثانية

الحمد لله، أحمده وأشكره، وأثني عليه الخير كله، وأشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله وسلم وبارك عليه، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

فإن من آثار الإيمان باسمه سبحانه (الشهيد) و(الرقيب):

أولاً: إن الإيمان بأنه سبحانه شهيد من الشهود، بمعنى الحضور المستلزم لاطلاعه سبحانه على كل شيء، يسمع جميع الأصوات خفيها وجليها، ويبصر جميع المخلوقات دقيقها وجليها، ويحيط عمله بكل شيء. إن اليقين بهذه المعاني يثمر في القلب اليقظة والحذر والخوف من الله ﷻ بحيث لا يصدر من العبد إلا ما يحبه الله ﷻ ويرضاه من الأقوال والأعمال لأنه سبحانه لا تخفى عليه خافية في ليل أو نهار، في سر أو جهار.

ثانياً: والإيمان بأنه سبحانه شهيد على الخلق يوم القيامة بما عملوا وما كان بينهم من خصومات في الدنيا يجعل العبد على حذر من ظلم العباد، والتعدي على حقوقهم فإن الله ﷻ شاهد على ذلك، قال الله ﷻ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَفۡصِلُ بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ﴾ [الحج: ١٧]، وكذلك يجعل العبد يتحرى الإخلاص والتقوى في أقواله وأعماله، لأن الله ﷻ مشاهد على ما في القلوب من النوايا والمقاصد، ولا يقبل سبحانه إلا ما كان من العمل خالصاً صواباً.

ثالثًا: الإيمان بأن شهادة الله ﷻ أعظم شهادة، فالله سبحانه هو الأعظم والأعلى والأجل والأرفع، وشهادته حضور ومعاينة، وهو لا يخفى عليه شيء من جوانب الحقيقة كما يحدث للبشر، فمن شهد الله له فهو حسبه، ولا يحتاج إلى شهادة غيره، ولذلك أمر الله رسوله ﷺ أن يقول للمشركين الذين ينازعونه في التوحيد وفي صدق ما جاء به: ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً ۖ قُلِ اللَّهُ ۖ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ ۚ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا الْقُرْآنُ لِأُنذِرَكُم بِهِ وَمَن بَلَغَ ۚ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ آلِهَةً أُخْرَىٰ ۚ قُل لَّا أَشْهَدُ ۚ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ وَإِنَّنِي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ﴾ [الأنعام: ١٩].

وقد شهد الله ﷻ لنفسه بالتوحيد وشهد له به ملائكته وأنبياؤه ورسلُه، قال الله تعالى: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ ۚ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [آل عمران: ١٨].

رابعـًا: الإيمان بأن الله ﷻ رقيب، مطلع على ما أكنته الصدور.

وهذه المراقبة تحتاج من العبد إلى حضور القلب واجتناب الغفلة ودوام الذِّكر، وهذا يثمر سرور القلب وانشراح الصّدر، وقرّة العين بالقرب من الله، وهو نعيم معجَّل يناله العبد في دنياه قبل أخراه.

هذا وصلوا...

❁ ❁ ❁

٢٨ الخطبة الأولى(١)

الحمد لله صمدت له الخلائق وخضعت، وذلت وانقادت، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، عظم جاهه وعز سلطانه، وأشهد أن نبينا محمداً عبده ورسوله وصفيه وخليله، صلى الله وسلم وبارك عليه، وعلى آله وأصحابه، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

فاتقوا الله في السر والنجوى، واعلموا أنكم ملاقوه ﴿إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا﴾ [الإسراء: ٧].

عباد الله:

العلم بأسماء الله يهز النفوس، ويحرك القلوب، ويزيل الأدران والأرجاس التي تحبس الإنسان عن الخير، كما أن العلم بصفاته هو العاصم من الزلل، والمقيل من العثرة، والمفتاح لباب الأمل، والمعين على الصبر، والواقي من الخمول والكسل.

وإن النفوس قد تهفوا إلى مقارفة الفواحش والذنوب، فتذكر أن الله يراها ويبصرها، وتذكر وقوفها بين يدي الله ﷻ، فترعوي وتجانب المعصية، وقد

---

(١) اسم (الصمد).

يقع ولا يوغل في طريق الهاوية، بل يعود إلى التواب الرحيم، قارعـًا بابه، فيجده توابًا رحيمًا ودوداً.

وتتناوش العبد المصائب والمكاره، فلا يجزع ويهلع، بل يلجأ إلى الحصن الحصين، ويقابل المكاره بنفس راضية.

إن معرفة أسماء الله وصفاته والاشتغال بها وفهم معانيها والإيمان بها على ما يليق به سبحانه، وتدبرها يورث ثمرات عظيمة وفوائد جليلة تجعل صاحبها يتذوق حلاوة الإيمان، فلا شيء أطيب للعبد ولا ألذ ولا أهنأ ولا أنعم لقلبه وعيشه من محبة فاطره وباريه، ودوام ذكره والسعي في مرضاته، وهذا هو الكمال الذي لا كمال للعبد بدونه، وله خلق الخلق، ولأجله نزل الوحي، وأرسلت الرسل، وقامت السماوات والأرض، ووجدت الجنة والنار، ووضع البيت الحرام، وأوجب حجه على الناس إقامة لذكره الذي هو من توابع محبته والرضا به وعنه. ولأجل هذا أمر بالجهاد، وعلى هذا الأمر العظيم أسست الملة ونصبت القبلة.

فكل من عرف الله أحبه، ومن عرف الدنيا وأهلها زهد فيهم، وكلما كان حبه أقوى كانت اللذة أعظم، ولهذا تعظم لذة الظمآن بشرب الماء البارد بحسب شدة طلبه للماء وكذلك الجائع، وكذلك من أحب شيئًا كان لذته على قدر حبه إياه، والحب نابع من العلم بالمحبوب ومعرفة جماله الظاهر والباطن.

عباد الله:

من أسماء الله ﷻ اسم (الصمد).

قال ابن جرير رَحِمَهُ اللَّهُ: (الصمد عند العرب هو السيد الذي يُصمد إليه، الذي لا أحد فوقه، وكذلك تسمي أشرافها).

و(الصمدُ) المعنى الجامع الذي يدخل فيه كل ما فسّر به هذا الاسم الكريم، فهو الصمد الذي تَصْمُدُ إليه، أي تقصده جميع المخلوقات بالذلّ والحاجة والافتقار، ويفزع إليه العالم بأسره، وهو الذي قد كَمُلَ في علمه، وحكمته، وحلمه، وقدرته، وعظمته، ورحمته، وسائر أوصافه، فالصمد هو كامل الصفات، وهو الذي تقصده المخلوقات في كل الحاجات.

فهو السيد الذي قد كُمل في سؤدده، والعليم الذي قد كمل في علمه، والحليم الذي قد كمل في حلمه، والغني الذي قد كمل في غناه، والجبار الذي قد كَمُلَ في جبروته، والشريف الذي قد كمُلَ في شرفه، والعظيم الذي قد كمل في عظمته، والحكيم الذي قد كمل في حكمته، وهو الذي كمل في أنواع الشرف والسؤدد، وهو الله عَزَّوَجَلَّ هذه صفته لا تنبغي إلا له، وليس له كفء، وليس كمثله شيء، سبحانه الله الواحد القهار.

وقد ورد هذا الاسم في سورة الإخلاص: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ [الإخلاص: ١ - ٤]، وهي السورة التي أخبر النبي ﷺ أنها تعدل ثلث القرآن، ففي صحيح البخاري عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال النبي ﷺ لأصحابه: «**أيعجِز أحدكم أن يقرأ ثلث القرآن في ليلة؟! فشق ذلك عليهم وقالوا: أيُّنا يُطيق ذلك يا رسول الله؟! فقال: الله الواحد الصَّمد ثلث القرآن**».

وجاء ذكره في السُّنَّة النبوية أيضـًا كما في الحديث الذي رواه عبد الله بن بريد عن أبيه أن رسول الله ﷺ سمع رجلاً يقول: (اللَّهم إني أسألك أني أشهد أنك أنت الله لا إله إلا أنت الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد)، فقال ﷺ «**لقد سألت الله بالاسم الذي إذا سُئل به أعطى وإذا دعي به أجاب**» [رواه الترمذي].

و(الصمد): السيد المطاع الذي لا يُقضى دونه أمر، وقيل: الصمد الذي صَمَدَ إليه كل شيء. أي: الذي خلق الأشياء كلها لا يستغني عنه شيء، فهو السيد المصمود إليه في الحوائج والنوازل. وهو الذي تقصده الخلائق كلها في جميع حاجاتها وأحوالها وضروراتها لما له من الكمال المطلق في ذاته وصفاته وأسمائه وأفعاله.

وهذه المعاني هي صفات ربنا ﷻ، فالصمد من الأسماء التي تجمع أوصافًا عديدة لا تختص بصفة معينة وقد اجتمعت فيه صفات السؤدد.

عباد الله:

وفُسر الصمد أيضـًا بأنه: المقصود إليه في الرغائب، المستغاث به عند المصائب، وهو المستغني عن كل أحد، المحتاج إليه كل أحد، وهو الذي لا عيب فيه، وهو الذي لا يوصف بصفته أحد، وقيل غير ذلك.

و(الصمد) من تصمد نحوه القلوب بالرغبة والرهبة وذلك لكثرة خصال الخير فيه، وكثرة الأوصاف الحميدة له، ولهذا قال جمهور السلف منهم عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: (الصمد: السيد الذي كمل سؤدده، الحكيم الذي كمل حكمته، الرحيم الذي كملت رحمته، الجواد الذي كمل جوده).

وقال السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ: (الصمد): أي الرب الكامل، والسيد العظيم، الذي لم يبق صفة كمال إلا اتصف بها، ووصف بغايتها وكمالها، بحيث لا تحيط الخلائق ببعض تلك الصفات بقلوبهم، ولا تعبر عنها ألسنتهم، وهو المصمود إليه، المقصود في جميع الحوائج والنوائب: ﴿يَسْأَلُهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ﴾ [الرحمن: ٢٩].

فهو الغني بذاته، وجميع الكائنات فقيرة إليه بذاتهم: في إيجادهم، وإعدادهم، وإمدادهم بكل ما هم محتاجون إليه من جميع الوجه، ليس لأحد عنها غنى مثقال ذرة، في كل حالة من أحوالها).

ويقول في موطن آخر: (و(الصمد): المعنى الجامع الذي يدخل فيه كل ما فسر به هذا الاسم الكريم، فهو الصمد الذي تصمد إليه أي: تقصده جميع المخلوقات بالذل والحاجة والافتقار، ويفزع إليه العالم بأسره، وهو الذي قد كمل بعلمه وحكمته وحلمه وقدرته وعظمته ورحمته وسائر أوصافه).

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: (والمقصود أن الرب أسماؤه كلها حسنى ليس فيها اسم سوء، وأوصافه كلها كمال ليس فيها صفة نقص، وأفعاله كلها حكمة ليس فيها فعل خال عن الحكمة والمصلحة، وله المثل الأعلى في السماوات والأرض وهو العزيز الحكيم، موصوف بصفة الكمال، مذكور بنعوت الجلال، منزه عن الشبيه والمثال، ومنزه عما يضاد صفات كماله؛ فمنزه عن الموت المضاد للحياة، وعن السنة والنوم والسهو، والغفلة المضاد للقيومية، وموصوف بالعلم منزه عن أضداده كلها، من النسيان والذهول وعزوب شيء عن علمه.

موصوف بالقدرة التامة، منزه عن ضدها من العجز، واللغوب، والإعياء. موصوف بالعدل، منزه عن الظلم. موصوف بالحكمة، منزه عن العبث. موصوف بالسمع والبصر، منزه عن أضدادهما من الصمم والبكم.

موصوف بالعلو والفوقية، منزه عن أضداد ذلك. موصوف بالغنى التام، منزه عما يضاده بوجه من الوجوه مستحق للحمد كله.

فيستحيل أن يكون غير محمود كما يستحيل أن يكون غير قادر ولا خالق، ولا حي، وله الحمد كله واجب لذاته، فلا يكون إلا محموداً كما لا يكون إلا إلهـًا وربـًا قادراً).

روى ابن جرير الطبري عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: (الصَّمَد: السيِّد الذي قد كمُل في سُؤْدده، والشّريف الذي قد كَمُل في شَرفه، والعظيم الذي قد كمُل في عظمته، والحليم الذي قد كمُل في حلمه، والغني الذي قد كمُل في غناه، والجبار الذي قد كمُل في جبروته، والعالم الذي قد كمُل في علمه، والحكيم الذي قد كمُل في حكمته، وهو الذي قد كمُل في أنواع الشّرف والسّؤدد، وهو الله سبحانه، هذه صفته لا تنبغي إلا له).

وإذا علم العبد اتصاف ربه بهذا الكمال والجلال، وأنه سبحانه لا شيء فوقه، ولا شيء يعجزه، وأنه سبحانه مَفْزَعُ الخلائق ومَلْجَؤُها، فلا ملجأ ولا منجا منه إلَّا إليه، وإليه وحده المفرّ، وهو وحده الذي تصمد إليه الخلائق في حوائجها ومسائلها ورغباتها؛ وجب عليه أن لا يلجأ إلَّا إليه، ولا يطلب حاجته إلَّا منه، ولا يصرف عبادته إلَّا له، ولا تكون استعانته إلَّا به، ولا يكون توكله إلا عليه ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَـٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ [النمل: ٦٢].

عباد الله:

ولمّا كان سؤالُ الله الهداية إلى الصراط المستقيم أجلَّ المطالب، ونَيْلُه أشرفَ المواهب؛ علَّم اللهُ عبادَه كيفية سؤاله، وأمرهم أن يقدموا بين يديه حمدَه والثناء عليه، وتمجيده، ثم ذكر عبوديتهم وتوحيدهم. فهاتان وسيلتان إلى مطلوبهم: توسلٌ إليه بأسمائه وصفاته.

في الحديث عن عبد الله بن بُريدة عن أبيه قال: سمع النبي ﷺ رجلاً يدعو، ويقول: اللهم إني أسألك بأني أشهد أنك الله الذي لا إله إلاّ أنت، الأحد الصمد، الذي لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كُفواً أحد. فقال: «والذي نفسي بيده! لقد سأل اللهَ باسمه الأعظم، الذي إذا دُعي به أجاب، وإذا سُئِل به أعطى».

فهذا توسُّل إلى الله بتوحيده، وشهادة الداعي له بالوحدانية، وثبوت صفاته المدلول عليها باسم (الصمد) وهو كما قال ابن عباس: (العالم الذي كمل علمه، القادر الذي كملت قدرته، وفي رواية عنه: هو السيد الذي قد كمل فيه جميع أنواع السؤدد).

بارك الله لي ولكم...

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله الفرد الصمد الحق المبين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن نبينا محمداً عبده ورسوله وصفيه وخليله، بلغ الرسالة، وأدى الأمانه، ونصح الأمة، وجاهد في الله حق جهاده، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

عباد الله:

ومن آثار الإيمان باسمه سبحانه (الصمد):

أولاً: محبة الله ﷻ الذي تصمد له الخلائق، وتهرع إليه في قضاء الحاجات وتفريج الكربات؛ لأنه سبحانه القادر على ذلك وهو اللطيف بعباده الرحيم بهم: ﴿مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [فاطر: ٢].

ولازم هذه المحبة عبادته وحده سبحانه لا شريك له، والبراءة من الشرك وأهله، وإفراده بالرغبة والرهبة لما له سبحانه من الأسماء الحسنى والصفات الحميدة وكثرة خصال الخير والألطاف والأفضال.

ثانيًا: إفراده سبحانه وحده بالتوكل والتعلق وتفويض الأمور إليه سبحانه والثقة في كفايته وقدرته ﷻ؛ لأنه سبحانه الصمد المقصود من جميع عباده في قضاء الحاجات.

ثالثًا: تعظيمه سبحانه وإجلاله وحمده والثناء عليه؛ لأنه سبحانه الكامل في سؤدده وأسمائه وصفاته، وهذا من معاني اسمه سبحانه (الصمد)، وهذا يقتضي الخوف منه سبحانه ورجاءه وحده، والأخذ بأسباب مرضاته، وترك ما يسخطه سبحانه ويغضبه.

رابعًا: دعاؤه سبحانه بهذا الاسم العظيم والتوسل به إليه لما يتضمن من الكمال والجمال والجلال، ولذا أقر النبي ﷺ ذلك الرجل الذي دعا الله ﷻ بهذا الاسم وأخبر أنه والأسماء المقترنة معه في الحديث يؤلف الاسم الأعظم الذي إذا دعي به سبحانه أجاب.

فاللَّهم إنا نسألك بأنا نشهد أنك أنت الله لا إله إلا أنت الأحد الصمد، الذي لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد، أن تغفر لنا ذنوبنا، وتكفر عنا سيئاتنا، إنك أنت الغفور الرحيم.

وهذا وصلوا وسلموا...

۞ ۞ ۞

٢٩ الخطبة الأولى[١]

الحمد لله الطيب المنزه عن النقائص والعيوب، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وصفيه وخليله، صلى الله وسلم وبارك عليه، وعلى آله وأصحابه وأتباعه، وسلم تسليمًا كثيراً.

أما بعد:

فاتقوا الله ﷻ وراقبوه، فإن الفوز والفلاح والنجاة في طاعته جَلَّ وَعَلَا، وترك مناهيه.

عباد الله:

المسلم مطالب بزيادة إيمانه وتفقد أحواله، ومحاسبة نفسه.

ومن أسباب زيادة الإيمان: معرفة الله تعالى بأسمائه وصفاته، فإن الإنسان كلما ازداد معرفة بالله وصفاته ازداد إيمانًا ويقينًا، وتقرب إلى الله تعالى إليه بذلك.

ومن أسماء الله ﷻ اسم (الطيب).

ولم يرد ذكر اسمه سبحانه (الطيب) في القرآن الكريم، وإنما ورد في حديث النبي ﷺ حيث روى أبو هريرة ﵁ أن رسول الله ﷺ قال: «أيها

---

(١) اسم (الطيب).

الناس إن الله طيب ولا يقبل إلا طيبًا، وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًاۖ إِنِّي بِمَا تَعۡمَلُونَ عَلِيمٞ﴾ [المؤمنون: ٥١]، **وقال:** ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ﴾ [البقرة: ١٧٢]، **ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يديه إلى السماء يا رب يا رب، ومطعمه حرام، ومشربه حرام، وملبسه حرام، وغذي بالحرام، فأنى يستجاب لذلك»** [رواه مسلم].

ومعنى الطيب في اللغة: الطاهر والنظيف والحسن، والعفيف والسهل واللين.

والطيب: خلاف الخبيث.

وربنا (الطيب): سبحانه، هو المنزَّه عن النقائص، المقدَّس عن الآفات والعيوب، وعن كل وصفٍ خلا عن كمال أو عن طيب الثناء.

قال القاضي عياض رَحِمَهُ ٱللَّهُ: الطيب في صفة الله تعالى بمعنى المنزه عن النقائص وهو بمعنى القدوس، وأصل الطيب: الزكاء والطهارة، والسلامة من الخبث).

وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في شرحه لقوله ﷺ: **«والصلوات والطيبات»** وذلك في دعاء التشهد: (وكذلك قوله: **«الطيبات»** هي صفة الموصوف المحذوف أي: الطيبات من الكلمات والأفعال والصفات والأسماء لله وحده، فهو طيب وأفعاله طيبة، وصفاته أطيب شيء، وأسماؤه أطيب الأسماء، واسمه (الطيب)، ولا يصدر عنه إلا طيب، وفعله طيب، والعمل الطيب يعرج إليه، فالطيبات كلها له ومضافة إليه وصادرة عنه ومنتهية إليه؛ فإذا كان هو سبحانه

الطيب على الإطلاق، فالكلمات الطيبات، والأفعال الطيبات، والصفات الطيبات، والأسماء الطيبات، كلها له سبحانه لا يستحقها أحد سواه،بل ما طاب شيء قط إلا بطيبته سبحانه، فطيب كل ما سواه من آثار طيبته، ولا تصلح هذه التحية الطيبة إلا له).

وقوله ﷺ: «لاَ يَقْبَلُ إِلاَّ طَيِّبًا» قال ابن رجب رَحِمَهُ اللَّهُ: (أي أنه سبحانه لا يقبل من الأعمال إلا ما كان طيبًا طاهراً من المفسدات كلها والرياء والعُجْب، ولا من الأموال إلا ما كان طيبًا حلالاً، فإنَّ الطَّيب توصف به الأعمال والأقوال والاعتقادات، فكلُّ هذه تنقسم إلى طيب وخبيث، وقد قسَّم الله تعالى الكلام إلى طيب وخبيث فقال: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ﴾ [إبراهيم: ٢٤]، ﴿وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ﴾ [إبراهيم: ٢٦].

ووصف الرسول ﷺ بأنه ﴿وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَـٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَـٰٓئِثَ﴾ [الأعراف: ١٥٧].

ووصف المؤمنين بالطيب بقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ﴾ [النحل: ٣٢].

وأنّ الملائكة تُسلِّمُ عليهم عند دخول الجنة وتقول لهم: ﴿سَلَـٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَـٰلِدِينَ﴾ [الزمر: ٧٣]، وقد ورد في الحديث عنه ﷺ: أن المؤمن إذا زار أخًا له في الله تقول له الملائكة: «طِبْتَ وَطَابَ مَمْشَاكَ وَتَبَوَّأْتَ مِنَ الْجَنَّةِ مَنْزِلا» [رواه الترمذي].

فالمؤمن كله طيّب: قلبه ولسانه وجسده، بما سكن في قلبه من الإيمان، وظهر على لسانه من الذكر، وعلى جوارحه من الأعمال الصالحة التي هي ثمرة الإيمان وداخلة في اسمه، فهذه الطيبات كلها يقبلها الله عَجَلَّ.

وقوله ﷺ في الحديث المتقدّم: «إنَّ الله طيّب لا يقبل ألَّا طيّبا» يدل على أن الله سبحانه لا يقبل من الأعمال والأقوال إلَّا ما كان موصوفا بالطيب، وهو عامٌّ في جميع الأعمال والأقوال، فلا يعمل المرء المؤمن إلَّا صالحًا، ولا يقول إلَّا طيبا، ولا يكتسب إلَّا طيبا، ولا ينفق إلَّا من الطيب، فإن الطيب توصف به الأعمال والأقوال والاعتقادات، فكل هذه تنقسم إلى طيب وخبيث، كما قال تعالى: ﴿قُل لَّا يَسْتَوِى ٱلْخَبِيثُ وَٱلطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ ٱلْخَبِيثِ﴾ [المائدة: ١٠٠].

ومن طيبه ﷻ أنه يحل لعباده الطيبات، ويحرم عليهم الخبائث. قال تعالى: ﴿وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾ [الأنفال: ٢٦] وقال تعالى: ﴿قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ﴾ [المائدة: ٤]، وقال تعالى: ﴿وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ﴾ [الأعراف: ١٥٧].

ومن طيبه ﷻ أن جعل الطيب ميزانًا للأعمال ﴿قُل لَّا يَسْتَوِى ٱلْخَبِيثُ وَٱلطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ ٱلْخَبِيثِ﴾ [المائدة: ١٠٠].

عباد الله:

والدِّين الحنيف كله دين طيب في عقائده وأحكامه وآدابه، فعقائده التي ترجع إلى الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره هي العقائد الصحيحة التي تطمئن لها القلوب، وتطيب بها النفوس، وتوصل معتقدها والمتمسك بها إلى أجل غاية وأفضل مطلوب، وأحكامه وآدابه أطيب الأحكام، وأطيب الآداب، بها صلاح الدِّين والدنيا والآخرة، وبفواته يفوت الصّلاح كله.

ومن طيبه جَلَّوَعَلَا، أنه جعل الكلمة الطيبة لا تليق إلا بالطيب من الرجال والنساء، قال تعالى: ﴿ٱلْخَبِيثَٰتُ لِلْخَبِيثِينَ وَٱلْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَٰتِ ۖ وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَٰتِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ ۖ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ [النور: ٢٦].

جاء في تفسيرها: الخبيثات من القول للخبيثين من الرجال، والخبيثون من الرجال للخبيثات من القول، والطيبات من القول للطيبين من الرجال، والطيبون من الرجال للطيبات من القول.

وأهل الإيمان هداهم الله إلى الكلم الطيب، قال تعالى: ﴿وَهُدُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلْقَوْلِ وَهُدُوٓا۟ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْحَمِيدِ﴾ [الحج: ٢٤].

فالمؤمن كلّه طيب، قلبه ولسانه وجسده، بما سكن في قلبه من الإيمان، وظهر على لسانه من الذِّكر، وعلى جوارحه من الأعمال الصّالحة التي هي ثمرة الإيمان وداخلة في اسمه.

وإذا طاب المؤمن في هذه الدار في عقائده وأعماله وأقواله أكرمه الله في دار القرار بدخول دار الطيّبين التي لا يدخلها إلَّا طيّب، قال سبحانه: ﴿ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ ۙ يَقُولُونَ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمُ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٣٢]، وقال تعالى: ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ﴾ [الزمر: ٧٣]، فعقَّب دخولها على الطيب بحرف الفاء الذي يؤذن بأنه سببٌ للدخول، أي: بسبب طيبكم قيل لكم: ادخلوها.

ومن جاء من أهل الإيمان يوم القيامة يحمل ذنوبا وخطايا وأوزاراً لم يذهب عنه أثرها في هذه الدّار بالتّوبة والاستغفار فإنه – إذا لم يعفُ الله عنه – يُحبس عن الجنة حتى يتطهر منها، فإن لم يطهِّره الموقفُ وأهوالُه وشدائده، فلا بد من دخول النار ليخرج خبثه فيها، ويتطهَّر من درنه ووسخه، ثم يخرج منها فيدخل الجنة.

وأمّا الكفَّار فإنهم ليس لهم يوم القيامة إلَّا النارُ خالدين فيها أبد الآباد.

بارك الله لي ولكم...

الخطبة الثانية

الحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه، وأشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله وسلم وبارك عليه، وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

فإن من آثار الإيمان باسمه سبحانه (الطيب):

أولاً: محبة الله سبحانه لصفاته وأسمائه الطيبة الجليلة الكريمة، وحمده عليها وإجلاله وتعظيمه، والثناء عليه بها، وتنزيهه عن كل عيب ونقص.

ثانياً: ومن آثار اسمه سبحانه (الطيب) ما جاء في الحديث نفسه من أنه سبحانه طيب لا يقبل إلا طيباً، ولا ينبغي أن يتقرب إليه العبد إلا بالطيب من الأقوال والأعمال والمنبعثة من المقاصد الطيبة، قال ﷻ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَـٰتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّآ أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ ۖ وَلَا تَيَمَّمُواْ ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغْمِضُواْ فِيهِ ۚ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ﴾ [البقرة: ٢٦٧].

وروى أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**مَنْ تصدَّق بعَدْل تمرة من كسب طيب – ولا يقبل الله إلا الطيب – فإن الله يتقبَّلها بيمينه ثم يُربيها لصاحبها كما يُربِّي أحدُكم فَلُوَّه، حتى تكون مثل الجبل**» [رواه البخاري].

فلا يقبل الله تعالى الصَّدقة بالحرام، لأنه تصرفٌ فيما لا يملك، فمن تصدَّق من ربا أو سرقة أو غلولٍ فإن الله تعالى لا يقبله، كما قال ﷺ: «**لا تُقبلُ صلاةٌ بغير طُهور، ولا صدقةٌ من غُلُول**» [رواه مسلم].

وكذلك كل الأقوال والأعمال لا يقبل الله ﷻ منها إلا الطيب الصالح، قال ﷻ: ﴿إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلۡعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرۡفَعُهُۥ﴾ [فاطر: ١٠].

ويقول ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وهو (طيب) لا يصعد إليه إلا طيب، والكلم الطيب إليه يصعد فكانت الطيبات كلها له ومنه وإليه، له ملكًا ووصفًا، ومنه مجيئها وابتداؤها، وإليه مصعدها ومنتهاها).

ثالثًا: ومن آثار الإيمان باسمه سبحانه (الطيب) محبة من اختاره سبحانه لأن يكون طيبًا من مخلوقاته لأنه لا يختار ولا يختص من المخلوقات إلا أطيبها، ومن هو أهل للطيب والزكاء.

يقول ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (إن الله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ اختار من كل جنس من أجناس المخلوقات أطيبه واختصه لنفسه وارتضاه دون غيره، فإنه تعالى طيب لا يحب إلا الطيب، فالطيب من كل شيء هو مختاره تعالى).

رابعًا: حمده سبحانه والثناء عليه واللهج بذكره وشكره على ما أنعم به سبحانه علينا، حيث أنزل علينا أفضل كتبه، وأرسل إلينا أفضل رسله، وشرع لنا أفضل شرائعه، التي كلها طيبة في عقيدتها وأحكامها وأخلاقها، والتي تْكَفل لكل من تعلمها وعمل بها الحياة الطيبة الهنيئة والمطمئنة في الدنيا والآخرة كما في قوله ﷻ: ﴿مَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَلَنُحۡيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةٗ طَيِّبَةٗۖ وَلَنَجۡزِيَنَّهُمۡ أَجۡرَهُم بِأَحۡسَنِ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ [النحل: ٩٧].

هذا وصلوا...

(٣٠) الخطبة الأولى [(١)]

الحمد لله عز شأنه، وعظم سلطانه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده، لا رب لنا سواه، وأشهد أن نبينا محمداً عبده ورسوله، صلى الله وسلم وبارك عليه، وعلى آله وأصحابه، والتابعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

فاتقوا الله، واعلموا أنكم على أعمالكم محاسبون، وعلى أقوالكم وأفعالكم مجزيون، فمن وجد خيراً فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه. ﴿وَٱتَّقُواْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٨١].

أيها المسلمون:

إن معرفة أسماء الله وصفاته أفضل وأوجب ما اكتسبته القلوب، وحصلته النفوس، وأدركته العقول، قال ابن رجب رحمه الله: (العلم النافع: ما عرَّف العبد بربه، ودله عليه حتى عرفه، ووحده وأنس به، واستحى من قربه، وعبده كأنه يراه).

وقال ابن القيم رحمه الله: (أطيب مافي الدنيا معرفته سبحانه ومحبته، وألذ مافي الجنة رؤيته ومشاهدته).

---

(١) اسم (العزيز).

وقال ابن العربي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (شرف العلم بشرف المعلوم، والباري أشرف المعلومات، والعلم بأسمائه أشرف العلوم).

وقد بشر النبي ﷺ الذي كان يقرأ سورة الإخلاص بأن الله يحبه لما قال: «**لأنها صفة الرحمن**».

وأسماؤه سبحانه أحسن الأسماء: وصفاته أكمل الصفات ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

عباد الله:

من أسماء الله تعالى: اسم (العزيز).

وقد ورد ذكر اسمه سبحانه (العزيز) في القرآن في اثنتين وتسعين مرة، جاء في أكثرها مقترنـًا بأسماء أخرى من أسمائه سبحانه الحسنى، ومن ذلك: قوله تعالى: ﴿وَٱعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ﴾ [البقرة: ٢٦٠]، وقوله سبحانه: ﴿أَمۡ عِندَهُمۡ خَزَآئِنُ رَحۡمَةِ رَبِّكَ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡوَهَّابِ﴾ [ص: ٩]. وقوله سبحانه: ﴿وَٱللَّهُ عَزِيزٞ ذُو ٱنتِقَامٍ﴾ [آل عمران: ٤].

وقوله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الشعراء: ٩]، وقد تكرر في السورة كثيراً. وقوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ﴾ [يس: ٣٨]. وقوله سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾ [فاطر: ٢٨].

وقوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡغَفَّٰرُ﴾ [ص: ٦٦].

وقوله سبحانه: ﴿وَمَا نَقَمُواْ مِنۡهُمۡ إِلَّآ أَن يُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ﴾ [البروج: ٨].

و(العزُّ) في اللغة: القوة والشدة والغلبة.

والعـز والعـزة: الرفعـة والامتنـاع ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ﴾ [المنافقون: ٨] أي: ولـه العـزة والغلبة، ورجل عزيز: منيع لا يُغلب ولا يقهر.

و(العزيز): الذي له العزة التامة، ومن تمام عزته براءته عن كل سوء وشر وعيب، فإن ذلك ينافي العزة التامة. قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحج: ٤٠].

والله ﷻ هو (العزيز) بكـل معـاني العـزة، كمـا قـال سـبحانه: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًا﴾ [فاطر: ١٠].

يقول ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (العزيز) أي: الـذي قـد عـز كـل شـيء فقهـره، وغلـب الأشياء، فلا ينال جنابه لعزته وعظمته وجبروته وكبريائه).

ويوضح السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ هذه المعاني الثلاثة للعزيـز فيقـول: (العزيـز) الـذي لـه العـزة كلهـا: عـزة القـوة، وعـزة الغلبـة، وعـزة الامتنـاع، فـامتنع أن ينالـه أحـد مـن المخلوقات، وقهر جميع الموجودات، ودانت له الخليقة وخضعت لعظمته).

والله العزيز: الموصوف بالعزة، ولها ثلاثة معان:

الأول: العِزَّة: بمعنى الامتناع على مـن يرومـه مـن أعدائـه: فلـن يصـل إليـه كيدهم، ولن يبلغ أحد منهم ضره وأذاه، كما في الحديث القدسي «يَا عِبَادِي، إِنَّكُمْ لَنْ تَبْلُغُوا ضَرِّي فَتَضُرُّونِي، وَلَنْ تَبْلُغُوا نَفْعِي فَتَنْفَعُونِي».

الثاني: العِزَّة: بمعنى القهر والغلبة: فهو سبحانه القاهر لأعدائه، الغالب لهم.

الثـالث: العِزَّة: بمعـنى القوة والصلابة: ومنه قولهـم: أرض عَزَاز؛ للصـلبة الشديدة.

فهو سبحانه العزيز الـذي لا يُغلـب، عـزّ كـل شـيء فقهـره، ذلـت الصـعاب لعِزَّته، من دنا منه بالطاعة عـزّ ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًا﴾ [فاطر: ١٠]،

أي: فليطلبها بطاعة الله، فإنه لا يجدها إلاّ في طاعة الله، وكان من دعاء بعض السلف: اللهم أعزني بطاعتك، ولا تذلني بمعصيتك.

عِزّة القهر والغلبة لجميع الكائنات، فهي كلّها مقهورة لله خاضعة لعظمته منقادة لإرادته، ونواصي جميع المخلوقات بيده، لا يتحرَّك منها متحرك، ولا يتصرف متصرف إلا بحوله وقوّته وإذنه، فما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، ولا حول ولا قوة إلَّا بالله ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾ تُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ ۖ وَتُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ ۖ وَتَرْزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [آل عمران: ٢٦ - ٢٧].

فالله سبحانه له العزة الكاملة وهو سبحانه يعزُّ من شاء ما شاء من المدة، ثم قد يعقبه الذلة، ويعقب الذليل عزة، والله تعالى لم يزل ولا يزال عزيزاً لا تنقص عزته ولا تفنى، وعزته سبحانه تشمل المعاني الثلاثة للعزة الكاملة لله سبحانه وهي: عزة القوة وهي صفة العظيم الذي لا تنسب إليه قوة المخلوقات وإن عظمت، فيضرونه، ولا نفعه فينفعونه، بل هو الضار النفع المعطي المانع، وعزة القهر والغلبة لكل الكائنات فكلها مقهورة لله، خاضعة لعظمته منقادة لإرادته، فجميع نواصي المخلوقات بيده لا يتحرك منها متحرك، ولا يتصرف متصرف إلا بحوله وقوته وإذنه، ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، وليس في المخلوقين عزيز على التمام؛ لأن الدنيا كلها حاجة، والحاجة إلى الغير ذلة، والاستغناء عن الغير هو: الغنى والعز، والغنى بالحقيقة لله تعالى.

عباد الله:

والله سبحانه هو العزيز الذي لا يوصل إليه ولايمكن إدخال مكروه عليه، وهو منزه عما يجوز على المخلوقين إذ تصيبهم الحوادث وتغيرهم، وهو سبحانه لا يعادله شيء ولا مثل له، وهذا أخذاً من معاني العزة وهي الصلابة، والمنعة، ونفاسة القدر.

و(العزيز) يستلزم توحيده وعبادته وحده لا شريك له، إذ الشركة تنافي كمال العزة.

ومن كمال العزة تبرئته سبحانه من كل سوء وتنزيهه من كل شر ونقص.

ومن كمال عزته سبحانه؛ نفاذ حكمه وأمره في عباده، وتصريف قلوبهم على ما يشاء وهذا ما لا يقدر عليه إلا الله سبحانه، وهذا يجعل العبد خائفاً من ربه سبحانه، لائذاً بجنابه معتصماً به، متبرئاً من الحول والقوة، ذليلاً حقيراً بين يدي ربه سبحانه، يسأل ربه حفظ قلبه وصلاح دينه ودنياه.

فإذا عرف العبد عز سيده ولاحظه بقلبه، وتمكن شهوده منه، كان الاشتغال به عن ذل المعصية أولى به وأن فعله، لأنه يصير مع الله لا مع نفسه.

ومن معرفة عزته في قضائه: أن يعرف أنه مدبَّر مقهور، ناصيته بيد غيره. لا عصمة إلا بعصمته، ولا توفيق له إلا بمعونته، فهو ذليل حقير، في قبضة عزيز حميد).

ومن شهود عزته أيضاً في قضائه: أن يشهد أن الكمال والحمد، والغناء التام، والعزة، كلَّها لله، وأن العبد نفسَه أولى بالتقصير والذمِّ، والعيب والظلم والحاجة، وكلما ازداد شهوده لذله ونقصه وعيبه وفقره، ازداد شهوده لعزة

الله وكماله، وحمده وغناه؛ وكذلك العكس، فنقض الذنب وذلَّتُه يُطلعه على مشهد العِزَّة.

ويثمر الإيمان بهذا الاسم الكريم العزة في قلب المؤمن مهما ابتغى العبد العزة عند غير الله تعالى وفي غير دينه فلن يجدها، ولن يجد إلا الذل والضعف والهوان، قال الله تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًا﴾ [فاطر: ١٠]، وقال سبحانه راداً على المنافقين الذين رأوا العزة عندهم: ﴿يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ ۚ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [المنافقون: ٨].

والشعور بهذه العزة تثمر التعالي على الباطل وأهله، وعدم الاستكانة لهم مهما تسلطوا على العبد، فغاية ما يقدرون عليه الأذى الظاهري، أما القلب فما دام مملوءاً بالإيمان والاعتزاز بالقوي العزيز فلن يصلوا إليه ولن يسيطروا عليه ولن يتطرق إليه الوهن والضعف أبداً.

كما يثمر هذا الشعور عدم الركون إلى شيء من هذه الدنيا الفانية وجعلها مصدر العزة والقوة، فكم رأينا وسمعنا من كثيرة من الناس الذين اغتر بعضهم بماله أو جاهه أو ولده أو سلطانه ومنصبه فكانت كلها سبباً في إذلاله وشقائه، وصدق من قال: (نحن قوم أعزنا الله بالإسلام، فمهما ابتغينا العزة في غيره أذلنا الله).

وإنا لنجد مصداق هذه الكلام في واقعنا اليوم حيث إنه لما ركن كثير من الأفراد والطوائف والدول إلى غير الله ﷻ يبتغون عندهم العزة أذلهم الله وجعلهم في ذيل الركب ومؤخرة الأمم، وصدق الله ﷻ ومن أصدق من الله

قيلاً: ﴿بَشِّرِ ٱلْمُنَٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣٨﴾ ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ [النساء: ١٣٨ - ١٣٩].

ومن أسباب العزة؛ العفو والتواضع والذلة للمؤمنين، قال الله تعالى في وصف عباده الذين يحبهم ويحبونه: ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [المائدة: ٥٤].

وقال الرسول ﷺ: «**ما نقصت صدقة من مال، وما زاد الله عبداً بعفو إلا عزاً، وما تواضع أحد لله إلا رفعه**» [رواه مسلم]، فمن عفا عن شيء مع قدرته على الانتقام، عظم في القلوب في الدنيا وفي الآخرة بان يعظم الله ثوابه.

عباد الله:

وفي اقتران اسمه العزيز باسمه الحكيم دلالة على أن هذه العزة مقرونة بالحكمة وليست من العزة المشابهة لعزة المخلوقينَ؛ فإن عزة المخلوقين عادة يعتريها الأنفة والكبر والظلم والجور؛ ولذلك قال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتْهُ ٱلْعِزَّةُ بِٱلْإِثْمِ﴾ [البقرة: ٢٠٦]، فأعزاء الدنيا من المخلوقين يعتريهم في عزتهم النقص من جور أو ظلم أو ما أشبه ذلك، ولكنها هنا لمَّا جاءت مقرونة دلت على كمال آخر؛ وهو أن العزة مقرونةٌ بالحكمة.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (ولهذا كثيراً ما يقرن تعالى بين هذين الاسمين (العزيز الحكيم) في آيات التشريع والتكوين والجزاء؛ ليدل عباده على أن مصدر ذلك كله عن حكمة بالغة وعزة قاهرة، ففهم الموفقون عن الله عَزَّوَجَلَّ مراده وحكمته، وانتهوا إلى ما وقفوا عليه، ووصلت إليه أفهامهم وعلومهم، وردوا علم ما غاب عنهم إلى أحكم الحاكمين ومن هو بكل شيء عليم،

وتحققوا بما عملوه من حكمته التي بهرت عقولهم أن الله في كل ما خلق وأمر وأثاب وعاقب من الحكم البوالغ ما تقتصر عقولهم عن إدراكه، وأنه تعالى هو الغني الحميد العليم الحكيم، فمصدر خلقه وأمره وثوابه وعقابه غِنَاهُ وحمده وعلمه وحكمته، ليس مصدره مشيئة مجرد قدرة خالية من الحكمة والرحمة والمصلحة والغايات المحمودة المطلوبة له خلقاً وأمراً، وأنه سبحانه لا يُسْأَل عما يفعل لكمال حكمته.

بارك الله لي ولكم...

الخطبة الثانية

الحمد لله معز من أطاعه، ومذل من عصاه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله وسلم وبارك عليه، وعلى آله وأصحابه والتابعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

فإن من آثار الإيمان باسمه العزيز، أن سمى الله تَبَارَكَوَتَعَالَى كتابه: (العزيز) وذلك في قوله سبحانه: ﴿وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ۝٤١ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت: ٤١ - ٤٢].

قال قتادة: (أعزه الله لأنه كلامه، وحفظه من الباطل).

ومن عزته فلا يضرونه، ولا نفعه فينفعونه، بل هو الضارُّ النّافع، والمعطي المانع، منزّه سبحانه عن مغالية أحد، وعن أن يقدر عليه، وعن جميع ما لا يليق بعظمته وجلاله من العيوب والنقائص، وعن كل ما ينافي كماله، وعن اتخاذ الأنداد والشركاء، قال الله تعالى: ﴿سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ۝١٨٠ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ۝١٨١ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الصافات: ١٨٠ - ١٨٢]، وقال تعالى: ﴿وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [الروم: ٢٧]، وقال تعالى: ﴿قُلْ أَرُونِىَ ٱلَّذِينَ أَلْحَقْتُم بِهِۦ شُرَكَآءَ ۖ كَلَّا ۚ بَلْ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [سبأ: ٢٧].

ومن آثار الإيمان بهذا الاسم أن يكون ذُلُّ العبد لله وحده، لا يلتجئ إليه، ولا يحتمي إلا بحماه، ولا يلوذ إلَّا بجنابه، ولا يطلب عزة إلَّا منه ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًا﴾ [فاطر: ١٠].

وكلما كان العبد أعظمَ تحقيقاً لذلك كان نيله للعزّة أمكن ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [المنافقون: ٨].

والعِزّةُ بمعنى القهر هي أحد معاني الجبَّار، فإن من معاني الجبار أي: أنه القاهر لكل شيء، الذي دان له كل شيء، وخضع له كل شيء، فالعالم العلوي والسفلي وبما فيهما من المخلوقات العظيمة كلها قد خضعت وفي حركتها وسكناتها.

ومن ثمرات الإيمان بهذا الاسم: أن العبد إذا علم أن الله عزيز، فإنه لا يمكن أن يعمل فعلاً يحارب الله فيه، فالربا مثلاً وقطع الطريق محاربة لله سبحانه، فإذا علم أن الله ذو عزة لا يُغْلب فإنّه لا يمكن أن يقدم على محاربة الله.

وأيضـًا المؤمن ينبغي أن يكون عزيزاً في دينه بحيث لا يَذِلُّ أمام أحد من الناس كائنـًا من كان إلا على المؤمنين، فيكون عزيزاً على الكافرين، ذليلاً على المؤمنين.

ومن ثمرات ذلك أيضـًا: معرفة أن ربه وإلهه عزيز عظيم القدر، يلجأ إليه ويدعوه ويأوي إلى جنابه.

هذا وصلوا...

❀ ❀ ❀

(٣١) الخطبة الأولى[(١)]

الحمد لله العلي العظيم، رب العرش الكريم، وأشهد أن لا إله إلا الله، الحليم العظيم، وأشهد أن نبينا محمداً الصادق الأمين، صلى الله وسلم وبارك عليه، وعلى آله وصحبه أجمعين، والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

فاتقوا الله عباد الله، وتزودوا فإن خير الزاد التقوى، فإن الدنيا دار ممر لا دار مقر.

عباد الله:

ربنا عز وجل هو العظيم، جليل القدر، رفيع الشأن، ذلت لعظمته الجبابرة، وخضعت له القياصرة، وسجد له عباده الصالحون.

ومن أسماء الله تعالى اسم (العظيم). قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْعَظِيمُ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

وقد كان ﷺ يقول في ركوعه وسجوده: «سُبْحَانَ ذِي الجَبَرُوتِ وَالمَلَكُوتِ والكِبْرِيَاءِ وَالعَظَمَةِ».

والتعظيم: هو التبجيل.

---

(١) اسم (العظيم).

والعظيم: أي عظيم الشأن، جليل القدر.

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ: (فَطَرَ الله قلوب العباد على أنه أجلّ وأكبر، وأعلى وأعلم، وأعظم وأكمل من كل شيء).

فمن عظمته: أنه سبحانه إذا تكلَّم بالوحي أخذت السموات رجفة أو رعدة شديدة خوفًا منه، فإذا سمع ذلك أهل السموات صعقوا وخروا لله سجداً.

ومن عظمته: أنَّ ﴿وَٱلۡأَرۡضُ جَمِيعٗا قَبۡضَتُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطۡوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦ﴾ [الزمر: ٦٧].

وقد ورد هذا الاسم الكريم (العظيم) في القرآن الكريم في تسع آيات منها:

قوله ﷻ: ﴿وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَاۚ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

وقوله سبحانه: ﴿فَسَبِّحۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلۡعَظِيمِ﴾ [الواقعة: ٩٦]. وقوله تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ﴾ [الشورى: ٤].

وقوله ﷻ: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ لَا يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ ٱلۡعَظِيمِ﴾ [الحاقة: ٣٣].

وقد أمر النبي ﷺ أن يُسبح بهذا الاسم في الركوع؛ وذلك في قوله ﷺ: «فأما الركوع فعظموا فيه الرب ﷻ، وأما السجود فاجتهدوا في الدعاء فقمن أن يستجاب لكم» [رواه البخاري]. فإن الذكر الواجب في الركوع هو قول: (سبحان ربي العظيم)، كما نُقل ذلك في كيفية صلاة النبي ﷺ.

وثبت عنه ﷺ أنه كان يدعو عند الكرب فيقول: «لا إله إلا الله العظيم الحليم، لا إله إلا الله رب العرش العظيم، لا إله إلا الله رب السماوات ورب الأرض رب العرش الكريم» [رواه البخاري].

عباد الله:

والله تعالى عظيم، له كل وصف ومعنى يوجب التعظيم، فلا يقدر مخلوق أن يثني عليه كما ينبغي له، ولا يحصي ثناء عليه، بل هو كما أثنى على نفسه، وفوق ما يُثني عليه عباده.

ومعاني (العظيم) الثابتة لله وحده نوعان:

النوع الأول: أنه موصوفٌ بكل صفة كمال، وله من ذلك الكمال أكمله، وأعظمه، وأوسعه، فله العلم المحيط، والقدرة النافذة، والكبرياء والعظمة، ومن عظمته أن السموات والأرض في كفِّ الرحمن أصغر من الخردلة كما قال ذلك ابن عباس وغيره، قال تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَٱلسَّمَـٰوَٰتُ مَطْوِيَّـٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ﴾ [الزمر: ٦٧]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا ۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِهِۦٓ﴾ [فاطر: ٤١]. وقال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

وفي الصحيح عنه ﷺ: «**إنَّ الله يقول: الكبرياء ردائي، والعظمة إزاري، فمن نازعني واحداً منهما عذبته**» [رواه مسلم] فلله تعالى الكبرياء والعظمة، والوصفان اللذان لا يُقدَّر قدرهما، ولا يُبلغ كنههما.

النوع الثاني: من معاني عظمته تعالى أنه لا يستحق أحد من الخلق أن يُعظّم كما يُعظّم الله، فيستحق جَلَّجَلَالُهُ من عباده أن يعظِّموه بقلوبهم، وألسنتهم، وجوارحهم، وذلك ببذل الجهد في معرفته، ومحبته، والذُّلِّ له، والانكسار له، والخضوع لكبريائه، والخوف منه، وإعمال اللسان بالثناء عليه، وقيام الجوارح بشكره وعبوديته.

ومن تعظيمه؛ أن يُتقى حقَّ تقاته، فيُطاع فلا يُعصى، ويُذكر فلا يُنسى، ويُشكَر فلا يُكفَر.

ومن تعظيمه؛ تعظيم ما حرّمه وشرعه من زمان ومكان وأعمال ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمۡ شَعَـٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقۡوَى ٱلۡقُلُوبِ﴾ [الحج: ٣٢]، وقال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمۡ حُرُمَـٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيۡرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ﴾ [الحج: ٣٠].

ومن تعظيمه؛ أن لا يُعترض على شيء مما خلقه أو شرعه.

عباد الله:

قال الزجاجي رَحِمَهُ اللَّهُ: (العظيم): ذو العظمة والجلال في ملكه وسلطانه عَزَّ وَجَلَّ، كذلك تعرفه العرب في خطبها ومحاوراتها، يقول قائلهم: من عظيم بني فلان اليوم؟ أي: من له العظمة والرئاسة فيقال له: فلان عظيمهم، ويقولون: هؤلاء عظماء القوم، أي: رؤساءهم وذو الجلالة والرئاسة منهم..).

فهو عز وجل عظيم في كل شيء، عظيم في ذاته، وفي أسمائه وصفاته، وعظيم في رحمته، عظيم في قدرته، وعظيم في حكمته، عظيم في جبروته وكبريائه، عظيم في هبته وعطائه، عظيم في لطفه وخيره، عظيم في بره وإحسانه، عظيم في عزته وعدله وحمده، فهو العظيم المطلق، فلا أحد يساويه، ولا عظيم يدانيه.

يقول السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ: (العظيم الجامع لجميع صفات العظمة والكبرياء، والمجد والبهاء، الذي تحبه القلوب، وتعظمه الأرواح، ويعرف العارفون أن عظمة كل شيء، وإن جلت في الصفة، فإنها مضمحلة في جانب عظمة العلي العظيم.

والله تعالى عظيم له كل وصف ومعنى يوجب التعظيم، فلا يقدر مخلوق أن يُثني عليه، كما ينبغي له ولا يحصي ثناء عليه، بل كما أثنى على نفسه، وفوق ما يثني عليه عباده.

ومن دواعي تعظيمه سبحانه: التفكير في عظمة خلقه سبحانه ودقة صنعه في الآفاق والأنفس، والتفكر في قهره وقصمه للجبابرة، والمستكبرين الغابرين.

فإن من تعظيم الله ﷻ أن لا يُعتَرض على شيء مما شرعه، فقلب المؤمن الموحد ممتلئ بتعظيم الله سبحانه وكتابه ورسوله ﷺ، فتوحيده وإيمانه الراسخ يمنعه من أن يصدر منه قول أو فعل ينافي التعظيم كاستهزاء بشيء فيه ذكر الله تعالى أو القرآن أو الرسول ﷺ أو مما شرعه من الواجبات.

فأصل التوحيد لا يجتمع مع الاستهزاء، فالتوحيد موافقة، والاستهزاء معارضة، والتوحيد استسلام وقبول وتعظيم، والاستهزاء بالله أو شرعه ينافي التعظيم، فمن استهزأ بشيء فيه ذكر الله أو القرآن أو الرسول ﷺ، أو استهزأ بأصل التشريع كَمَنْ يستهزئ بحجاب المرأة المسلمة، أو تعدد الزوجات، أو إعفاء الرجل لحيته، أو غير ذلك من أحكام الشرع: فقد وقع في الكفر الأكبر والمخرج من الملة.

عباد الله:

ومن تعظيمه سبحانه: أن لا يعترض على شيء مما خلقه، قال ابن عثيمين رحمه الله: (من استهزأ بالآيات الكونية، بأن قال مثلاً إن وجود الحر في أيام الشتاء سفه، أو قال: إن وجود البرد في أيام الصيف سفه، فهذا كفر مخرج عن الملة،

لأن الرب ﷻ كل أفعاله مبنية على الحكمة، وقد لا نستطيع بلوغها، بل لا نستطيع بلوغها).

وقال أيضًا في قوله تعالى: ﴿قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَـٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ﴾ [التوبة: ٦٥]، ﴿أَبِٱللَّه﴾: أي بذاته، وصفاته، ﴿وَءَايَـٰتِهِۦ﴾: جمع آية، ويشمل الآيات الشرعية كالاستهزاء بالقرآن، أو يُستهزأ بشيء من الشرائع كالصلاة والصوم، ويشمل الآيات الكونية كأن يسخر بما قدره الله تعالى: كيف يأتي هذا في هذا الوقت؟ كيف يخرج هذا الثمر من هذا الشيء؟ كيف يخلق هذا الذي يضر الناس ويقتلهم؟ استهزاء وسخرية.

ومن تعظيمه سبحانه: تعظيم ما حرّمه وشرعه من زمان ومكان، وأعمال كالصلاة والحجاب ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَـٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ﴾ [الحج: ٣٢].

ومن دعاء الاستفتاح في الصلاة: «**وتعالى جَدُّك**» يعني: ارتفعت عظمتك وجلّت فوق كل عظمة، وعلا شأنك على كل شأن، وقهر سلطانك كل سلطان، فتعالى سبحانه أن يكون معه شريك في ملكه وربوبيته، أو في ألوهيته أو في أفعاله أو في صفاته؛ كما قال مؤمنوا الجنّ: ﴿وَأَنَّهُۥ تَعَـٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا ٱتَّخَذَ صَـٰحِبَةً وَلَا وَلَدًا﴾ [الجن: ٣].

ومن تعظيمه سبحانه: محبة وتقدير ونصرة العلماء والدعاة والذب عنهم، وغيبة أهل العلم أشدّ جُرمًا من غيبة غيرهم من الناس، لأنّ غيبتهم تفضي إلى عدم قبول أقوالهم، وحضور مجالسهم، وسماع مواعظهم ونصائحهم، وفي هذا ضررٌ على الإسلام وأهله.

بارك الله لي ولكم...

الخطبة الثانية

الحمد لله ولي الصالحين، ولا عدوان إلا على الظالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله الحق المبين، وأشهد أن نبينا محمداً عبده ورسوله، صلى الله وسلم وبارك على المبعوث رحمة للعالمين، وعلى آله وصحبه أجمعين. ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

فإن من آثار الإيمان باسمه سبحانه (العظيم):

الخشوع والخضوع لله تعالى والاستكانة والتذلل لعظمته وجبروته ومحبته، وإفراده وحده بالعبادة، ولذا شرعت الصلاة التي كلها - أركانها وواجباتها وأذكارها – فيها التعظيم لله تعالى والخضوع لعظمته، وإفراده وحده بالعبادة.

ومن تعظيمه سبحانه؛ نفي الشركاء والأنداد عنه، قال تعالى: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ [الإخلاص: ٤]، وقال تعالى: ﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾ [نوح: ١٣].

ومن تعظيمه سبحانه؛ إثبات ما أثبته لنفسه، أو أثبته له رسوله ﷺ من الأسماء والصفات الجليلة، وتنزيهه وتعظيمه سبحانه من مشابهة أحد من خلقه كما في قوله سبحانه: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]، ومن نفى عنه سبحانه صفاته أو أولها أو فوض معانيها بدعوى أن إثباتها يوهم تشبيهه بالمخلوقين فقد ضل ضلالاً مبيناً، ولم يعظم ربه سبحانه.

وكذلك تعظيم أمره سبحانه ونهيه، وتعظيم نصوص الكتاب والسنة، والاستسلام لها وعدم التقدم بين يدي الله تعالى ورسوله ﷺ برأي أو اجتهاد.

قال الله تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥].

ومن ذلك: تعظيم شعائر الله وحرماته؛ قال الله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ عِندَ رَبِّهِ﴾ [الحج: ٣٠]، وقال سبحانه: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾ [الحج: ٣٢].

ومن تعظيم شعائر الله تعالى؛ تعظيم الحج وشعائره كالصفا والمروة، والذبح لله تعالى، وتعظيم شعيرة الصلاة، والزكاة، والصيام، والجهاد، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وغيرها من شعائر الله تعالى وفرائضه.

ومن تعظيم حرمات الله تعالى؛ تعظيم مناهيه واجتنابها، كالربا والزنا وشرب الخمر، وسائر الكبائر والمحرمات، فاجتناب محارم الله تعالى دليل على تعظيم الله تعالى وتوقيره.

ومنها؛ تعظيم كتابه سبحانه وعدم التقدم بين يديه، بحيث ينقاد له ويسلم، ويحكِّمه في الصغير والكبير، ويتحاكم إليه، ويرضى بحكمه ويسلم. فلم يعظم الله ﷻ من هجر كتابه ولم يحكم به أو يتحاكم إليه.

وكذلك الاستعانة بالله وحده وصدق التوكل عليه، وتفويض الأمور إليه مع الأخذ بالأسباب المشروعة، وعدم الركون إليها، وإنما الركون إلى الكبير المتعال الذي قهر كل شيء بكبريائه وعظمته، وخضع لسلطانه كل مخلوق مهما علا شأنه، وهذا يورث الطمأنينة والثقة الكاملة بالله ﷻ الذي نواصي

الخلق بيده سبحانه مما يكون له أثر عظيم في الثبات، ورباطة الجأش عند الشدائد والمخاوف.

ومنها؛ الخوف منه سبحانه وحده، وعدم الخوف من المخلوق الضعيف الذي لا يملك لنفسه ضرّاً ولا نفعًا، فضلاً عن أن يملكه.

هذا وصلوا...

❀ ✿ ✿ ✿ ❀

(٣٢) الخطبة الأولى [١]

الحمد لله العفو الغفور، غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن نبينا محمداً عبده ورسوله، صلى الله وسلم وبارك عليه، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

فاتقوا الله ﷻ، وتوبوا إليه يُمتعكم متاعـًا حسنا إلى أجل مسمى.

عباد الله:

إن معرفة أسماء الله وصفاته هي أصل الدين وأساس الهداية، فالقرآن مليئ بالآيات التي ختمت بأسمائه أو صفاته، والآيات المتضمنة ذكر أسماء الله وصفاته أعظم مما فيه من ذكر المعاد، ولهذا كانت آية الكرسي أعظم آية في كتاب الله، وسورة الإخلاص ثلث القرآن، ومن أحبها أحبه الله، لأنها صفة الرحمن، والله تعالى يحب من يحب ذكر صفاته سبحانه.

وصفات الله سبحانه وحقائق أسمائه هي الجاذبة للقلوب إلى محبته وطلب الوصول إليه، لأن القلوب إنما تحب من تعرفه وتخافه وترجوه، وتشتاق إليه وتتلذذ بقربه، وتطمئن إلى ذكره بحسب معرفتها بأسمائه وصفاته.

---

(١) اسم (العفـو).

أيها المسلمون:

ربنا غفور رحيم، عفو كريم، ومن أسماء الله الحسنى، وكل أسمائه حسنى، اسم (العفو).

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ﴾ [الحج: ٦٠]، وقال تعالى: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ﴾ [طه: ٨٢].

قيل أصل العَفْو: المحو والطمس، ومنه: عَفَتِ الرياح الآثار: إذا درستها ومحتها.

والعفو: ترك الشيء، وعفو الله عن خلقه: هو تركه إياهم فلا يعاقبهم فضلاً منه، وكل من استحق عقوبة فتركته فقد عفوت عنه.

والعافية: دفاع الله تعالى عن العبد، تقول: عافاه الله تعالى من مكروهه، وهو يعافيه معافاة.

ومن المعافاة: أن يغنيك الله عن الناس، ويغنيهم عنك، ويصرف أذاهم عنك وأذاك عنهم.

عباد الله:

ربنا هو العفو: الذي يتجاوز عن الذنب ويترك العقاب عليه، فهو سبحانه يمحو الذنب بصفحه عنه، ويغفر للعبد بفضله سبحانه وكرمه، لولا عفوه ما ترك على ظهرها من دابة، ومن كمال عفوه أن المسرفين على أنفسهم إذا تابوا إليه غفر لهم كل جرم صغير وكبير، وأنه جعل الإسلام يجبُّ ما قبله، والتوبة تجبُّ ما قبلها.

والله سبحانه؛ عفو يضع عن عباده تبعات خطاياهم وآثامهم فلا يستوفيها منهم وذلك إذا تابوا واستغفروا، وإذا تركوا لوجهه شيئًا فيكفر عنهم ما فعلوا بما تركوا، أو بشفاعة من يشفع لهم بإذنه سبحانه.

وهوسبحانه؛ يمحو الذنب بصفحه عنه، ويغفر للعبد بفضله سبحانه.

وهو سبحانه؛ الساتر لذنوب عباده، فلم يُطْلع عليها غيره، وهو المتجاوز عن خطاياهم.

والعَفُّو أبلغ من الغفور، لأن الغفران ينبئ عن الستر، والعفو ينبئ عن المحو، والمحو أبلغ من الستر، والله سبحانه لم يزل بالعفو والتجاوز معروفًا، وبالصفح والغفران موصوفًا، والتقصير الواقع من الخلق يقتضي العقوبات المتنوعة، ولكن عفو الله ومغفرته تدفع هذه الموجبات والعقوبات ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُواْ مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَـٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ [فاطر: ٤٥].

ولا يعني مغفرته تساهل العبد بالذنب، بل كما قال سبحانه: ﴿إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلْعِقَابِ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌۢ﴾ [الأنعام: ١٦٥]، فالمؤمن متوازن في ظنّه بربّه فلا يُطغي جانب المغفرة فيُفرّط، ولا يُطغي جانب المؤاخذة بالذنب فيقع في الإفراط.

ومما جاء في العَفْو: كان من دعاء الرسول ﷺ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْعَفْوَ وَالْعَافِيَةَ فِي الدُّنْيَا والآخِرَةِ...» [رواه أبو داود]. أي؛ عافني من الأمراض والأسقام، وعافني من الذنوب والمعاصي.

ومما جاء في المغفرة: ما ورد عن ابن عمر رضي الله عنهما أنّه قال: إن كنا لنعد لرسول الله ﷺ في المجلس الواحد مئة مرة يقول: «رَبِّ اغْفِرْ لِي وَتُبْ عَلَيَّ إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ» [رواه أبو داود].

والعبد يحرص على أن يعفو عن الخلق في هذه الدنيا ليعفو الله عنه في الدار الآخرة.

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: (من رفق بعباد الله رفق الله به، ومن عفا عفا الله عنه، ومن عامل خلقه بصفة، عامله الله بتلك الصفة بعينها في الدنيا والآخرة، فالله سبحانه لعبده على حسب ما يكون العبد لخلقه).

ولهذا حرص السلف على العَفْو، ومن ذلك ما ذكر أن عامر بن عبد الله لما أراد أن يخرج من البصرة بسبب وشاية، اجتمع عليه صحبه وأقاربه لتوديعه، فقال لهم: إني داعٍ فأمنوا، فاشرأبت الأعناق، وسكنت الجوارح، ثم قال: اللهم من كذب عليّ، ووشى بي، وكان سبباً في إخراجي من بلدي والتفريق بين وبين إخواني.. اللهم أكثر ماله، وولده، وأصحّ جسمه، وأطل عمره.

عباد الله:

والتقصير الواقع من الخلق يقتضي العقوبات المتنوعة، ولكن عفو الله ومغفرته تدفع هذه الموجبات والعقوبات، قال تعالى: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُوا۟ مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِۦ بَصِيرًۢا﴾ [فاطر: ٤٥]، وهذا من كمال عفوه، فلولا كمال عفوه وحلمه ما ترك على ظهر الأرض من دابة، ومثلها قوله تعالى: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِظُلْمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً ۖ وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ [النحل: ٦١].

وقد ورد في (الصّحيحين) من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «**ليس أحدٌ – أو ليس شيء – أصبرَ على أذى سَمِعَه من الله، إنّهم ليدعون له ولداً، وإنه ليعافيهم ويرزقهم**».

وعفوه تعالى نوعان:

النوع الأول: عفوه العام عن جميع المجرمين من الكفار وغيرهم، بدفع العقوبات المنعقدة أسبابها، والمقتضية لقطع النّعم عنهم، فهم يؤذونه بالسَّبِّ والشِّرك وغيرها من أصناف المخالفات، وهو يعافيهم ويرزقهم ويدرُّ عليهم النّعم الظاهرة والباطنة، ويبسط له الدّنيا، ويعطيهم من نعيمها ومنافعها ويمهلهم ولا يهملهم بعفوه وحلمه سبحانه.

والنوع الثاني: عفوه الخاص، ومغفرته الخاصّة للتائبين والمستغفرين والدّاعين والعابدين، والمصابين بالمصائب المحتسبين، فكلّ من تاب إليه توبة نصوحًا – وهي الخالصة لوجه الله العامة الشاملة التي لا يصحبها تردُّد ولا إصرار – فإنّ الله يغفر له من أيّ ذنب كان، من كفر وفسوق وعصيان، وكلّها داخلة في قوله تعالى: ﴿قُلْ يَـٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الزمر: ٥٣].

وقد تواترتْ النّصوص من الكتاب والسنة في قبول الله التوبة من عباده من أيِّ ذنب كان، وكذلك الاستغفار المجرّد يحصل به من مغفرة الذنوب والسيئات بحسبه، وفي الحديث القدسي، قال الله تعالى: «**يا ابن آدم إنّك ما دعوتني ورجوتني غفرتُ لك ما كان فيك ولا أبالي، يا ابن آدم لو بلغتْ ذنوبُك عنان السّماء، ثم استغفرتني غفرتُ لك ولا أبالي، يا ابن آدم لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئًا لأتيتُك بقرابها مغفرة**» [رواه الترمذي].

وكذلك من عفوه سبحانه؛ أنّ الحسنات والأعمال الصالحة تكفّر السيئات والخطايا، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ [هود: ١١٤]، وفي الحديث: «وأتبع السّيئةَ الحسنةَ تمحُها» [رواه أحمد].

وكذلك من عفوه؛ أن المصائب التي تصيبُ العبد في نفسه أو ولده أو ماله تكفِّر سيِّئاته، خصوصاً إذا احتسب ثوابها وقام بوظيفة الصّبر أو الرّضى.

ومن عظيم عفوه سبحانه أنّ العبد يبارز ربَّه بالعظائم والجرائم فيلطف به ربُّه ويحيل عليه عفوه، فيشرح صدره للتوبة، ويتقبّل منه متابه، بل إنّه سبحانه يفرح بتوبة عبده إذا تاب مع أنه غني حميد، لا تنفعه طاعةُ مَنْ أطاع، ولا تضرّه معصيةُ مَنْ عصى.

روى مسلم في صحيحه من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه، عن النبي ﷺ أنه قال: «لله أشدُّ فرحًا بتوبة عبده حين يتوب إليه من أحدكم كان على راحلته بأرض فلاة، فانفلتت منه، وعليها طعامه وشرابه، فأيس منها، فأتى شجرة فاضطجع في ظلِّها قد أيس من راحلته، فبينا هو كذلك إذ هو بها قائمة عنده، فأخذ بخطامها، ثم قال – من شدّة الفرح –: اللهمّ أنت عبدي وأنا ربّك، أخطأ من شدّة الفرح» [رواه البخاري ومسلم].

قال ابن القيم رحمه الله: (فرحة إحسان وبر ولطف، لا فرحة محتاج إلى توبه عبده مُنتفع بها).

وينبغي هنا أن يعلم أنَّ علمَ العبد بهذه الأسماء العظيمة بابٌ عظيم لنيل عالي المقامات، ولا سيما مع مجاهدة النّفس على تحقيق مقتضياتها، من لزوم الاستغفار، وطلب العفو، ودوام التوبة، ورجاء المغفرة، والبعد عن

القنوط وتعاظم غفران الذنوب، فهو سبحانه عفو غفور لا يتعاظمه ذنب أن يغفره مهما بلغ الذنب وعظم الجرم، والعبد على خير عظيم ما دام طالبًا عفو ربِّه، راجيًا غفرانه.

بارك الله لي ولكم...

الخطبة الثانية

الحمد لله الغفور الرحيم، التواب الكريم، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن نبينا محمداً عبده ورسوله، صلى الله وسلم وبارك عليه، وعلى آله وأصحابه والتابعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي ﷺ فيما يحكيه عن ربِّه عَزَّ وَجَلَّ قال: «**أذنب عبدٌ ذنبًا، فقال: اللهمّ اغفر لي ذنبي، فقال تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: أذنب عبدي ذنبًا، فعلم أنّ له ربًّا يغفر الذّنب، ويأخذُ بالذنب، ثم عاد فأذنب، فقال: أي ربِّ اغفر لي ذنبي، فقال تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: عبدي أذنب ذنبًا فعلم أنّ له ربًّا يغفر الذنب ويأخذ بالذنب، ثم عاد فأذنب فقال: أي ربّ اغفر لي ذنبي، فقال تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: أذنب عبدي ذنبًا فعلم أنّ له ربًّا يغفر الذنب ويأخذ بالذّنب، اعمل ما شئتَ فقد غفرتُ لك**» أي ما دُمتَ تائبًا أوّاهًا منيبًا.

وأبواب عفوه وغفرانه مفتوحة، ولم يزل ولا يزال عفوّاً، وقد وعد بالمغفرة والعفو لمن أتى بأسبابها، قال سبحانه: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ﴾ [طه: ٨٢].

قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وأما العَفُوُّ: فهو الذي له العفو الشامل الذي وسع ما يصدر من عباده من الذنوب؛ ولا سيما إذا أتوا بما يوجب العفو عنهم من

الاستغفار والتوبة والإيمان والأعمال الصالحة، فهو سبحانه يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات،وهو عفوّ يحبُّ العفو، ويحبُّ من عباده أن يسعوا في تحصيل الأسباب التي ينالون بها عفوه؛ من السعي في مرضاته والإحسان إلى خلقه، ومن كمال عفوه أنه مهما أسرف العبد على نفسه ثم تاب إليه ورجع غفر له جميع جُرْمِه؛ كما قال تعالى: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الزمر: ٥٣].

اللهمَّ مُنَّ علينا بعفوك وأكرمنا بغفرانك، وتبْ علينا أنّك أنت التّوّاب الرّحيم.

هذا وصلوا...

***

٣٣ الخطبة الأولى [(١)]

الحمد لله الذي لم يزل، ولا يزال بالعفو معروفًا، وبالغفران والصفح عن عباده موصوفًا، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وإليه المرجع والمآب، وأشهد أن نبينا محمداً عبده ورسوله، خير من صلى وصام، وتاب وأناب، صلى الله وسلم وبارك عليه، وعلى أصحابه والتابعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

فاتقوا الله –عباد الله –، فإن التقوى خير زاد، وإلى الله المرجع والمعاد.

عباد الله:

إن من عَلِم أسماء الله وصفاته وتوسل إلى الله تعالى بها، استجاب الله دعاءه، فحصل له ما يرجوه من مرغوب، واندفع عنه ما يخافه من مرهوب.

والأسماء الحسنى لا تدخل تحت حصر ولا تحد بعدد، فإن لله تعالى أسماء وصفات استأثر بها في علم الغيب عنده، لا يعلمها ملك مقرب ولا نبي مرسل؛ كما في الحديث الصحيح: «**أسألك بكل اسم هو لك سمَّيتَ به نفسك، أو علّمتَه أحداً من خلقك، أو أنزلته في كتابك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك**» [رواه أحمد].

---

(١) اسم (الغفار، الغفور).

فجعل أسماءه ثلاثة أقسام: قسم سمَّى به نفسه فأظهره لمن شاء من ملائكته أو غيرهم، ولم ينزل به كتابه، وقسم أنزل به كتابه فتعرف به إلى عباده، وقسم استأثر به في علم غيبه فلم يطلع عليه أحد من خلقه، ولذا قال: «**استأثرت به**» أي انفردت بعلمه، وليس المراد انفراده بالتسمِّي به؛ لأنه هذا الانفراد ثابت في الأسماء التي أنزل بها كتابه. ومن هذا قول النبي ﷺ في حديث الشفاعة: «**فيفتح عليّ من محامده بما لا أحسنه الآن**» [رواه مسلم]، وتلك المحامد هي تفي بأسمائه وصفاته.

ومنه قوله ﷺ: «**لا أحصي ثناءً عليك أنت كما أثنيت على نفسك**» [رواه مسلم]، وأما قوله ﷺ: «**إن لله تسعة وتسعين اسمًا من أحصاها دخل الجنة**» [رواه البخاري]، فالكلام جملة واحدة. وقوله: «**من أحصاها دخل الجنة**» صفة لا خبر مستقبل. والمعنى له أسماء متعددة من شأنها من أحصاها دخل الجنة وهذا لا ينفي أن يكون له أسماء غيرها. وهذا كما تقول: لفلان مائة مملوك قد أعدهم للجهاد، فلا ينفي هذا أن يكون له مماليك سواهم معدون لغير الجهاد، وهذا لا خلاف بين العلماء فيه.

عباد الله:

من أسماء الله ﷻ (الغفار والغفور).

ومعنى الغَفْر: السَّتر، والتغطية. يقال: غفر الله ذنبه غَفْراً ومغفرة وغفرانًا.

و(الغفار) سبحانه: هو الساتر لذنوب عباده، وهو مغطيهم بستره فلا يطلع على ذنوبهم غيره، وهو المتجاوز عن خطاياهم وذنوبهم؛ لأنه سبحانه إذا سترها فقد صفح عنها وتجاوز، وهو غفور يغفر لهم مرة بعد مرة إلى ما

لايحصى، وفي الآخرة يستر على بعضهم، ويأخذ آخرين ببعض ذنوبهم ويستر غيرها.

وفرق بعضهم بين الغفور والغفار، بأن الأول مغفرته في الآخرة وتجاوزه عن العقوبة فيها، والثاني ستره في الدنيا على عباده وأنه لا يفضحهم.

وقيل الغفار: هو المبالغ في الستر فلا يشهر الذنب لا في الدنيا ولا في الآخرة.

وربنا جَلَّوَعَلَا هو الغفار؛ الذي يغفر ذنوب عباده مرة بعد أخرى كلما تكررت التوبة من الذنب من العبد تكررت المغفرة، وستره سبحانه لذنوب عبده بأن لا يكشف أمره لخلقه، ولا يهتك ستره بالعقوبة التي تشهره في عيونهم، ولو علم المخلوق ذنباً لآخر لأفشاه، ولعله لو ستره عليه ثم غضب أدنى غضبة لأبداه، كما أنه يمن عليه إذا غفر له زلته، أما الله سبحانه فإنه يغفر ولا يوبخ، ثم إن العبد يتعرض لمعاصي الله في كل وقت وستره عليه مسبل، فالحمد لله على إحسانه على خلقه، وقد فتح سبحانه الأسباب لنيل مغفرته بالتوبة والاستغفار والإيمان والعمل الصالح، والإحسان إلى عباد الله والعفو عنهم، وقوة الطمع في فضله سبحانه وحسن الظن به، وغير ذلك مما يقرب إلى مغفرته.

قال الخطابي: (فالغفار الستار لذنوب عباده والمسدل عليهم ثوب عطفه ورأفته، ومعنى الستر في هذا: أنه لا يكشف أمر العبد لخلقه، ولا يهتك ستره بالعقوبة التي تشهره في عيونهم).

وقد جاء في القرآن اسم (الغفور) في أحد وتسعين موضعًا، قرن بالرحيم في اثنين وسبعين منها، وبالحليم في ستة منها، وبالعفو في أربعة منها، وبالشكور في ثلاثة منها، وبالعزيز في موضعين، وبالودود في موضع، قال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [القصص: ١٦].

وجاء الغفور ذو الرحمة في قوله تعالى: ﴿وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ﴾ [الكهف: ٥٨].

وجاء بلفظ: خير الغافرين في موضع واحد، قوله تعالى على لسان موسى عليه السلام: ﴿أَنتَ وَلِيُّنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ﴾ [الأعراف: ١٥٥].

وجاء الغفار في خمسة مواضع اقترن بالعزيز: في ثلاثة مواضع، وجاء مفرداً في قوله تعالى: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا﴾ [نوح: ١٠]. وقوله: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَىٰ﴾ [طه: ٨٢]. وقوله تعالى: ﴿رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ﴾ [ص: ٦٦].

وجاء غافر الذنب في قوله تعالى: ﴿غَافِرِ الذَّنبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ﴾ [غافر: ٣].

والعفوّ هو الذي له العفو الشامل الذي وسع ما يصدر من عباده من الذنوب، ولا سيما إذا أتوا لما يسبب العفو عنهم من الاستغفار، والتوبة، والإيمان، والأعمال الصالحة فهو سبحانه يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات، وهو عفوٌ يحب العفو ويحب من عباده أن يسعوا في تحصيل الأسباب التي ينالون بها عفوه: من السعي في مرضاته، والإحسان إلى خلقه، ومن كمال عفوه أنه مهما أسرف العبد على نفسه ثم تاب إليه ورجع، غفر له

جميع جرمه: صغيره، وكبيره، وأنه جعل الإسلام يجُبُّ ما قبله، والتوبة تجبُّ ما قبلها، قال تعالى: ﴿قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الزمر: ٥٣].

وفي الحديث «إن الله يقول: **«يا ابن آدم إنك لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئًا لأتيتك بقرابها مغفرة»** [رواه الترمذي]، قال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلۡمَغۡفِرَةِۚ﴾ [النجم: ٣٢].

وقال ﷻ: ﴿ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ ٱلسَّيِّئَةَ﴾ [المؤمنون: ٩٦]، وقال ﷺ: **«ومن ستر مسلمًا ستره الله يوم القيامة»** [رواه البخاري]، وهذا لمن يستحق العفو والستر، أما المجاهر الذي استمرأ الظلم والتعالي على الناس فهذا حقه الانتصار منه ومنعه من الظلم.

وقال الزجاج: (ومعنى الغفر في حق الله سبحانه هو الذي يستر ذنوب عباده ويغطيهم بستره).

وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في نونيته:

وهو الغفور فلو أتى بقرابها ... من غير شرك بل من العصيان

لأتاه بالغفران ملء قرابها ... سبحانه هو واسع الغفران

وقال الشيخ السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (الغفور الذي لم يزل يغفر الذنوب ويتوب على كل من يتوب).

وقال أيضًا: (العفو والغفور والغفار): الذي لم يزل ولا يزال بالعفو معروفًا، وبالغفران والصفح عن عباده موصوفًا، كل أحد مضطر إلى عفوه ومغفرته، كما هو مضطر إلى رحمته وكرمه، وقد وعد بالمغفرة لمن أتى بأسبابها قال تعالى: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٞ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا ثُمَّ ٱهۡتَدَىٰ﴾ [طه: ٨٢].

عباد الله:

والدعاء ثلاثة أقسام:

١ - أن تسأل الله بأسمائه وصفاته.

٢ - أن تسأله بحاجتك وفقرك وذُلِّك فتقول: أنا العبد الفقير المسكين الذليل المستجير، ونحو ذلك.

٣ - أن تسأل حاجتك ولا تذكر واحداً من الأمرين، فالأول أكمل من الثاني، والثاني أكمل من الثالث، فإذا جمع الدعاء الأمور الثلاثة كان أكمل. وهذه عامة أدعية النبي ﷺ.

فالدعاء الذي علّمه صدِّيق الأمة رضي الله عنه ذكر الأقسام الثلاثة:

١ - فإنه قال في أوله: «**اللهم إن ظلمت نفسي ظلمًا كثيراً**»، وهذا حال السائل.

٢ - ثم قال: «**ولا يغفر الذنوب إلا أنت**»، وهذا حال المسؤول.

٣ - ثم قال: «**فاغفر لي**» فذكر حاجته، وختم الدعاء باسمين من الأسماء الحُسنى تناسب المطلوب وتقتضيه، ثم قال ابن القيم رحمه الله: وهذا القول الذي اخترناه قد جاء عن غير واحد من السلف. قال الحسن البصري: «اللهم» مجمع الدعاء، وقال أبو رجاء العطاردي: إن الميم في قوله: «اللهم» فيها تسعة وتسعون اسمًا من أسماء الله تعالى. وقال النضر بن شميل: من قال: «اللهم» فقد دعا الله بجميع أسمائه.

بارك الله لي ولكم...

الخطبة الثانية

الحمد لله، أحمده وأشكره، وأستغفره وأتوب إليه، وأصلي وأسلم على عبده ورسوله وصفيه وخليله، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه.

أما بعد:

فإن من آثار الإيمان بأسمائه سبحانه (الغفور، الغفار، غافر الذنب):

أولاً: محبة الله ﷻ وحمده وشكره على رحمته لعباده وغفرانه لذنوبهم، وهذا الأثر يثمر في قلب المؤمن توقي معاصي الله تعالى قدر الطاقة، وإذا زلت القدم ووقع المؤمن في الذنب فإنه يتذكر اسمه سبحانه الغفور والغفار فيسري الرجاء في قلبه ويقطع الطريق على اليأس من رحمة الله تعالى ويحسن الظن بربه الذي يغفر الذنوب جميعاً.

ثانيًا: فتح باب الرجاء والمغفرة للشاردين عن الله تعالى والمسرفين على أنفسهم بعظائم الذنوب كما قال تعالى: ﴿قُلْ يَـٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الزمر: ٥٣].

ثالثًا: الإكثار من الأعمال الصالحة والحسنات لأنها من أسباب الحصول على مغفرة الله تعالى للسيئات السالفة؛ قال الله ﷻ: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَىِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيْلِ ۚ إِنَّ ٱلْحَسَنَـٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ﴾

[هود: ١١٤]، وقال سبحانه: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ﴾ [طه: ٨٢]. وقوله ﷺ: «**واتبع السيئة الحسنة تمحها**» [رواه الترمذي].

رابعـًا: إن كونه سبحانه غفوراً وغفاراً للذنوب؛ لا يعني أن يسرف المسلم في الخطايا والذنوب ويتجرأ على معصية الله تعالى بحجة أن الله غفور رحيم، لأن المغفرة لا تكون إلا بشروطها وانتفاء موانعها، قال سبحانه: ﴿رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ ۚ إِن تَكُونُوا۟ صَٰلِحِينَ فَإِنَّهُۥ كَانَ لِلْأَوَّٰبِينَ غَفُورًا﴾ [الإسراء: ٢٥]، وقال ﷻ: ﴿إِلَّا مَن ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًۢا بَعْدَ سُوٓءٍ فَإِنِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [النمل: ١١].

خامسـًا: سؤال الله ﷻ بهذا الاسم الكريم مغفرة الذنوب ووقاية شرها، لأنه سبحانه وحده الذي يملك غفران الذنوب، ولا يملك ذلك أحد سواه، وما أكثر الأحاديث التي تحث على أفضلية الاستغفار، وما أكثر الأدعية النبوية التي فيها الاستغفار، ومن أشهرها سيد الاستغفار المذكور والذي منه: «**وأبوء بذنبي فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت**» [رواه البخاري].

ولما سأل أبو بكر الصديق رضي الله عنه الرسول ﷺ دعاء يدعو به في صلاته قال: قل: «**اللَّهم إني ظلمت نفسي ظلماً كثيراً ولا يغفر الذنوب إلا أنت، فاغفر لي مغفرة من عندك وارحمني إنك أنت الغفور الرحيم**» [رواه البخاري].

سادسـًا: مجاهدة النفس على التخلق بخلق الصفح عن الناس وستر أخطائهم وعوراتهم، والاهتداء بهدي القرآن الكريم الذي يأمر بالعفو عن الناس ومقابلة السيئة بالحسنة.

قال سبحانه في وصف المتقين: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٤].

هذا وصلوا وسلموا...

٣٤ الخطبة الأولى[1]

الحمد لله العليم، علام الغيوب، عالم الغيب والشهادة، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن نبينا محمداً عبده ورسوله، صلى الله وسلم وبارك عليه، وعلى آله وصحبه والتابعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

فاتقوا الله عباد الله، وراقبوه في السر والنجوى. ﴿وَٱتَّقُواْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ ۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٨١].

عباد الله:

أسماء الله الحسنى وصفاته العلا؛ كلها أسماء وصفات بلغت الغاية في الحسن، وأحصاها دخل الجنة، وهذا هو قطب السعادة، ومدار النجاة والفلاح.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (إن معرفة الله ومعرفة أسمائه الحسنى وصفاته العليا هي غاية مطالب البرية، وهي أفضل العلوم وأعلاها وأسماها، وهي الغاية التي شمَّر إليها المشمرون، وتنافس فيها المتنافسون، وجرى إليها المتسابقون، وإلى نحوها تمتد الأعناق، وإليها تتجه القلوب الصحيحة

(١) اسم (العليم، العالم، علام الغيوب).

بالأشواق، وبها يتحقق للعبد طيب الحياة، فإن حياة الإنسان بحياة قلبه وروحه، ولا حياة لقلبه إلَّا بمعرفة فاطره ومحبته وعبادته وحده والإنابة إليه والطمأنينة بذكره والأُنس بقربه، ومن فقد هذه الحياة فقد الخير كلَّه، ولو تعوَّض عنها بما تعوض من الدنيا، بل ليست الدنيا بأجمعها عوضا عن هذه الحياة، فمِنْ كلِّ شيءٍ يفوت عوضٌ، وإذا فاته الله لم يُعوِّض عنه شيءٌ البتَّة).

عباد الله:

من أسماء الله ﷻ (العليم، العالم، علام الغيوب) وقد ورد اسم (العالم) ثلاث عشرة مرة في القرآن الكريم، أضيف في عشر منها إلى الغيب والشهادة، وأضيف في ثلاث منها إلى الغيب وحده.

قال تعالى: ﴿ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾ [التوبة: ٩٤]. وقال تعالى: ﴿عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ فَلَا يُظۡهِرُ عَلَىٰ غَيۡبِهِۦٓ أَحَدًا﴾ [الجن: ٢٦].

كما ورد هذا الاسم مرتين في صورة الجمع:

قال تعالى: ﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَآ إِبۡرَٰهِيمَ رُشۡدَهُۥ مِن قَبۡلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٥١].

وقال تعالى: ﴿وَكُنَّا بِكُلِّ شَيۡءٍ عَٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨١].

أما اسم الله (العليم) فقد ورد في القرآن الكريم مائة وسبعاً وخمسين مرة، من ذلك قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ﴾ [المائدة: ٩٧]، وقوله تعالى: ﴿قَالُواْ سُبۡحَٰنَكَ لَا عِلۡمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمۡتَنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ﴾ [البقرة: ٣٢].

وقوله تعالى: ﴿وَمَا تَدۡرِي نَفۡسُۢ بِأَيِّ أَرۡضٖ تَمُوتُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرُۢ﴾ [لقمان: ٣٤]. وقوله سبحانه: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَقۡضِي بَيۡنَهُم بِحُكۡمِهِۦۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡعَلِيمُ﴾ [النمل: ٧٨]. وقوله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَصِيَّةٗ مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٞ﴾ [النساء: ١٢].

وأما اسمه سبحانه (علام الغيوب) فقد ورد أربع مرات، ثنتان منها في سورة المائدة.

قال تعالى: ﴿قَالُواْ لَا عِلۡمَ لَنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلۡغُيُوبِ﴾ [المائدة: ١٠٩]، وقال تعالى: ﴿تَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِي وَلَآ أَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِكَۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلۡغُيُوبِ﴾ [المائدة: ١١٦].

وفي سورة التوبة: قال تعالى: ﴿أَلَمۡ يَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ سِرَّهُمۡ وَنَجۡوَىٰهُمۡ وَأَنَّ ٱللَّهَ عَلَّٰمُ ٱلۡغُيُوبِ﴾ [التوبة: ٧٨]. وفي سورة سبأ: قال تعالى: ﴿قُلۡ إِنَّ رَبِّي يَقۡذِفُ بِٱلۡحَقِّ عَلَّٰمُ ٱلۡغُيُوبِ﴾ [سبأ: ٤٨].

ويلاحظ إضافة (علاّم) إلى الغيوب في هذه المواضع، والغيوب جمع غيب.

فالزيادة والتكثير في هذا الاسم (علاّم) تشاكل الجمع في غيوب.

و(العليم والعالم) اسمان متضمنان صفة العلم، (فالعالم): اسم الفاعل من علم يعلم فهو عالم، والعليمُ من أبنية المبالغة في الوصف بالعلمِ، وهو بمنزلة قدير من القادر.

والعلاّم بمنزلة عليم في المبالغة في الوصف بالعلم إلا أن علاماً يتعدى إلى مفعول، وبناء فعال بناء تكثير وزيادة.

وقال في اللسان: (والعلم: نقيض الجهل.. وعلمت الشيء: عرفته وخبرته. وعلم بالشيء : شعر به).

وقال الراغب: (العلم: إدراك الشيء بحقيقته).

أما معناه في حق الله تعالى: فقد قال ابن جرير الطبري رَحِمَهُ اللهُ: عند قوله تعالى: ﴿سُبۡحَٰنَكَ لَا عِلۡمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمۡتَنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ﴾ [البقرة: ٣٢]: (إن أنت يا

ربنا العليم من غير تعليم بجميع ما قد كان وما هو كائن، والعالم للغيب دون جميع خلقك).

وقال: (إن الله ذو علم بكل ما أخفته صدور خلقه من إيمان وكفر، وحق وباطل، وخير وشر، وما تستجنه مما لم تجنه بعد).

وقال صاحب اللسان: (فهو الله العالم بما كان وما يكون قبل كونه، وبما يكون ولما يكن بعد قبل أن يكون، لم يزل عالماً ولا يزال عالماً بما كان وما يكون، ولا يخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء، أحاط علمه بجميع الأشياء باطنها وظاهرها، دقيقها وجليلها على أتم الإمكان).

وقال السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ: (وهو الذي أحاط علمه بالظواهر والبواطن، والإسرار، والإعلان، وبالواجبات والمستحيلات، والممكنات وبالعلم العلوي والسفلي، وبالماضي، والحاضر، والمستقبل، فلا يخفى عليه شيء من الأشياء).

وقال أيضاً: (وهو العليم المحيط علمه بكل شيء: بالواجبات، والممتنعات، والممكنات، فيعلم تعالى نفسه الكريمة، ونعوته المقدسة، وأوصافه العظيمة، وهي الواجبات التي لا يمكن إلا وجودها، ويعلم الممتنعات حال امتناعها، ويعلم ما يترتب على وجودها لو وجدت كما قال تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ [الأنبياء: ٢٢]، وقال تعالى: ﴿مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ [المؤمنون: ٩١].

فهذا وشبهه من ذكر علمه بالممتنعات التي يعلمها، وإخباره بما ينشأ منها

لو وجدت على وجه الفرض والتقدير. ويعلم تعالى الممكنات – وهي التي يجوز وجودها وعدمها – ما وجد منها، وما لم يوجد مما لم تقتض الحكمة إيجاده؛ فهو العليم الذي أحاط علمه بالعالم العلوي، والسفلي لا يخلو عن علمه مكان ولا زمان، ويعلم الغيب والشهادة، والظواهر والبواطن، والجلي والخفي، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمُۢ﴾ [الأنفال: ٧٥].

عباد الله:

والنصوص في ذكر إحاطة علم الله، وتفصيل دقائق معلوماته كثيرة جداً لا يمكن حصرها، وإحصاؤها، وأنه لا يعزب عنه مثقال ذرة في الأرض، ولا في السماء، ولا أصغر من ذلك، ولا أكبر، وإنه لا يغفل، ولا ينسى: ﴿وَمَا تَسۡقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعۡلَمُهَا وَلَا حَبَّةٖ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلۡأَرۡضِ وَلَا رَطۡبٖ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ﴾ [الأنعام: ٥٩]، ﴿يَعۡلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخۡفَى﴾ [طه: ٧]).

يعلم ما في الأرض السفلي ويعلم ما فوق السماوات العلي، ويعلم تعالى جزئيات الأمور وخبايا الصدور، وخفايا ما وقع ويقع في أرجاء العالم وأنحاءه؛ فهو الذي أحاط علمه جميع الأشياء في كل الأوقات، ولا يعرض تعالى لعلمه خفاء، ولا نسيان؛ كقوله في غير موضع: ﴿وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ﴾ [البقرة: ٢٨٢]، وقوله سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ [آل عمران: ١١٩].

أولاً: شمول علم الله ﷻ لكل شيء في السماوات وفي الأرض قال الله تعالى: ﴿أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عِلۡمَۢا﴾ [الطلاق: ١٢]، وقال الله ﷻ: ﴿عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِۖ لَا يَعۡزُبُ عَنۡهُ مِثۡقَالُ ذَرَّةٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَآ أَصۡغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكۡبَرُ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ﴾ [سبأ: ٣].

ثانيًا: علمه الشامل لكل ما يلج في الأرض، وما يخرج منها، وما ينزل من ا لسماء وما يعرج فيها، قال الله ﷻ: ﴿يَعۡلَمُ مَا يَلِجُ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا يَخۡرُجُ مِنۡهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعۡرُجُ فِيهَاۖ وَهُوَ مَعَكُمۡ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ﴾ [الحديد: ٤].

ثالثًا: علمه المحيط واختصاصه بمفاتيح الغيب، وبما يحدث من صغير أو كبير في البر والبحر، قال الله ﷻ: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلۡغَيۡبِ لَا يَعۡلَمُهَآ إِلَّا هُوَۚ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۚ وَمَا تَسۡقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعۡلَمُهَا وَلَا حَبَّةٖ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلۡأَرۡضِ وَلَا رَطۡبٖ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ﴾ [الأنعام: ٥٩].

رابعًا: علمه المحيط بمكنونات القلوب، وما تخفيه الصدور، وما توسوس به النفوس، قال الله ﷻ: ﴿قُلۡ إِن تُخۡفُواْ مَا فِي صُدُورِكُمۡ أَوۡ تُبۡدُوهُ يَعۡلَمۡهُ ٱللَّهُۗ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾ [آل عمران: ٢٩]، وقال سبحانه: ﴿سَوَآءٞ مِّنكُم مَّنۡ أَسَرَّ ٱلۡقَوۡلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ وَمَنۡ هُوَ مُسۡتَخۡفِۭ بِٱلَّيۡلِ وَسَارِبُۢ بِٱلنَّهَارِ﴾ [الرعد: ١٠]، وقال ﷻ: ﴿وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ وَنَعۡلَمُ مَا تُوَسۡوِسُ بِهِۦ نَفۡسُهُۥۖ وَنَحۡنُ أَقۡرَبُ إِلَيۡهِ مِنۡ حَبۡلِ ٱلۡوَرِيدِ﴾ [ق: ١٦].

ومن ذلك علمه سبحانه بكل ما يقوله العباد ويعلمونه سراً وعلانية في ليل أو نهار، فرادى أو جماعات، قال الله ﷻ: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأۡنٖ وَمَا تَتۡلُواْ مِنۡهُ مِن قُرۡءَانٖ وَلَا تَعۡمَلُونَ مِنۡ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيۡكُمۡ شُهُودًا إِذۡ تُفِيضُونَ فِيهِۚ وَمَا يَعۡزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثۡقَالِ ذَرَّةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصۡغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكۡبَرَ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٍ﴾ [يونس: ٦١].

بارك الله لي ولكم...

الخطبة الثانية

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام، على من لا نبي بعده، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن نبينا محمداً عبده ورسوله، صلى الله وسلم وبارك عليه، وعلى آله وصحبه، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

العِلْم: ضدَّ الجهل.

والعليم: يعلم ما في السموات والأرضين والسبع وما بينهما، وما تحت الثرى، وما في قعر البحار، ومنبت كل شعرة وكل شجرة، ومسقط كل ورقة، وعدد الحصا والرمل والتراب، ومثاقيل الجبال، وأعمال العباد وآثارهم وكلامهم وأنفاسهم، ويعلم كل شيء ولا يخفى عليه شيء كما قال تعالى: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ [الأنعام: ٥٩].

قال ابن مسعود رضي الله عنه: (الله فوق العرش لايخفى عليه شيء من أعمالكم).

والله سبحانه يحيط علماً بالخلائق كلها؛ ماضيها وحاضرها ومستقبلها كما قال جلَّ في عُلاه: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ [طه: ١١٠].

ومن ذلك: سبق العلم بنبوة موسى، وإيمان آسية، (امرأة فرعون) فسيق تابوته إلى بيتها، فجاء طفل منفرد عن أم؛ إلى امرأة خالية عن ولد، فللّه كم في هذه القصة من عبرة، كم ذبح فرعون في طلب موسى من ولد، ولسان القدر يقول: لا نربيه إلاّ في حجرك.

وهو سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى تفرد بعلم الغيب: لا يعلم سواه مفاتيح الغيب ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌۢ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌۢ﴾ [لقمان: ٣٤].

فهذه الخمسة مفاتح الغيب التي لا يعلمها إلا الله:

علم الساعة: مبدأ مفتاح لحياة الآخرة. وتنزيل الغيث: مفتاح لحياة الأرض بالنبات. وعلم الأرحام: مفتاح لحياة الدنيا. وعلم ما في الغد: مفتاح الكسب في المستقبل. وعلم مكان الموت: مفتاح لحياة الآخرة.

قال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (فطر الله قلوب العباد على أنه أجلّ وأكبر وأعلى وأعلم وأعظم وأكمل من كل شيء).

ومن ثمرات الإيمان بهذين الاسمين:

الخوف من الله، وكمال مراقبة الله وخشيته في السر والعلن.

وكذلك: اليقين بشمول علم الله تعالى لكل شيء في السموات والأرض، وللبواطن والظواهر، كل ذلك يثمر في قلب العبد تعظيم الله تعالى وإجلاله والحياء منه.

وكذلك: اليقين بعلم الله تعالى للأمور قبل وقوعها وكتابتها عنده سبحانه في اللوح المحفوظ قبل خلقها، يثمر في قلب العبد الطمأنينة والرضا والتسليم لقضاء الله وقدره.

هذا وصلوا...

❁ ❁ ❁

٣٥ الخطبة الأولى[(١)]

الحمد لله الغني، الجواد الكريم، أسبغ علينا نعمه ظاهرة وباطنة، وساق لنا الخيرات والنعم، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن نبينا محمداً عبده ورسوله وصفيه وخليله، أكمل الناس خُلقاً وأجودهم عطاء، وأغناهم نفساً، صلى الله وسلم وبارك عليه، وعلى آله وصحبه والتابعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

فاتقوا الله عباد الله حق التقوى، وتعرضوا لنفحات ربكم تسعدوا وتفلحوا. ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

عباد الله:

من أسماء الله ﷻ (الغني).

والغنيّ في اللغة: هو الذي ليس بمحتاج إلى غيره، وليس في العالم أحد غنياً في الحقيقة لأن بكل منهم حاجة إلى غيره، سواء أكان ذا يسار أم معدماً، لا بد له من الحاجة إلى غيره في معونة أو تصرف أو غير ذلك من أمور الدنيا، وجميع من في العالم محتاج بعضهم إلى بعض.

---

(١) اسم (الغني).

وليس الغنى بمال فقط، بل الغنى غنى النفس، فقد يكون الرجل ذا مال مكثر لا يتصرف فيه ولا يستغني به ويتصدى لمعروف من هو دونه في اليسار، فيصير هو الفقير وإن كان ذا مال.

والله تعالى هو الغنُّي: الذي لا يحتاج إلى أحد في شيء، فهو المستغني عن الخلق بقدرته، قد استغنى عنهم وعن نصرتهم وتأييدهم لملكه فليست به حاجة إلى أحد، وكل أحد محتاج إليه، وهذا هو الغنى المطلق ولا يشارك الله تعالى فيه غيره، والله سبحانه هو الغني في الحقيقة عن جميع الأشياء فليس الغنى على الحقيقة لغير الله، وقد أغنى عباده عمن سواه، وقد يكون معنى الغني هو الكافي من الغَناء – بفتح المعجمة – إي الكفاية.

وهو سبحانه الغني بذاته الذي له الغنى التام المطلق من جميع الوجوه والاعتبارات؛ لكماله وكمال صفاته فلا يتطرق إليها نقص بوجه من الوجوه ولا يمكن أن يكون إلا غنيًا؛ لأن غناه من لوازم ذاته كما لا يكون إلا خالقًا قادراً رازقًا محسنًا فلا يحتاج إلى أحد بوجه من الوجوه، وبيده خزائن السموات والأرض، وخزائن الدنيا والآخرة، وجوده على خلقه متواصل في جميع اللحظات والأوقات، ويده سحَّا الليل والنهار، وخيره على الخلق مدرار، ومن كمال غناه سبحانه؛ أنه لم يتخذ صاحبة ولا ولداً، ولم يكن كفواً أحد، وهو المغني جميع خلقه غنى عامًا خلقه بما أفاض على قلوبهم من المعارف الربانية، والحقائق الإيمانية.

عباد الله:

والله سبحانه هو الغني المطلق، والخلق فقراء محتاجون إليه، وكونه غنيًا

ذاتي له، له لذاته ولا لأمر أوجبه، والغنى المطلق من كل وجه ثابت له سبحانه، فيستحيل أن يكون الرب إلا غنيًا، كما يستحيل أن يكون العبد إلا فقيراً.

وقد ورد اسم (الغني) في ثمانية عشر موضعًا من القرآن، قال تعالى: ﴿وَرَبُّكَ ٱلْغَنِيُّ ذُو ٱلرَّحْمَةِ﴾ [الأنعام: ١٣٣]، وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ﴾ [فاطر: ١٥]، وقال تعالى: ﴿لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ﴾ [لقمان: ٢٦].

فهو تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ الغني بذاته، الذي له الغنى التام المطلق من جميع الوجوه والاعتبارات، لكماله وكمال صفاته التي لا يتطرق إليها نقص بوجه من الوجوه، ولا يمكن إلا أن يكون غنيًّا؛ لأن غناه من لوازم ذاته، فكما لا يكون إلا خالقا رازقا رحيما محسنا؛ فلا يكون إلا غنيا عن جميع الخلق، لا يحتاج إليه بوجه من الوجوه، ولا يمكن أن يكونوا كلهم إلا مفتقرين إليه من كل وجه، لا يستغنون عن إحسانه وكرمه، وتدبيره وتربيته العامة والخاصة طرفة عين، وكلّ من في السموات والأرض عبيد له، مقهورون بقهره، مصرفون بمشيئته، لو أهلكهم جميعا لم ينقص من عزه وسلطانه وملكه وربوبيته وإلهيته مثقال ذرّة.

عباد الله:

من كمال غناه؛ أنه لا تنفعه طاعة الطائعين، ولا تضره معصية العاصين، فلو آمن أهل الأرض كلهم جميعا ما زاد ذلك في ملكه شيئًا، ولو كفروا جميعًا لم ينقص ذلك من ملكه شيئًا، قال تعالى: ﴿وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّى غَنِىٌّ كَرِيمٌ﴾ [النمل: ٤٠]، وقال تعالى: ﴿وَمَن جَٰهَدَ فَإِنَّمَا

يُجَٰهِدُ لِنَفۡسِهِۦٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [العنكبوت: ٦]، وقال تعالى: ﴿فَكَفَرُواْ وَتَوَلَّواْۚ وَّٱسۡتَغۡنَى ٱللَّهُۚ وَٱللَّهُ غَنِيٌّ حَمِيدٞ﴾ [التغابن: ٦]، وقال تعالى: ﴿إِن تَكۡفُرُوٓاْ أَنتُمۡ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا فَإِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾ [إبراهيم: ٨].

وفي الحديث القدسيّ يقول الله تعالى: «**يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنَّكم كانوا على أتقى قلب رجل منكم ما زاد ذلك في ملكي شيئا، ولو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل منكم ما نقص ذلك من ملكي شيئًا**»، وقال: «**يا عبادي إنكم لن تبلغوا ضري فتضروني، ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني**» [رواه مسلم].

ومن كمال غناه؛ أن إنفاق المنفقين وبذل الباذلين في سبيله وابتغاء مرضاته لا ينفعه بشيء، وكذلك شحُّ الشّحيحين وبخل البخلاء لا يضره شيئًا.

قال الله تعالى: ﴿وَمَن يَبۡخَلۡ فَإِنَّمَا يَبۡخَلُ عَن نَّفۡسِهِۦۚ وَٱللَّهُ ٱلۡغَنِيُّ وَأَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُۚ وَإِن تَتَوَلَّوۡاْ يَسۡتَبۡدِلۡ قَوۡمًا غَيۡرَكُمۡ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓاْ أَمۡثَٰلَكُم﴾ [محمد: ٣٨]، وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبۡتُمۡ وَمِمَّآ أَخۡرَجۡنَا لَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِۖ وَلَا تَيَمَّمُواْ ٱلۡخَبِيثَ مِنۡهُ تُنفِقُونَ وَلَسۡتُم بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغۡمِضُواْ فِيهِۚ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾ [البقرة: ٢٦٧].

ومن كمال غناه؛ تنزهه تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ عن النقائص والعيوب، فمن نسب إليه تعالى نقصا فقد نسب إليه ما ينافي غناه، قال تعالى: ﴿قَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدٗاۗ سُبۡحَٰنَهُۥۖ هُوَ ٱلۡغَنِيُّۖ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ﴾ [يونس: ٦٨].

ومن كمال غناه؛ تنزّهه تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ عن الشركاء والأنداد؛ إذ كيف يسوَّى التراب برب الأرباب، وكيف يسوى الفقير بالذّات، الضّعيف بالذّات،

العاجز بالذات، المحتاج بالذات، ليس له من ذاته إلا العدم؛ بالغني بالذّات، القادر بالذّات، الذي غناه وقدرته وملكه وجوده وإحسانه وعلمه ورحمته وكماله المطلق التام من لوازم ذاته، وكيف يسوى العبيد بمالك الرقاب، الذي جميع رقاب العبيد تحت قبضته وطوع تدبيره، قال الله تعالى: ﴿لَّقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَۚ قُلۡ فَمَن يَمۡلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـًٔا إِنۡ أَرَادَ أَن يُهۡلِكَ ٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَأُمَّهُۥ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗاۗ وَلِلَّهِ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَاۚ يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾ [المائدة: ١٧].

ومن كمال غناه؛ أن خزائن السموات والأرض بيده، وأن جوده على خلقه متواصل آناء الليل والنهار، وأن يديه سحاء في كل وقت ﴿لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ﴾ [لقمان: ٢٦].

ومن كمال غناه؛ أنه يدعو عباده إلى سؤاله كلّ وقت، ويعدهم عند ذلك بالإجابة مهما عظم السؤال، ويأمرهم بعبادته ويعدهم القبول والإثابة، وهو تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ واسع الفضل، جزيل النوال، وقد آتاهم من كل ما سألوه، وأعطاهم كل ما أرادوه وتمنوه.

ومن كمال غناه؛ أنه لو اجتمع أهل السموات والأرض وأول الخلق وآخرهم في صعيد واحد فسألوه كل ما تعلقت به مطالبهم فأعطاهم سؤلهم لم ينقص ذلك مما عنده، ففي الحديث القدسي يقول تعالى: «**يا عبادي لو أنّ أوّلكم وآخركم وإنسكم وجنّكم، قاموا في صعيد واحد، فسألوني، فأعطيتُ كلَّ إنسان مسألته، ما نقص ذلك ممّا عندي، إلاّ كما ينقص المخيط إذا أدخل في البحر**» [رواه مسلم].

ومن كمال غناه العظيم الذي لا يقادر قدره ولا يمكن وصفه؛ ما يبسطه الله تعالى على أهل الإيمان في جنات النعيم، من صنوف اللذات وأنواع النعيم وأطيب المنن مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ﴿فَلَا تَعۡلَمُ نَفۡسٌ مَّآ أُخۡفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعۡيُنٖ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ [السجدة: ١٧].

فمن عرف ربَّه بهذا الوصف العظيم عرف ضعف نفسه، من عرف ربه بالغنى المطلق عرف نفسه بالفقر المطلق، ومن عرف ربه بالقدرة التّامة عرف نفسه بالعجز التّام، ومن عرف ربّه بالعزِّ التامّ عرف نفسه بالمسكنة التامّة، ومن عرف ربَّه بالعلم التّام والحكمة عرف نفسه بالجهل، وعِلْمُ العبد بافتقاره إلى الله الذي هو ثمرة هذه المعرفة هو عنوان سعادة العبد وفلاحه في الدّنيا والآخرة.

يقول السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ﴾ [فاطر: ١٥]، فهو الغني بذاته، الذي له الغنى التام المطلق، من جميع الوجوه، والاعتبارات لكماله، وكمال صفاته، فلا يتطرق إليها نقص بوجه من الوجوه، ولايمكن أن يكون إلا غنياً، لأن غناه من لوازم ذاته، كما لا يكون إلا خالقاً قادراً رازقاً محسناً فلا يحتاج إلى أحد بوجه من الوجوه، فهو الغني الذي بيده خزائن السماوات والأرض، وخزائن الدنيا والآخرة، المغني جميع خلقه غنى عاماً، والمغني لخواص خلقه مما أفاض على قلوبهم من ا لمعارف الربانية والحقائق الإيمانية).

وقال أيضاً: (ومن كمال غناه وكرمه أنه يأمر عباد بدعائه، ويعدهم بإجابة دعواتهم، وإسعافهم بجميع مراداتهم، ويؤتيهم من فضله ما لم يسألوه. ومن

كمال غناه أنه لو اجتمع أول الخلق وآخرهم في صعيد واحد فسألوه، فأعطى كلاً منهم ما سأله، وما بلغت أمانيه ما نقص من ملكه مثقال ذرة. ومن كمال غناه، وسعة عطاياه ما يبسطه على أهل دار كرامته من النعيم، واللذات المتتابعات، والخيرات المتواصلات، مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر.

ومن كمال غناه؛ أنه لم يتخذ صاحبة ولا ولداً ولا شريكًا في الملك، ولا وليًا من الذل، وهو الغني الذي كمل بنعوته، وأوصافه، المغني لجميع مخلوقاته).

عباد الله:

ومن سعة غناه؛ أنَّ خزائن السموات والأرض كلها بيده ينفق منها ما يشاء.

ومن كمال غناه؛ أنَّه يبسط يده بالإجابة لمن سأله فيقضي حاجته، ويكشف ضرَّه، ولا يتبرم من إلحاح السائلين، بل يغضب على من لا يسأله، ويؤتي عباده من فضله ما سألوه وما لم يسألوه.

وأعلى درجات الغنى عند العبد: الغنى بالله ونيل محبته، قال ﷺ: «**شَرَفُ الْمُؤْمِنِ صَلاتُهُ بِاللَّيْلِ، وَعِزُّهُ اسْتِغْنَاؤُهُ عَمَّا فِي أَيْدِي النَّاسِ**»، وقال ﷺ: «**إن الله يحب العبدَ التقيَّ الغنِيَّ الخفيَّ**»، أي: غني النفس، أمَّا غنى المال أو عدمه، فالغني الرَّزاق يُقسِّم الأرزاق تبعـًا لعلمه وحكمته وعدله سبحانه كما قال سبحانه: ﴿وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوْاْ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرٌۢ بَصِيرٌ﴾ [الشورى: ٢٧].

ربنا سبحانه غني حميد كريم رحيم، فهو محسنٌ إلى عبده لا لدفع مضرّة،

بل رحمةً وإحسانًا، وجوداً محضـًا؛ فإنه رحيمٌ لذاته، محسن لذاته، جواد لذاته، كريم لذاته، كما أنه غنيٌّ لذاته، قادر لذاته، حيّ لذاته، فإحسانُه وجُوده وبرّه ورحمته من لوازم ذاته فلا يكون إلاّ كذلك، وأما العباد فلا يتصوّر أن يحسنوا إلا لحظوظهم، فأكثر ما عندهم للعبد أن يحبّوه ويعظّموه ليجلبوا له منفعة ويدفعوا عنه مضرة، وذلك من تيسير الله وإذنه لهم به، فهو في الحقيقة وليّ هذه النعمة ومسديها ومجريها على أيديهم، لجماله الباطن أو الظاهر؛ فإذا أحبُّوا الأنبياءَ والأولياءَ فطلبوا لقاءَهم، فهم يحبون التمتع برؤيتهم وسماع كلامهم ونحو ذلك، وكذلك من أحب إنسانًا لشجاعته أو رئاسته أو جماله أو كرمه؛ فهو يحبُّ أَنْ ينالَ حظّه من تلك المحبة، ولولا التذاذه بها لما أحبّ ذلك، وإن جلبوا له منفعة أو دفعوا عنه مضرّة — كمرض وعدو — ولو بالدعاءِ، فهم يطلبون العوضَ إذا لم يكن العملُ لله، فأجنادُ الملوك وعبيد المماليك، وأُجَراءُ المستأْجر، وأعوان الرئيس، كلّهم إنما يسعون في نيل أغراضهم به، لا يعرج أكثرهم على قصد منفعة المخدوم إلا أن يكون قد علم وهذب من جهة أخرى فيدخل ذلك في الجهة الدينية، أو يكون فيه طبع عدل وإحسان من باب المكافأة والرحمة، وإلا فالمقصود بالقصد الأول هو منفعة نفسه. وهذا من حكمة الله التي أقام بها مصالح خلقه، إذ قسم بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ورفع بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضا سخريًا.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ﴾ [فاطر: ١٥].

بارك الله لي ولكم...

الخطبة الثانية

الحمد لله، لا رب لنا سواه، أحمده وأشكره، وأثني عليه الخير كله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن نبينا محمداً عبده ورسوله، وصفيه وخليله، بلغ الرسالة، وأدى الأمانة، ونصح الأمة، وجاهد في الله حق جهاده، صلى الله وسلم وبارك عليه، وعلى آله وصحبه، والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم المعاد.

عباد الله:

من آثار الإيمان باسمه (الغني):

أولاً: إفراد الله ﷻ بالعبادة لأنه سبحانه هو الغني المطلق، والغني وصف له سبحانه ذاتي وما سواه من الخلائق مفتقر إليه، فالأمر كله له والملك كله له، وجميع الخلق مربوبون مملوكون، فكيف يتخذ منهم معبوداً مع الله تعالى؟

ثانيًا: الافتقار التام إلى الله ﷻ؛ يستشعر العبد افتقاره إلى مولاه الغني الذي بيده ملكوت السموات والأرض فيطلب حوائجه منه سبحانه. لأن الفقر صفة ذاتية ملازمة للعبد في جميع أحيانه ولا حول ولا قوة له إلا بالله تعالى، ولا يستغني عن ربه سبحانه طرفة عين، لأنه سبحانه ا لغني ذو الغنى المطلق الذي لا يحتاج إلى أحد، وكل أحد محتاج إليه.

والشعور بالافتقار إلى الله ﷻ يجعل العبد خائفًا راجيًا متوكلاً على ربه سبحانه في دفع الضرر، وجلب النفع، متبرئًا من الحول والقوة، متضرعًا على

ربه سبحانه، وداعيًا له في كل حين بالهداية والحفظ والتوفيق، وأن لا يكله سبحانه إلى نفسه طرفة عين فيضيع ويهلك.

ثالثًا: الإلحاح والطلب والتضرع إلى (الغني) من بيده خزائن السموات والأرض، فهو جَلَّ وَعَلَا المعطي لمن طلبه، المجيب لمن سأله.

هذا وصلوا...

❀ ❀ ❀

٣٦ الخطبة الأولى[١]

الحمد لله الفتاح العليم، يحكم بين عباده، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله وسلم وبارك عليه، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

فاتقوا الله –عباد الله–، وراقبوه في السر والنجوى. ﴿وَٱتَّقُواْ يَوۡمًا تُرۡجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا كَسَبَتۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٨١].

عباد الله:

أسماء الله كلها أسماء حسنى، وصفاته كلها صفات علا، ومن التنبيهات التي لا تخفى:

الأول: إن أسماء الله سبحانه وصفاته تشترك في الاستعاذة بها والحلف بها، ولكنها تختلف في التعبد والدعاء، فنتعبد الله بأسمائه فنقول: عبد الكريم، وعبد الرحمن، ولكن لا يُتعبد بصفاته فلا نقول: عبد الكرم، وعبد الرحمة.

الثاني: دعاء الله يكون بأسمائه فيقال: يا رحيم ارحمنا، ويا كريم أكرمنا، ولا يُدْعَى الله بصفاته: فلا يُقال: يا رحمة الله ارحمينا، ويا كرم الله أكرمنا،

---

(١) اسم (الفتاح).

فالصفة لا تُدْعَى إنما يُدعَى الموصوف، فالرحمة ليست هي الله، بل هي صفة لله، وذلك مُحرّم غاية التحريم.

الثالث: لا يجوز تعبيد الأسماء لغير الله؛ كعبد النبي وعبد الكعبة، وعبد الحسين، لأن الخلق كلهم ملك لله وعبيد له.

الرابع: ينتشر عند بعض العامة أن لكل اسم من أسماء الله خاصية شفائية لمرض معين، فلأمراض العين اسم، ولأمراض العظام اسم.. وهذا من الباطل الذي ما أنزل الله به من سلطان إذ لم يرد هذا في الأذكار والرُقى المشروعة.

ويشرع التوسل بأسماء الله وصفاته والعمل الصالح عند الدعاء، بل إن ذلك من أسباب الإجابة.

ودليل التوسل بالأسماء، ما ورد في الحديث عنه ﷺ قال: «**اللهم إن أسألك بأنك أنت الله الواحد الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد**» [رواه النسائي].

ودليل التوسل بالصفات: أنه ﷺ إذا أصابه هم أو غم قال: «**يا حي يا قيوم برحمتك أستغيث**» [رواه الحاكم].

ودليل التوسل بالعمل الصالح قصة الثلاثة الذين انطبقت عليه الصخرة في الغار، فتوسل كل واحد منهم بصالح عمله ففرج الله عنهم.

عباد الله:

من أسماء الله ﷻ (الفتاح).

وقد ورد هذا الاسم الكريم في القرآن مفرداً مرة واحدة، وذلك في قوله تعالى: ﴿قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ﴾ [سبأ: ٢٦].

كما ورد أيضًا مرة واحدة بصيغة التفضيل في قوله ﷻ: ﴿رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْفَـٰتِحِينَ﴾ [الأعراف: ٨٩].

والفتح: خلاف الإغلاق.

الفتح والفُتاحة – بضم الفاء وكسرها – الحكم بين قوم يختصمون إليك، ويقال للقاضي: الفتاح، والفتح: النصر، والإظفار.

والفاتح: الحاكم لأنه يفتح المستغلق بين الخصمين، ويفصل بينهما.

والله سبحانه هو (الفتاح): أي القاضي العليم بالقضاء بين خلقه؛ لأنه لا تخفى عليه خافية ولا يحتاج إلى شهود تُعرِّفه المحق من البطل.

وهو الحاكم بين عباده؛ لأن الحاكم إذا حكم فقد فتح الباب إلى الحق وبيَّنه، وهو يفتح مواضع الحق، فهو سبحانه أوضح الحق وبينه، ودحض الباطل وأبطله.

والله سبحانه هو الذي يفتح المنغلق على عباده من أمورهم دينًا ودنيا، فهو يفتح أبواب الرزق والرحمة لعباده، ويفتح قلوبهم وعيون بصائرهم ليبصروا الحق، ويعقلوا عن الله أمره ونهيه، وهو سبحانه الناصر لعباده قال تعالى: ﴿إِن تَسْتَفْتِحُواْ فَقَدْ جَآءَكُمُ ٱلْفَتْحُ﴾ [الأنفال: ١٩].

فالله هو الذي يحكم بين عباده بأحكامه الشرعية، وأحكامه القدرية، وأحكام الجزاء، وهو الذي فتح بلطفه بصائر الصادقين، وفتح قلوبهم لمعرفته ومحبته والإنابة إليه، وفتح لعباده أبواب الرحمة والأرزاق المتنوعة، وسبب لهم الأسباب المتنوعة التي ينالون بها خير الدنيا والآخرة. قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلْفَتَّاحُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [سبأ: ٢٦].

وربنا ﷻ (الفتَّاح): الذي يفتح أبواب الرحمة والرزق لعباده المتقين ﴿وَلَوۡ أَنَّ أَهۡلَ ٱلۡقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوۡاْ لَفَتَحۡنَا عَلَيۡهِم بَرَكَٰتٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ [الأعراف: ٩٦].

(الفتاح) الذي يفتح المنغلق من أمورهم، ويفتح قلوبهم ليبصروا الحق، والمسلم يطلب ذلك من ربه كما أرشده لذلك نبيه ﷺ: «إِذَا دَخَلَ أَحَدُكُمُ الْمَسْجِدَ، فَلْيَقُلْ: اللَّهُمَّ افْتَحْ لِي أَبْوَابَ رَحْمَتِكَ، وَإِذَا خَرَجَ، فَلْيَقُلْ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مِنْ فَضْلِكَ» [رواه مسلم]، فالرحمة والخير كله بيد الله يفتح به على من يشاء، وييسره لمن يشاء، ولا يستطيع أحدٌ كائن مَنْ كان أن يمنع خيراً ساقه لعبده.

فللفتَّاح معنيان:

الأول: يرجع إلى معنى الحكم الذي يفتح بين عباده، ويحكم بينهم بشرعه، ويحكم بينهم بإثابة الطائعين، وعقوبة العاصين في الدنيا والآخرة كقوله تعالى: ﴿قُلۡ يَجۡمَعُ بَيۡنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفۡتَحُ بَيۡنَنَا بِٱلۡحَقِّ وَهُوَ ٱلۡفَتَّاحُ ٱلۡعَلِيمُ﴾ [سبأ: ٢٦].

الثاني: فتحه لعباده جميع أبواب الخيرات، قال تعالى: ﴿مَّا يَفۡتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحۡمَةٖ فَلَا مُمۡسِكَ لَهَاۖ﴾ [فاطر: ٢]، يفتح لعباده منافع الدنيا والدين، فيفتح لمن اختصهم الله بلطفه وعنايته أقفال القلوب، ويدرُّ عليهم من المعارف الربانية والحقائق الإيمانية ما يصلح أحوالها، وتستقيم به على الصراط المستقيم.

ويفتح - أيضاً - لعباده الأرزاق وطرق الأسباب، ويهيئ للمتقين الأرزاق وأسبابها ما لا يحتسبون، ويعطي المتوكلين فوق ما يطلبون ويؤملون، وييسر لهم الأمور العسيرة ويفتح لهم الأبواب المغلقة.

والله سبحانه هو خير الفاتحين أي: خير الحاكمين فهو العدل الذي لا يجور أبداً.

قال السعدي رَحِمَهُ اللهُ: (فالفتاح هو الحكم المحسن الجواد، وفتحه تعالى قسمان: أحدهما فتحه بحكمه الديني وحكمه الجزائي، والثاني: الفتاح بحكمه القدري.

ففتحه بحكمه الديني هو شرعه على ألسنة رسله جميع مايحتاجه المكلفون، ويستقيمون به على الصراط المستقيم، وأما فتحه بجزائه فهو فتحه بين أنبيائه ومخالفيهم، وبين أوليائه وأعدائه بإكرام الأنبياء وأتباعهم ونجاتهم، وبإهانة أعدائهم وعقوباتهم، وكذلك فتحه يوم القيامة وحكمه بين الخلائق حين يوفي كل عامل ما عمله، أما فتحه القدري فهو ما يقدره على عباده من خير وشر ونفع وضر وعطاء منع، قال تعالى: ﴿مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [فاطر: ٢].

فالرب تعالى هو الفتاح العليم الذي يفتح لعباده الطائعين خزائن جوده وكرمه، ويفتح على أعدائه ضد ذلك، وذلك بفضله وعدله).

ولهذا كان رسل الله يتوجّهون إليه بطلب الفتح بينهم وبين أقوامهم فيما حصل بينهم من الخصومة.

قال تعالى: عن نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِى كَذَّبُونِ ﴿١١٧﴾ فَٱفْتَحْ بَيْنِى وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجِّنِى وَمَن مَّعِىَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الشعراء: ١١٧ - ١١٨]، وذكر سبحانه من دعاء شعيب عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْفَٰتِحِينَ﴾ [الأعراف: ٨٩]، وقال تعالى: ﴿وَٱسْتَفْتَحُوا۟ وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ﴾ [إبراهيم: ١٥]، أي: استنصرت الرُّسل ربَّها على قومها.

وقيل: استفتحت الأمم على أنفسها، أي: استعجلوا فتح الله وفرقانه بين أوليائه وأعدائه.

وقد استجاب الله دعوات رسله عليهم صلوات الله وسلامه بالفتح بينهم وبين أقوامهم بالحق، فجاء أمره سبحانه بنصر الرسل ﷺ والمؤمنين، وإهلاك أعدائهم من الكفار الظالمين المعتدين.

عباد الله:

ومن فتحه سبحانه حكمه بين العباد يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون، كما قال سبحانه: ﴿قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ﴾ [سبأ: ٢٦]، أي: أنه سبحانه يحكم بينهم حكما يتبين به الصادق من الكاذب، والمحق من المبطل، والمستحق للثواب من المستحق للعقاب، ولهذا سمى تَبَارَكَ وَتَعَالَى يوم القيامة بيوم الفتح في قوله تعالى: ﴿قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ لَا يَنفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيمَانُهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾ [السجدة: ٢٩]، أي: يوم القيامة الذي يحصل به عقابكم إذا جاء انقضى الأمر ولم يحصل لكم فيه إمهال ولم يكن فيه للتدارك أيّ مجال.

هذا؛ وإنَّ إيمان العبد بأن ربَّه سبحانه هو الفتاح يستوجب من العبد حسن توجهٍ إلى الله وحده بأن يفتح له أبواب الهداية وأبواب الرزق وأبواب الرحمة، وأن يفتح على قلبه بشرح صدره للخير، قال سبحانه: ﴿أَفَمَن شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِ ۚ فَوَيْلٌ لِّلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ اللَّهِ ۚ أُولَٰئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [الزمر: ٢٢].

قال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ: (وهذا الفتح والشرح ليس له حدّ، وقد أخذ كلُّ مؤمن منه بحظ، ففاز منه الأنبياء بالقسم الأعلى، ثم من بعدهم الأولياء، ثم العلماء ثم عوام المؤمنين، ولم يخيِّب الله منه سوى الكافرين).

وفي صحيح مسلم قال رسول الله ﷺ: «**إذا دخل أحدكم المسجد فليقلْ: اللَّهمَّ افتح لي أبواب رحمتك، وإذا خرج فليقلْ: اللَّهمَّ إني أسألك من فضلك**».

فالرّحمة والفضل والخير كلُّه بيد الله يفتح به على من يشاء وييسره لمن يشاء فكل هذا من آثار هذا الاسم ومقتضياته.

وتَّرْك العبدِ للذنوب والآثام من أسباب وصول الفتوحات له من ربِّه، قال سلمة بن دينار: (إذا عزم العبد على ترك الآثام أتته الفتوح).

وإنا لنسأل الله ونتوسل إليه بهذا الاسم العظيم وندعوه بأنه الفتاح، وبأنه خير الفاتحين أن يفتح على قلوبنا بالإيمان، والاهتداء الكامل واليقين الراسخ، وأن يفتح لنا خزائن رحمته وأبواب كرمه، وموائد بره، وواسع فضله ونعمه، إنه سميع مجيب.

بارك الله لي ولكم...

الخطبة الثانية

الحمد لله يفتح لعباده ما شاء متى شاء، وهو الفتاح العليم، وأشهد أن لا إله إلا الله الحق المبين، وأشهد أن نبينا محمد الصادق الأمين، أرسله الله بشيراً ونذيراً، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً، صلى الله وسلم وبارك عليه، وعلى آله وأصحابه، والتابعين ومن تبعهم بإحسان وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد:

فإن من آثار الإيمان باسمه سبحانه (الفتاح):

أولاً: محبته سبحانه والتعلق به وحده الذي بيده مقاليد كل شيء، وهو الذي بيده مفاتيح العلم والهدى، والخير والرحمة والرزق، ومفاتيح ما انغلق من الأمور، فحري بمن يملك هذه المفاتيح ولا يملكها أحد سواه أن يُتعلق به ويُتوكل عليه فلا يرجى إلا هو، ولا يدعى إلا هو، لا مانع لما أعطى، ولا معطي لما منع، قال سبحانه: ﴿مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾ [فاطر: ٢].

ولذا فينبغي التضرع دائماً لله تعالى الذي بيده مفاتيح كل شيء والتوسل باسمه (الفتاح) في فتح القلوب لهدايته ومعرفة الحق والانقياد له، وعلى الفتح منه لأبواب الرحمة والرزق والخير، وعلى الفتح على الأعداء، فإنه سبحانه المالك لذلك كله وحده لا شريك له، وكلما كان العبد تقياً مخلصاً صادقاً كانت الفتوحات الربانية تترا إليه؛ ولذا نجد فهم السلف الصالح

وعلمهم أوسع وأصوب ممن جاء بعدهم، قال الله تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُۗ﴾ [البقرة: ٢٨٢].

ثانيًا: الخوف منه سبحانه ومن الوقوف بين يديه ﷻ يوم القيامة للفصل والحساب، حيث يفتح بين عباده ويحكم بينهم بالحق والعدل. وهذا الخوف يثمر الحذر من الظلم بأنواعه وبخاصة ظلم العباد والتعدي على حقوقهم؛ لأن الله الحكم العدل الفتاح العليم لا يظلم عنده أحد، وسيقتص للمظلوم من ظالمه في يوم الفصل والحساب، وقد سمى الله ﷻ يوم القيامة بيوم الفتح، وذلك في قوله سبحانه: ﴿قُلۡ يَوۡمَ ٱلۡفَتۡحِ لَا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِيمَٰنُهُمۡ وَلَا هُمۡ يُنظَرُونَ﴾ [السجدة: ٢٩].

ثالثًا: الثقة في نصر الله تعالى وفتحه لعباده المؤمنين، فهو سبحانه الذي يأتي بالفتح بين عباده المؤمنين وأعدائه الكافرين، ومنه النصر والتمكين، فلا يجوز بحال أن يتطرق إلى نفس المؤمن اليأس من فتحه سبحانه ونصره إذا أبطأ، فله الحكمة من تأخير الفتح والنصر سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ.

هذا وصلوا...

(٣٧) الخـطبــة الأولــى [١]

الحمد لله على كل شيء قدير، أحمده وأشكره، وأسأله المزيد من فضله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وصفيه وخليله، صلى الله وسلم وبارك عليه، وعلى آله وأصحابه، والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

فاتقوا الله حق التقوى ﴿وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ﴾ [البقرة: ١٩٧].

عباد الله:

من أسماء الله ﷻ (القدير، والقادر، والمقتدر).

فالقادر: أي مقدّر كل شيء وقاضيه.

والقدير: الذي لا يعترضه عَجَزٌ ولا فُتُور، ولا يعجزه شيء ولا يفوته مطلوب، يقدر على كل شيء من الخير والشر والطاعة والعصيان.

والمقتدر: أي هو التام القدرة الذي لا يمتنع عليه شيء.

وجميع هذه الأسماء وردت في القرآن، وأكثرها وروداً (القدير)، ثم (القادر) ثم (المقتدر)، قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: ٢٨٤].

---

(١) اسم (القدير، القادر، المقتدر).

وقال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا﴾ [فاطر: ٤٤]، وقال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ﴾ [الأنعام: ٦٥]، وقال تعالى: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا﴾ [الكهف: ٤٥].

وقال تعالى: ﴿أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: ١٠٦]، وقال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا﴾ [الأنعام: ٦٥]، وقال تعالى: ﴿فَأَخَذْنَٰهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُّقْتَدِرٍ﴾ [القمر: ٤٢].

و(القَدِير – القَادِر – المُقْتَدِر): أسماء لله تدل على ثبوت القدرة صفةً لله، وأنّه سبحانه كامل القدرة، فبقدرته أوجد الموجودات، وبقدرته دبّرها، وبقدرته سواه وأحكمها، وبقدرته يحي ويميت، ويبعث العباد للجزاء، ويجازي المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته، الذي إذا أراد شيئاً قال له كن فيكون. قال لنارٍ محرقة: كوني برداً وسلاماً على إبراهيم، فكانت كما أمر، وبقدرته ألحق العذاب بالأمم المكذبة لرسلها، وبقدرته يرسل الرياح اللواقح، وبقدرته ينزل المطر على الأرض الهامدة فتنبت من كل زوج بهيج، وبقدرته خلق الإنسان في أحسن تقويم.

عباد الله:

وبقدرته – سبحانه – ينصر المظلوم، ويغيث الملهوف، ويغني الفقير، ويجُبر الكسير، ويعز الذليل، ويشفي المريض، ويأمن الخائف، ويعلم الجاهل، ويهدي الضال، ويقوي الضعيف، ويُفرح الحزين، يُقلب القلوب ويتصرف على ما يشاء ويريد، وبقدرته يحيي ويميت، ويبعث العباد للجزاء، ويجازي المحسن

بإحسانه، والمسيء بإساءته، والذي إذا أراد شيئًا قال له: كن؛ فيكون، وبقدرته يقلب القلوب ويصرِّفها على ما يشاء ويريد، ويهدي من يشاء، ويضل من يشاء، ويجعل المؤمن مؤمنا، والكافر كافرا، والبرَّ بَرّاً، والفاجر فاجراً.

ولكمال قدرته لا يحيط أحدٌ بشيء من علمه إلا بما شاء أن يُعلِّمه إياه، ولكمال قدرته خلق السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام وما مسه من لغوب، ولا يعجزه أحدٌ من خلقه ولا يفوته، بل هو في قبضته أين كان، الذي سلمت قدرته من اللُّغوب والتعب والإعياء والعجز عما يريد، ولكمال قدرته كلُّ شيء طوع أمره وتحت تدبيره، فما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن، وغير ذلك.

ومن آثار قدرته أنه ﴿كُلَّ يَوۡمٍ هُوَ فِي شَأۡنٖ﴾ [الرحمن: ٢٩]، وبقدرته يُسيِّر هذه الكون الشاسع بهذا الانتظام ﴿لَا ٱلشَّمۡسُ يَنۢبَغِي لَهَآ أَن تُدۡرِكَ ٱلۡقَمَرَ وَلَا ٱلَّيۡلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِۚ وَكُلّٞ فِي فَلَكٖ يَسۡبَحُونَ﴾ [يس: ٤٠]، وبقدرته يجعل هذا النظام يختلَّ في أقل من لمح البصر عند قيام الساعة ﴿وَمَآ أَمۡرُ ٱلسَّاعَةِ إِلَّا كَلَمۡحِ ٱلۡبَصَرِ أَوۡ هُوَ أَقۡرَبُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾ [النحل: ٧٧].

عباد الله:

ومن أصول الإيمان العظيمة الإيمان بالقدر، قال الله تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقۡنَٰهُ بِقَدَرٖ﴾ [القمر: ٤٩]، وقال تعالى: ﴿وَكَانَ أَمۡرُ ٱللَّهِ قَدَرٗا مَّقۡدُورًا﴾ [الأحزاب: ٣٨]، وقال تعالى: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيۡءٖ فَقَدَّرَهُۥ تَقۡدِيرٗا﴾ [الفرقان: ٢].

روى مسلم في صحيحه عن أبي هريرة ﷺ قال: (جاء مشركو قريش يخاصمون رسول الله ﷺ في القدر، فنزلت: ﴿إِنَّ ٱلۡمُجۡرِمِينَ فِي ضَلَٰلٖ وَسُعُرٖ ۝٤٧ يَوۡمَ يُسۡحَبُونَ فِي ٱلنَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمۡ ذُوقُواْ مَسَّ سَقَرَ ۝٤٨ إِنَّا كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقۡنَٰهُ بِقَدَرٖ﴾ [القمر: ٤٧ - ٤٩]).

ومَن لا يؤمن بالقدر لا يؤمن بالله ﷻ، قال الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ: (القدر قدرة الله)، فإنكار القدر إنكار لقدرة الله ﷻ، وجحد صفاته سبحانه أو شيء منها يتنافي مع الإيمان به سبحانه؛ إذ من أصول الإيمان الإيمان بأقداره.

قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: (القَدر نظام التوحيد، فمن وحَّد الله ﷻ وآمن بالقدر فهي العروة الوثقى التي لا انفصام لها، ومن وحّد الله تعالى وكذّب بالقدر نقض التوحيد).

وقال عوفٌ: سمعت الحسن يقول: (مَن كذَّب بالقدر فقد كذَّب بالإسلام، إن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ قدَّر أقداراً، وخَلق الخلْق بقدر، وقسم الآجال بقدر، وقسم الأرزاق بقدر، وقسم البلاء بقدر، وقسم العافية بقدر).

وقال الخطابي رَحِمَهُ اللَّهُ: (القادر): هو من القدرة على الشيء، يقال: قدر يقدر قدرة فهو قادر وقدير، كقوله تعالى: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢٧]، ووصف الله سبحانه نفسه بأنه قادر على كل شيء أراده، لا يعترضه عجز ولا فتور).

ويقول ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: (القدير) الذي لكمال قدرته: يهدي من يشاء ويضل من يشاء، ويجعل المؤمن مؤمناً والكافر كافراً؛ والبر برّاً والفاجر فاجراً، وهو الذي جعل إبراهيم وآله يدعون إليه ويهدون بأمره؛ وجعل فرعون وقومه ﴿أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ﴾ [القصص: ٤١]، ولكمال قدرته لا يُحيط أحدٌ بشيءٍ من علمه إلا بما شاء أن يُعلّمه إياه، ولكمال قدرته خلق السماوات والأرض وما بينهما في ستة أيام وما مسَّه من لغوبٍ، ولا يعجزه أحدٌ من خلقه ولا يفوته؛ بل هو في قبضته أين كان، فإن فرَّ منه فإنما يطوي المراحل في يديه.

ويقول السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ: (القدير): كامل القدرة، بقدرته أوجد الموجودات، وبقدرته دبرها، وبقدرته سواها وأحكمها، وبقدرته يحيي ويميت، ويبعث العباد للجزاء، ويجازي المحسن بإحسانه، والمسيء بإساءته، الذي إذا أراد شيئًا قال له: كن فيكون، وبقدرته يقلب القلوب ويصرفها على ما يشاء ويريد).

ويقول الراغب الأصفهاني: (القدرة إذا وصف بها الإنسان فاسم لهيئة له بها يتمكن من فعل شيء ما، وإذا وصف بها الله تعالى فهي نفي العجز عنه، ومحال أن يوصف غير الله بالقدرة من وجه إلا ويصح أن يوصف بالعجز من وجه، والله تعالى هو الذي ينتفي عنه العجز من كل وجه).

والقدير هو الفاعل لما يشاء على قدر ما تقتضي الحكمة لا زائداً عليه ولا ناقصًا عنه، ولذلك لا يصح أن يوصف به إلا الله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ﴾ [فصلت: ٣٩].

عباد الله:

وآثار قدرة الله ﷻ لا تعد ولا تحصى؛ فأينما وقع النظر على شيء من خلق الله ﷻ في الآفاق، وفي الأنفس، وفي غيرها وجد ذلك.

فمن قوته واقتداره؛ أنّه خلق السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام، وأنّه خلق الخلق ثم يميتهم ثم يُحييهم ثم إليه تُرجعون ﴿مَّا خَلۡقُكُمۡ وَلَا بَعۡثُكُمۡ إِلَّا كَنَفۡسٖ وَٰحِدَةٍ﴾ [لقمان: ٢٨]، ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهۡوَنُ عَلَيۡهِ﴾ [الروم: ٢٧].

ومن آثار قدرته؛ أنك ترى الأرض هامدة، فإذا أنزل عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج.

ومن آثار قدرته؛ ما أوقعه بالأمم المكذّبين والكُفّار الظالمين من أنواع العقوبات وحلول المثلات، وأنه لم يغنِ عنهم كيدهم ومكرهم ولا أموالهم ولا جنودهم ولا حصونهم من عذاب الله من شيء لّما جاء أمر ربك، وما زادوهم غير تتبيب، وخصوصاً في هذه الأوقات، فإنّ هذه القوة الهائلة، والمخترعات الباهرة التي وصلت إليه مقدرة هذه الأمم هي من إقدار الله لهم وتعليمه لهم ما لم يكونوا يعلمونه، فمن آيات الله أنّ قواهم وقُدَرَهم ومخترعاتهم لم تغنِ عنهم شيئاً في صدّ ما أصابهم من النكبات والعقوبات المهلكة، مع بذل جدِّهم واجتهادهم في توقي ذلك، ولكنَّ أمر الله غالب، وقدرته تنقاد لها عناصر العالم العلوي والسفلي.

ومن تمام عزته وقدرته وشمولهما؛ أنه كما أنه هو الخالق للعباد فهو خالق أعمالهم وطاعتهم ومعاصيهم، وهي أيضاً أفعالهم، فهي تضاف على الله خلقاً وتقديراً، وتضاف إليهم فعلاً ومباشرة على الحقيقة، ولا منافاة بين الأمرين، فإنّ الله خالق قدرتهم وإرادتهم، وخالق السبب التام خالق للمسبب، قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمۡ وَمَا تَعۡمَلُونَ﴾ [الصافات: ٩٦].

ومن آثار قدرته؛ ما ذكره في كتابه من نصره أولياءه، على قلَّة عددهم وعُددهم على أعدائهم الذين فاقوهم بكثرة العَدد والعُدّة، قال تعالى: ﴿كَم مِّن فِئَةٖ قَلِيلَةٍ غَلَبَتۡ فِئَةٗ كَثِيرَةَۢ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ﴾ [البقرة: ٢٤٩].

ومن آثار قدرته ورحمته؛ ما يحدثه لأهل النار وأهل الجنة من أنواع العقاب وأصناف النعيم المستمر الكثير المتتابع الذي لا ينقطع ولا يتناهى. فبقدرته أوجد الموجودات، وبقدرته دبّرها، وبقدرته سوّاها وأحكمها،

وبقدرته يحيي ويميت، ويبعث العباد للجزاء، ويجازي المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته، وبقدرته يُقَلِّبُ القلوب ويصرفها على ما يشاء الذي إذا أراد شيئًا قال له: ﴿كُن فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢]. قال تعالى: ﴿أَيۡنَ مَا تَكُونُواْ يَأۡتِ بِكُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾ [البقرة: ١٤٨].

بارك الله لي ولكم...

الخـــطـبـة الثـــانيـــة

الحمد لله يحكم ما يشاء ويفعل ما يريد، له الحكم وإليه المعاد، أحمده وأشكره، وأصلي وأسلم على عبده ورسوله، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه.

عباد الله:

من آثار معرفة أسمائه: (القادر، والقدير، والمقتدر).

أولاً: صدق التوكل على الله ﷻ والتعلق به وحده، والثقة في كفايته في قضاء الحوائج وتفريج الكربات؛ لأنه وحده القادر على كل شيء ولا يعجزه شيء في السماوات ولا في الأرض. أما المخلوق الضعيف مهما أوتي من القوة والقدرة والملك فكل ذلك محدود وهو موصوف بالعجز والقصور، والموت والفناء، قال الله تعالى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَيِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ﴾ [الفرقان: ٥٨]، وقال سبحانه: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ﴾ [الشعراء: ٢١٧].

ثانيـًا: الثقة في رحمة الله تعالى وحكمته ولطفه ومعرفة كمال قدرته سبحانه، وذلك إذا رأينا المصائب الفردية أو الكوارث الجماعية وتسلط الأعداء على المسلمين فإيماننا بقدرة الله ﷻ وقهره لكل شيء، وأنه سبحانه قادر على أن يرفع المصائب ويكبت ويقصم الكفرة ثم لا نراه سبحانه يفعل ذلك في وقت من الأوقات؛ فإن هذا يجعلنا نوقن بأن لله تعالى الحكمة في ابتلاء المؤمنين والإملاء للكافرين، وأن في أعطاف ذلك اللطف والرحمة والمصلحة، كما أن في إيماننا بقدرة الله ﷻ المطلقة التي لا يعجزها شيء

باب إلى العزة وقوة القلب أمام كيد الكافرين ومكرهم وذلك لأنهم في قبضة الله تعالى وتحت قدرته وقهره فحينئذ يذهب الخوف من القلوب ويستهان بالكفار وقوتهم مع الأخذ بالأسباب الشرعية والمادية التي جعلها الله سبباً في تأييده للمؤمنين، وسبباً في محق الكافرين وهذا الشعور كفيل بدفع اليأس والإحباط عن النفوس، كما هو سبب في عدم الاكتراث والهلع من قوة الكافرين.

ثالثـًا: الابتعاد عن الظلم بشتى صورة وبخاصة ظلم العباد في دمائهم وأموالهم وأعراضهم؛ لأن الإيمان بقدرة الله تعالى وانتقامه للمظلومين من الظالمين يجعل العبد يرتدع عن الظلم والعدوان، وما أحسن القول المأثور: (إذا دعتك قدرتك إلى ظلم العبد فتذكر قدرة الله عليك).

رابعـًا: الإيمان بأن ما أودع الله ﷻ من القدرة والقوة في الإنسان إنما هي من الله ﷻ وإنعامه وفضله، وهذا الشعور يدفع المسلم إلى أن يسخر ما أودع الله فيه من هذه القدرة في طاعة ا لله ﷻ وفي طريق الخير والإصلاح، ويحذر من توجيه ذلك في معصية الله تعالى وطريق الشر والإفساد.

خامسـًا: على المؤمن بقدرة الله ﷻ أن لا يغتر بقدرته وقوته، وأن يلجأ إلى الله سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ فيما ينوبه، وأن يتبرأ من الحول والقوة إلا بالله تعالى، ولذا أرشدنا الرسول ﷺ إلى أن نقول في أذكارنا: «**لا حول ولا قوة إلا بالله**» [رواه مسلم].

وعلمنا الاستخارة في الأمور كلها ومما ورد فيها: «**اللَّهم إني استخيرك بعلمك، واستقدرك بقدرتك، وأسألك من فضلك العظيم، فإنك تقدر ولا أقدر وتعلم ولا أعلم، وأنت علام الغيوب**». وأن نقول حين نصبح وحين نمسي: «**يا حي يا قيوم برحمتك أستغيث**».

هذا وصلوا وسلموا...

(٣٨) الخطبة الأولى [(١)]

الحمد لله، له الحمد حمداً، وله الشكر شكراً، له الحمد بالإسلام، وله الحمد بالإيمان، وله الحمد بالقرآن، وله الحمد بالأهل والمال والمعافاة، له الحمد بكل نعمة أنعم بها علينا في قديم أوحديث، أو سرٍّ أوعلانية، أو خاصّة أو عامة، أو شاهد أو غائب، له الحمد حمداً كثيراً طيّبًا مباركًا فيه كما يحبُّ ربُّنا ويرضى.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن نبينا محمداً عبده ورسوله، صلى الله وسلم وبارك عليه، وعلى آله وأصحابه، والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

فأوصيكم ونفسي بتقوى الله، خافوه، وارجوه؛ فإنه المؤمل لكل خير. ﴿وَٱتَّقُواْ يَوۡمًا لَّا تَجۡزِي نَفۡسٌ عَن نَّفۡسٖ شَيۡـٔٗا وَلَا يُقۡبَلُ مِنۡهَا شَفَٰعَةٞ وَلَا يُؤۡخَذُ مِنۡهَا عَدۡلٞ وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ﴾ [البقرة: ٤٨].

عباد الله:

أسماء الله كلها حسنى، وصفاته كلها عليا، ومن أسماء الله الحسنى: (الحميد).

---

(١) اسم (الحميد).

و(الحميد): هو المحمود عند خلقه بما أولاه من نعمه، وبسط من فضله، وهو ذو الحمد المستحق لذلك، وهو الذي يُحمد في السراء والضراء، والشدة والرخاء؛ لأنه حكيم لا يجري في أفعاله الغلط، ولا يعترضه الخطأ، فهو محمود بكل لسان وعلى كل الحال.

هو الذي لا يُحمد ولا يُشكر غيره. وهو المحمود في أفعاله وأقواله وشرعه وقدره، لا إله إلا هو، ولا رب سواه.

له سبحانه من الأسماء أحسنها، ومن الصفات أكملها، ومن الأفعال أتمها وأحسنها؛ فإن أفعاله تعالى دائرة بين الفضل والعدل. وهو سبحانه الحميد؛ إذ أن جميع المخلوقات ناطقة بحمده.

وقد تكرَّر ورود اسم (الحميد) في القرآن الكريم سبع عشرة مرَّة، قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ﴾ [فاطر: ١٥]، وقال تعالى: ﴿وَهُدُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلْقَوْلِ وَهُدُوٓا۟ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْحَمِيدِ﴾ [الحج: ٢٤]، وقال تعالى: ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ﴾ [البقرة: ٢٦٧].

وقال تعالى: ﴿وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ﴾ [لقمان: ١٢]، أي: الذي له الحمد كله، المحمود في ذاته، وأسمائه وصفاته، فله من الأسماء أحسنها، ومن الصفات أكملها، فالحمد أوسع الصفات وأعم المدائح، وأعظم الثناء؛ لأن جميع أسماء الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ حمدٌ، وصفاته حمد، وأفعاله حمد، وأحكامه حمد، وعدله حمد، وانتقامه من أعدائه حمد، وفضله وإحسانه إلى أوليائه حمد، والخلق والأمر إنما قام بحمده، ووجد بحمده، وظهر بحمده، وكان الغاية منه هي حمده، فحمده سبحانه سبب

ذلك وغايته ومظهره، فحمده روح كل شيء، وقيام كل شيء بحمده، وسريان حمده في الموجودات وظهور آثاره أمر مشهود بالبصائر والأبصار.

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ: (وأيضًا فإنَّ الله سبحانه أخبر أنَّ له حمد، وأنّه حميد مجيد، وأنّ له الحمد في الأولى والآخرة وله الحكم، ونحو ذلك من أنواع المحامد).

عباد الله:

والحمد نوعان: حمد على إحسانه إلى عباده، وهو من الشّكر.

وحمد لما يستحقه هو بنفسه من نعوت كماله، وهذا الحمد لا يكون إلَّا على ما هو في نفسه مستحقٌ للحمد، وإنما يستحق ذلك من هو متَّصف بصفات الكمال.

أما حمده سبحانه على إحسانه إلى عباده فلأن النعمة موجبة لحمد المنعِم، والنِّعم كلُّها من الله، وهذا النّوع من الحمد مشهود للخليقة برِّها وفاجرها، مؤمنها وكافرها، من جزيل مواهبه، وسعة عطاياه، وكريم أياديه، وجميل صنائعه، وحسن إكرامه لعباده، وسعة رحمته لهم، وبره ولطفه، وإجابته لدعوات المضطرين، وكشف كربات المكروبين، وإغاثة الملهوفين، ورحمته للعاملين، وابتدائه بالنّعم قبل السؤال، ومن غير استحقاق، بل ابتداءً منه بمجرَّد فضله وكرمه وإحسانه، ودفع المحن والبلايا بعد انعقاد أسبابها، وصرفها بعد وقوعها، ولطفه تعلى في ذلك إلى ما لا تبلغه الآمال، وهدياته خاصته وعباده إلى سبيل دار السلام، ومدافعته عنهم أحسن الدفاع، وحمايتهم من الوقوع في الآثام، وحبب إليهم الإيمان وزينه في قلوبهم، وكره

إليهم الكفر والفسوق والعصيان، وجعلهم من الراشدين، وفتح له أبواب الهداية، وعرفهم الأسباب التي تدنيهم من رضاه وتبعدهم عن غضبه، إلى غير ذلك من نعمه التي لا تحصى، وآلائه التي لا تستقصى، ومن أراد مطالعة أصول النعم وما توجبه من حمد الله وذكره وشكره وحسن عبادته فلْيُدِمْ سرحَ الذِّكر في رياض القرآن الكريم، وليتأمّلْ ما عدَّد الله فيه من نعمه وتعرَّف بها إلى عباده من أوّل القرآن إلى آخره.

وأمّا حمده سبحانه لما له من الأسماء والصفات، ولما يستحقه من كمال النُّعوتِ فأمرٌ متواترٌ؛ فإنه سبحان قد حمد نفسه في كتابه على ربوبيته للعالمين، وحمد نفسه على تفرده بالإلهية، وحمد نفسه على كمال أسمائه وعظمة صفاته، وحمد نفسه على امتناع اتصافه بما لا يليق به من اتخاذ الولد والشريك وموالاة أحد من خلقه لحاجته إليه، كما قال تعالى: ﴿وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ ۖ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًۢا﴾ [الإسراء: ١١١].

وحمد نفسه على عظمته وكبريائه، كما قال سبحانه: ﴿فَلِلَّهِ ٱلْحَمْدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٦﴾ وَلَهُ ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [الجاثية: ٣٦ - ٣٧]، وحمد نفسه في الأولى والآخرة، وأخبر عن سريان الحمد في العالم العلوي والسفلي ونبَّه على ذلك كله في كتابه في آيات عديدة تدلّ على تنوّع حمده سبحانه وتعدد أسباب حمده، وقد جمعها الله في مواطن من كتابه وفرقها في مواطن أخرى ليتعرف إليه عباده، وليعرفوا كيف يحمدونه وكيف يثنون عليه، وليتحبب إليهم بذلك، ويحبهم إذا عرفوه وأحبُّوه وحمدوه.

عباد الله:

وقد ورد الحمد في القرآن الكريم في أكثر من أربعين موضعا، جمع في بعضها أسباب الحمد، وفي بعضها ذكرت أسبابه مفصلة.

فمن الآيات التي جُمع فيها أسباب الحمد؛ قوله تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الفاتحة: ٢]، وقوله: ﴿لَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْأُولَىٰ وَٱلْءَاخِرَةِ﴾ [القصص: ٧٠]، وقوله: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [سبأ: ١].

وأخبر عن حمد خلقه له بعد فصله بينهم، والحكم لأهل طاعته بثوابه وكرامته، والحمد لأهل معصيته بعقابه وإهانته، قال تعالى: ﴿وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَقِيلَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الزمر: ٧٥].

وأخبر عن حمد أهل الجنة له، وأنهم لم يدخلوها إلا بحمده، كما أن أهل النار لم يدخلوها إلا بحمده، فقال عن أهل الجنة: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ﴾ [الأعراف: ٤٣]، وقوله: ﴿دَعْوَىٰهُمْ فِيهَا سُبْحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [يونس: ١٠].

وقال عن أهل النار: ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ۝٧٤ وَنَزَعْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا فَقُلْنَا هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ فَعَلِمُوٓا۟ أَنَّ ٱلْحَقَّ لِلَّهِ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ﴾ [القصص: ٧٤ - ٧٥]، وقال تعالى: ﴿فَٱعْتَرَفُوا۟ بِذَنۢبِهِمْ فَسُحْقًا لِّأَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾ [الملك: ١١].

والله تعالى قد افتتح كتابه بالحمد، وافتتح بعض سور القرآن بالحمد، وافتتح خلقه بالحمد، واختتمه بالحمد، فله الحمد أوَّلا وآخراً، وله الشكر ظاهراً وباطنًا، وهو الحميد المجيد.

عباد الله:

الشكر أعم من جهة أنواعه، فهو يكون باللسان والقلب والجوارح، وأخص من جهة متعلقاته فيكون على نعم قريبة تجد أو نقمة تندفع.

أما الحمد فهو أعم من جهة متعلقاته، فهو تناول النعم السابقة وغيره، ويتضمن حمد الله تعالى على أسمائه وصفاته وأفعاله، كما أنه أخص من جهة أنواعه، فهو يقع بالقلب واللسان، فكل ما يتعلق به الشكر يتعلق به الحمد من غير عكس، وكل ما يقع به الحمد يقع به الشكر من غير عكس.

وهو سبحانه الذي يُحمد في السرّاء والضرّاء: ففي السراء: يَحمد العبد ربه حمدَ شكر، فقد كان ﷺ إذا أتاه ما يسره قال: «**الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي بِنِعْمَتِهِ تَتِمُّ الصَّالِحَاتُ**».

وكذا كان ﷺ يحمد الله عند الفراغ من الطعام والشراب وعند اللباس، وعند القيام من النوم.

وفي الضرّاء: يحمدُ العبد ربه حمد تفويض، لأن الشيء الذي يضر الإنسان قد لا يتبين له وجه مصلحته فيه، ولكن الله تعالى أعلم، فقد كان ﷺ إذا أتاه ما لا يسره قال: «**الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى كُلِّ حَالٍ**» وما يقوله بعض الناس اليوم: (الحمد لله الذي لايحمد على مكروه سواه) خطأ، لأن هذا عنوان على أن العبد كارهٌ لما وقع.

والعبد يحمد الله ﷻ في السراء والضراء، لأن فعله سبحانه كله حكمة، وخير للعبد.

في الحـديث عـن أبـي موسـى الأشـعري ﷺ أن رسـول الله ﷺ قـال: «**إذا مات ولد العبد قـال الله تعـالى لملائكتـه: قبضـتم ولـد عبـدي؟ فيقولـون نعـم، فيقول: قبضتم ثمرة فؤاده؟ فيقولون: نعم، فيقول: ماذا قال عبـدي؟ فيقولـون: حمدك واسترجع، فيقول الله تعـالى: ابنـوا لعبـدي بيتـًا في الجنة وسـموه بيـت الحمد**» [رواه الترمذي].

أيها المسلمون:

قول (الحمد لله) من أفضل الذكر لله تعالى، وقد جاء في كثير من الأذكار والأدعية الصحيحة هذا الذكر الذي يحبه الله ﷻ ويثيب عليه الأجر الجزيل، بل جاء في القرآن الكريم الحث على اللهج بهذا الذكر الكريم كما في قوله تعالى: ﴿قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَـٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ﴾ [النمل: ٥٩]، وقوله سبحانه: ﴿وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ ۖ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًۢا﴾ [الإسراء: ١١١].

وقال تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا﴾ [طه: ١٣٠]، وقال ﷻ: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِٱلْعَشِىِّ وَٱلْإِبْكَـٰرِ﴾ [غافر: ٥٥].

أمـا الأحاديـث التي وردت في فضـل هـذا الـذكر والإتيـان بـه في أعمـال اليـوم والليلة فكثيرة منها: قوله ﷺ: «**الطهور شطر الإيمـان، والحمـد لله تمـلأ الميـزان، وسبحان الله والحمد لله تملآن أو تملآن ما بين السماوات والأرض**» [رواه مسلم].

وفي الحديث الآخر عن ابن مسعود ﷺ قـال: كـان نبـي الله ﷺ إذا أمسـى قـال: «**أمسـينا وأمسـى الملـك لله، والحمـد لله، لا إلـه إلا الله وحـده لا شـريك له**».. وإذا أصبح قال ذلك أيضـًا: «**أصبحنا وأصبح الملك لله**» [رواه مسلم].

وعن أنس ﷺ أن النبي ﷺ كان إذا أوى إلى فراشه قال: «**الحمد لله الذي أطعمنا وسقانا وكفانا وآوانا، فكم ممن لا كافي له ولامؤوي**» [رواه مسلم].

وعن أبي ذر ﷺ: قال لي رسول الله ﷺ : «**ألا أخبرك بأحب الكلام إلى الله، قلت: يا رسول الله أخبرني بأحب الكلام إلى الله تعالى، فقال: إنّ أحب الكلام إلى الله: سبحان الله وبحمده**».

وفي رواية: إن رسول الله ﷺ سئل أي الكلام أفضل، قال: «**ما اصطفى الله لملائكته أو لعباده سبحان الله وبحمده**» [رواه مسلم].

وعن أبي هريرة ﷺ: أن رسول الله ﷺ قال: «**ومن قال سبحان الله وبحمده في يوم مائة مرة غفرت ذنوبه وإن كانت مثل زبد البحر**» [رواه مسلم].

والمواطن التي جاء فضل هذا الذكر فيها كثيرة، من أشهرها دبر الصلوات، وعند النوم مع التسبيح والتهليل والتكبير، وفي استفتاح دعاء التهجد، وأذكار الرفع من الركوع وغيرها.

بارك الله لي ولكم...

الخطبة الثانية

الحمد لله على كل حال، وإليه المرجع والمآل، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن نبينا محمداً عبده ورسوله، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى الآل والأصحاب. ومن تبعهم بإحسان إلى يوم المعاد.

أما بعد:

وأحسن ما قرن اسم المجيد إلى الحميد، كما قالت الملائكة لبيت الخليل عليه السلام: ﴿رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ ۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ﴾ [هود: ٧٣].

وكما شرع لنا في آخر الصلاة أن نُثني على الربّ تعالى بأنه حميد مجيد، وشرع في آخر الركعة عند الاعتدال أن نقول: ربّنا ولك الحمد، أهل الثناء والمجد، فالحمدُ والمجدُ على الإطلاق لله الحميد المجيد.

فالحميدُ: الحبيبُ المستحقّ لجميع صفات الكمال. والمجيد: العظيم الواسع القادر الغني، ذو الجلال والإكرام. قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ﴾ [فاطر: ١٥].

وذكر ابن القيم رحمه الله أن الله حميد من وجهين:

أحدهما: أنّ جميع المخلوقات ناطقة بحمده، فكل حمد وقع من أهل السموات والأرض الأوّلين منهم والآخرين، وكل حمد يقع منهم في الدنيا والآخرة، وكل حمد لم يقع منهم بل كان مفروضاً ومقدّراً حيثما تسلسلت الأزمان واتصلت الأوقات، حمداً يملأ الوجود كله العالم العلوي والسفلي،

ويملأ نظير الوجود من غير عدّ ولا إحصاءٍ، فإنّ الله تعالى مستحقة من وجوه كثيرة: منها أن الله هو الذي خلقهم، ورزقهم، وأسدى عليهم النعم الظاهرة والباطنة، الدينية والدنيويّة، وصرف عنهم النقم والمكاره، فما بالعباد من نعمة فمن الله، ولا يدفع الشرور إلاّ هو، فيستحق منهم أن يحمدوه في جميع الأوقات، وأن يثنوا عليه ويشكروه بعدد اللحظات.

الوجه الثاني: أنه يحمد على ما له من الأسماء الحسنى والصفات الكاملة العليا، والمدائح والمحامد والنعوت الجليلة الجميلة، فله كلّ صفة كمال، وله من تلك الصفة أكملها وأعظمها، فكلّ صفة من صفاته يستحق عليها أكمل الحمد والثناء، فكيف بجميع الأوصاف المقدسة، فله الحمد لذاته، وله الحمد لصفاته، وله الحمد لأفعاله؛ لأنها دائرة بين أفعال الفضل والإحسان، وبين أفعال العدل والحكمة التي يستحق عليها كمال الحمد، وله الحمد على خلقه، وعلى شرعه، وعلى أحكامه القدريّة، وأحكامه الشرعيّة، وأحكام الجزاء في الأولى والآخرة، وتفاصيل حمده وما يُحمد عليه لا تُحيط بها الأفكارُ، ولا تحصيها الأقلام).

عباد الله:

ومن آثار الإيمان باسمه سبحانه (الحميد):

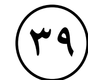
أولاً: محبة الله ﷻ محبة عظيمة صادقة لا يشاركه فيها أحد من الخلق، وهذه المحبة بدورها تثمر عبوديات أخرى في القلب، كالإخلاص لله تعالى، والحياء والأدب مع الله ﷻ وعبوديات اللسان والجوارح بالقيام بأوامره، واجتناب نواهيه، والتقرب إليه بطاعته.

ثانيًا: كثرة ذكره سبحانه وشكره، وبخاصة بالأذكار التي تتضمن حمده سبحانه والثناء عليه بالثناء الحسن الذي هو أهل له آناء الليل وأطراف النهار، وعمل اليوم والليلة.

ثالثًا: اليقين بأن الله ﷻ هو المستحق للحمد كله على الإطلاق كما قال سبحانه عن نفسه: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الفاتحة: ٢] وهو الذي له جميع المحامد بأسرها، وليس ذلك لأحد إلا لله تعالى، ولا نحصي ثناءً عليه، هو كما أثنى على نفسه.

هذا وصلوا...

***



الخطبة الأولى [١]

الحمد لله الحميد المجيد، الجواد الكريم، البر الرحيم، وأشهد أن لا إله إلا الله الحق المبين، وأشهد أن نبينا محمداً عبد الله ورسوله، صلى الله وسلم وبارك عليه، وعلى آله وأصحابه الغر الميامين، والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

فاتقوا الله حق التقوى، واستمسكوا من الإسلام، بالعروة الوثقى، وأعلموا أن أقدامكم وأجسامكم على النار لا تقوى.

عباد الله:

روى البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**إن لله تسعة وتسعين اسمًا، مائة إلا واحداً من أحصاها دخل الجنة**».

ومعرفة أسماء الله جل جلاله الواردة في الكتاب والسنة، وما تتضمنه من معاني جليلة وأسرار بديعة، لهي من أعظم الأسباب التي تعين على زيادة إيمان العبد، وتقوية يقينه بالله تبارك وتعالى.

---

(١) اسم (المجيد).

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ: (ولما كانت حاجة النفوس إلى معرفة ربها أعظم الحاجات، كانت طرق معرفتهم له أعظم من طريق معرفة ما سواه، وكان ذكرهم لأسمائه أعظم من ذكرهم لأسماء ما سواه).

وأقسام أسماء الله من حديث معانيها ودلالاتها:

أولاً: ما كان دالاً على صفةٍ ذاتية هي الصفة التي لم يزل الرب ولا يزال متصفًا بها، فهي لا تنفك عن الذات ولا تَعلُّق لها بالمشيئة كالحيّ: فهو اسم لله دال على ثبوت صفة الحياة، والعليم: اسم لله دال على ثبوت صفة العلم.

ثانيًا: ما كان دالاً على صفة فعلية، والصفة الفعلية: هي التي تتعلق بالمشيئة، إن شاء فعلها وإن شاء لم يفعلها، كالخالق: اسم لله، وهو دال على ثبوت صفة الخلق ﴿يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُۚ﴾ [آل عمران: ٤٧] والرزَّاق: دال على ثبوت صفة الرزق ﴿وَٱللَّهُ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٖ﴾ [البقرة: ٢١٢].

ثالثًا: أسماء الله دالة على التنزيه والتقديس وتبرئة الرب سبحانه عن النقائص والعيوب، وعمَّا لا يليق بجلاله وكماله وعظمته كأسمائه القدّوس، السلام، السبّوح.

رابعًا: أسماء الله دالة على جملة أوصاف عديدة لا على معنى مفرد، فإنَّ من أسمائه سبحانه ما يكون دالاً على عدة صفات، ويكون هذا الاسم متناولاً لجميعها تناول الاسم الدال على الصفة الواحدة لها، ومن ذلك أسماؤه: الحميد، العظيم، الصمد، المجيد.

فمثلاً: (الحميد) الذي له جميع المحامد، وهي جميع صفات الكمال، فكل صفة من صفاته يُحمد عليها.

(المجيد) من اتصف بصفات متعددة من صفات الكمال، ولفظه يدل على هذا: فإنه موضوعٌ للسَّعة والكثرة والزيادة كما في قوله تعالى ﴿ذُو ٱلْعَرْشِ ٱلْمَجِيدُ﴾ [البروج: ١٥] فالمجيد صفة للعرش لسعته وعظمه وشرفه، و(العظيم): من اتصف بصفاتٍ كثيرةٍ من صفاتِ الكمال. وكل أسماء الله تعالى حسنى وصفاته علا.

و(المجيد) من أسماء الله ﷻ، وقد ورد اسمه سبحانه (المجيد) في القرآن الكريم مرتين وذلك في قوله تعالى: ﴿رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ ۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ﴾ [هود: ٧٣]. وكذلك في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ ۝ ذُو ٱلْعَرْشِ ٱلْمَجِيدُ﴾ [البروج: ١٤ - ١٥].

كما جاء اسم (المجيد) وصفاً للقرآن الكريم الذي هو كلام الله ﷻ فقال تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿قٓ ۚ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْمَجِيدِ﴾ [ق: ١]، وقال ﷻ: ﴿بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ۝ فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍۭ﴾ [البروج: ٢١ - ٢٢].

وأصل المجد في الكلام: الكثرة والسعة، والكرم والجلال.

ومعناه في حق الله تعالى: هو المجيد، تمجد بفعاله، ومجَّده خلقه لعظمته.

قال الخطابي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ((المجيد) هو الواسع الكرم).

وقال ابن جرير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (مجيد، ذو مجد ومدح وثناء كريم).

وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وصف نفسه بـ(المجيد) وهو: المتضمن لكثرة صفات كماله وسعتها، وعدم إحصاء الخلق لها، وسعة أفعاله وكثرة خيره ودوامه، وأما من ليس له صفات كمال ولا أفعال حميدة فليس له من المجد شيء، والمخلوق إنما يصير مجيداً بأوصافه وأفعاله، فكيف يكون الرب

تَبَارَكَ وَتَعَالَى مجيداً وهو مُعطل عن الأوصاف والأفعال، تعالى الله عما يقول المعطلون علواً كبيراً، بل هو المجيد الفعال لما يريد، والمجد في لغة العرب: كثرة أوصاف الكمال وكثرة أفعال الخير).

وقال السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ: (المجيد: الكبير العظيم الجليل، وهو الموصوف بصفات المجد والكبرياء والعظمة والجلال، الذي هو أكبر من كل شيء، وأعظم من كل شيء، وأجل وأعلى، وله التعظيم والإجلال في قلوب أوليائه وأصفيائه، قد ملئت قلوبهم من تعظيمه وإجلاله والخضوع له والتذلل لكبريائه).

ويقول أيضـًا: (والمجد هو عظمة الصفات وسعتها فكل وصف من أوصافه عظيم شأنه: فهو العليم الكامل في علمه، الرحيم الذي وسعت رحمته كل شيء، القدير الذي لا يعجزه شيء، الحليم الكامل في حلمه، الحكيم الكامل في حكمته، إلى بقية أسمائه وصفاته).

فهو جَلَّوَعَلَا العليم الكامل في علمه، الرحيم الذي وسعت رحمته كل شيء، القدير الذي لا يعجزه شيئا، الحليم الكامل في حلمه، الحكيم الكامل في حكمته، إلى بقية أسمائه وصفاته التي بلغت غاية المجد، فليس في شيء منها قصور أو نقصان.

عباد الله:

والحمد كلّه لله ربّ العالمين؛ فإنه المحمودُ على ما خلقه وأمر به ونهى عنه، فهو المحمودُ على طاعات العبد ومعاصيهم، وإيمانهم وكفرهم، وهو المحمودُ على خلق الأبرار والفجّار والملائكة والشياطين وعلى خلق الرسل وأعدائهم، وهو المحمودُ على عدله في أعدائه، كما هو المحمود على

فضله وإنعامه على أوليائه، فكلُّ ذرّة من ذرات الكون شاهدة بحمده، ولهذا سبّح بحمده السموات السبع والأرض ومن فيهنّ، قال تعالى: ﴿وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ﴾ [الإسراء: ٤٤].

وكان في قول النبي ﷺ عند الاعتدال من ا لركوع: «ربَّنَا وَلَكَ الحَمْد، مِلءَ السَّماءِ وَمِلءَ الأَرْضِ، وَمِلءَ مَا بَيْنَهُمَا وَمِلءَ مَا شِئْتَ مِنْ شَيء بَعْدُ» [رواه مسلم].

فله سبحانه الحمد حمداً يملأُ المخلوقات والفضاء الذي بين السموات والأرض، ويملأُ ما يقدر بعد ذلك مما يشاءُ الله أن يملأُ بحمده.

وذاك يحتمل أمرين:

أحدهما: أن يملأ ما يخلقه الله مبدع السموات والأرض، والمعنى أن الحمد ملءُ ما خلقته وملءُ ما تخلقه بعد ذلك.

الثاني: أن يكون المعنى ملءُ ما شئت من شيء بعد يملؤه حمدك، أي يقدَّر مملوءاً بحمدك وإن لم يكن موجوداً.

ولكن يقال: المعنى الأول أقوى؛ لأن قوله: «مَا شِئْتَ مِنْ شَيْء بعد» يقتضي أنه شيء يشاؤه، ما شاءَ كان، والمشيئة متعلّقة بعينه لا بمجرد ملء الحمد له. فتأمله، لكنه إذا شاء كونه فله الحمد ملؤه، فالمشيئة راجعة إلى المملوء بالحمد، فلا بد أن يكونَ شيئًا موجوداً يملؤه حمده.

وأيضًا فإن قوله: «من شيء بعد» يقتضي أنه بعد ذلك من مخلوقاته ومن القائمة وما بعدها. ولو أُريد تقدير خلقه لقيل: وملء ما شئت من شيء مع ذلك، لأنّ المقدر يكون مع المحقق.

وقد جاء في الحديث القدسي: «**قسمت الصلاة بيني وبين عبدي، فإذا قال العبد: الحمد لله رب العالمين، قال الله تعالى: حمدني عبدي، وإذا قال: الرحمن الرحيم، قال الله تعالى: أثنى علي عبدي، وإذا قال: مالك يوم الدين، قال: مجدني عبدي..**» [رواه مسلم].

وقد وصف الله ﷻ كتابه بـ(المجيد)، في الآيتين في سورة البروج، وسورة ق.

فالقرآن مجيد. أي: شريف كريم عظيم، واسع الخير والفضل والكرم، وذلك لما تضمنه من العلوم والمكارم والمقاصد العليا والمصالح الدنيوية والأخروية، ولا غربة في ذلك فإنه كلام الله ﷻ، المجيد الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد، ومن عظمة هذا القرآن ومجده: أن الله يرفع به أقوامًا، ويخفض به آخرين.

يرفع به من عمل به واتخذه دينًا ومنهجًا، ويخفض به ويذل من تركه وراءه ظهريًا؛ ففي صحيح مسلم عن عامر واثلة أن نافع ابن عبد الحارث لقي عمر بعسفان، وكان عمر يستعمله على مكة، فقال: من استعملت على أهل الوادي؟ فقال: ابن أبزى، قال: ومن ابن أبزى؟ قال: مولى من موالينا، قال: فاستخلفت عليه مولى؟! قال: إنه قارئٌ لكتاب الله ﷻ وإنه عالم بالفرائض، قال عمر: أما إن نبيكم ﷺ قد قال: «**إن الله يرفعُ بهذا الكتاب أقوامًا ويضعُ به آخرين**» [رواه مسلم].

فقد رفع الله تعالى هذا المولى لحفظه لكتابه، وعلمه به؛ على غيره من أهل مكة أهل الشرف والنسب.

وهذا المجد والرفعة في الدرجات في الآخرة، فإنما هي لمن أخذ بهذا الكتاب، وعمل به، والذّل والمهانة والدركات لمن تركه وأعرض عنه.

أيها المسلمون:

إذا عرف العبد ربه المجيد، فعليه بإجلاله وتعظيمه، ونسيان الإغترار بما أعطاه الله، بل عليه أن يذل نفسه قياماً بحق الله ومجده وإجلاله.

وأي معبود سوى الله إذا مجده بعض الخلق فإنه مسلوب العظمة فهو يمرض وينام ويموت، وأما الله المجيد فحي لا يموت، قيوم لا ينام.

اللهم اجعلنا ممن عبدك ووحدك، ومجدك واتقاك، فرفعت ذكره وجعلته من عبادك الصالحين المقربين، ممن ينادون يوم القيامة ﴿ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ءَامِنِينَ﴾ [الحجر: ٤٦].

بارك الله لي ولكم...

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين، مالك يوم الدين، وأشهد أن لا إله إلا الله الواحد الأحد، المحمود على كل حال، وأشهد أن نبينا محمداً عبده ورسوله، بلغ الرسالة، وأدى الأمانة، ونصح الأمة، فصلوات ربي وسلامه عليه، وعلى آله وأصحابه، والتابعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

عباد الله:

ومن آثار الإيمان باسمه (المجيد):

أولاً: محبة الله ﷻ الذي وسع خلقه بكرمه وفضله ورحمته. وهذا يلزم عبادته وحده لا شريك له، والتعلق به وحده، وسؤاله قضاء الحوائج، وتفريج الكربات وحده، وترك التعلق بالمخلوق الضعيف الفقير بذاته إلى الله تعالى، وإن كان فيه مجد أو كرم محدود فهو من جود الله تعالى وكرمه.

ثانيًا: تمجيده سبحانه واللهج بذكره، والثناء عليه بالتهليل والتحميد والتسبيح والتكبير وسؤاله بأسمائه الحسنى، لأن كل أسمائه وصفاته هي من باب التمجيد لله رب العالمين، فقولنا: هو الله الواحد الأحد، الصمد، العزيز، الوهاب، الملك، الأول، الآخر، الظاهر والباطن، الحميد، السميع، البصير؛ كل هذا من باب التمجيد لله الواحد الأحد.

ثالثًا: التقرب إلى الله ﷻ بطاعته والتماس مرضاته، والبعد عن معاصيه ومساخطه، وهذه هي حقيقة التقوى التي فيها الشرف والمجد والرفعة للعبد

في الدنيا والآخرة، قال الله ﷻ: ﴿إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ﴾ [الحجرات: ١٣].

وقال الرسول ﷺ: «**ومن بطأ به عمله لم يسرع به نسبه**» [رواه مسلم]، فالله سبحانه (المجيد) لا يهب المجد والرفعة والذكر الحسن إلا لمن عبده ووحده، ومجده، واتقاه.

يقول السعدي رحمه الله: (إن الإيمان بأسماء الله الحسنى ومعرفتها يتضمن أنواع التوحيد الثلاثة: توحيد الربوبية، وتوحيد الألوهية، وتوحيد الأسماء والصفات وهذه الأنواع هي رُوح الإيمان ورَوْحه، وأصله وغايته، فكلما ازداد العبد معرفة بأسماء الله وصفاته، ازداد إيمانه وقوي يقينه).

ويقول أيضًا: (وبحسب معرفته بربه يكون إيمانه، فكلما ازداد معرفة بربه ازداد إيمانه، وكلما نقص نقص. وأقرب طريق إلى ذلك: تدبر صفاته وأسمائه من القرآن).

هذا وصلوا...

❁ ❁ ❁

(٤٠) الخطبة الأولى(١)

الحمد لله الذي هدانا وكفانا وآوانا، وأطعمنا وكسانا، وهدانا إلى أقوم طريق، وأهدى سبيل، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له في ألوهيته وربوبيته وأسمائه وصفاته، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، بلغ الرسالة وأدى الأمانة، ونصح الأمة، وجاهد في الله حق جهاده، صلى الله وسلم وبارك عليه، وعلى آله وأصحابه، والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

فاتقوا الله، وراقبوه في السر والعلن، فإن التقوى نجاه من عذاب الله وعقابه.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ﴾ [الحشر: ١٨].

عباد الله:

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: إن معرفة الله ومعرفة أسمائه الحسنى وصفاته العليا هي غاية مطالب البرية، وهي أفضل العلوم وأعلاها وأسماها، وهي الغاية التي شمَّر إليها المشمرون، وتنافس فيها المتنافسون، وجرى إليها المتسابقون، وإلى نحوها تمتد الأعناق، وإليها تتجه القلوب الصحيحة بالأشواق، وبها يتحقق للعبد طيب الحياة، فإن حياة الإنسان بحياة قلبه

---

(١) اسم (الحسيب).

وروحه، ولا حياة لقلبه إلَّا بمعرفة فاطره ومحبته وعبادته وحده والإنابة إليه والطمأنينة بذكره والأُنس بقربه، ومن فقد هذه الحياة فقد الخير كلَّه، ولو تعوَّض عنها بما تعوض من الدنيا، بل ليست الدنيا بأجمعها عوضا عن هذه الحياة، فمِنْ كلِّ شيءٍ يفوت عوضٌ، وإذا فاته الله لم يُعوِّض عنه شيءٌ البتَّة).

عباد الله:

أسماء الله كلها أسماء حسنى، وصفاته كلها صفات عليا، ومن أسمائه تعالى: اسم (الحسيب).

قال تعالى: ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا﴾ [النساء: ٦]، وقال تعالى: ﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّواْ بِأَحۡسَنَ مِنۡهَآ أَوۡ رُدُّوهَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٍ حَسِيبًا﴾ [النساء: ٨٦].

و(الحسيب): هو الكافي، الذي كفى عباده جميع ما أهمَّهم من أمور دينهم ودنياهم، الميسِّر لهم كل ما يحتاجونه، الدّافع عنهم كلّ من يكرهونه.

ومن معاني (الحسيب) أنه الحفيظ على عباده كلَّ ما عملوه، أحصاه الله ونسوه، وعلم تعالى ذلك، وميَّز الله صالح العمل من فاسده، وحسنه من قبيحه، وعلم ما يستحقون من الجزاء ومقدرا مالهم من الثواب والعقاب.

قال الله تعالى: ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا﴾ [النساء: ٦]، وقال سبحانه: ﴿أَلَا لَهُ ٱلۡحُكۡمُ وَهُوَ أَسۡرَعُ ٱلۡحَٰسِبِينَ﴾ [الأنعام: ٦٢].

و(الحسيب) بالمعنى الأخصّ هو الكافي لعبده المتَّقي، المتوكِّل عليه كفاية خاصة يصلح بها دينه ودنياه.

و(الحسيب) أيضـًا هو الذي يحفظ أعمال عباده من خير وشرٍ ويحاسبهم، إنْ خيراً فخير، وإن شراً فشر، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسۡبُكَ

﴿ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنفال: ٦٤]، أي كافيك وكافي أتباعك، فكفاية الله لعبده بحسب ما قام به في متابعة الرسول ظاهراً وباطنًا، وقيامه بعبودية الله تعالى.

قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (الحسيب): هو العليم بعباده، كافي المتوكلين، المجازي لعباده بالخير والشر، بحسب حكمته وعلمه بدقيق أعمالهم وجليلها).

وقال أيضًا: (والحسيب بمعنى الرقيب الحاسب لعباده، المتولي جزاءهم بالعدل وبالفضل، وبمعنى الكافي عبده همومه وغمومه. وأخص من ذلك أنه الحسيب للمتوكلين: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ [الطلاق: ٣]، أي: كافيه أمور دينه ودنياه).

وقال تعالى في مواطن آخر: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا﴾ [النساء: ٨٦]، وقال تعالى: ﴿وَإِن يُرِيدُوٓاْ أَن يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ ٱللَّهُ﴾ [الأنفال: ٦٤].

وقال تعالى: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ﴾ [الأنبياء: ٤٧].

فيحفظ على العباد أعمالهم حسنها وسيئها، صغيرها وكبيرها، ثم يجازيهم بما اقتضاه فضله وعدله وحكمه المحمود.

وفي استيعاب معاني اسم (الحسيب) سر السعادة في الدنيا، والفوز برضا الله يوم القيامة، اسم به يُحقق المسلم معنى الخوف من الله، والطمع فيما عنده، والإقرار بأنه بكل شيء محيط، وبكل شيء وكيل.

وجاء عند قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَـٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾ [آل عمران: ١٧٣] وهذا الدعاء من أعظم الأدعية، ففيه صدق اللجوء إلى الله تعالى، ومن صدق في ذلك حقق له الكفاية المطلقة، والكفاية من شر الأعداء، والكفاية من هموم الدنيا ونكدها. فهي اعتراف بالفقر إلى الله وإعلان الاستغناء عما في أيدي الناس.

وفي تحقيق اسم الله الحسيب: يقتضي التوكل عليه، وصدق التوكل يدفع المضرة والأذى، قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ۚ﴾ [الطلاق: ٢ - ٣].

وقال الخطابي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (الحسيب هو المكافئ، فعيل بمعنى مفعل كقولك: أليم بمعنى مؤلم، تقول العرب: نزلت بفلان فأكرمني وأحسبني؛ أي أعطاني ما كفاني حتى قلت: حسبي.

والحسيب أيضاً بمعنى المحاسب، كقولهم: وزير ونديم؛ بمعنى موازر ومنادم، ومنه قول الله سبحانه: ﴿كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾ [الإسراء: ١٤] أي: محاسباً والله أعلم).

ومما سبق من الأقوال يّحصل لنا في معنى (الحسيب) معنيان:

الأول: بمعنى الكافي والحافظ.

الثاني: بمعنى المحاسب.

والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ هو أسرع الحاسبين، فحين يرد إليه العباد فيحاسبهم لا يشق عليه ذلك فهو سبحانه يعلم عددهم وأعمالهم وآجالهم وجميع أمورهم، وقد أحصاها وعلم مقاديرها ومبالغها وهو لا يحسب بعقد يد،

لكنه يعلم ذلك ولا يخفى عليه منهم خافية ولا يعزب عنه ذرة ولا أصغر منها ولا أكبر إلا في كتاب مبين ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٍ حَسِيبًا﴾ [النساء: ٨٦].

وفسِّر بالحفيظ؛ يحفظ الأعمال ثم يجازيهم عليها، فالله ﷻ حسيب عباده، أي محاسبهم على أعمالهم وجازيهم عليها بحسب حكمته وعلمه بدقائق أعمالهم وجليلها، فحسابهم على الخير والشر يقع بمثاقيل الذر.

عباد الله:

دلَّ القرآن أنَّ تحقيق العبودية لله وحسن التوكل عليه أمرٌ لا بد منه لنيل كفاية الله الخاصة بأوليائِه المؤمنين وعبادِه المتَّقين، قال تعالى: ﴿أَلَيۡسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبۡدَهُۥ﴾ [الزمر: ٣٦]، وقال تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓ﴾ [الطلاق: ٣].

وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (والتوكُّلُ من أقوى الأسباب التي يدفع بها العبد مالا يطيق من أذى الخلق وظلمهم وعدوانهم، وهو من أقوى الأسباب في ذلك؛فإنَّ الله حسبه: أي: كافيه، ومّن كان الله كافيَهُ وواقِيَهُ فلا مَطمَعَ فيه لعدوّه، ولا يضرُّه إلَّا أذى لا بدَّ منه، كالحرّ والبرد والجوع والعطش، وأما أن يضرَّهُ بما يبلغ منه مرادّه فلا يكون أبداً، وفرقٌ بين الأذى الذي هو في الظاهر إيذاءٌ له – وهو في الحقيقة إحسان إليه وإضرار بنفسه – وبين الضّرر الذي يُتشفَّى به منه.

قال بعض السَّلف: (جَعَلَ الله تعالى لكلِّ عمل جزاءً من جنسه، وجَعَل جزاءَ التوكل عليه نفسَ كفايته لعبده، فقال: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓ﴾ [الطلاق: ٣]، ولم يقل: نؤته كذا وكذا من الأجر، كما قال في الأعمال، بل جعل نفسَه سبحانه كافيَ عبدِه المتوكِّلِ عليه وحسبَه وواقيَه، فلو توكَّل

العبد على الله تعالى حقَّ توكُّله وكادته السموات والأرض ومَن فيهنَّ لجعَلَ له مخرجـًا من ذلك وكفاه ونَصَرَه).

وربط الكفاية بالتوكل من ربط الأسباب بمسبباتها، فالله ﷻ كافي من يثق به ويحسن التوكـل عليـه، ويحقـق الالتجـاء إليـه في نوائبـه ومهماتـه، وكلمـا كـان العبد حسنَ الظنّ بالله عظيم الرجاء فيما عنده، صادق التوكل عليه؛ فإن الله لا يخيب أمله فيه البتة.

ولا يستبطئ العبد كفاية الله له إذا بذل أسبابها، فإنَّ الله بالغ أمره في الوقت الذي قدره له، ولذا قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَـٰلِغُ أَمْرِهِۦ ۚ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا﴾ [الطلاق: ٣].

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (فلما ذكَر كفايته للمتوكِّل عليه فربَّما أوهم ذلك تعجيل الكفاية وقت التوكُّل، فعقَّبه بقوله: ﴿قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا﴾ [الطلاق: ٣]، أي: وقتـًا لا يتعدَّاه فهو يسوقه إلى وقته الذي قدَّره له، فلا يستعجل المتوكِّل ويقول: قد توكَّلتُ ودعوتُ فلم أرَ شيئـًا ولم تحصل لي الكفاية، فالله بالغُ أمِره في وقته الذي قدَّره له).

قال السعدي في قوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (أي كافيه أمور دينه ودنياه).

بارك الله لي ولكم...

الخطبة الثانية

الحمد لله وحده، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن نبينا محمداً عبده ورسوله، وصفيه وخليله، صلى الله وسلم وبارك عليه، وعلى آله وصحبه، والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

عباد الله:

ومن آثار الإيمان باسمه سبحانه (الحسيب):

أن الله سبحانه هو الكافي لعباده الذي لا غنى لهم عنه أبداً، ولا يشاركه في ذلك أحد أبداً، وإن ظن بعض الناس أن غير الله يكفيهم فهو ظن باطل، بل كل شيء لا يتم إلا بخلقه وأمره وتقديره سبحانه، وفي ذلك يقول الغزالي رَحِمَهُ اللَّهُ: (هو الكافي، وهو الذي من كان له كان حسبه، والله تعالى حسيب كل أحد وكافيه، وهذا وصف لا يتصور حقيقته لغيره، فإن الكفاية إنما يحتاج إليه المكفي، لوجوده، ولدوام وجوده، ولكمال وجوده).

قال تعالى: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَـٰسِبِينَ﴾ [الأنبياء: ٤٧]، وقال عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ثُمَّ رُدُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ ۚ أَلَا لَهُ ٱلْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ ٱلْحَـٰسِبِينَ﴾ [الأنعام: ٦٢].

وهذا الحفظ والإحصاء الدقيق، والحساب الذي لا يفوته شيء، هو الذي يبهت أهل الأجرام، الذين لا يبالون بأعمالهم صلحت أو فسدت، يعملون السيئات بلا حساب ويظنون أنهم متروكون سدى، لا حساب ولا عذاب، قال تعالى عنهم: ﴿وَوُضِعَ ٱلْكِتَـٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَـٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَـٰذَا ٱلْكِتَـٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ۚ وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٤٩].

لذلك كان لزاماً أن نحاسب أنفسنا قبل أن نحاسب، وأن نزن أعمالنا قبل أن تُوزن.

والذي نسوا يوم الحساب ولم يعملوا له، وعاشوا دنياهم غير ناظرين لآخرتهم؛ هؤلاء أهلكوا أنفسهم: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ﴾ [ص: ٢٦].

والذين لا يؤمنون بيوم الحساب خطر على الناس والحياة والأحياء، لأنهم لا يستقيمون على أمر الله، ويفسدون الحياة بكبرهم: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِنِّى عُذْتُ بِرَبِّى وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَّا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ﴾ [غافر: ٢٧].

وفي يوم الحساب يبعث الله الأولين والآخرين، ويجمعهم على صعيد واحد، لا يتخلف منهم أحد: ﴿إِن كُلُّ مَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِى ٱلرَّحْمَـٰنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾ لَّقَدْ أَحْصَىٰهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴿٩٤﴾ وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فَرْدًا﴾ [مريم: ٩٣ - ٩٥].

هذا وصلوا...

❀ ❀ ❀

(٤١) الخطبة الأولى [(١)]

الحمد لله الحي القيوم، له الحياة الدائمة، يحي ويميت، بيده الخير وهو على كل شيء قدير، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ولا ند ولا شبيه ولا نظير، وأشهد أن نبينا محمداً عبده ورسوله، صلى الله وسلم وبارك عليه، وعلى آله وصحبه أجمعين، والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

فاتقوا حق التقوى، فإن من اتقاه كفاه وآواه، وقربه وأدناه. ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

عباد الله:

من أسماء الله الحسنى، وكل أسمائه حسنى، اسم (الحي).

والحياة في اللغة خلاف الموت، ويسمى المطر حيّا؛ لأنه به حياة الأرض.

والله سبحانه هو الذي له الحياة الدائمة والبقاء الذي لا أول له بحد، ولا آخر له بأمد؛ إذ كان كل ما سواه فإنه وإن كان حيّا فلحياته أول محدود، وآخر ممدود، ينقطع بانقطاع أمدها وينقضي بانقضاء غايتها. والله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ هو الحي الباقي الذي لا يجوز عليه الموت ولا الفناء – تعالى عن ذلك علوًّا كبيراً.

---

(١) اسم (الحي، القيوم).

وهو سبحانه (الحي) الذي لم يزل موجوداً وبالحياة موصوفًا، لم تحدث له الحياة بعد موت، ولا يعترضه الموت بعد الحياة، وسائر الأحياء يعتريهم الموت في طرفي الحياة معًا.

قال تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ ۚ لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [القصص: ٨٨].

والله سبحانه حي حياة كاملة جامعة لجميع صفات الذات، ومن كمال حياته أنه كامل القدرة، نافذ الإرادة والمشيئة.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (و(الحي): الذي لا يموت ولا يبيد كما يموت كل من اتخذ من دونه ربًا، ويبيد كل من ادَّعى من دونه إلهًا، واحتج على خلقه بأن: من كان يبيد فيزول، ويموت فيفنى، فلا يكون إلهًا يستوجب أن يعبد دون الإله الذي لا يبيد ولا يموت، ولأن الإله هو الدائم الذي لا يموت، ولا يبيد، ولا يفنى، وذلك الله الذي لا إله إلا هو).

كما أن حياته سبحانه تستلزم أن لا تأخذه سنة ولا نوم، فالنوم أخو الموت، والنوم نقص في كمال الحياة، قال ﷺ: «إن الله لا ينام ولا ينبغي له أن ينام...» [رواه مسلم].

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وحياته – سبحانه – أكمل الحياة وأتمها، وهي حياة تستلزم جميع صفات الكمال، وتنفي أضدادها من جميع الوجوه.

و(الحي) يستلزم جميع الصفات، وهو أصلها. والله هو الحي حياة لا تشبه حياة الأحياء، ولا يُستدرك بالعقول، ولا تأخذه سنة ولا نوم ولا موت، حييت به القلوب من الكفر والجهل).

وقد ورد اسمه سبحانه (الحي) خمس مرات في كتاب الله ﷻ وذلك في قوله تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، وقوله سبحانه: ﴿الٓمٓ ۝ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ﴾ [آل عمران: ١ - ٢]، وقوله ﷻ: ﴿وَعَنَتِ ٱلۡوُجُوهُ لِلۡحَيِّ ٱلۡقَيُّومِۖ﴾ [طه: ١١١]، وقوله سبحانه: ﴿هُوَ ٱلۡحَيُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدۡعُوهُ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۗ﴾ [غافر: ٦٥].

وفي السنة قوله ﷺ في دعائه: «**يا حي يا قيوم برحمتك أستغيث**» [رواه الترمذي].

وقوله عليه الصلاة والسلام: «**اللَّهم لك أسلمت، وبك آمنت، وعليك توكلت، وإليك أنبت، وبك خاصمت، أعوذ بعزتك لا إله إلا أنت أن تضلني، أنت الحي الذي لا يموت والجن والإنس يموتون**» [رواه مسلم].

واسمه تَبَارَكَ وَتَعَالَى (القَيُّوم) فيه إثبات القَيُّوميَّة صفةً لله، وهي كونه سبحانه قائما بنفسه مقيما لخلقه، فهو اسم دالٌّ على أمرين:

الأول: كمالُ غنى الربِّ سبحانه، فهو القائم بنفسه، الغنيُّ عن خلقه، كما قال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ﴾ [فاطر: ١٥].

وفي الحديث القدسيّ: «**إنَّكم لَنْ تَبلُغوا ضَرِّي فَتضُرُّوني، ولَنْ تبلُغوا نَفْعي فَتَنْفَعُوني**» [رواه مسلم]. وغناه سبحانه عن خلقه غنىً ذاتيٌّ لا يحتاج إليهم في شيء، غنيٌّ عنهم من كلِّ وجه.

الثّاني: كمال قدرته وتدبيره لهذا المخلوقات، فهو المقيم لها بقدرته سبحانه، وجميع المخلوقات فقيرة إليه، لا غنى لها عنه طرفة عين، فالعرش

والكرسي والسموات والأرض، والجبال والأشجار، والناس والحيوان؛ كلها فقيرة إلى الله ﷻ، قال الله تعالى: ﴿أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ﴾ [الرعد: ٣٣].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا ۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ [فاطر: ٤١]، وقال تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦ﴾ [الروم: ٢٥]، والآيات في هذا المعنى كثيرة.

فهو سبحانه المتصرِّف في جميع المخلوقات، المدبِّر لكل الكائنات.

عباد الله:

ومن أسمائه تعالى اسم (القيوم) وقد ورد هذا الاسم الجليل في ثلاثة مواضع من القرآن الكريم مقترنًا باسمه سبحانه (الحي) وذلك في قوله ﷻ: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

وقوله سبحانه: ﴿الٓمٓ ۝١ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ﴾ [آل عمران: ١ - ٢]، وقوله ﷻ: ﴿وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ لِلْحَىِّ ٱلْقَيُّومِ﴾ [طه: ١١١].

ولم يرد هذا الاسم الكريم منفرداً في القرآن الكريم. ولكن ورد ذكر (القائم) في قوله تعالى: ﴿أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ﴾ [الرعد: ٣٣]، والقيام على كل نفس من لوازم اسمه سبحانه (القيوم).

أما في السنة فقد ورد مقترنـًا باسمه (الحي) كما في قوله ﷺ: «**يا حي يا قيوم برحمتك أستغيث**»، وجاء مفرداً مضافًا في قوله ﷺ في استفتاح صلاة الليل: «**اللَّهم لك الحمد أنت قيوم السماوات والأرض ومن فيهن... الحديث**» [رواه البخاري].

ومعنى القيام اللغوي: العزم... ويجيء القيام بمعنى المحافظة والإصلاح، منه قوله تعالى: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ﴾ [النساء: ٣٤].

وقوله تعالى: ﴿إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَآئِمًا﴾ [آل عمران: ٧٥] أي: ملازمًا محافظًا، ويجيء القيام بمعنى الوقوف والثبات.

ومعنى اسمه (القَيّوم): هو الذي قام بنفسه فلم يحتج إلى أحد، وقام كلّ شيء به، فكلّ ما سواه محتاج إليه بالذات، وليست حاجته إليه معللة بحدوث - كما يقول المتكلمون - ولا بإمكان، بل حاجته إليه ذاتية، وما بالذات لا يعلّل.

والله ﷻ له مشهد القيومية والجامع لصفات الأفعال، وأنه قائم على كلّ شيء، وقائم على كلّ نفس، وأنه تعالى هو القائم بنفسه، المقيم لغيره، القائم عليه بتدبيره وربوبيته وقهره، يخفض القسط ويرفعه، ويرفع إليه علم الليل قبل النهار، وعلم النهار قبل الليل، لا تأخذه سِنَةٌ ولا نوم، ولا يضل ولا ينسى. وهذا المشهد من أرفع مشاهد العارفين، وهو مشهد الربوبية.

و(القيُّوم) مُتضمِّن كمال غناه وكمال قدرته؛ فإنه القائم بنفسه لا يحتاج إلى من يقيمه بوجه من الوجوه، وهذا من كمال غناه بنفسه عما سواه، وهو المقيم لغيره؛ فلا قيام لغيره إلا بإقامته، وهذا من كمال قدرته وعزته. فانتظم هذان الاسمان صفات الكمال والغِنى التام والقدرة التامة، فكأنَّ المستغيثّ بهما مستغيثٌ بكلّ اسم من أسماء الرب تعالى، وبكل صفة من صفاته، فما أَوْلَى الاستغاثة بهذين الاسمين أن يكونا في مظنّة تفريج الكربات، وإغاثة اللهفات، وإنالة الطلبات.

فهو (الحيُّ القيّوم) الذي لكمال حياته وقيوميته لا تأخذه سِنَةٌ ولا نوم، مالك السموات والأرض؛ الذي لكمال ملكه لا يشفعُ عندَه أحدٌ إلا بإذنه، العالم بكلّ شيء، الذي لكمال علمه يعلم ما بين أيدي الخلائق وما خلفهم، فلا تسقط ورقة إلا بعلمه، ولا تتحرك ذرّة إلا بإذنه، يعلم دبيبَ الخواطر في القلوب حيثُ لا يطلع عليها الملَك، ويعلم ما سيكون منها حيث لا يطّلع عليه القلب.

عباد الله:

ويُعلم من اسم (الحي القيوم) أنّ الحياة مستلزمة لجميع صفات الكمال، ولا يخلف عنها صفة إلا لضعف الحياة، فإذا كانت حياته تعالى أكمل حياة وأتمها، استلزم إثباتها كلّ كمال يضادّ نفي كمال الحياة، وبهذا الطريق العقلي أثبت متكلِّمو أهل الإثبات له تعالى صفة السمع والبصر والعلم والإرادة والقدرة والكلام وسائر الصفات الكمال.

قال قتادة: (القيوم: القائم على خلقه بآجالهم، وأعمالهم، وأرزاقهم).

وقال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن هذين الاسمين الكريمين:

(الحي) الجامع لصفات الذات. و(القيوم) الجامع لصفات الأفعال).

عباد الله:

وهذين الاسمين (الحيّ القيُّوم) هما الجامعان لمعاني الأسماء الحسنى، وعليهما مدار الأسماء الحسنى، وإليهما ترجع معانيها جميعها؛ إذ جميع صفات البارئ سبحانه راجعة إلى هذين الاسمين.

فالحيُّ: الجامع لصفات الذّات، والقيوم: الجامع لصفات الأفعال، فالصّفات الذّاتية كالسمع والبصر واليد والعلم ونحوها راجعة إلى اسمه

(الحي)، وصفات الله الفعلية كالخلق والرزق والإنعام والإحياء والإماتة ونحوها راجعة إلى اسمه القيُّوم؛ لأن من دلالته أنه المقيم لخلقه خَلقًا ورزقًا وإحياءً وإماتةً وتدبيراً، فرجعت الأسماء الحسنى كلُّها إلى هذين الاسمين، ولذا ذهب بعض أهل العلم إلى أنهما اسم الله الأعظم الذي إذا دعي به أجاب، وإذا سئل به أعطى.

وقد ورد هذان الاسمان في أكثر الأحاديث التي فيها إشارة إلى الاسم الأعظم.

قال ابن القيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (فإنَّ صفةَ الحياة متضمِّنةٌ لجميع صفات الكمال مستلزمةٌ لها، وصفة القيُّومية متضمنة لجميع صفات الأفعال، ولهذا كان اسم الله الأعظم الذي إذا دعي به أجاب، وإذا سُئل به أعطى هو اسم الحي القيوم).

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (اسم الله الأعظم في هاتين الآيتين: آية الكرسي، وفاتحة آل عمران؛ لاشتمالها على صفة الحياة المتضمّنة لجميع الصفات، وصفة القيومية المتضمنة لجميع الأفعال). قال الله تعالى: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

وقال سبحانه: ﴿الٓمٓ ۝١ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُ﴾ [آل عمران: ١ - ٢]، وقال ﷻ: ﴿وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ لِلْحَيِّ ٱلْقَيُّومِ ۖ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا﴾ [طه: ١١١].

و(الحي القيوم) جمعهما في غاية المناسبة كما جمعهما الله في عدة مواضع في كتابه، وذلك أنهما محتويان على جميع صفات الكمال، فالحي هو كامل الحياة، وذلك يتضمن جميع الصفات الذاتية لله: كالعلم، والعزّة،

والقدرة، والإرادة، والعظمة، والكبرياء، وغيرها من صفات الذات المقدسة، والقيّوم هو كامل القيّوميّة وله معنيان:

المعنى الأول: هو الذي قام بنفسه، وعظمت صفاته، واستغنى عن جميع مخلوقاته.

المعنى الثاني: هو الذي قامت به الأرض والسموات وما فيهما من المخلوقات، فهو الذي أوجدها وأمدَّها وأعدَّها لكل ما فيه بقاؤها وصلاحها وقيامها، فهو الغنيّ عنها من كل وجه وهي التي افتقرت إليه من كل وجه، فالحيُّ والقيُّوم من له صفة كل كمال وهو الفَعَّالُ لما يريد. قامت به الأرض والسموات وما فيها من المخلوقات، فهو الذي أوجدها وأمدَّها وأعدَّها لكل ما فيه بقاؤها وصلاحها وقيامها، فهو الغني عنها من كل وجه، وهي التي افتقرت إليه من كل وجه، لا يمكن أن يغفل عنها لحظة واحدة وإلا اختل نظام الكون وتحطَّمت أركانه؛ كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُمۡسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ أَن تَزُولَا﴾ [فاطر: ٤١]، وقال تعالى: ﴿لَا ٱلشَّمۡسُ يَنۢبَغِي لَهَآ أَن تُدۡرِكَ ٱلۡقَمَرَ وَلَا ٱلَّيۡلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِۚ وَكُلّٞ فِي فَلَكٖ يَسۡبَحُونَ﴾ [يس: ٤٠].

وقال تعالى: ﴿قُلۡ مَن يَكۡلَؤُكُم بِٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ مِنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ﴾ [الأنبياء: ٤٢]، فهو الرازق لعباده، الحافظ لهم، الناصر لهم، المجيب دعاءهم، تعالى عن غفلته عنهم: ﴿وَمَا كُنَّا عَنِ ٱلۡخَلۡقِ غَٰفِلِينَ﴾ [المؤمنون: ١٧].

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وفي تأثير قوله: (يا حيُّ يا قيوم برحمتك أستغيث) في دفع هذا الدّاء مناسبة بديعة، فإنّ صفة الحياة متضمنة لجميع صفات الكمال مستلزمة لها، وصفة القيومية متضمنة لجميع صفات الأفعال.

ولهذا كان اسم الله الأعظم الذي إذا دعي به أجاب، وإذا سُئل به أعطى هو اسم (الحي القيوم)، والحياة التامة تضاد جميع الأسقام والآلام، ولهذا لما كملت حياة أهل الجنَّة لم يلحقهم همٌّ ولا غم ولا حزن ولا شيء من الآفات، ونقصان الحياة تضر بالأفعال، وتنافي القيُّومية لكمال الحياة، فالحيّ المطلق التام الحياة لا تفوته صفة الكمال البتة، والقيوم لا يتعذَّر عليه فعل ممكن البتّة، فالتوسل بصفة الحياة والقيُّومية له تأثير في إزالة ما يضاد الحياة ويضر بالأفعال. والمقصود أن لاسم (الحي القيوم) تأثيراً خاصاً في إجابة الدعوات وكشف الكُربات.

وفي السنن وصحيح أبي حاتم مرفوعا: (اسم الله الأعظم في هاتين الآيتين: ﴿وَإِلَـٰهُكُمْ إِلَـٰهٌ وَاحِدٌ ۖ لَّا إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَـٰنُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ١٦٣]، وفاتحة آل عمران: ﴿الٓمٓ ۝١ اللَّهُ لَا إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ [آل عمران: ١ - ٢].

وفي السنن وصحيح ابن حبان أيضا من حديث أنس: أنّ رجلا دعا فقال: اللهم إني أسألك بأن لك الحمد لا إله إلا أنت المنان، بديع السموات والأرض، ذا الجلال والإكرام، يا حي يا قيُّوم. فقال النبي ﷺ: «لقد دعا الله باسمه الأعظم، الذي إذا دعي به أجاب، وإذا سئل به أعطى».

ويؤكد ما قرّره رحمه الله ما رواه الترمذي من حديث أنس ابن مالك رضي الله عنه قال: كان النبيّ ﷺ إذا كَرَبه أمْرٌ قال: «يا حيُّ يا قيُّوم برحمتك أستغيث».

وكلُّ ذلك يدلُّ على عظم شأن هذين الاسمين وجلالة قدرهما وما يقتضيانه من الذل والخضوع ﴿وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ ۖ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا﴾ [طه: ١١١].

بارك الله لي ولكم...

الخـــطـبـة الثـــانيـــة

الحمد لله ولي الصالحين، ولا عدوان إلا على الظالمين، وأصلي وأسلم على المبعوث رحمة للعالمين، صلى الله وسلم وبارك عليه، وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

فإن من آثار الإيمان بهذين الأسمين العظيمين (الحي، القيوم):

أولاً: محبة الله ﷻ وإجلاله وتوحيده: فإن علم العبد بربه سبحانه وبأن له الحياة الكاملة المطلقة والتي تتضمن جميع صفات الكمال؛ توجب على العبد محبة ربه سبحانه وإجلاله وتوحيده، وهذا يثمر في القلب الابتهاج، واللذة، والسرور مما تندفع به الكروب، والهموم، والغموم.

ثانيًا: التوكل الصادق على الله ﷻ: يقول الله ﷻ: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَىِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِهِۦ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًا﴾ [الفرقان: ٥٨]، فمن آمن بأن ربه سبحانه هو الحي الذي له الحياة الكاملة، والحي الذي لا يموت أبداً، والذي لا تأخذه سنة ولا نوم ولا غفلة، يكون توكله في جميع أموره عليه وحده سبحانه ويكون ربه هو ذخره وملجأه في كل حين، ويقطع تعلقه ورجاءه في المخاليق الضعاف الذين يموتون وينامون ويغفلون وينسون، ولا يملكون لأنفسهم ضراً ولا نفعًا فضلاً عن أن يملكوه لغيرهم. ومن العجب أن يتعلق مخلوق بمخلوق مثله يموت، ويفنى، وينام، وينسى؛ فمن ذا يعينه إذا نام أو نسي أو مات وتركه.

ومن أعظم ما يتوكل على الله ﷻ فيه طلب الهداية والثبات على الإيمان، وعدم الزيغ عنه، ولذلك كان النبي ﷺ يتوسل بحاله وفقره واستسلامه لربه ﷻ، ويتوسل بعزته سبحانه وباسمه (الحي) الذي لا يموت في حفظ إيمانه، والاستعاذة بهذا الاسم العظيم من الضلال والغواية. وذلك ما ورد في دعائه ﷺ أنه كان يقول: «**اللَّهم لكَ أسلمتُ وبك آمنتُ، وعليك توكلتُ، وإليك أنبت، وبك خَاصمت، اللَّهم إني أعوذُ بعزتك لا إله إلا أنت أن تُضِلَّني أنتَ الحيُّ الذي لا يموتُ، والجن والإنس يموتون**» [رواه مسلم].

ثالثـًا: الزهد في هذه الحياة الدنيا الفانية وعدم الاغترار بها: لأنه مهما أعطي العبد من العمر فلا بد من الموت، أما الحياة الدائمة التي يهبها (الحي القيوم) لعباده المؤمنين فهي في الدار الآخرة في جنات النعيم، وهذا الشعور يدفع المسلم إلى الاستعداد للآخرة والسعي لنيل مرضات الله ﷻ في الحياة السرمدية في جنات النعيم.

رابعـًا: اسمه سبحانه (الحي) يقتضي صفات كماله ﷻ كلها: فمن أنكر صفة كمال لله تعالى وعطلها، لم يؤمن بأنه (الحي).

والإيمان بصفات كماله سبحانه يقتضي آثار صفات كماله كلها، فتحصل من ذلك أن التعبد لله ﷻ باسمه (الحي) يوجب التعبد لله سبحانه بجميع صفاته وأسمائه الحسنى كلها وأن آثارها إنما هي آثار لاسمه سبحانه (الحي).

خامسـًا: التبرؤ من الحول والقوة، والافتقار التام لله ﷻ وإنزال جميع الحوائج بالله ﷻ، وإخلاص الاستعانة والاستغاثة والاعتصام بالله ﷻ، وقطع التعلق بالمخلوق الضعيف المربوب لله تعالى، المفتقر إلى ربه ﷻ

الفقر الذاتي التام. ولذا وردت الاستغاثة باسمه (الحي القيوم)، كما جاء في الحديث: «يا حي يا قيوم برحمتك أستغيث».

ومع ظهور آثار قيوميته سبحانه لكل شيء من المخلوقات جامدها، ومتحركها، فاجرها، وتقيها؛ إلا أن لآثار قيوميته سبحانه بأوليائه وبمن أحبه شأنًا آخر وطعمًا خاصًا يظهر في حفظه ولطفه ورعايته بعباده المتقين، وهذا يقتضي محبة الله ﷻ المحبة التامة، والركون إليه، والتعلق به وحده، والسكون إليه، والرضا بتدبيره.. وفي ذلك يقول ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: (هو سبحانه (القيوم) المقيمُ لكلِّ شيءٍ من المخلوقات – طائعِها وعاصيها – فكيف تكون قيوميته بمن أحبَّه وتولاه؛ وآثره على ما سواه، ورضي به من دون الناس حبيبًا، وربًّا، ووكيلاً، وناصراً، ومعينًا، وهاديًا؟).

سادسًا: لاسم (الحي القيوم) تأثير خاص في إجابة الدعوات، وكشف الكربات كما جاء في الحديث السابق، وكما جاء في السنن، وصحيح ابن حبان من حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (أن رجلاً دعا فقال: اللَّهم إني أسألك بان لك الحمد لا إله إلا أنت المنان بديع السماوات والأرض يا ذا الجلال والإكرام، يا حي يا قيوم). فقال النبي ﷺ: «لقد دعا باسمه الأعظم الذي إذا دعي به أجاب وإذا سئل به أعطى» [رواه النسائي].

سابعًا: الخوف منه سبحانه ومراقبته لأنه القائم على كل نفس، المتولي أمرها، الحافظ لأعمالها الذي لا يخفى عليه شيء من أمرها.

هذا وصلوا...

(٤٢) الخطبة الأولى [1]

الحمد لله، تنزه ربنا جل ثناؤه عن كل سوء، فهو السبوح القدوس له الأسماء الحسنى، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن نبينا محمداً عبده ورسوله المبعوث رحمة للعالمين، صلى الله وسلم وبارك عليه، وعلى آله وأصحابه والتابعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

فاتقوا الله – عباد الله – فإن التقوى نجاة وفوز وفلاح.

عباد الله:

من أسماء الله ﷻ اسم (السبوح).

ومعنى التسبيح: تنزيه الله جل ثناؤه من كل سوء، والتنزيه: التعبيد.

والسبُّحات: جلال الله جل ثناؤه وعظمته وأنواره، والسُّبحة : صلاة النافلة.

وتسبيح اسم الله: تسبيحه بأسمائه، وتنزيهه عن التسمية بغير ما سمى به نفسه.

ومعنى (السبوح) في الشرع: هو الذي تنزه عن كل شيء لا ينبغي له، فهو المنزه عن المصائب والصفات التي تعتري المحدثين من ناحية الحدوث.

ولم يرد اسم (السبوح) في كتاب الله، وإنما ثبت في السنة، وورد في القرآن

---

(١) اسم (السبوح، القدوس).

تسبيح الله تعالى بلفظ الفعل سبح لله، ويسبح لله، وجاء بلفظ: سبحان الله.

قال تعالى: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۖ﴾ [الحشر: ١، والصف: ١].

وقد ثبت هذا الاسم في حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أن النبي ﷺ كان يقول في ركوعه وسجود: «سبوح قدوس رب الملائكة والروح» [رواه مسلم].

وقد جمع عليه الصّلاة والسّلام في هذا الحديث بين التسبيح والتقديس كما جُمع بينهما في قوله تعالى في ذكر تسبيح الملائكة وتقديسهم لله: ﴿وَنَحۡنُ نُسَبِّحُ بِحَمۡدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَۖ﴾ [البقرة: ٣٠].

والسبوح: هو الذي يسبحه، ويقدسه، وينزهه كل من في السماوات والأرض، كما قال تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ [الجمعة: ١]، ويقول سبحانه: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبۡعُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ [الإسراء: ٤٤].

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ: (ومن أسمائه التي ليست في التسعة والتسعين: اسمه السبوح... وكذلك أسماؤه المضافة مثل: أرحم الراحمين، وخير الغافرين، ورب العالمين، ومالك يوم الدين، وأحسن الخالقين، وجامع الناس ليوم لاريب فيه، ومقلب القلوب، وغير ذلك مما ثبت في الكتاب والسنة، وثبت الدعاء بها بإجماع المسلمين).

عباد الله:

و(السُّبُّوح القُدُّوس) اسمان عظيمان دالَّان على تنزيه الله عن النقائص والعيوب، وتبرئته عن كل ما يضاد كماله وينافي عظمته، كالسِّنَة والنوم

واللّغوب، والوالد والولد وغيرها، وعن أن يشبهه أحد من خلقه، أو أن يشبه هو أحداً من خلقه، تعالى وتقدس وتنزه عن الشبيه والنظير والمثال ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

ومجموع ما ينزَّه عنه تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ شيئان:

أحدهما: أنه منزَّهٌ عن كلِّ ما ينافي صفات كماله، فإن له المنتهى في كل صفة كمال، فهو الموصوف بكمال العلم وكمال القدرة، منزه عما ينافي ذلك من النّسيان والغفلة، وأن يعزب عنه مثقال ذرة في السّموات والأرض، ولا أصغر من ذلك ولا أكبر، ومنزَّه عن العجز والتعب والإعياء واللّغوب، وموصوف بالعدل والغنى التام، منزه عن ضدها من الموت والسِّنَة والنوم، وموصوف بالعدل والغنى التام، منزه عن الظلم والحاجة إلى أحد بوجه من الوجوه، وموصوف بكمال الحكمة والرحمة، منزه عما يضادّ ذلك من العبث والسَّفَه، وأن يفعل أو يشرع ما ينافي الحكمة والرحمة، وهكذا جميع صفاته منزه عن كل ما ينافيها ويضادُّها.

الثاني: أنه منزَّهٌ عن مماثلة أحد من خلقه، أو أن يكون له ند بوجه من الوجوه، فالمخلوقات كلها وإن عظمت وشرفت وبلغت المنتهى الذي يليق بها من العظمة والكمال اللائق بها؛ فليس شيء منها يقارب أو يشابه الباري، بل جميع أوصافها تضمحل إذا نسبت إلى صفات باريها وخالقها، بل جميع ما فيها من المعاني والنعوت والكمال هو الذي أعطاها أياه، فهو الذي خلق فيها العقول والسمع والأبصار والقوى الظاهرة والباطنة، وهو الذي علمها وألهمها، وهو الذي نماها ظاهراً وباطناً وكملها. فهو المنزه عن كل ما ينافي صفات المجد والعظمة والكمال، وهو المنزه عن الضد والند والكفؤ والأمثال.

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (والأمر بتسبيحه يقتضي تنزيهه عن كل عيب وسوء، وإثبات المحامد التي يحمد عليها، فيقتضي ذلك تنزيهه وتحميده وتكبيره وتوحيده).

وقد تكرر لفظ التسبيح في القرآن مراراً، منها عند تفرد الله تعالى بخلق المخلوقات دون سواه، قال تعالى: ﴿سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلۡأَزۡوَٰجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلۡأَرۡضُ وَمِنۡ أَنفُسِهِمۡ وَمِمَّا لَا يَعۡلَمُونَ﴾ [يس: ٣٦].

وكذلك ورد التسبيح لبيان حكمة الله، ولنفي العبث واللهو في خلقه، قال تعالى: ﴿رَبَّنَا مَا خَلَقۡتَ هَٰذَا بَٰطِلٗا سُبۡحَٰنَكَ﴾ [آل عمران: ١٩١].

وفي موضع آخر جاء التسبيح ليؤكد قدرة الله تعالى وينفي عنه العجز، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦ وَٱلۡأَرۡضُ جَمِيعٗا قَبۡضَتُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطۡوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾ [الزمر: ٦٧].

وقد جعل الله تعالى تسبيحه في موطن إثبات وحدانيته سبحانه، ونفي افتراء المشركين أن لله زوجة أو ولد، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ سُبۡحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٞۘ﴾ [النساء: ١٧١].

وكذلك جيء بالتسبيح في إثبات عدل الله سبحانه، وصدق قوله ووعده، قال سبحانه: ﴿وَيَقُولُونَ سُبۡحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعۡدُ رَبِّنَا لَمَفۡعُولٗا﴾ [الإسراء: ١٠٨].

وورد التسبيح حين ذكر الله مظاهر قدرته في تبديل الليل والنهار وطلوع الشمس وغروبها، قال تعالى: ﴿فَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمۡسُونَ وَحِينَ تُصۡبِحُونَ﴾ [الروم: ١٧].

والتسبيح سبب لإزالة وهن النفس ورفع الهمة، وتحمل الصعاب، فقد أوصى الله تعالى نبيه أن يسبح الله تعالى بعد كل التكذيب الذي يناله من قومه، قال تعالى: ﴿فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا ۖ وَمِنْ ءَانَآيِٕ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ ٱلنَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ﴾ [طه: ١٣٠].

والتسبيح سبب لجلب النصر ومعونة الله تعالى إذا قرن بالاستغفار، قال تعالى موصياً نبيه -عليه الصلاة والسلام -: ﴿فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِبْكَـٰرِ﴾ [غافر: ٥٥].

والتسبيح مقرون بجلب معية الله تعالى وعزته، قال تعالى: ﴿وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ۖ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٤٨﴾ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَـٰرَ ٱلنُّجُومِ﴾ [الطور: ٤٨ -٤٩].

عباد الله:

من أسماء الله الحسنى وأسمائه كلها حسنى، اسم (القدوس).

والقدوس: المنزّه من كلّ شر ونقص وعيب، وكما قال أهل التفسير، وهو الطاهر من كلّ عيب، المنزّه عما لا يليق به، وهذا قول أهل اللغة. وأصل الكلمة من الطهارة والنزاهة.

وقد جاء ذكر اسمه سبحانه (القدوس) مرتين في القرآن الكريم؛ من ذلك قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَـٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الحشر: ٢٣].

وقوله تعالى: ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ٱلْمَلِكِ ٱلْقُدُّوسِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ﴾ [الجمعة: ١].

وجاء في السنة دعاؤه ﷺ به في ركوعه وسجوده في الصلاة؛ فعن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ كان يقول في ركوعه وسجوده: «سبوح قدوس رب الملائكة والروح» [رواه مسلم].

والقدوس في اللغة له معنيان:

الأول: أن (القدوس) فعول من القدس وهو الطهارة. والقدس بالتحريك: السطل بلغة أهل الحجاز، لأنه يتقدس منه أي: يتطهر منه. وجاء في لسان العرب: ولهذا قيل: بيت المقدس أي: البيت المطهر.

والمعنى الثاني: أن القدس: البركة، والأرض المقدسة أي: المباركة والقدوس: على وزن (فعُول) بالضم من أبنية المبالغة.

عباد الله:

أما معناه في حق الله ﷻ: فقد قال ابن جرير رحمه الله قوله تعالى: ﴿وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾ [البقرة: ٣٠]، أي: (ننزهك ونبرئك مما يضيفه إليك أهل الشرك بك، ونصلي لك، ونقدس لك، ننسبك إلى ما هو من صفاتك من الطهارة من الأدناس، وما أضاف إليك أهل الكفر بك).

وقال البيهقي رحمه الله: (هو (الطاهر) من العيوب المنزه عن الأولاد والأنداد. وهذه صفة يستحقها بذاته).

ويقول ابن القيم رحمه الله: (القدوس): المنزه من كل شر ونقص وعيب كما قال أهل التفسير: هو (الطاهر) من كل عيب المنزه عما لا يليق به).

ويقول السعدي رحمه الله: (ومن أسمائه (القدوس) (السلام) أي: المعظم المنزه عن صفات النقص كلها، وعن أن يماثله أحد من الخلق، فهو المتنزه

عن جميع العيوب، والمتنزه عن أن يقاربه أو يماثله أحد في شيء من الكمال: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١]، ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ [الإخلاص: ٤]، ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا﴾ [مريم: ٦٥]، ﴿فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا﴾ [البقرة: ٢٢]، فـ (القدوس) كـ (السلام) ينفيان كل نقص من جميع الوجوه، ويتضمنان الكمال المطلق من جميع الوجوه، لأن النقص إذا انتفى ثبت الكمال كله).

والله القدوس: هو المنزه عن الأضداد والأنداد والصاحبة والولد، الموصوف بالكمال، بل المنزه عن العيوب والنقائص كلها، كما أنه منزه عن أن يقاربه أو يماثله أحد في شيء من الكمال.

فإن القدوس مأخوذ من قدّس بمعنى: نزّهه وأبعده عن السوء مع الإجلال، والتعظيم، والسلام مأخوذ من السلامة. فهو سبحانه السلام من مماثلة أحد من خلقه، ومن النقص، ومن كل ما ينافي كماله.

فهو المقدس المعظم المنزه عن كل سوء، السالم من مماثلة أحد من خلقه ومن النقصان، ومن كل ما ينافي كماله. فهذا ضابط ما يُنَزّهُ عنه: يُنَزَّهُ عن كل نقص بوجه من الوجوه، ويُنَزَّهُ ويعظَّمُ أن يكون له مثيل، أو شبيه، أو كفؤ، أو سمي، أو نِدٌ، أو مُضَادٌّ، ويُنَزَّه عن نقص صفة من صفاته التي هي أكمل الصفات وأعظمها وأوسعها. ومن تمام تنزيهه عن ذلك إثبات صفات الكبرياء والعظمة له؛ فإنَّ التنزيه مُرَادٌ لغيره، ومقصودٌ به حفظ كماله عن الظنون السيئة. كظنّ الجاهلية الذين يظنون به ظنَّ السوء، ظناً غير ما يليق بجلاله، وإذا قال العبد مُثْنِياً على ربه: (سبحان الله)، أو (تقدّس الله)، أو (تعالى الله) ونحوها كان مُثْنِياً عليه بالسلامة من كل نقص وإثبات كل كمال.

ربنا ﷻ منزه عن الشريك، والأنداد، والصاحبة، والولد، فهو الله الواحد الأحد الفرد الصمد الذي لم يلد، ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد، وحده لا شريك له تعالى الله عما يقول الظالمون المشركون علواً كبيراً.

قال الله ﷻ: ﴿وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَـٰنُ وَلَدًا ۗ سُبْحَـٰنَهُۥ ۚ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٦]، وقال سبحانه: ﴿سُبْحَـٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٌ ۘ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [النساء: ١٧١]، وقال تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ ۖ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًۢا﴾ [الإسراء: ١١١].

وقال ﷻ: ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ ٱلْبَنَـٰتِ سُبْحَـٰنَهُۥ ۙ وَلَهُم مَّا يَشْتَهُونَ﴾ [النحل: ٥٧]، وقال تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿لَّآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَـٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [التوبة: ٣١].

ومن تقديس الله ﷻ كذلك التحاكم إلى شرعه سبحانه والحكم به، والرضى به، والتسليم له، إذ أن من رفض التحاكم إلى شرع الله ﷻ أو رأى المصلحة في غيره فإنه لم يقدس الله ﷻ ولم ينزهه عن النقص. ولذا نزه سبحانه نفسه عن شرك من أطاع المخلوقين في تحليل ما حرم الله ﷻ أو تحريم ما أحله.

قال تعالى: ﴿ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَـٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓا۟ إِلَـٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَـٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [التوبة: ٣١].

عباد الله:

التسبيح طاعة عظمية، وعبادة جليلة، حبيبة إلى الرحمن، ثقيلة في الميزان،

كما قال ﷺ: «كلمتان خفيفتان على اللّسان، ثقيلتان في الميزان، حبيبتان إلى الرحمن: سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم» [متفق عليه].

وهو صلاة جميع المخلوقات كما قال تعالى: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبۡعُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ [الإسراء: ٤٤]، وبه ترزق، كما صحّ عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، عن النبيّ ﷺ أنّ نوحاً عليه السلام قال لابنه عند موته: «آمرك بـ(لا إله إلاّ الله) فإنّ السموات السبع، والأرضين السَّبْع لو وُضعت في كفّة، ووضعت (لا إله إلا الله) في كِفّة رجحتْ بهنّ (لا إله إلا الله). ولو أنّ السموات والسبع، والأرضين السّبع كنَّ حَلْقةً مُبهمةً قصمتهنّ (لا إله إلّا الله)، و(سبحان الله وبحمده)؛ فإنها صلاةُ كلِّ شيء، وبها تُرزق الخلق» [رواه أحمد].

وفي الحديث قال ﷺ: «من قال سبحان الله وبحمده في يوم مائة مرة حطت خطاياه ولو كانت مثل زبد البحر» [رواه البخاري].

وقال ﷺ: «من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد، وهو على كل شيء قدير عشر مرات كان كمن اعتق أربعة أنفس من ولد إسماعيل» [رواه البخاري].

وقال ﷺ: «لأن أقول سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، أحب إلي مما طلعت عليه الشمس» [رواه مسلم].

وجاء في الحديث الآخر قوله ﷺ: «من قال: سبحان الله العظيم وبحمده، غرست له نخلة في الجنة» [رواه الترمذي].

وقد جاء في فضل التسبيح مع الحمد وتكرار ذلك، أن رسول الله ﷺ صلى الصبح يومًا، ثم جلست جويرية رضي الله عنها، تذكر الله تعالى في مصلاها حتى طلعت الشمس، فلما رآها رسول الله ﷺ على نفس الهيئة قال لها: «**لقد قلت بعدك أربع كلمات، ثلاث مرات، لو وزنت بما قلت منذ اليوم لوزنتهن: سبحان الله وبحمده، عدد خلقه ورضا نفسه، وزنة عرشه، ومداد كلماته**» [رواه مسلم].

والتسبيح عند القيام من المجلس من أسباب تكفير الذنوب جاء في الحديث عنه ﷺ أنه قال: «**سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك**» [رواه أبو داود].

جعلنا الله من المسبِّحين بحمده، المؤمنين بأسمائه وصفاته، المحققين لتوحيده وتعظيمه، إنه سميع مجيب.

هذا وصلوا...

الخـــطـــبـــة الثـــانيـــة

الحمد لله، سبح لـه مـا في السـموات ومـا في الأرض وهـو العزيـز الحكـيم، وأشهد أن لا إله إلا الله، عز عن الشبيه والند والنظير، وأشـهد أن نبينـا محمـداً عبـده ورسـوله المصـطفى الأمـين، صـلى الله وسـلم وبـارك عليـه، وعلـى آلـه وصحبه أجمعين، والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

عباد الله:

ومن آثار الإيمان باسمه سبحانه (القدوس):

محبته سبحانه وتعظيمه وإجلاله، لأنه سبحانه المتصـف بصـفات الكمـال والجلال، والمنزه عن النقائص والعيوب؛ ومن كان هذا وصـفه فإن النفـوس مجبولة على حبه وتعظيمه، وهذه المحبة تـورث حـلاوة في القلـب، ونـوراً في الصدر، وهذا النعيم الدنيوي الحقيقي الذي يصغر بجانبه كل نعيم.

وكذلك تنزيهه سبحانه في أقواله وأفعالـه وأسـمائه وصـفاته عـن كـل نقـص وعيب، والتعبد له سبحانه بذلك.

وإثبات ما أثبته الله سبحانه لنفسه أو أثبته له رسـوله ﷺ مـن الأسـماء الحسـنى والصفات العلا، وتنزيهه سُبْحَانَهُوَتَعَالَى عن مشابهة أحد من خلقه في ذلك.

قال الله تعالى: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]، وليس من التنزيه والتعظيم والتقديس لله تعالى أن تنفي عن الله تعالى ما أثبته لنفسه من الصفات والأفعال.

ومن آثار الإيمان باسمه (القدوس) البعد عن ظن السوء برب العالمين، لأن ظن السوء بالله تعالى يقدح في تنزيهه سبحانه والذي هو موجب اسمه (القدوس)، وقد فضح الله سبحانه أقوامًا من الكفار والمنافقين، بقوله ﷻ: ﴿يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيۡرَ ٱلۡحَقِّ ظَنَّ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِۖ﴾ [آل عمران: ١٥٤]، وقال عنهم أيضًا: ﴿وَيُعَذِّبَ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلۡمُشۡرِكِينَ وَٱلۡمُشۡرِكَٰتِ ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوۡءِۚ﴾ [الفتح: ٦].

فكل ظن لا يليق بحمده وحكمته ورحمته وعلمه فهو سوء ظن بالله تعالى، وبالتالي فهو قدح في موجب اسمه سبحانه (القدوس).

فمن ظنَّ بأنه لا ينصرُ رسولهُ، ولا يُتِمُّ أمرَه، ولا يؤيِّده، ويؤيدُ حزبه، ويُعليهم، ويُظفرهم بأعدائه، ويُظهرهم عليهم، وأنه لا ينصرُ دينه وكتابه، وأنه يُديل الشركَ على التوحيدِ، والباطلَ على الحقِّ إدالة مستقرة يضمحِلُّ معها التوحيد والحق اضمحلالاً لايقوم بعده أبداً، فقد ظنَّ بالله ظن السَّوْءِ، ونسبه إلى خلاف ما يليقُ بكماله وجلاله.

هذا وصلوا...

(٤٣) الخطبة الأولى [(١)]

الحمد لله ﴿ٱلسَّلَٰمُ ٱلۡمُؤۡمِنُ ٱلۡمُهَيۡمِنُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡجَبَّارُ ٱلۡمُتَكَبِّرُۚ سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾ [الحشر: ٢٣]، وأشهد أن لا إله إلا الله، إله الأولين والآخرين، ورب الخلق أجمعين، وأشهد أن نبينا محمداً عبده ورسوله، وصفيه وخليله، صلى الله وسلم وبارك عليه، وعلى آله وأصحابه والتابعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

فاتقوا الله ﷻ وراقبوه، وأطيعوا أمره ولا تعصوه.

عباد الله:

من أسماء الله ﷻ اسم (السلام)، وقد ورد اسمه سبحانه (السلام) في القرآن مرة واحدة وذلك في قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلۡمُؤۡمِنُ ٱلۡمُهَيۡمِنُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡجَبَّارُ ٱلۡمُتَكَبِّرُۚ سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾ [الحشر: ٢٣].

وورد كذلك في السنة النبوية، وذلك في الدعاء المأثور بعد كل صلاة: «**اللَّهم أنت السلام ومنك السلام، تباركت ياذا الجلال والإكرام**» [رواه مسلم].

---

(١) اسم (السلام).

وكذلك في قوله ﷺ: «**إن الله هو السلام**» [رواه البخاري].

والسلام والسلامة في اللغة: البراءة، وتسلم منه: تبرأ.

قال ابن العربي رَحِمَهُ اللَّهُ: (السلامة العافية).

وقوله تعالى: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمًا﴾ [الفرقان: ٦٣]، ومعناه: تسلماً وبراءة.

والسلام في الأصل: السلامة فقال: سلم يسلم سلاماً وسلامة. ومنه قيل للجنة: دار السلام؛ لأنها دار السلامة من الآفات؛ وقوله ﷻ: ﴿فَأْتِيَاهُ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ ۖ قَدْ جِئْنَٰكَ بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكَ ۖ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىٰ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلْهُدَىٰٓ﴾ [طه: ٤٧]، معناه: أن من اتبع هدى الله سلم من عذابه وسخطه.

أما معناه في حق الله تعالى:

فيقول ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: (السلام): أي من جميع العيوب والنقائص لكماله في ذاته وصفاته وأفعاله.

ومن دلائل هذا الاسم: أنّه تَبَارَكَ وَتَعَالَى ذو السلام، أي: المسلِّم على عباده، فهو المسلِّم على رسله وأنبيائه عليهم الصلاة والسلام لإيمانهم وكمال عبوديتهم وقيامهم بالبلاغ المبين: ﴿قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ ۗ ءَآللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [النمل: ٥٩].

وهو سبحانه المُسلِّم على عباده وأوليائه في جنات النعيم ﴿تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ سَلَٰمٌ ۚ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا﴾ [الأحزاب: ٤٤]، وجعل تعالى جنته دار السلام لعباده الصالحين، وهي أحق بهذا الاسم، فإنها دار السلامة من كل

بلية وآفة ومكروه: سلامة من الموت والأسقام، والأحزان والآلام والهموم، وغيـر ذلـك مـن الآفـات ﴿لَهُمۡ دَارُ ٱلسَّلَٰمِ عِندَ رَبِّهِمۡۖ وَهُوَ وَلِيُّهُم بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ [الأنعام: ١٢٧].

وقول السلام عليكم معناه: إن الله مطلع عليكم فلا تغفلوا، وقيل: معناه اسم السلام عليكم؛ إذ كان اسم الله تعالى يذكر على الأعمال توقعاً لاجتماع معاني الخيرات فيه، وانتفاء عوارض الفساد عنه، فهو دعاء للإنسان أن يسلم من الآفات في دينه ونفسه.

والسلام في الأصل السلامة، ومنه أن الجنة دار السلام؛ لأن الصائر إليها يسلم من الموت والأوصاب والأحزان، ويقال: أسلم: أي استسلم لأمر الله وانقاد له، وأخلَصَ العبادة له، من قولهم: سلَّم الشيء لفلان أي خلص له.

والمعنى في الشرع:

الله هو (السلام) حيث إن ذاته خلصت بانفراد الوحدانية من كل شيء، وبانت عن كل شيء، وأخلصت به القلوب إلى توحيد الله ﷻ وسلمت.

(والسلام) هو السالم من جميع العيوب بكماله في ذاته وصفاته وأفعاله، فهو السلام؛ لسلامته مما يلحق المخلوقين من العيب والنقص. والفناء، وهو الباقي الدائم الذي يفني الخلق ولا يفنى، وهو على كل شيء قدير، وهو الذي سلّم من عذابه من لا يستحقه، وسلم خلقه من ظلمه.

و(السلام): أي السالم من كل النقائص والعيوب، المسلّم لغيره؛ فالعباد فقراء محتاجون إليه، يسألونه السلامة من الشرور.

ومن دلائل هذا الاسم: أنّه تَبَارَكَ وَتَعَالَى ذو السلام، أي: المسلِّم على عباده، فهو المسلِّم على رسله وأنبيائه عليهم الصلاة والسلام لإيمانهم وكمال عبوديتهم وقيامهم بالبلاغ المبين ﴿قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَـٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ﴾ [النمل: ٥٩].

وقال البيهقي: (السلام): هو الذي سلم من كل عيب، وبرئ من كل آفة، وهذه صفة يستحقها بذاته.

وقيل: (هو الذي سلم المؤمنون من عقوبته).

ويقول ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ عن معنى اسمه سبحانه (السلام): (وأما السلام الذي هو اسم من أسماء الله ففيه قولان:

أحدهما: أنه كذلك اسم مصدر، وإطلاقه عليه كإطلاق العدل عليه. والمعنى: أنه ذو السلام، وذو العدل على حذف المضاف.

والثاني: أن المصدر بمعنى الفاعل هنا؛ أي: السالم. كما سميت ليلة القدر سلامًا أي: سالمة من كل شر، بل هي خير لا شر فيها).

وهو سبحانه السلام من الصاحبة والولد، والسلام من الكفء والنظير، والسَّمِيِّ والمماثل، والسلام من الشرك، وإذا أنت نظرت إلى أفراد صفات كماله وجدت صفة سلامًا مما يضاد كمالَها، فحياته سلام من الموت، ومن السِّنَةِ والنوم، وكذلك قيوميته وقدرته سلام من التعب واللغوب، وعلمه سلام من عزوب شيء عنه، أو عروض نسيان أو حاجة إلى تذكر وتفكر، وإرادته سلام من خروجها عن الحكمة والمصلحة.

وكلماته سلام من الكذب والظلم، فكلماته تمت صدقًا وعدلاً، وغناه سلام من الحاجة إلى غيره بوجه، وكل ما سواه محتاج إليه، وهو غني عن كل ما سواه، ومُلكه سلام من منازع فيه، أو مشارك، أو معاون، أو شافع عنده بدون إذنه.

وإلهيته سلام من مشارك له فيها، بل هو الذي لا إله إلا هو، وحلمه وعفوه وصفحه ومغفرته وتجاوزه سلام من أن تكون عن حاجة منه أو ذل، كما يكون من غيره، بل هو محض جوده، وإحسانه وكرمه.

وكذلك عذاب الله وانتقامه وشدة بطشه، وسرعة عقابه سلام من أن يكون ظلمًا أو تشفيًا أو غلظة أو قسوة، بل هو محض حكمته وعدله ووضعه الأشياء في مواضعها، وهو مما يستحق عليه الحمد والثناء، كما يستحقه على إحسانه وثوابه ونعمه، بل لو وضع الثواب موضع العقوبة لكان مناقضًا لحكمته وعزته، فوضعه العقوبة موضعها هو من عدله، وحكمته، وعزته، فهو سلام مما يتوهم أعداؤه والجاهلون به، وقضاؤه وقدره سلام من العبث والجور والظلم، وشرعه ودينه سلام من التناقض والاختلاف والاضطراب، وعطاؤه سلام من كونه معاوضة أو لحاجة إلى المعين، ومنعه سلام من البخل وخوف الإملاق، بل عطاؤه إحسان محض لا لمعاوضة ولا لحاجة، ومنعه عدل محض وحكمة.

عباد الله:

و(السلام) اسم يتناول جميع صفات الله تعالى، فكل صفةٍ من صفاته جَلَّوَعَلَا سلام من كل عيب ونقص، وفي تفصيل هذا وتقريره يقول ابن القيم

رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (ولذلك إذا نظرت إلى أفراد صفات كماله وجدت كل صفةٍ سلاماً مما يضاد كمالها، فحياته سلام من الموت ومن السِّنَة والنوم، وكذلك قيوميَّه وقدرته سلام من التعب واللغوب، وعلمه سلام من عزوب شيء عنه، أو عروض نسيان أو حاجة إلى تذكر وتفكر، وإرادته سلامٌ من خروجها عن الحكمة والمصلحة، وكلماته سلام من الكذب والظلم، بل تمت كلماته صدقا وعدلا، وغناه سلام من الحاجة إلى غيره بوجه ما، بل كل ما سواه محتاج إليه، وهو غنيّ عن كل ما سواه، وملكه سلام من منازع فيه أو مشارك أو معاونٍ مظاهر أو شافع عنده بدون إذنه، وإلهيته سلام من مشارك له فيها، بل هو الله الذي لا إله إلاّ هو.

وحلمه وعفوه وصفحه ومغفرته وتجاوزه سلام من أن تكون عن حاجة منه أو ذلٍّ أو مصانعةٍ كما يكون من غيره، بل هو محض جوده وإحسانه وكرمه، وكذلك عذابه وانتقامه وشدة بطشه وسرعة عقابه سلام من أن يكون ظلما أو تشفيّاً أو غلظة أو قسوة، بل هو محض حكمته وعدله ووضعه الأشياء مواضعها، وهو مما يستحق عليه الحمد والثناء كما يستحقه على إحسانه وثوابه ونعمه، بل لو وضع الثواب موضع العقوبة لكان مناقضاً لحكمته ولعزته، فوضعه العقوبة موضعها هو من حمده وحكمته وعزته، فهو سلام مما يتوهم أعداءه والجاهلون به من خلاف حكمته.

وقضاؤه وقدره سلامٌ من العَبث والجَوْر والظلم ومِنْ تَوَهُّمِ وُقوعِه على خلاف الحكمة البالغة، وشرعه ودينُه سلام من التناقض والاختلاف والاضطراب وخلاف مصلحة العباد ورحمتهم والإحسان إليهم وخلاف حكمته، بل شرعه كله حكمة ورحمة ومصلحة وعدل.

واستواؤُه وعلوُه على عرشه سلام من أن يكون محتاجا إلى ما يحمله أو يستوي عليه، بل العرش محتاج إليه، وحملته محتاجون إليه، فهو الغني عن العرش وعن حملته وعن كل ما سواه، فهو استواءٌ وعلوٌّ لا يشوبه حصرٌ ولا حاجةٌ إلى عرش ولا غيره ولا إحاطة شيء به سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، بل كان سبحانه ولا عرش ولم يكن به حاجة إليه وهو الغني الحميد، بل استواؤه على عرشه واستيلاؤه على خلقه من موجبات ملكه وقهره من غير حاجة إلى عرش ولا غيره بوجه ما.

ونزوله كل ليلة إلى سماء الدّنيا سلامٌ مما يضادُّ علوَّه، وسلام مما يضادّ غناه وكماله، وسلام من كل ما يتوهّم معطل ومشبه، وسلام أن يصير تحت شيءٍ أو محصوراً في شيء تعالى الله ربنا عن كل ما يضاد كماله وغناه.

وسمعه وبصره سلام من كل ما يتخيله مشبه أو يتقوَّله معطل، وموالاته لأوليائه سلام من أن تكون عن ذل كما يوالي المخلوقُ المخلوقَ، بل هي موالاة رحمة وخير وإحسان وبر، كما قال: ﴿وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ ۖ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًۢا﴾ [الإسراء: ١١١]، فلم ينفِ أن يكون له وليٌّ مطلقًا، بل نفى أن يكون له وليٌّ من الذل.

وكذلك محبته لمحبِّيه وأوليائه سلامٌ من عوارض محبة المخلوق للمخلوق من كونها محبةَ حاجةٍ إليه أو تملق له أو انتفاع بقربه، وسلام مما يتقوَّله المعطلون فيها، وكذلك ما أضافه إلى نفسه من اليد والوجه فإن سلام عما يتخيَّله مشبِّه أو يتقوَّله معطّل.

ومن دلائل هذا الاسم أنه تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ ذو السلام، أي: المسلِّم على عباده، فهو المسلِّم على رسله وأنبيائه عليهم صلاة الله وسلامه؛ لإيمانهم وكمال عبوديتهم وقيامهم بالبلاغ المبين، قال تعالى: ﴿قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ ۗ ءَآللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [النمل: ٥٩]، وقال تعالى: ﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰ نُوحٍ فِى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الصافات: ٧٩]، وقال تعالى: ﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ﴾ [الصافات: ١٠٩]، وقال تعالى: ﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ﴾ [الصافات: ١٢٠]، وقال تعالى: ﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِلْ يَاسِينَ﴾ [الصافات: ١٣٠].

بارك الله لي ولكم...

الخطبة الثانية

الحمد لله حمداً حمدا، والشكر لـه شكراً شكرا، وأشهد أن لا إلـه إلا الله وحده لا شريك له في أسمائه وصفاته، وأشهد أن نبينا محمداً عبده ورسوله وصفيه وخليله، أرسله الله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون، صلى الله وسلم وبارك عليه، وعلى آله وصحبه أجمعين، والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

فإن في معنى اسمه سبحانه (السلام) معنيين عظيمين لهذا الاسم الكريم:

الأول: السلامة والبراءة من كل عيب ونقص في ذاته سبحانه، أو أفعاله أو أسمائه وصفاته.

الثاني: أنه سبحانه مصدر السلام والأمن، وكل من ابتغى السلامة عند غيره سبحانه فلن يجدها، وهذا معنى قوله ﷺ: «**اللَّهم أنت السلام ومنك السلام**». ولذلك سميت الجنة دار السلام؛ لأن من دخلها سلم من الآفات والشرور والمنغصات والأكدار، قال تعالى: ﴿ٱدۡخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ءَامِنِينَ﴾ [الحجر: ٤٦]، ومن ذلك تحية الإسلام التي حث الإسلام على إفشائها وذلك في قوله ﷺ: «**لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا، أولا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم؟أفشوا السلام بينكم**» [رواه مسلم]، وفي إفشائه إشاعة للأمن والود والسلام بين الناس، ومن ذلك سلامه ﷻ على أنبيائه

المرسلين وذلك في قوله تعالى: ﴿سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الصافات: ١٨٠ - ١٨٢]، وقوله ﷻ: ﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰ نُوحٍ فِي ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الصافات: ٧٩]، ﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ﴾ [الصافات: ١٠٩]، وسلامه سبحانه على عباده الصالحين كما في قوله تعالى: ﴿قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ﴾ [النمل: ٥٩].

ومن ذلك سلامه على نبيه يحيى عليه السلام في قوله تعالى: ﴿وَسَلَٰمٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا﴾ [مريم: ١٥]،ومثل ذلك قيل عن عيسى عليه السلام.

قال سفيان بن عيينة: (أوحش ما تكون الخلق في ثلاثة مواطن: يوم يولد فيرى نفسه خارجاً مما كان، ويوم يموت فيرى قوماً لم يكن عاينهم، ويوم يبعث فيرى نفسه في محشر عظيم. فأكرم الله فيها يحيى فخصه بالسلام فقال: ﴿وَسَلَٰمٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا﴾ كأنه أشار إلى أن الله ﷻ سلم يحيى من شر هذه المواطن الثلاثة وأمه من خوفها).

عباد الله:

من آثار الإيمان باسمه سبحانه (السلام): الاعتقاد واليقين بأن من أراد الأمن والسلام سواء في نفسه، أو في بيته، أو في مجتمعه فإنه لا يكون إلا في الإيمان بالله ﷻ والأنس به، والالتزام بأحكامه وشريعته التي كلها أمن وسلام على الفرد والأسرة والمجتمع، وكلما كان المسلمون أكثر التزاماً بشريعة الله ﷻ كانوا أكثر تحصيلاً للسلام والعكس بالعكس. وهذا من واجبات اسمه سبحانه (السلام).

وكذلك سعي المؤمن في إشاعة السلام بين المسلمين بإفشاء السلام، وكف الشر، والسب، والقذف، والعدوان عليهم، قال ﷺ: «**المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده**» [رواه البخاري ومسلم]، مع السعي لنشر الإسلام الذي هو دين السلام في الأرض بالدعوة والجهاد في سبيل الله تعالى.

هذا وصلوا...

❁ ❁ ❁

(٤٤) الخطبة الأولى[1]

الحمد لله الشافي، يشفي قلوب عباده من علل القلوب، ويشفي أبدانهم من الأمراض والأسقام والخطوب، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن نبينا محمداً عبده ورسوله، صلى الله وسلم وبارك عليه، وعلى آله وأصحابه والتابعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

فاتقوا الله، فإن التقوى خير الزاد ﴿وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ﴾ [البقرة: ١٩٧].

عباد الله:

جاء في مسند الإمام أحمد والترمذي من حديث محمود بن لبيد يرفعه: **«إن الله إذا أحب قوماً ابتلاهم، فمن رضي فله الرضى، ومن سخط فله السخط»**.

ومن أركان الإيمان؛ الإيمان بالقدر خيره وشره، قال تعالى: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ﴾ [الحديد: ٢٢].

وأمر المؤمن كله له خير كما جاء في الحديث قوله ﷺ: **«عجباً لأمر**

---

(١) اسم (الشافي).

المؤمن، إن أمره كله لـه خير، ولـيس ذاك لأحد إلا للمؤمن إن أصابته سراء شكر، فكان خيراً له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له» [رواه مسلم].

والله ﷻ يبتلى من شاء من عباده بأمور الدنيا العارضة من أمراض وأسقام وهموم وغموم ونقص في الأحوال. وذلك لحكم عظيمة منها تحقيق العبودية لله رب العالمين، والدعاء والتضرع، واللجوء إلى الله تعالى، وكذلك تكفير الذنوب ورفعة الدرجات وحصول الأجر.

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: (فلولا أنه سبحانه يداوي عباده بأدوية المحن والابتلاء لطغوا وبغوا وعتوا، والله سبحانه إذا أراد بعبد خيراً سقاه دواء من الابتلاء والامتحان على قدر حاله، يستفرغ به من الأدواء المهلكة حتى إذا هذبه ونقاه وصفاه، أهله لأشرف مراتب الدنيا، وهي عبوديته، وأرفع ثواب الآخرة وهي رؤيته وقربه).

والله ﷻ هو الشافي، ومن أسماء الله تعالى اسم (الشافي).

ولم يرد ذكر هذا الاسم الكريم في القرآن الكريم إلا أن اسمه سبحانه (الشافي) قد ورد في القرآن بصيغة الفعل كما في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾ [الشعراء: ٨٠].

أما في السنة فقد ورد ذكر اسمه سبحانه (الشافي) وذلك في حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أن رسول الله ﷺ كان إذا أتى مريضاً أو أتي به إليه، قال عليه الصلاة والسلام: **«أذهب البأس رب الناس أشف وأنت الشافي لا شفاء، إلا شفاؤك شفاء لا يغادر سقما»** [رواه البخاري].

ولما كان الشفاء هو رفع ما يؤذي أو يؤلم، ولا يقدر على ذلك إلا الله سبحانه، فهو الشافي الذي يشفي من يشاء، ويطوي علم الشفاء عن الأطباء إذا لم يرد الشفاء، وهو الشافي من الأمراض والعلل والشكوك، فشفاؤه نوعان:

أولهما: الشفاء المعنوي الروحي: وهو الشفاء من علل القلوب، وكلامه القرآن شفاء لما في الصدور من أمراض الشبه والشكوك والشهوات، وإزالة ما فيها من رجس ودنس، والقرآن هدى ورحمة للمؤمنين.

قال الله ﷻ عن أثر القرآن في شفاء القلوب وهدايتها: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۙ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾ [الإسراء: ٨٢].

وثانيهما: الشفاء المادي: وهو الشفاء من علل الأبدان؛ فإن سبحانه ما أنزل داء إلا أنزل له دواءً، وقد تضمّن القرآن شفاء الأبدان من آلامها وأسقامها، وكلام الله سبحانه هو الشفاء التام والعصمة النافعة والرحمة العامة.

والله ﷻ هو الشافي الحقيقي لأمراض الأبدان والقلوب لا شفاء إلا شفاءه، لا يكشف الضر إلا هو سبحانه، ولا يأتي بالخير إلا هو كما في قوله تعالى: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ ۚ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [يونس: ١٠٧]، وما سوى الله ﷻ فإنما هي أسباب إن شاء الله ﷻ نفع بها وإن شاء أبطلها.

عباد الله:

الشفاء في اللغة، هو البرء من المرض. يقال: شفاه الله يشفيه، واشتفى افتعل منه، فنقله من شفاء الأجسام إلى شفاء القلوب والنفوس.

والله ﷻ هو الشافي، فعن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ كان يعوِّذ بعض أهله

يمسح بيده اليمنى ويقول: «**اللهم ربّ الناس، أذهب البأس، اشف أنت الشافي، لا شفاء إلا شفاؤك، شفاء لا يغادر سقمًا**» [رواه البخاري].

وقال أنس رضي الله عنه لثابت البناني حينما اشتكى إليه: ألا أرقيك برقية رسول الله ﷺ؟ قال: بلى. قال: «**اللهم ربّ الناس، مُذْهِب البأس، اشف أنت الشافي، لا شافي إلا أنت، شفاء لا يُغادِرُ سَقمًا**» [رواه البخاري].

وشفاء القلوب والأرواح. قال الله ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [يونس: ٢٧].

والموعظة: هي ما جاء في القرآن الكريم من الزواجر عن الفواحش، والإنذار عن الأعمال الموجبة لسخط الله ﷻ المقتضية لعقابه، والموعظة هي الأمر والنهي بأسلوب الترغيب والترهيب، وفي القرآن الكريم شفاءٌ لما في الصدور من أمراض الشُّبَهِ، والشكوك، والشهوات، وإزالة ما فيها من رجسٍ ودنسٍ. فالقرآن الكريم فيه الترغيب والترهيب، والوعد، والوعيد، وهذا يوجب للعبد الرغبة والرهبة، وإذا وجدت فيه الرغبة في الخير، والرهبة عن الشرّ، ونمتا على تكرر ما يرد إليها من معاني القرآن، أوجب ذلك تقديم مراد الله على مراد النفس، وصار ما يُرْضِي الله أحبّ إلى العبد من شهوة نفسه.

وكذلك ما فيه من البراهين والأدلة التي صرّفها الله غاية التصريف، وبينها أحسن بيان مما يزيل الشُّبَهَ القادحة في الحق، ويصل به القلب على أعلى درجات اليقين. وإذا صلاح القلب من مرضه تبعته الجوارح كلها، فإنها تصلح بصلاحه، وتفسد بفساده.

والقرآن هدى ورحمة للمؤمنين. وإنما هذه الهداية والرحمة للمؤمنين المصدقين كما قال تعالى: ﴿قُلۡ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ هُدٗى وَشِفَآءٞۚ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ فِيٓ ءَاذَانِهِمۡ وَقۡرٞ وَهُوَ عَلَيۡهِمۡ عَمًىۚ أُوْلَٰٓئِكَ يُنَادَوۡنَ مِن مَّكَانِۭ بَعِيدٖ﴾ [الإسراء: ٨٢]، فالهدى هو العلم بالحقّ، والعمل به، والرحمة ما يحصل من الخير والإحسان، والثواب العاجل والآجل، لمن اهتدى بهذا القرآن العظيم.

فالهدى أجلُّ الوسائل، والرحمة أكمل المقاصد والرغائب، ولكن لا يهتدى به، ولا يكون رحمة إلا حقّ المؤمنين، وإذا حصل الهدى، وحصلت الرحمة الناشئة عن الهدى حصلت السعادة، والربح والنجاح، والفرح والسرور؛ ولذلك أمر الله بالفرح بذلك فقال: ﴿قُلۡ بِفَضۡلِ ٱللَّهِ وَبِرَحۡمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلۡيَفۡرَحُواْ هُوَ خَيۡرٞ مِّمَّا يَجۡمَعُونَ﴾ [يونس: ٥٨].

والقرآن مشتملٌ على الشفاء والرحمة، وليس ذلك لكل أحد، وإنما ذلك كله للمؤمنين به، المصدقين بآياته، العاملين به.

أما الظالمون بعدم التصديق به، أو عدم العمل به، فلا تزيدهم آياته إلا خساراً، إذ به تقوم عليهم الحجة.

والشفاء الذي تضمنه شفاء القلوب.. وشفاء الأبدان من آلامها وأسقامها.

فالله ﷻ يهدي المؤمنين: ﴿قُلۡ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ هُدٗى وَشِفَآءٞ﴾ يهديهم لطريق الرشد، والصراط المستقيم، ويعلمهم من العلوم النافعة ما به تحصل الهداية التامة.

ويشفيهم الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بهذا القرآن من الأسقام البدنية، والأسقام القلبية؛ لأن هذا القرآن يزجر عن مساوئ الأخلاق وأقبح الأعمال، ويحث على التوبة النصوح التي تغسل الذنوب، وتشفي القلوب.

وأما الذين لا يؤمنون بالقرآن ففي آذانهم صَمَمٌ عن استماعه، وإعراض، وهو عليهم عمىً، فلا يبصرون به رشداً ولا يهتدون به، ولا يزيدهم إلا ضلالاً.

عباد الله:

والله ﷻ يشفي صدور المؤمنين بنصرهم على أعدائهم وأعدائه، قال سبحانه: ﴿قَٰتِلُوهُمۡ يُعَذِّبۡهُمُ ٱللَّهُ بِأَيۡدِيكُمۡ وَيُخۡزِهِمۡ وَيَنصُرۡكُمۡ عَلَيۡهِمۡ وَيَشۡفِ صُدُورَ قَوۡمٖ مُّؤۡمِنِينَ ﴿١٤﴾ وَيُذۡهِبۡ غَيۡظَ قُلُوبِهِمۡۗ وَيَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ١٤ - ١٥].

فإن في قلوب المؤمنين الحنق والغيظ عليهم، فيكون قتالهم وقتلهم شفاء لما في قلوب المؤمنين من الغمِّ، والهمِّ؛ إذ يرون هؤلاء الأعداء محاربين لله ولرسوله، ساعين في إطفاء نور الله، فيزيل الله ما في قلوبهم من ذلك، وهذا يدل على محبة الله للمؤمنين، واعتنائه بأحوالهم.

والقرآن كما أنه شفاء للأرواح والقلوب فهو شفاء لعلل الأرواح والأبدان.

فعن أبي سعيد الخدري ﵁ أنّ ناساً من أصحاب النبي ﷺ أتوا على حي من أحياء العرب، فلم يُقْرُوهم، فبينما هم كذلك إذ لُدِغ سيد أولئك، فقالوا: هل معكم من دواء أو راقٍ؟ فقالوا إنكم لم تُقْرونا ولا نفعل حتى تجعلوا لنا جُعْلاً، فجعلوا لهم قطيعاً من الشاء فجعل يقرأُ بأم القرآن، ويجمع بزاقه ويتفل، فبرأ، فأتوا بالشاء فقالوا: لا نأخذ حتى نسأل النبي ﷺ فسألوه، فضحك وقال: «**وما أدراك أنها رقية، خذوها واضربوا لي بسهم**» [رواه البخاري].

وقد كان النبي ﷺ يرشد الأمة إلى طلب الشفاء من الله الشافي الذي لا شفاء إلا شفاؤه، ومن ذلك ما رواه مسلم وغيره عن عثمان بن العاص أنه

اشتكى إلى رسول الله ﷺ وجعًا يجده في جسده منذ أسلم، فقال له رسول الله ﷺ: «**ضع يدك على الذي تألم من جسدك وقل: بسم الله ثلاثًا، وقل سبع مرات: أعوذ بالله وقدرته من شر ما أجد وأحاذِر**» [رواه مسلم].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال: «**من عاد مريضًا لم يحضر أجله فقال سبع مرات: أسأل الله العظيم، رب العرش العظيم، أن يشفيك، إلاّ عافاه الله من ذلك المرض**» [رواه أبو داود].

وقد كان النبي ﷺ يرقي بضع أصحابه، ويطلب الشفاء من الله الشافي: «**بسم الله تربة أرضنا، بريقة بعضنا، يُشفى سقيمنا بإذن ربنا**» [رواه البخاري].

وقد أوضح ﷺ أن الله هو الذي ينزل الدواء وهو الشافي، فقال ﷺ: «**ما أنزل الله من داء إلا أنزل له شفاءً**» [رواه البخاري].

وعن جابر رضي الله عنه، عن النبي ﷺ أنه قال: «**لكل داء دواءٌ، فإذا أصيب دواءُ الداءِ بَرأَ بإذن الله عز وجل**» [رواه مسلم].

وقال ﷺ: «**إن الله أنزل الداء والدواء، وجعل لكل داء دواءً، فتداووا، ولا تداووا بحرام**» [رواه ابو داود].

وجاءت الأعراب فقالت: يا رسول الله ألا نتداوى؟ فقال ﷺ: «**نعم يا عباد الله تداووا، فإن الله لم يضع داءً إلا وضع له شفاءً أو دواءً، إلا داءً واحداً**» فقالوا يا رسول الله ما هو؟ قال: «**الهرم**» [رواه أبو داود].

فتضمَّنت هذه الأحاديث إثبات الأسباب والمسببات، والأمر بالتداوي، وأنه لا ينافي التوكل على الله عز وجل؛ لأن حقيقة التوكل على الله اعتمادُ القلب على الله في حصول ما ينفع العبد في دينه ودنياه، ودفع ما يضره في دينه ودنياه،

ولابد مع هذا الاعتماد من مباشرة الأسباب النافعة، فكما أن دفع الجوع والعطش بالأكل والشرب لا ينافي الإيمان بقوله: ﴿وَٱلَّذِى هُوَ يُطۡعِمُنِى وَيَسۡقِينِ﴾ [الشعراء: ٧٩]، فكذلك دفع المرض بالعلاج النافع والدواء المفيد لا ينافي الإيمان بقوله: ﴿وَإِذَا مَرِضۡتُ فَهُوَ يَشۡفِينِ﴾ [الشعراء: ٨٠]، بل لا تتم حقيقة التوكل إلا بمباشرة الأسباب التي نصبها الله مقتضياتٍ لمسبّباتها قدرا وشرعًا، والتي تعطيلها قدحٌ في التوكّل نفسه.

وفي قوله ﷺ: «لكلّ داء دواء» تقوية لنفس المريض والطبيب، وحثٌّ على طلب ذلك الدواء والتفتيش عليه والبحث عنه، وقد كان من هديه ﷺ فعل التداوي في نفسه، والأمرُ به لمن أصابه مرض من أهله وأصحابه.

ثم إنَّ الواجب على العبد أن يعرف فيما يتعلَّق بالأسباب أموراً ثلاثة:

أحدها: أن لا يجعل منها سبباً إلَّا ما ثبت أنه سببٌ شرعًا أو قدراً.

ثانيها: أن لا يعتمد العبد عليها، بل يعتمد على مسبِّبها ومقدِّرها مع قيامه بالمشروع منها وحرصه على النافع منها.

ثالثها: أن يعلم أن الأسباب مهما عظمت وقويت فإنها مرتبطة بقضاء الله وقدره، لا خروج لها عنه، والله تعالى يتصرف فيها كيف يشاء، إن شاء أبقى سببيَّتَها، وإن شاء غيَّرها كيف يشاء؛ يعتمد العباد عليها، وليعلموا كمال قدرته، وأنَّ التصرف المطلق لله وحده، كما تقدم في قول النبي ﷺ: «**أنت الشافي لا شفاء إلَّا شفاؤك**».

بارك الله لي ولكم...

الخطبة الثانية

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه أجمعين.

عباد الله:

من أحسن الوسائل إلى الله جَلَّ وَعَلَا في طلب الشفاء من الأسقام والأمراض التوسلَ إليه بتفرُّده وحده بالربوبية وأنَّ الشفاء بيده وحده، وأنه لا شفاء لأحد إلا بإذنه، فالأمر أمره، والخلق خلقه، وكل شيء بتصريفه وتدبيره، وما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، ولا حول ولا قوة إلَّا بالله.

فقول النبي ﷺ - كما في الدّعاء المتقدم -: «**اللّهمَّ ربّ الناس**» فيه التوسل إلى الله بربوبيته للناس أجمعين، بخلقهم وتدبير شؤونهم وتصريف أمورهم، فبيده سبحانه الحياة والموت، والصّحة والسقم، والغنى والفقر، والقوة والضعف.

وقوله: «**أذهب البأس**» أي: أزِل السقم والشدَّة والمرض، ولفظه في حديث أنس: «**اللهم ربّ الناس مذهب البأس**»، وفي هذا توسُّل إليه سبحانه بأنه وحده المذهبُ للبأس، فلا ذهاب للبأس عن العبد إلَّا بإذنه ومشيئته سبحانه.

وقوله: «**واشفه أنت الشافي**» فيه سؤال الله الشفاءَ، وهو العافية والسلامة من المرض؛ متوسلا إلى الله ﷻ بهذا الاسم العظيم الدال على تفرده وحده بالشفاء، وأن الشفاء بيده.

وقولـه: «**لا شـفاء إلَّا شـفاؤك**» فيـه تأكيـدٌ لهـذا الاعتقـاد وترسـيخ لهـذا الإيمان، وإقرار بأن الشِّفاء لا يكون إلَّا مِنَ الله ﷻ، وأنَّ العلاج والتداوي إن لم يوافق إذنـًا مِنَ الله بالعافية والشفاء فإنه لا ينفع ولا يجدي.

وقوله: «**شفاءً لا يغادر سقما**» أي: لا يُبقي مرضـًا ولا يخلِّف عِلَّة.

ومثلُه ما رواه مسلم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: **أن جبريل أتى النبي ﷺ فقال: «يا محمد اشتكيت؟» فقال: «نعم»، قال: باسم الله أرقيك من كل شيء يؤذيك، من شرّ كل نفس أو عين حاسد، الله يشفيك، باسم الله أرقيك»**.

هذا؛ واعتقاد العبد وإيمانه بأنَّ الشافي هو الله وحده، وأن الشفاء بيده ليس مانعا من بذل الأسباب النافعة بالتداوي، وطلب العلاج وتناول الأدوية المفيدة، فقد جاء عن النبي ﷺ أحاديثُ عديدةٌ في الأمر بالتداوي وذكر أنواع من الأدوية النافعة المفيدة، وأن ذلك لا ينافي التوكل على الله واعتقاد أنَّ الشفاء بيده.

قال شيخ الإسلام رحمه الله: (كثير من المرضى يشفى بلا دواء، إما بدعوة مستجابة، أو رقية نافعة، أو حسن توكل وقوه قلب).

عباد الله:

ومن آثار الإيمان بهذا الاسم الكريم:

أولاً: محبة الله ﷻ الذي لا شفاء إلا شفاؤه، والذي لا يكشف الضر إلا هو ولا يأتي بالخير إلا هو، وهو الذي أنزل الكتب وأرسل الرسل ليشفي الناس من أمراض الشرك الكفر والشكوك، وهو الذي يحفظ أبدانهم ويشفي أمراضهم وحده لا شريك له. وهذا كله يثمر في القلب محبة من هذه صفاته وتوحيده، والتعبد له وحده بكل أنواع العبادة لا شريك له.

ثانيـًا: التوكـل علـى الله وحـده ودعـاؤه سـبحانه واللجـوء إليـه في كشـف الكربـات وشـفاء أمـراض القلـوب والأبـدان، وعـدم التعلـق بـأي شـيء مـن الأسباب؛ لأنه سبحانه وحده هو الشافي وهو خالق الأسباب ومسبباتها.

ثالثًا: السعي في إيصال الخير وكشف الكربات وقضاء الحاجات لعباد الله ﷻ والحـرص في أن يكـون المسـلم سـببًا في إذهـاب الأمـراض القلبيـة والجسدية عن الناس حسب العلم والقدرة، قال ﷺ: «**من استطاع منكم أن ينفع أخاه فليفعل**» [رواه مسلم].

رابعـًا: الفرح بهذا الدين وبشريعة الإسلام التي جاءت لشفاء الصدور ومعالجة أدواء الشبهات والشهوات كما في قوله ﷻ: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۙ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾ [الإسراء: ٨٢].

خامسـًا: ومن آثار اسمه سبحانه (الشافي): النظر إلى ما يقدره الله ﷻ على عبده المؤمن من أمراض ومكروهات على أنها في ذاتها شافي لأمراض في القلب قد تفتك به لو استمرت فيه؛ فيأتي المرض أو المصيبة ليكونا سببًا في التخلص منها. وبذا يكون المرض ذاته شفاء لايقدر على ذلك غيره، فلا شفاء إلَّا شفاؤه، ولا شافي إلا هو، كما قال إبراهيم الخليل عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾ [الشعراء: ٨٠]، أي: هو وحده المتفرِّد بالشِّفاء لا شريك له، ولذا وجب على كل مكلَّف أن يعتقد عقيدة جازمة أنه لا شافي إلا الله، وقد بين ذلك النبي ﷺ بقوله: «**لا شافي إلَّا أنت**».

وأسأل الله العظيم ربّ الناس مُذهب البأس، الشافي الذي لا شـفاء شـفاؤه، أن يشفي مرضانا ومرضى المسلمين.

هذا وصلوا...

(٤٥) الخطبة الأولى[1]

الحمد لله خلق الخلق، والخلق كلهم عبيده، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له في ألوهيته وربوبيته وأسمائه وصفاته، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وصفيه وخليله، صلى الله وسلم وبارك عليه، وعلى آله وأصحابه، والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

فأوصيكم ونفسي بتقوى الله ﷻ في السر والعلن.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

عباد الله:

الإيمان بأسماء الله وصفاته أحدُ أركان الإيمان بالله تعالى، وهي: الإيمان بوجود الله تعالى، والإيمانُ بربوبيته، والإيمان بألوهيته، والإيمانُ بأسمائه وصفاته.

وتوحيد الله به أحدُ أقسامِ التوحيدِ الثلاثةِ: توحيد الربوبية، وتوحيد الألوهية، وتوحيد الأسماء والصفات.

فمنزلتُه في الدين عاليةٌ، وأهميتُه عظميةٌ، ولا يمكن لأحد أن يَعْبُدَ الله على الوجه الأكمل حتى يكون على عِلْمٍ بأسماء الله تعالى وصفاته؛ ليعبدَه على

---

(١) اسم (السـيد).

بصيرة، قال الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠]. وهذا يشمل دعاءَ المسألة، ودعاءَ العبادة.

فدعاءُ المسألة: أن تقدِّم بين يَدَيْ مطلوبك من أسماء الله تعالى ما يكون مناسبًا، مثل أن تقول: يا غفورُ اغفر لي! ويا رحيم ارحمني! ويا حفيظُ احفظني! ونحو ذلك.

ودعاء العبادة: أن تتعبد لله بمقتضى هذه الأسماء؛ فتقوم بالتوبة إليه؛ لأنه التواب، وتذكره بلسانك؛ لأنه السميع، وتتعبد له بجوارحِك؛ لأنه البصير، وتخشاه في السر؛ لأنه اللطيف الخبير، وهكذا.

أيها المسلمون:

ربنا ﷻ هو السيد المطاع، والرب المعبود، والإله الواحد الأحد، ومن أسماء الله تعالى اسم (السيد).

وأصله في اللغة من ساد يسود فهو سيود. والسيادة تطلق على الحلم، فالسيد هو الحليم، وقيل سمي السيد؛ لأن الناس يلتجئون إلى سواده.

ويطلق السيد أيضًا على: الرب، والمالك، والشريف، والفاضل، والكريم.

وقيل: السيد هو الذي فاق غيره بالعقل والمال والدفع والنفع، المعطي ماله في حقوقه، المعين بنفسه.

وسمى الله يحيى عليه السلام سيداً؛ أي رئيسًا وإمامًا في الخير.

والمعنى في الشرع:

الله السيد: أي هو مالك الخلق، والخلق كلهم عبيده.

وهو سبحانه المحتاج إليه بالإطلاق، ليس لمخلوق غُنية عنه، فلو لم يوجدهم لم يوجدوا، ولو لم يبقهم بعد الإيجاد لم يكن لهم بقاء، ولو لم يعنهم فيما يعرض لهم لم يكن لهم معين غيره، فحق على الخلق أن يدعوه السيد دون سواه.

عباد الله:

لم يرد ذكر اسمه سبحانه (السيد) في القرآن الكريم، وإنما ورد في السُّنَّة الصحيحة، فعن مطرف بن عبد الله بن الشخير رضي الله عنهما قال: (قال أبي: انطلقت في وفد بني عامر على رسول الله ﷺ فقلنا: أنت سيدنا، فقال: «**السيد الله**» قلنا: وأفضلنا فضلاً وأعظمنا طولاً، فقال: «**قولوا بقولكم أو ببعض قولكم ولا يستجرينكم الشيطان**» [رواه أبو داود].

وقال النبي ﷺ: «**السَّيِّدُ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى**» [رواه أبو داود].

قال الخطابي رحمه الله: (قوله (السيد الله) يريد أن السؤدد حقيقة لله عز وجل وأن الخلق كلهم عبيد له).

وقال في اللسان: (وقال الأزهري: وأما حق الله جل ذكره بالسيد فمعناه أنه مالك الخلق. والخلق كلهم عبيده).

ومراد النبي ﷺ بقوله: «**السيّد الله**» أي: أن السُّؤدد حقيقة لله عز وجل، فهو المالك المولى الرّب، والخلق كلّهم عبيد له، مملوكون مقهورون ليس بهم غنية عنه في بدء أمرهم وهو الوجود، إذ لو لم يوجدهم لم يوجدوا، ولا في البقاء بعد الإيجاد، ولا في العوارض العارضة أثناء البقاء، محتاجون إليه في كل شؤونهم، مفتقرون إليه في جميع حاجاتهم، لا غنى لهم عنه طرفة عين،

والأمر كله إليه وحده، والخلق كلهم طوع تدبيره وتحت تصرفه، يعطي ويمنع، ويخفض ويرفع، ويعزّ ويذلّ، ويحيي ويميت، ويأمر وينهى، ويقبض ويبسط، ويكرم ويهين، ويهدي ويضل، ويضحك ويبكي، ويغني ويفقر، الأمر أمره، والملك ملكه، والعبيد عبيده، فهو وحده تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ الذي تحق له السيادة ملكاً وخلقاً وتدبيراً، وخضوعاً وانكساراً.

فهو سبحانه السيِّد الذي له التّصرف والتدبير في هذا الكون لا ندّ له، وهو سبحانه السّيد الذي ينبغي أن تصرف له وحده الطاعة والذل والخضوع لا شريك له، فكما أنه سبحانه السيد المتصرف في الخلق لا ند له، فكذلك يجب أن يكون السيد المعبود لا شريك له، كما قال تعالى: ﴿قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِى رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَىْءٍ﴾ [الأنعام: ١٦٤].

و(السيد) يطلق على الرّب، والمالك، والشريف، والفاضل، والكريم، والحليم، والرئيس، والزوج، ومُتَحَمِّل أذى قومه، والله ﷻ هو السيد الذي يملك نواصي الخلق ويتولاهم، فالسؤود كله حقيقة لله والخلق كلهم عبيده.

وهذا لا يُنافي السَّيادة الإضافية المخصوصة بالأفراد الإنسانية، فسيادة الخالق تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ ليست كسيادة المخلوق الضعيف.

و(السيِّد): هو مالك الخلق، والخلق كلهم عبيده، وهو سبحانه السيِّد الذي له التصرف والتدبير في هذا الكون لا نِدَّ له، وهو سبحانه السيِّد الذي ينبغي أن تُصرف له وحده الطاعة والذُّل والخضوع لا شريك له، السيِّد الذي كمُل في سؤدده، والشريف الذي كَمُل في شرفه، والعظيم الذي كَمُل في عظمته وجميع صفاته، ومشهد لجوء الخلائق له وقصدها إليه ذُلاًّ وافتقاراً

أبلغ من أن يعبِّر عن وصفه بيان، فهو ﷻ السيِّد المقصود في أمور الدنيا والآخرة، ولهذا كان العارفون به سبحانه وعلى رأسهم أنبياء الله عليهم السلام والصالحون من بعدهم لا يسألون أحداً غيره، وبذلك وصى رسول الله ﷺ أمته عندما قال لابن عباس «**إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلْ اللهَ**» [رواه الترمذي].

والأصل أنه لا يجوز أن يقال للمسلم: (يا سيِّد) لقوله ﷺ: «**السَّيِّدُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى**» خوفًا من الغلو، ولكن إذا كان له مكانة في العلم والفضل فلا بأس.

وترى اللجنة الدائمة للإفتاء: كراهة أن يُقال لربّ الأسرة (سيدي) احتراماً وتقديراً للحديث السابق، ولأن ذلك قد يُفضي إلى تكبر المقول له ذلك.

أما الكافر والمنافق فيحرم على المؤمن إطلاق (السيِّد) عليهما لقوله ﷺ: «**لاَ تَقُولُوا لِلْمُنَافِقِ سَيِّدُنا فَإِنَّهُ إِنْ يَكُ سَيِّداً فَقَدْ أَسْخَطْتُمْ رَبَّكُمْ عَزَّ وَجَلَّ**» [رواه أبو داود].

عباد الله:

ولا ينافي هذا قوله ﷺ: «**أنا سيد ولد آدم**» [رواه أحمد]. فإن هذا إخبارٌ منه عما أعطاه الله من سيادة النوع الإنساني؛ وفضَّله وشرَّفه عليهم.

وأما وصف الربِّ تعالى بأنه (السيد): فذلك وصفٌ لربه على الإطلاق، فإنَّ سيِّد الخلق: هو مالك أمرهم الذي إليه يرجعون؛ وبأمره يعلمون؛ وعن قوله يصدرون، فإذا كانت الملائكة والإنس والجن خلقًا له سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ومِلْكًا له، ليس لهم غنى عنه طرفة عين، وكلُّ رغباتهم إليه، وكلُّ حوائجهم إليه: كان هو سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى (السيد) على الحقيقة.

وجاء عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال في معنى قول الله تعالى: ﴿قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِى رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَىْءٍ﴾ [الأنعام: ١٦٤]: أي: (إلهًا سيِّداً).

وقال في قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ﴾ [الإخلاص: ٢]: (إنه السيِّد الذي قد كَمُل في سؤْدده).

قال ابن جرير الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ في تفسير هذه الآية: (يقول تعالى ذكره لنبيِّه محمدٍ ﷺ: ﴿قُل﴾ يا محمد لهؤلاء العادلين بربهم الأوثان، الداعين إلى عبادة الأصنام واتباع خطوات الشيطان: ﴿أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِي رَبًّا﴾، يقول: أسوى الله أطلب سيِّداً يسُودُني ﴿وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ﴾ يقول: وهو سيِّدُ كلِّ شيء دونه ومدبره ومصلحه).

وقال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ في تفسيرها: (يقول تعالى: ﴿قُل﴾ يا محمد لهؤلاء المشركين بالله في إخلاص العبادة له والتوكل عليه: ﴿أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِي رَبًّا﴾ أي: أطلب ربّاً سواه، ﴿وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ﴾ يربني ويحفظني ويكلؤني، ويدبّر أمري، أي: لا أتوكل إلَّا عليه، ولا أنيب إلَّا إليه؛ لأنه رب كل شيء ومليكه، وله الخلق والأمر).

وهذا أدل الدّليل وأبين البرهان على بطلان الشرك واتخاذ الأنداد، إذ كيف يُتخذ المخلوق الضعيف ندّاً للسِّيد العظيم والخالق الجليل والرب القدير، تعالى الله عمّا يشركون.

قال تعالى: ﴿أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿١٩١﴾ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَآ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ ﴿١٩٢﴾ وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ لَا يَتَّبِعُوكُمْ ۚ سَوَآءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنتُمْ صَٰمِتُونَ ﴿١٩٣﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ ۖ فَٱدْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٩٤﴾ أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَآ ۖ أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَآ ۖ أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَآ ۖ أَمْ لَهُمْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۗ قُلِ ٱدْعُوا۟

شُرَكَآءَكُمۡ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنظِرُونِ ﴿١٩٥﴾ إِنَّ وَلِـِّۧيَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلۡكِتَٰبَۖ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٩٦﴾ وَٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسۡتَطِيعُونَ نَصۡرَكُمۡ وَلَآ أَنفُسَهُمۡ يَنصُرُونَ﴾ [الأعراف: ١٩١ - ١٩٧].

عباد الله:

وبهذه الآيات ونظائرها يعلم أن اتخاذ الناس سيِّداً غير الله سواء من المقبورين أو الأحياء، يعتقدون فيه جلب النفع أو دفع الضر، أو يعلقون به حاجاتهم، أو ينزلون به طلباتهم ورغباتهم، أو يصرفون له لجوءهم ودعواتهم، أو يطلبون منه كشف غمومهم وكرباتهم؛ يعدّ شركا بالله العظيم، واتباعًا للسبيل المفضية إلى الجحيم، وهذا غاية الجهل والظلم، إذ كيف يسوى التراب برب الأرباب، وكيف يسوى العبيد بمالك الرقاب، وكيف يسوى من لا يملك لنفسه ولا لغيره مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض، ولا يملك نصرا ولا موتا ولا حياة ولا نشورا بالسيد العظيم الذي له مقاليد السموات والأرض، وبيده أزمَّة الأمور لا شريك له.

ولما بُلِيَ أقوامٌ بمثل هذا التعلُّق بالمقبورين أضفوا عليهم هذا اللقب، معتقدين فيهم، ملتجئين إليهم، خاضعين ذليلين، ناكثين بذلك توحيدهم، متلوثين بما يناقضه ويضادُّه.

وتأمَّل في الحديث المتقدِّم حمايةَ المصطفى ﷺ حمى التوحيد، وصيانتَه لجنابه، وسدَّه طرق الشرك،فلما قالوا له: **(أنت سيِّدُنا)** قال: «**السيِّد الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ**»، ثم قال لهم: «**لا يستجرينَّكم الشيطان**»، مع أنهم لم يقولوا إلَّا حقًّا.

ونظيره ما روى الإمام أحمد، والنسائي عن أنس رضي الله عنه: «**أنّ ناسًا قالوا لرسول الله ﷺ: يا خيرنا وابن خيرنا، ويا سيِّدنا وابن سيِّدنا. فقال رسول الله ﷺ: «يا أيها الناس عليكم بقولكم ولا يستهوينكم الشيطان؛ إنّي لا أريد أن ترفعوني فوق منزلتي التي أنزلنيها الله تعالى، أنا محمد بن عبد الله عبده ورسوله**».

فهو عليه الصّلاة والسلام سيّد ولد آدم، وأفضل عباد الله، وإمام المتقين، إلا أنه كره لهم ذلك لئلا يكون وسيلةً إلى الغلوِّ فيه والإطراء، كما قال ﷺ: «**لا تُطروني كما أَطْرت النّصارى ابنَ مريم، فإنما أنا عبده، فقولوا: عبد الله ورسوله**» [رواه البخاري].

بارك الله لي ولكم...

الخطبة الثانية

الحمد لله لا ند له ولا مثيل ولا شبيه، وأشهد أن لا إله إلا الله الحق المبين، وأشهد أن نبينا محمداً عبد الله ورسوله الصادق الأمين، صلى الله وسلم وبارك عليه، وعلى آله وصحبه أجمعين، والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

فإن من آثار الإيمان باسمه سبحانه (السيد):

أولاً: لما كان من معاني (السيد) ما يطلق على الرب المالك والمتصرف في شؤون الخلق كان من آثار ذلك، وثمراته ولابد، محبة الله ﷻ وتوحيده وإجلاله وتعظيمه، وصرف جميع أنواع العبادة له وحده لا شريك له.

ثانيًا: أن الإنسان مهما بلغ من السؤدد في هذه الدنيا فهو سؤدد ناقص زائل، وهذا الشعور يثمر التواضع في قلب المسوَّد، وعدم استخدام سيادته في ظلم ا لناس والتكبر عليهم؛ لأن السؤود الحقيقي السرمدي لله ﷻ.

ثالثًا: يثمر ذلك أيضًا التعلق بالله وحده خوفًا ورجاءً، واستعانة وتوكلاً؛ لأنه المالك المتصرف المدبر لشؤون عباده، وما من دابة إلا هوسبحانه آخذ بناصيتها، وبالتالي يزول الخوف والتعظيم من قلوب الناس نحو السيد من البشر الذي لا يملك لنفسه نفعًا ولا ضراً فضلاً عن أن يملكه لغيره، فلا يذل له ولا يخضع، وإنما يذل لله وحده السيد الصمد.

رابعـًا: إن الشـرف والسـؤدد الحقيقـي في هـذه الـدنيا إنمـا ينـال بطاعـة الله تعالى وتقواه، حيث إن الكرامة والشرف والرفعة وعلو الذكر – وهـذه أركـان السؤدد – إنما هي لأنبياء الله ﷻ وأوليائه وهم السادة على الناس، أما الكفـرةُ والمنـافقون والفُسَّـاقُ فـلا كرامـة لهـم ولا سـيادة، وإن حصـلت لهـم السـيادة الزائفة في وقت من الأوقات. ولذا جاء النهي عن تسـمية المنـافق بالسـيد كمـا جاء في الحديث: «**لا تقولوا للمنافق سيد**» [رواه أبو داود].

خامسـًا: يجوز إطلاق السيد على المخلوق كما في قوله تعالى عن يحيى عليه السلام: ﴿وَسَيِّدًا وَحَصُورًا﴾ [آل عمران: ٣٩]، وكما جاء في حديث الشفاعة: «**أنا سيد ولد آدم ولا فخر**» [رواه أحمد]، وقوله ﷺ في سعد بن معاذ: «**قوموا إلى سيدكم**» [رواه أبو داود]، ولا تعارض بين هذه الروايات وقوله ﷺ: «**السيد الله**».

قال في اللسان: (قال ابن الأنباري: إن قال قائل: كيف سمى الله ﷻ يحيى سيداً وحصوراً، والسِّيد هو الله، إذ كان مالك الخلق أجمعين، ولا مالك لهم سواه؟

قيل له: لم يُرِدْ بالسَّيد ههنا المالـك، وإنمـا أراد الـرئيسَ والإمـامَ في الخيـر، كما تقول العرب: فلانٌ سيدنا، أي: رئيسنا والذي تُعظِّمه).

وقال أيضـًا: (... ونحوه ما جاء في حـديث مطـرف السـابق، إذ قـالوا للنبي ﷺ: أنـت سـيدنا، فقـال: «**السـيد الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى**»، قلنـا: وأفْضـلنا فضـلاً، وأعظمنـا طـولاً، فقـال: «**قولـوا بقـولكم، أو بعـض قـولكم ولا يسـتجرينكم الشيطان**».

هذا وصلوا...

❊ ❊ ❊

(٤٦) الخطبة الأولى [١]

الحمد لله السميع العليم، يسمع جميع الأصوات على اختلاف اللغات، وتفنن الحاجات، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن نبينا محمداً عبده ورسوله، صلى الله وسلم وبارك عليه، وعلى آله وأصحابه والتابعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

فالزموا التقوى، فإنها فوز ونجاة وفلاح. ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

عباد الله:

من أسماء الله الحسنى، وكل أسمائه حسنى، اسم (السميع).

وهو اسم تكرَّر وروده في القرآن فيما يقرب من خمسين موضعاً، منها قوله تعالى: ﴿قَدۡ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوۡلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوۡجِهَا وَتَشۡتَكِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسۡمَعُ تَحَاوُرَكُمَآۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٌ﴾ [المجادلة: ١]، وقوله تعالى: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]، وقوله تعالى: ﴿وَإِذۡ يَرۡفَعُ إِبۡرَٰهِـۧمُ ٱلۡقَوَاعِدَ مِنَ ٱلۡبَيۡتِ وَإِسۡمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلۡ مِنَّآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٧].

---

(١) اسم (السـميع).

و(السميع) اسم من أسماء الله الحسنى، بمعنى (السامع) إلا أنه أبلغ في الصفة.

و(السميع): هو الذي يسمع جميع الأصوات على اختلاف اللغات وتفنن الحاجات، قد استوى في سمعه سرُّ القول وجهره، قال تعالى: ﴿سَوَآءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ ٱلْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍۭ بِٱلَّيْلِ وَسَارِبٌۢ بِٱلنَّهَارِ﴾ [الرعد: ١٠].

أيها المسلمون:

والسَّمْعُ: يُرادُ به إدارك الصوت، ويراد به فَهْم المعنى، ويُراد به القبول والإجابة، والثلاثة في القرآن.

فمن الأول: قوله: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ﴾ [المجادلة: ١].

وهذا أصرحُ ما يكون في إثبات صفة السمع له، ذكر الماضي والمضارع واسم الفاعل؛ سمع يسمع وهو سميع وله السمع، كما قالت عائشة ﵂: الحمد لله الذي وسع سمعه الأصوات، لقد جاءت المجادلةُ تشكو إلى رسول الله ﷺ، وأنا في جانب البيت، وإنه ليخفى عليّ بعضُ كلامها، فأنزل الله: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا﴾ [المجادلة: ١] فالسميع: الذي قد استوى في سمعه سرّ القول وجهره، وسع سمعه الأصوات؛ فلا تختلف عليه أصوات الخلق، ولا تشتبه عليه، ولا يشغله منها سمع عن سمع، ولا تغلطه المسائل، ولا يبرمه كثرة السائلين.

والثاني: سمع الفهم كقوله: ﴿وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ﴾ [الأنفال: ٢٣] أي؛ لأفهمهم ﴿وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوا۟ وَّهُم مُّعْرِضُونَ﴾ [الأنفال: ٢٣] لما في قلوبهم من الكبر والإعراض عن قبول الحق، ففيهم آفتان: إحداهما أنهم لا يفهمون

الحق لجهلهم، ولو فهموه لتولوا عنه وهم معرضون عنه لكبرهم، وهذا غاية النقص والعيب.

والثالث: سمع القَبُول والإجابة، كقوله تعالى: ﴿لَوۡ خَرَجُواْ فِيكُم مَّا زَادُوكُمۡ إِلَّا خَبَالٗا وَلَأَوۡضَعُواْ خِلَٰلَكُمۡ يَبۡغُونَكُمُ ٱلۡفِتۡنَةَ وَفِيكُمۡ سَمَّٰعُونَ لَهُمۡۗ﴾ [التوبة: ٤٧] أي؛ قابلون له مستجيبون. ومنه قوله: ﴿سَمَّٰعُونَ لِلۡكَذِبِ﴾ [المائدة: ٤٢] أي؛ قابلون له مستجيبون لأهله. ومنه قول المصلِّي: سمع الله لمن حمده؛ أي أجاب الله حمد من حمده، ودعاء من دعاه، وقول النبي ﷺ: «**إذا قال الإمام سمع الله لمن حمده فقولوا: ربنا ولك الحمد، يسمع الله لكم**» أي يجيبكم [رواه مسلم].

ويندفعُ شَرُّ الحاسدِ عن المحسود بعشرة أسباب: أحدها: التعوذ بالله من شرّه، والتحصّن به، واللجأ إليه، والله تعالى سميعٌ لاستعاذته، عليم بما يستعيذ به.

والسمع هنا المراد به سمع الإجابة لا السمع العام، فهو مثل قوله سمع الله لمن حمده. وقول الخليل عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ﴾ [إبراهيم: ٣٩].

ومرة يقرنه بالعلم ومرة بالبصر لاقتضاء حال المستعيذ ذلك، فإنه يستعيذُ به من عدو يعلم أن الله يراه ويعلم كيده وشره، فأخبر اللهُ تعالى هذا المستعيذَ أنه سميع لا ستعاذته، أي مجيب عليم بكيد عدوه يراه ويبصره، لينبسط أملُ المستعيذ، ويقبل بقلبه على الدعاء.

وتأمل حكمةَ القرآن كيف جاء في الاستعاذة من الشيطان الذي نعلم وجوده ولا نراه بلفظ السميع العليم في (الأعراف) و(حم السجدة).

وجاءت الاستعاذة من شرّ الإنس والذين يؤنسون ويرون بالأبصار بلفظ السميع البصير في سورة (حم المؤمن) فقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ سُلۡطَٰنٍ أَتَىٰهُمۡ إِن فِي صُدُورِهِمۡ إِلَّا كِبۡرٞ مَّا هُم بِبَٰلِغِيهِۚ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾ [غافر: ٥٦] لأن أفعال هؤلاء أفعال مُعَايَنة تُرى بالبصر، وأما نزغ الشيطان فوساوس وخطرات يُلقيها في القلب، يتعلّق بها العلم، فأمر بالاستعاذة بالسميع العليم فيها، وأمر بالاستعاذة بالسميع البصير في باب ما يُرى بالبصر ويُدرك بالرؤية.

قال الله تعالى: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعَۢا بَصِيرٗا﴾ [النساء: ١٣٤]، وكثيراً ما يقرن الله بين صفة السمع والبصر، فكل من السمع والبصر محيط بجميع متعلقاته الظاهرة، والباطنة، فالسميع الذي أحاط سمعه بجميع المسموعات، فكل ما في العالم العلوي والسفلي من الأصوات يسمعها، سرَّها وعلنها وكأنها لديه صوت واحد، لا تختلط عليه الأصوات، ولا تخفى عليه جميع اللغات، القريب منها والبعيد، والسرّ والعلانية عنده سواء ﴿سَوَآءٞ مِّنكُم مَّنۡ أَسَرَّ ٱلۡقَوۡلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ وَمَنۡ هُوَ مُسۡتَخۡفِۭ بِٱلَّيۡلِ وَسَارِبُۢ بِٱلنَّهَارِ﴾ [الرعد: ١٠].

عباد الله:

الله سبحانه سميع لما تنطق به خلقه من قول، ولا يعزب عنه إدراك مسموع وإن خفي، قد وسع سمعه كل شيء، وهو سبحانه سميع ذو سمع بلا تكييف ولا تشبيه بالسمع من خلقه، ولا سمعه كسمع خلقه، وهو سبحانه يسمع السر والنجوى سواء عنده الجهر والخفوت والنطق والسكوت، كما أنه سبحانه يقبل قوله حامده ويجيب دعاء مَنْ يدعوه.

والمخلوق يكون صغيراً لا يسمع، فإن سمع لم يعقل ما يسمع، فإذا عقل ميّز بين المسموعات فأجاب عن الألفاظ بما يستحق، وميز بين الصوت الحسن والقبيح، وميز الكلام المستحسن من المستقبح، ثم كان لسمعه مدى إذا جاوزه لم يسمع، وإن كلمه جماعة في وقت واحد عجز عن استماع كلامهم وعن إدراك جوابهم، والله ﷻ هو السميع لدعاء الخلق وألفاظهم، عند تفرقهم واجتماعهم مع اختلاف ألسنتهم ولغاتهم، بل يعلم ما في قلب القائل قبل أن يقول، وقد يعجز القائل عن التعبير عن مراده، فيعلم الله فيعطيه الذي في قلبه، ثم إن المخلوق يزول عنه السمع بالموت، والله تعالى لم يزل ولا يزال يفني الخلق ويرثهم، فإذا يبق لم أحد قال: لمن الملك اليوم؟ فلا يكون من يرد، فيقول الله: لله الواحد القهار.

عباد الله:

والله سبحانه هو السميع الذي أحاط سمعه بجميع المسموعات، فكل ما في العالم العلوي والسفلي من الأصوات يسمعها سرها وعلنها، وكأنها لديه صوت واحد لا تختلط عليه الأصوات، ولا تخفى عليه جميع اللغات، والقريب منها والبعيد والسر والعلانية عنده سواه.

وإذا علم العبد بأن الله سميع بصير، عليمٌ لا يخفى عليه مثقالُ ذرَّة في السموات والأرض، وأنه يعلم السر وأخفى، ويعلم خائنة الأعين وما تُخفي الصُّدور، وأنه تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ أحاط بكلِّ شيءٍ علما، وأحصى كلَّ شيء عدداً، فمن علم باطِّلاع الله عليه ورؤيته له وإحاطته به؛ فإن ذلك يثمر له حفظ اللسان والجوارح وخطرات القلب عن كلِّ ما لا يُرضي الله، وجَعْلَ تعلُّقات هذه الأعضاء بما يحبه الله ويرضاه.

قال الله تعالى: ﴿أَلَمۡ يَعۡلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ﴾ [العلق: ١٤]، وقال تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٞ﴾ [الحجرات: ١]، وقال تعالى: ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ فَٱحۡذَرُوهُۚ﴾ [البقرة: ٢٣٥]، فلا ريب أنَّ هذا العلم يورث في العبد خشية الله ومراقبته والإقبال على طاعته والبعد عن مناهيه.

وربنا سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ سميع الدعاء، فلّذ بربك والجأ إليه بكثر الدعاء، وخذ بأسباب الإجابة حتى يكون دعاءك أحرى للقبول، أدع ربك وأنت موقن بالإجابة، متحريـًا ساعات إجابة الدعاء؛ بين الأذان والإقامة وفي حال السجود وفي السحر، ويوم الجمعة، ويوم عرفة، وغيرها من الأوقات الفاضلة، واعلم أن الله جل شأنه جواد كريم لا يرد سائله.

بارك الله لي ولكم...

الخـــطــبــة الثــانيـــة

الحمد لله، يسمع السر وأخفى، لا رب لنا سواه، أحمده وأشكره، وأثني عليه الخير كله، وأصلي وأسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه، والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

فإن من آثار الإيمان باسمه سبحانه (السميع):

أولاً: إثبات صفة السمع لله تعالى كما يليق بعظمته سبحانه وجلاله من غير تمثيل ولا تحريف ولا تكييف، خلافاً للمعطلة والنفاة، سواء منهم من نفى هذا الاسم لفظه ومعناه، أو من أثبت اللفظ ولم يثبت المعنى كالمفوضة وأشباههم.

والله ﷻ السميع لدعاء الخلق وألفاظهم عند تفرقهم واجتماعهم مع اختلافِ ألسنتهم ولُغَاتهم، يعلم ما في قلب القائل قبل أن يقول، ويعجزُ القائل عن التعبير عن مراده فيعلم الله فيُعطيه الذي في قلبه، والمخلوق يزول عنه السمع بالموت، والله تعالى لم يزل ولا يزال، يُفني الخلق ويرثهم فإذا لم يبق أحدٌ قال: ﴿لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ﴾ [غافر: ١٦]، فلا يكون من يرد! فيقول: ﴿لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾ [غافر: ١٦].

ثانيًا: مراقبة الله ﷻ فيما يقوله اللسان سواء أسر القول أو جهر به، وسواء كان ذلك في جماعة أوفي خلوة، قال الله ﷻ: ﴿سَوَآءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ ٱلْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍۭ بِٱلَّيْلِ وَسَارِبٌۢ بِٱلنَّهَارِ﴾ [الرعد: ١٠]، وقال سبحانه: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ

رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُواْ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُواْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [المجادلة: ٧].

وهذا الإيمان يثمر في القلب الخوف من الله ﷻ والمحافظة على اللسان من أن ينطق بما يسخط الله تعالى، يسمع ذلك والملائكة تكتبه، ومن تعبد لله تعالى بهذا الاسم الكريم جنب لسانه الفحش من القول من سب، وسخرية، وغيبة، ونميمة، وبهتان، وهو باطل أو نشر لباطل يضل به الناس.

فعن معاذ بن جبل ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: «**ثكلتك أمك يا معاذ وهل يكب الناس في النار على وجوههم أو على مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم**» [رواه الترمذي].

ثالثًا: اللجوء إلى الله ﷻ وسؤاله سبحانه من حاجات الدنيا والآخرة، فهو السميع لدعاء عباده سرهم ونجواهم، وهو السميع بمعنى (المجيب) لدعائهم والمفرج لكرباتهم، وهذا المعنى من معاني السميع يسكب في القلب الطمأنينة والأنس بالله تعالى وحسن الظن به سبحانه، والرجاء فيما عنده، وعدم الملل من دعائه، وعدم اليأس من كشف الشدائد وقضاء الحوائج.

رابعًا: الصبر على ما يلاقيه العبد من أذى الخلق وخاصة من الكافرين والمنافقين والفاسقين، سواء ما يقولونه من السب، والشتم، والبهتان، والظلم، والتهم الباطلة، لأن الله ﷻ يسمع كلامهم ولا يخفى عليه أمرهم؛ وسينصف سبحانه عباده المؤمنين منهم.

والإيمان بهذا يثمر في القلب الصبر والرضى والطمأنينة، والاستعانة به سبحانه، وانتظاره فرجه ونصره، وعدم استبطاء ذلك، لأن الله تعالى يسمع ويعلم، ولكنه يمهل ولا يهمل.

هذا وصلوا...

(٤٧) الخطبة الأولى [(١)]

الحمد لله يجيب دعوة المضطر إذا دعاه، ويكشف السوء، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن نبينا محمداً عبده ورسوله، صلى الله وسلم وبارك عليه، وعلى آله وأصحابه وأتباعه، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

فاتقوا الله عباد الله ﴿وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ﴾ [البقرة: ١٩٧].

أيها المسلمون:

من أسماء الله تعالى اسم (المجيب).

قال الزجاج: (المجيب) اسم الفاعل من أجاب يجيب فهو مجيب، فالله ﷻ مجيب دعاء عباده إذا دعوه، كما قال ﷻ: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة: ١٨٦]، فالإجابة والاستجابة سواء.

وقال أبو سليمان الخطابي: (هو الذي يجيب المضطر إذا دعاه، ويغيث الملهوف إذا ناداه، فقال: ﴿ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠]، وقال: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة: ١٨٦]، ويقال: أجاب استجاب بمعنى واحد).

---

(١) اسم (المجيب).

وهو تعالى المجيب لدعوة الداعين وسؤال السائلين وعباده المستجيبين، يُعطى كل سائل سئله، وكل طالب مسألته.

وإجابته نوعان:

النوع الأول: إجابة عامة لكل من دعاه: دعاء عبادة، أو دعاء مسألة، قال الله تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠]، فدعاء المسألة أن يقول العبد: اللهم أعطني كذا، أو اللهم ادفع عني كذا، فهذا يقع من البرّ والفاجر، ويستجيب الله فيه لكل من دعاه بحسب الحال المقتضية، وبحسب ما تقتضيه حكمته. وهذا يستدلّ به على كرم المولى وشمول إحسانه للبرّ والفاجر، ولا يدلّ بمجرّده على حسن حال الداعي الذي أجيبت دعوته إنْ لم يقترن بذلك ما يدلّ عليه وعلى صدقه وتعيّن الحق معه، كسؤال الأنبياء ودعائهم لقومهم وعلى قومهم فيُجيبهم الله؛ فإنه يدلّ على صدقهم فيما أخبروا به، وكرامتهم على ربهم؛ ولهذا كان النبي ﷺ كثيراً ما يدعو بدعاء يشاهد المسلمون وغيرهم إجابته، وذلك من دلائل نبوّته وآيات صدقه، وكذلك ما يذكرونه عن كثير من أولياء الله من إجابة الدعوات؛ فإنه من أدلة كراماتهم على الله.

النوع الثاني: الإجابة الخاصة:

فلها أسباب عديدة، منها دعوة المضطر الذي وقع في شدّة وكربة عظيمة، فإن الله يجيب دعوته، قال تعالى: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ﴾ [النمل: ٦٢]، وسبب ذلك شدة الافتقار إلى الله، وقوة الانكسار وانقطاع تعلّقه بالمخلوقين، ولسعة رحمة الله التي يشمل بها الخلق بحسب حاجتهم إليها،

فكيف بمن اضطر إليها، ومن أسباب الإجابة طول السفر، والتوسل إلى الله بأحب الوسائل إليه من أسمائه وصفاته ونعمه، وكذلك دعوات المريض، والمظلوم، والصائم، والوالد على ولده أو له، وفي الأوقات والأحوال الشريفة مثل أدبار الصلوات، وأوقات السحر، وبين الأذان والإقامة، وعند النداء، ونزول المطر واشتداد البأس، ونحو ذلك. ﴿إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ﴾ [هود: ٦١].

عباد الله:

واسمه تعالى (المجيب) يدلُّ على أنه سبحانه يسمع دعاء الدَّاعين، ويجيب سؤال السّائلين، ولا يخيِّب مؤمناً دعاه، ولا يرد مسلماً ناجاه، ويحبُّ سبحانه أن يسأله العبادُ جميعَ مصالحهم الدِّينية والدّنيوية، من الطعام والشراب والكسوة والمسكن، كما يسألونه الهداية والمغفرة والتوفيق والصلاح والإعانة على الطاعة، ونحو ذلك، ووعدهم على ذلك كله بالإجابة مهما عظمت المسألة، وكثر المطلوب؛ خزائنه لا تنفد ولا تنقص بالعطاء، ولو أعطى الأوّلين والآخرين من الجن والإنس وأجابهم في جميع ما سألوه، كما في الحديث القدسي: «**يا عبادي لو أنَّ أوَّلكم وآخركم وإنسكم وجِنَّكم قاموا في صعيد واحدٍ فسألوني، فأعطيت كلَّ إنسان مسألته ما نقص ذلك مما عندي إلا كما ينقص المخيط إذا أُدخل البحر**» [رواه مسلم].

وفي الصّحيحين عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عن النّبيّ ﷺ قال: «**إذا دعا أحدُكم فلا يقلْ: اللَّهمَّ اغفرْ لي إن شئتَ، ولكن لِيَعْزِم المسألة، ولْيُعْظِم الرَّغبةَ، فإنَّ الله لا يَتَعاظَمُهُ شيءٌ أَعْطَاهُ**» [رواه البخاري ومسلم].

وقد ورد في السّنة النّبويّة أحاديث عديدة في الترغيب بالدّعاء، وبيان أن الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ يجيبُ الدّاعين ويعطي السّائلين، وأنه جَلَّوَعَلَا حيي كريم، أكرم من أن يرد من دعاه أو يخيّب من ناجاه أو يمنع من سأله.

روى أبو داود والترمذي وغيرهما عن سلمان الفارسي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، عن النبي ﷺ قال: «**إنَّ الله حييٌّ كريم يستحيي من عبده إذا رفع يديه إليه أن يردهما صفراً**».

وفي حديث النزول الإلهي يقول ﷺ: «**ينزلُ ربُّنا تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ كلَّ ليلة إلى السّماء الدُّنيا حين يبقى ثلثُ اللَّيل الآخر فيقول: من يدعوني فأستجيبَ له، من يسألُني فأعطيَه، من يستغفرني فأغفرَ له**» [متفق عليه].

وجاء في الحديث القدسي في بيان منزلة أولياء الله المتّقين أنَّ الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ يقول: «**من عادى لي وليّاً فقد آذنته بالحرب، وما تقرَّب إليّ عبدي بشيء أحبّ إليّ مما افترضته عليه، وما يزال عبدي يتقرب إليّ بالنّوافل حتّى أُحبّه، فإذا أحبَبتُه كنت سمعَه الذي يسمع به، وبصرَه الذي يبصر به، ويدَه التي يبطش بها، ورجلَه التي يمشي بها، وإن سألني لأعطينَّه، ولئن استعاذ بي لأعيذنَّه**» [رواه البخاري].

فهذه النصوص وما في معناه تدل دلالة بيّنة أن الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ لا يرد من سأله من عباده المؤمنين، ولا يخيب من رجاه، لكن قد يستشكل في هذا أن جماعة من العبَّاد والصلحاء قد دعوا وبالغوا ولم يجابوا، والجواب: أن الإجابة تتنوَّع: فتارة يقع المطلوب بعينه على الفور، وتارة يقع ولكن يتأخر لحكمة، وتارة تقع الإجابة ولكن بغير عين المطلوب حيث لا يكون في

المطلوب مصلحة ناجزة وفي الواقع مصلحة ناجزة أو أصلح منها، وقد تدخّر له أجراً ومثوبة يوم القيامة.

روى الإمام أحمد عن أبي سعيد الخدريّ رضي الله عنه، أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «ما من مسلم يدعو بدعوةٍ ليس فيها إثْمٌ ولا قَطيعةُ رَحِمٍ إلاّ أعطاهُ اللهُ بها إحدى ثلاثٍ: إمّا أنْ تُعَجَّل له دعوتُه، وإمّا أن يَدَّخِرَها له في الآخرة، وإمّا أنْ يصرفَ عنه من السُّوء مثْلَها، قالوا: إذاً نكثر؟ قال: اللهُ أكثر».

وبهذا يتبيَّن أنّ إجابة السَّائل في سؤاله أعمّ من إعطائه عين المسؤول.

عباد الله:

وإن من أثر الإيمان باسم الله (المجيب) أن يقوَى يقينُ العبد بالله، ويعظم رجاؤه ويزيد إقباله وطمعه فيما عنده، ويذهب عنه داءُ القنوط من رحمته أو اليأس من روحه.

وكيف لا يكون المسلم واثقاً بربِّه الجواد الكريم المحسن، وهو سبحانه بيده ملكوتُ كلِّ شيء، فما شاء كان في الوقت الذي يشاء على الوجه الذي يشاء، من غير زيادة ولا نقصان، ولا تقدّم ولا تأخّر، وحكمه سبحانه نافذ في السموات وأقطارها، وفي الأرض وما عليها وما تحتها، وفي البحار والجوّ، وفي سائر أجزاء العالم وذرَّاته، يقلبها ويصرفها ويحدث فيها ما يشاء، له الخلق والأمر، وله الملك والحمد، وله الدنيا والآخرة، وله النعمة والفضل، وله الثناء الحسن ﴿يَسْـَٔلُهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ﴾ [الرحمن: ٢٩]، تبارك الله ربّ العالمين.

وقد جاء في السنة الصحيحة في كثير من أذكار اليوم والليلة والمناسبات الشرعية الحث على الأذكار التي فيها توحيده سبحانه لا شريك له. ومن أفضلها، وأعظمها، وأشرفها ما قال فيه النبي ﷺ: «**خير الدعاء دعاء يوم عرفة وأفضل ما قلت أنا والنبيون من قبلي: لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير**».

وقد جاء الحث على هذا الدعاء دبر الصلوات، وفي أذكار الصباح والمساء، وعند الانتباه من النوم، وعند الدخول للسوق، وفي السعي للحج عند الصفا والمروة، وغيرها من المناسبات.

فإن ربنا سبحانه هو: (المجيب) الذي يقابل الدعاء والسؤال بالعطاء والقبول.

فهو المجيب إجابة عامة للداعين مهما كانوا، وأين كانوا، وعلى أي حال كانوا، كما وعدهم بهذا الوعد المطلق.

وهو المجيب إجابة خاصة للمستجيبين له، المنقادين لشرعه، وهو المجيب - أيضًا - المضطرين، ومن انقطع رجاءهم من المخلوقين، وقوي تعلقهم به طمعًا ورجاء وخوفًا.

وهو سبحانه يجيب دعوة المسافر والصائم، والمظلوم، والوالد على ولده أو له، وفي الأوقات الفاضلة كيوم الجمعة، وبين الأذان والإقامة، وفي الأحوال الشريفة كالسجود، وعند المرض.

والله سبحانه يحب أن يسأله العباد جميع مصالحهم الدينية والدنيوية: من الطعام والشراب والكسوة والمسكن، كما يسألونه الهداية والمغفرة والتوفيق

والصلاح، وخزائنه سبحانه لا تنفد ولا تنقص بالعطاء كما قال سبحانه في الحديث القدسي: «يَا عِبَادِي، لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ، قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ فَسَأَلُونِي، فَأَعْطَيْتُ كُلَّ إِنْسَانٍ مَسْأَلَتَهُ، مَا نَقَصَ ذَلِكَ من مُلْكِي، إِلَّا كَمَا يَنْقُصُ الْمِخْيَطُ إِذا أُدْخِلَ الْبَحْرَ».

وعن الحكمة في تأخير الإجابة عن بعض الداعين يقول ابن الجوزي رَحِمَهُ اللَّهُ: (رأيت من ا لبلاء العجاب أن المؤمن يدعو فلا يجاب، فيكرر الدعاء وتطول المدة، ولا يرى أثراً للإجابة، فينبغي له أن يعلم أن هذا من البلاء الذي يحتاج إلى الصبر. وما يعرض للنفس من الوسواس في تأخير الجواب مرض يحتاج إلى طب. ولقد عَرَض لي من هذا الجنس، فإنه نزلت بي نازلة، فَدَعَوْتُ وَبَالَغْتُ، فلم أرَ الإجابة، فأخذ إبليس يجول في حلبات كيده.

فتارة يقول: الكرم واسع والبخل معدوم، فما فائدة تأخير الجواب؟ فقلت له: اخسأ يَا لَعين، فما أحتاج إلى تقاضي، ولا أرضاك وكيلا.

ثم عدت إلى نفسي فقلت: إياك ومساكنة وسوسته، فإن لو لم يكن في تأخير الإجابة إلا أن يبلوك في محاربة العدو لكفى في الحكمة.

قالت: فسلِّني عن تأخير الإجابة في مثل هذه النازلة؟

فقلت: قد ثبت بالبرهان أن الله ﷻ مالك، وللمالك التصرف بالمنع والعطاء، فلا وجه للاعتراض عليه).

بارك الله لي ولكم...

الخطبة الثانية

الحمد لله ولي الصالحين، يجيب دعوة المضطرين، وأشهد أن لا إله إلا الله ولي الصالحين، وأشهد أن نبينا محمد الصادق الأمين، صلى الله وسلم وبارك عليه، وعلى آله وصحبه أجمعين، والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

عباد الله:

من آثار الإيمان باسمه سبحانه (المجيب):

ما ذكر الله ﷻ لنا في كتابه الكريم من أمثلة كثيرة من إجابته سبحانه لدعاء أنبيائه ورسله وأوليائه، من ذلك ما ذكره سبحانه في سورة الأنبياء حيث قال ﷻ: ﴿وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ مِن قَبْلُ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [الأنبياء: ٧٦].

وقال سبحانه في نفس السورة: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ۝٨٣ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ ۝٨٤ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا ٱلْكِفْلِ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ۝٨٥ وَأَدْخَلْنَٰهُمْ فِى رَحْمَتِنَآ ۖ إِنَّهُم مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ۝٨٦ وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٨٧ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ

ٱلْغَمِّ ۚ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِي ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾ وَزَكَرِيَّآ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٨٩﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٣ - ٩٠].

وكل من دعا الله ﷻ دعاء اضطرار وفاقه، وتعلق به سبحانه وحده فإن الإجابة لا تتأخر في العادة إلا إذا كان في إجابة الدعاء ضرر أو هلاك لصاحب الدعوة، قال الله ﷻ: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ﴾ [النمل: ٦٢].

والثاني: أنه قد ثبتت حكمته بالأدلة القاطعة، فربما رأيت الشيء مصلحة، والحقُّ أن الحكمة لا تقتضيه، وقد يخفى وجه الحكمة فيما يفعله الطبيب، من أشياء تؤذي في الظاهر يقصد بها المصلحة، فلعل هذا من ذاك.

والثالث: أنه قد يكون التأخير مصلحة، والاستعجال مضرة، وقد قال النبي ﷺ: «**لا يزال العبد في خير ما لم يستعجل، يقول دعوت فلم يستجب لي**» [رواه مسلم].

والرابع: أنه قد يكون امتناع الإجابة لآفة فيك، فربما يكون في مأكولك شبهة، أو قلبك وقت الدعاء في غفلة، أو تزاد عقوبتك في منع حاجتك لذنب ماصدقت في التوبة منه.

والخامس: أنه ينبغي أن يقع البحث عن مقصودك بهذا المطلوب، فربما كان في حصوله زيادة إثم، أو تأخير عن مرتبة خير، فكان المنع أصلح.

وقد روي عن بعض السلف أنه كان يسأل الله الغزو، فهتف به هاتف: إنك إن غَزَوْت أُسِرْتَ، وإن أسرت تنصرت.

والسادس: أنه ربما كان فقد ما تفقده سببًا للوقوف على الباب واللجأ. وحصوله سببًا للاشتغال به عن المسؤول.

وهذا الظاهر بدليل أنه لو لا هذه النازلة ما رأيناك على باب اللجأ.

فالحقُّ ﷻ علم من الخلق اشتغالهم بالبر عنه، فلذعهم في خلال النعم بعوارض تدفعهم إلى بابه، يستغيثون به، وكم من النعم في طي البلاء.

هذا وصلوا...

❁ ❁ ❁

(٤٨) الخطبة الأولى[١]

الحمد لله القريب المجيب، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له في ربوبيته، وألوهيته، وأسمائه وصفاته، تعالى سبحانه وجلَّ عن الشبيه والنظير، وأشهد أن نبينا محمداً عبده ورسوله، المبعوث رحمة للعالمين، وحجة على الناس أجمعين، صلى الله وسلم وبارك عليه، وعلى آله وصحبه أجمعين، والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

فاتقوا الله وراقبوه، فإن من اتقاه كفاه ووقاه، وأحبه وآواه.

عباد الله:

أسماء الله تعالى كلها حسنى، وصفاته كلها صفات علا، منزه عن الشبيه والنظير، ليس كمثله شيء، تبارك ربنا وتعالى.

وقد ذكر ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ أن لإحصاء أسماء الله الحسنى ثلاث مرات مراتب بتكميلها وتحقيقها ينال العبد ثواب الله العظيم المذكور في حديث رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«من أحصاها دخل الجنة»**.

المرتبة الأولى: إحصاء ألفاظها وعددها.

---

(١) اسم (القريب).

المرتبة الثانية: فهم معانيها ومدولاتها.

المرتبة الثالثة: دعاء الله بها، وهذا شامل لدعاء العبادة ودعاء المسألة.

عباد الله:

ومن أسماء الله الحسنى وكل أسمائه حسنى، اسم (القريب).

وربنا الله تعالى (القريب)، وقربه يشمل: إجابته دعوة الداعين مع إحاطة علمه بالأشياء كلها، لايعزب عنه منها شيء، وكل شيء تحت قدرته وسلطانه وحكمته وتصرفه.

فالله سبحانه قريب من كل متكلم يسمع ما ينطق به، أقرب إليه من حبل الوريد.

قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (القريب أي: هو القريب من كل أحد، وقربه نوعان:

قرب عام من كل أحد بعلمه، وخبرته، ومراقبته ومشاهدته وإحاطته، وهو أقرب إلى الإنسان من حبل الوريد.

وقرب خاص من عابديه، وسائليه، ومجيبيه، وهو قرب يقتضي المحبة، والنصرة، والتأييد في الحركات، والسكنات، والإجابة للداعين، والقبول، والإثابة. وهو المذكور في قوله تعالى: ﴿وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب﴾ [العلق: ١٩]، وفي قوله: ﴿إِنَّ رَبِّى قَرِيبٌ مُّجِيبٌ﴾ [هود: ٦١]، وفي قوله: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة: ١٨٦].

وهذا النوع قرب يقتضي ألطافه تعالى، وإجابته لدعواتهم، وتحقيقه لمراداتهم، ولهذا يقرن باسمه (القريب) اسمه (المجيب)، وهذا القرب قرب لا تدرك له حقيقة، وإنما تعلم آثاره من لطفه بعبده، وعنايته به وتوفيقه، وتسديده، ومن آثاره الإجابة للداعين والإثابة للعابدين).

وهو سبحانه قد وصف نفسه في كتابه على لسان نبيه ﷺ بقربه من الداعي، وقربه من المتقرب إليه، وهو يقرب سبحانه إلى عبده المتقرب إليه قربًا خاصًا مع علوه سبحانه فوق عرشه، ويسهل فهم هذا معرفة عظمة الرب وإحاطته بخلقه، وأن السموات السبع في يده كخردلة في يد العبد؛ فكيف يستحيل في حق من هذا بعض عظمته أن يكون فوق عرشه ويقرب من خلقه كيف يشاء وهو على العرش.

وقد ورد اسمه تعالى (القريب) في ثلاث آيات، قال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة: ١٨٦]. وقال تعالى: ﴿فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ﴾ [هود: ٦١]. وقال تعالى: ﴿قُلْ إِن ضَلَلْتُ فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِي ۖ وَإِنِ اهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِي إِلَيَّ رَبِّي ۚ إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ﴾ [سبأ: ٥٠].

قال الطبري رَحِمَهُ اللهُ: في قوله: ﴿إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ﴾ [سبأ: ٥٠]. (إن ربي سميع لما أقول لكم، حافظ له، وهو المجازي لي على صدقي في ذلك، وذلك مني غير بعيد فيتعذر عليه سماع ما أقول لكم، وما تقولون وما يقوله غيرنا، ولكنه قريب من كل متكلم، يسمع كلَّ ما ينطق به، أقربُ إليه من حبل الوريد).

وقال الزجاجي: (القريب) في اللغة على أوجه القريب الذي ليس ببعيد، فالله ﷻ قريبٌ ليس ببعيد كما قال ﷻ:﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة: ١٨٦]، أي: أنا قريبُ الإجابة، وهو مثل قوله ﷻ: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ ۚ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۖ وَهُوَ

مَعَكُمۡ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡۚ﴾ [الحديد: ٤]، وكما قال ﷻ: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجۡوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمۡ وَلَا خَمۡسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمۡ وَلَآ أَدۡنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكۡثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمۡ أَيۡنَ مَا كَانُواْۖ﴾ [المجادلة: ٧].

ويفصل الشيخ ابن عثيمين رحمه الله القول في أنواع قربه سبحانه فيقول: (واعلم أن من العلماء من قسم قرب الله تعالى إلى قسمين؛ كالمعية، وقال: القرب الذي مقتضاه الإحاطة قرب عام، والقريب الذي مقتضاه الإجابة والإثابة قرب خاص.

ومنهم من يقول: إن القرب خاص فقط؛ مقتضٍ لإجابة الداعي وإثابة العابد، ولا ينقسم.

ويستدل هؤلاء بقوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌۖ أُجِيبُ دَعۡوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ﴾ [البقرة: ١٨٦]، وبقوله ﷺ: «**أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد**» [رواه مسلم]، وأنه لا يمكن أن يكون الله تعالى قريباً من الفجرة الكفرة. وهذا اختيار شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم رحمهما الله تعالى).

ويبين ابن القيم رحمه الله أن لا منافاة بين علوه سبحانه وقربه فيقول: (وهو سبحانه قريبٌ في علوه؛ عالٍ في قربه، كما في الحديث الصحيح عن أبي موسى الأشعري قال: (كنا مع رسول الله ﷺ في سفرٍ، فارتفعت أصواتنا بالتكبير، قال: «**أيها الناس، أربعوا على أنفسكم، فإنكم لا تدعون أصمَّ ولا غائبًا، إن الذي تدعونه سميعٌ قريبٌ، أقرب إلى أحدكم من عنق راحلته**» [رواه البخاري ومسلم].

فأخبر ﷺ وهو أعلم الخلق به أنه أقرب إلى أحدكم من عنق راحلته، وأخبر أنه فوق سماواته على عرشه؛ مُطَّلعٌ على خلقه؛ يرى أعمالهم، ويرى ما في بطونهم، وهذا حقٌّ لا يُناقض أحدُهما الآخر.

والذي يُسهِّل عليك فهم هذا: معرفة عظمة الربِّ؛ وإحاطته بخلقه، وأن السماوات السبع في يده كخردلة في يد العبد، وأنه سبحانه يقبض السماوات بيده والأرض بيده الأخرى؛ ثم يهزهنَّ، فكيف يستحيل في حقِّ مَنْ هذا بعض عظمته أن يكون فوق عرشه؛ ويقرب من خلقه كيف شاء وهو على العرش).

عباد الله:

وإذا علم العبد بأن الله غني كريم، بر رحيم، واسع الإحسان، وأنه تَبَارَكَ وَتَعَالَى مع غناه عن عباده، فهو محسن إليهم، رحيم بهم، يريد بهم الخير، ويكشف عنهم الضر، لا لجلب منفعة إليه من العبد، ولا لدفع مضره، بل رحمة منه وإحسانًا، فهو سبحانه لم يخلق خلقه ليتكثر بهم من قلة، ولا ليعتز بهم من ذلة، ولا ليرزقوه، ولا لينفعوه، ولا يدفعوا عنه، كما قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ۝٥٧ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ﴾ [الذاريات: ٥٦ - ٥٨]، وقال تعالى: ﴿وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ ۖ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًۢا﴾ [الإسراء: ١١١].

وقال تعالى فيما رواه عنه رسوله ﷺ: «**يا عبادي إنكم لن تبلغوا ضرِّي فتضرُّوني، ولن تبلغُوا نفعي فتنفعوني**» [رواه مسلم].

فإذا علم العبد ذلك أثمر فيه قوَّة الرَّجاء – قوة رجائه بالله – وطمعَه فيما عنده، وإنزالّ جميع حوائجه به، وإظهارَ افتقاره إليه واحتياجه له ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ﴾ [فاطر: ١٥]، والرجاء يثمر أنواع العبودية الظاهرة والباطنة بحسب معرفة العبد وعلمه.

وإذا علم العبدُ بعدل الله وانتقامه وغضبه وسخطه وعقوبته فإن هذا يثمر له الخشية والخوف والحذر والبعد عن مساخط الرّبّ، قال الله تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ﴾ [البقرة: ١٩٦]، وقال الله تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّكُمۡ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ﴾ [البقرة: ٢٠٣]، وقال تعالى: ﴿فَإِن زَلَلۡتُم مِّنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَتۡكُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٠٩].

أيها المسلمون:

وإذا علم العبد بجلال الله وعظمته عُلُوِّه على خلقه ذاتـًا وقهراً وقدراً فإنَّ هذا يثمرُ له الخضوع والاستكانة والمحبة وجميع أنواع العبادة، قال الله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلۡبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡكَبِيرُ﴾ [الحج: ٦٢]، وقال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، وقال: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦ وَٱلۡأَرۡضُ جَمِيعٗا قَبۡضَتُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطۡوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾ [الزمر: ٦٧].

وإذا علم العبد بكمال الله وجماله؛ أوجبَ له هذا محبَّةً خاصَّةً وشوقـًا عظيمـًا إلى لقاء الله، «ومن أحبَّ لقاء أحبَّ ا لله لقاءَه» [متفق عليه].

ولا ريب أن هذا يثمر في العبد أنواعـًا كثيرةً من العبادات، ولهذا قال تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا﴾ [الكهف: ١١٠].

وبهذا يُعلَم العبوديَّة بجميع أنواعها راجعة إلى مقتضيات الأسماء والصفات، ولهذا فإنه يتأكَّد على كل عبد مسلم أن يعرف ربَّه ويعرف أسماءه وصفاته معرفة صحيحة سليمة، وان يعلم ما تضمنته وآثارَها، وموجبات العلم بها، فبهذا يعظم حظُّ العبد، ويكمل نصيبه من الخير.

إنّ المؤمن الموحِّد يجد بإيمانه ويقينه بأسماء ربه الحسنى وصفاته العليا الدالة على عظمة الله وكبريائه وتفرده بالجلال والجمال ما يجذبه إلى اجتماع همه على الله حبا وتذلُّلاً، خشوعا وانكسارا، رغبًا ورهبًا، رجاءً وطمعًا، وتوافر همته في طلب رضاه باستفراغ الوسع في التقرب إليه بالنوافل بعد تكميل ا لفرائض، والتوفيق والرشد بيد الله لا مانع لما أعطى ولا معطي لما منه، ولا حول ولا قوَّة إلَّا به....

بارك الله لي ولكم...

الخطبة الثانية

الحمد لله قريب لمن دعاه، أحمد ربي وأشكره وأسأله المزيد من فضله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن نبينا محمداً عبده ورسوله، أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره الكافرون، صلى الله وسلم عليه وعلى آله وصحبه أجمعين، والتابعين ومن تبعهم بإحسان على يوم الدين.

أما بعد:

فإن من آثار الإيمان باسمه سبحانه (القريب):

أولاً: محبته سبحانه والأنس به، لأن الإيمان بقربه سبحانه القرب الخاص المستلزم للرحمة، وإجابة الدعوة، واللطف بعبده يثمر المحبة والطمأنينة والأنس به سبحانه، وطلب العون منه وحده.

ثانيًا: قوة الرجاء في الله سبحانه، وعدم اليأس من رحمته، والتضرع بين يديه فهو قريب لمن ناجاه مجيب لمن دعاه، وهذا يثمر الأمل والرَّوح في القلب، ويزرع حسن الظن به سبحانه في قضاء الحاجات وتفريج الكربات، ويفتح باب الدعاء والتضرع من العبد لربه سبحانه وحده لا شريك له.

ثالثًا: الإيمان بقربه سبحانه القرب العام لجميع الخلائق بالإحاطة والعلم، والرقابة، والسمع والبصر؛ يثمر في القلب الخوف منه سبحانه ومراقبته والحياء منه، وهذا كله يثمر البعد عن معاصيه وامتثال أوامره، والمسارعة في مرضاته.

رابعـًا: إن الإيمان بقرب الله ﷻ واستحضار ذلك في القلب، وأنه أقرب من كل قريب؛ يؤدي على إخفاء العبد دعاءه ربه والإسرار به.

فكلَّما استحضر القلب قرب الله تعالى منه؛ وأنه أقرب إليه من كلِّ قريبٍ؛ وتصوَّر ذلك أخفى دعاءه ما أمكنه، ولم يتأتَّ له رفع الصوت به، بل يراه غير مُستحسنٍ، كما أنَّ من خاطب جليسًا له - يسمع خَفِيَّ كلامه – فبالغ في رفع الصوت: اسْتُهْجِنَ ذلك منه، ولله المثل الأعلى سبحانه.

وقد أشار النبي ﷺ إلى هذا المعنى بعينه؛ بقوله في الحديث الصحيح لما رفع الصحابة رضي الله عنهم أصواتهم بالتكبير؛ وهم معه في السفر، فقال: «**أربعوا على أنفسكم، إنكم لا تدعون أصمَّ ولا غائبًا، إنكم تدعون سميعًا قريبًا، أقرب إلى أحدكم من عنق راحلته**» [رواه البخاري].

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة: ١٨٦].

وقد جاء أن سبب نزولها: أن الصحابة رضي الله عنهم قالوا: (يا رسول الله، ربنا قريبٌ فنناجيه، أم بعيدٌ فنناديه؟ فأنزل الله ﷻ: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾.

خامسـًا: طلب قرب الله ﷻ والتقرب إليه بالطاعات، لأن الله ﷻ قريب ممن أطاعه، قال سبحانه ﴿إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [الأعراف: ٥٦]، وقال في الحديث القدسي: «**من تقرب إليَّ شبراً تقربت إليه ذراعـًا...**» [رواه البخاري].

وكلما كمل العبد مراتب العبودية، كان أقرب إلى الله تعالى.

هذا وصلوا...

(٤٩) الخطبة الأولى[١]

الحمد لله الواحد القهار، قهر خلقه بسلطانه وقدرته، وصرَّفهم على ما أراد طوعًا وكَرْهًا، أحمده وأشكره، وأشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن نبينا محمداً عبده ورسوله، صلى الله وسلم وبارك عليه، وعلى آله وصحبه الأخيار، ومن تبعهم بإحسان من التابعين الأبرار، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم القرار.

أما بعد:

فالزموا التقوى، فإنها حصن حصين، وملاذ مكين. ﴿وَٱتَّقُواْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ ۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٨١].

عباد الله:

من أسماء الله تعالى اسم (القاهر والقهار).

والقهر في اللغة: الغلبة، والعلو، والأخذ من فوق، وهو الرياضة والتذليل.

و(القاهر): الغالب.

و(القهار) سبحانه: هو القاهر فوق خلقه، قهرهم بقدرته عليهم.

---

(١) اسم (القاهر، القهار).

وهو المذلل المستعبد خلقه، العالي عليهم، ومن صفة كل قاهر شيئًا أن يكون مستعليًا عليه؛ فالله سبحانه هو الغالب عباده ومذللهم، وهو عالٍ عليهم بتذليله لهم وخلقه إياهم فهو فوقهم بقهره إياهم وهم دونه.

وهو سبحانه الغالب جميع الخلق، وقد دانت لقدرته ومشيئته مواد العالم العلوي والسفلي؛ فلا يحدث حادث ولا يسكن ساكن إلا بإذنه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، وقد قهر المعاندين بما أقام من الآيات والدلالات على وحدانيته، وقهر جبابرة خلقه بعز سلطانه، وقهر الخلق كلهم بالموت.

وهو سبحانه يحيي خلقه إذا شاء ويميتهم إذا شاء، ويفقرهم إذا شاء، ويغنيهم إذا شاء، ويمرضهم إذا شاء ويصحهم إذا شاء، لا يقدر أحد منهم إذا حكم عليه بحكم أن يزيل ما حكم الله به، أو أن يرد تدبيره أو يخرج من تقديره.

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ: ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [الأنعام: ١٨] أي: هو الذي خضعت له الرقاب وذلت له الجبابرة، وعنت له الوجوه وقهر كل شيء، ودانت له الخلائق وتواضعت لعظمته وجلاله وكبريائه وعلوه وقدرته على الأشياء، واستكانت وتضاءلت بين يديه وتحت قهره وحكمه).

وقال الأزهري: (الله القاهر القهار، قهر خلقه بسلطانه وقدرته، وصرفهم على ما أراد طوعًا وكرهًا).

وقال ابن الأثير: (القاهر هو الغالب جميع الخلق).

عباد الله:

جاء ذكر اسمه سبحانه (القاهر) مرتين في القرآن الكريم وذلك في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۖ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً﴾ [الأنعام: ٦١]، وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [الأنعام: ١٨].

قال ابن جرير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ((القاهر) المذلل المستعبد خلقه العالي عليهم).

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (لا يكون القهار إلا واحداً، إذ لو كان معه كفؤ له فإن لم يقهره لم يكن قهاراً على الإطلاق، وإن قهره لم يكن كفؤاً، فكان القهار واحداً).

ويقول السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (القهار لجميع العالم العلوي والسفلي، القهار لكل شيء الذي خضعت له المخلوقات وذلت لعزته وقوته وكمال اقتداره).

و(القهّار) صيغة مبالغة من القاهر، ومعناهما: الذي قهر جميع الكائنات وذلّت له جميع المخلوقات، ودانت لقدرته ومشيئته مواد وعناصر العالم العلوي والسفلي، فلا يحدث حادثٌ ولا يسكن ساكنٌ إلا بإذنه، وما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، وجميع الخلق فقراء إلى الله عاجزون، لايملكون لأنفسهم نفعاً ولا ضرّاً ولا خيراً ولا شرّاً. وكونه تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ قهّاراً مستلزمٌ لكمال حياته وكمال عزّته وكمال قدرته.

وثبوت هذا الوصف لله عَزَّوَجَلَّ يعد شاهداً من شواهد وحدانيته، ودليلاً من دلائل تفرده بالألوهية، وبطلان الشرك واتخاذ الأنداد.

وقد ورد اسم الله (القهّار) في ستة مواضع من القرآن الكريم، مضموماً في جميعها إلى اسمي (الله) و(الواحد).

الموضع الأول: ورد في سياق إبطال يوسف عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ للشرك وبيان فساده وضلال أهله، مخاطباً صاحبي السجن ﴿يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ ءَأَرۡبَابٞ مُّتَفَرِّقُونَ خَيۡرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ ٣٩ مَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسۡمَآءٗ سَمَّيۡتُمُوهَآ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلۡطَٰنٍۚ إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۚ أَمَرَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ [يوسف: ٣٩-٤٠].

فبيَّن لهما عليه السلام بطلان الشرك بقوله: ﴿ءَأَرۡبَابٌ﴾ أي: عاجزة ضعيفة لا تضرُّ ولا تنفع ولا تعطي ولا تمنع، وهي متفرِّقة ما بين أشجار وأحجار وملائكة وأموات وغير ذلك، ﴿خَيۡرٌ أَمِ ٱللَّهُ﴾ الذي له صفات الكمال ونعوت الجلال ﴿ٱلۡوَٰحِدُ﴾ في ذاته وصفاته وأفعاله لا شريك له ﴿ٱلۡقَهَّارُ﴾ الذي انقادت جميع الأشياء لقهره وسلطانه.

الموضع الثاني: في سياق بيان بطلان ما عليه المشركون من اتخاذ الأوثان والأنداد مع أنها لا تملك لنفسها نفعاً ولا ضراً، ويتركون عبادة الله الواحد القهّار وإخلاص الدّين له.

قال الله تعالى: ﴿قُلۡ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ قُلِ ٱللَّهُۚ قُلۡ أَفَٱتَّخَذۡتُم مِّن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ لَا يَمۡلِكُونَ لِأَنفُسِهِمۡ نَفۡعًا وَلَا ضَرًّاۚ قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡبَصِيرُ أَمۡ هَلۡ تَسۡتَوِي ٱلظُّلُمَٰتُ وَٱلنُّورُۗ أَمۡ جَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُواْ كَخَلۡقِهِۦ فَتَشَٰبَهَ ٱلۡخَلۡقُ عَلَيۡهِمۡۚ قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ وَهُوَ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّٰرُ﴾ [الرعد: ١٦].

قال ابن السعدي رحمه الله في تفسير هذه الآية مبيناً في الآية وجه دلالة اسم الله القاهر على بطلان الشّرك: (فإنّه لا توجد الوحدة والقهر إلا لله وحده، فالمخلوقات كل مخلوق فوقه مخلوق يقهره، ثم فوق ذلك القاهر قاهر أعلى منه، حتى ينتهي القهر للواحد القهّار، فالقهر والتوحيد متلازمان متعيِّنان لله وحده، فتبيّن بالدّليل العقلي القاهر، أنّ ما يُدعى من دون الله ليس له شيء من خلق المخلوقات، وبذلك كانت عبادته باطلة).

الموضع الثالث: في سياق التهديد والوعيد للكفار المشركين بالهلاك وحلول النقمة بهم يوم يبرزون لله الواحد القهّار، مسلسلين بالأصفاد من النار وعليهم ثياب من قطران وتغشى وجوههم النار.

قال الله تعالى: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ ۖ وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴿٤٨﴾ وَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ ﴿٤٩﴾ سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ ﴿٥٠﴾ لِيَجْزِىَ ٱللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾ [إبراهيم: ٤٨ - ٥١].

الموضع الرابع: في سياق تقرير تفرد الله بالألوهية، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ مُنذِرٌ ۖ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٦٥﴾ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفَّٰرُ﴾ [ص: ٦٥ - ٦٦].

قال ابن سعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسيرها: (هذا تقرير لألوهيَّته، بهذا البرهان القاطع، وهو وحدته تعالى، وقهره لكلّ شيء، فإنّ القهر ملازم للوحدة، فلا يكون قهّاران متساويين في قهرهما أبداً، فالذي يقهر جميع الأشياء هو الواحد الذي لا نظير له، وهو الذي يستحق أن يعبد وحده، كما كان قاهراً وحده).

الموضع الخامس: ورد فيه هذا الاسم في سياق بيان تنزّه الله عن الشّرك. قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِى مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ كَٰذِبٌ كَفَّارٌ ﴿٣﴾ لَّوْ أَرَادَ ٱللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا لَّٱصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ ۖ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ﴾ [الزمر: ٣ - ٤].

الموضع السادس: في سياق التهديد والوعيد للمشركين يوم بروزهم لله الواحد القهار لا يخفى عليه سبحانه شيء من أعمالهم أو ذواتهم. قال تعالى: ﴿يَوْمَ هُم بَٰرِزُونَ ۖ لَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِنْهُمْ شَىْءٌ ۚ لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ۖ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴿١٦﴾ ٱلْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ ۚ لَا ظُلْمَ ٱلْيَوْمَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾ [غافر: ١٦ - ١٧].

وقوله في هذا السِّياق ﴿ٱلْقَهَّار﴾ أي: لجميع المخلوقات، الذي دانت له المخلوقات وذلّت وخضعت، خصوصاً في ذلك اليوم الذي عنت فيه الوجوه للحي القيوم.

فجميع هذه المواضع السِّت تدل دلالة ظاهرة على التلازم بين اسميه الواحد القهّار، فالواحد لا يكون إلا قهّاراً، والقهّار لا يكون إلاّ واحداً، وذلك ولا ريب ينفي الشركة ويبطل اتخاذ الأنداد.

عباد الله:

جاء في الحديث عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أن رسول الله ﷺ كان إذا تضوَّر - أرق أو تقلب على فراشه من الليل - قال: «**لا إله إلا الله الواحد القهار، رب السماوات والأرض وما بينهما العزيز الغفار**».

وقد أمرنا ﷺ بهذا الدعاء العظيم الذي يتضمن مقتضيات اسم الله (القاهر) و(القهار) حيث قال للبراء بن عازب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**إذا أتيت مضجعك، فتوضأ وضوءك للصلاة، ثم اضطجع على شقك الأيمن، ثم قل: «اللهم إني أسلمت وجهي إليك، وفوضت أمري إليك، وأجلأت ظهري إليك، رغبة ورهبة إليك، لا ملجأ ولا منجى منك إلا إليك، آمنت بكتابك الذي انزلت، وبنبيك الذي أرسلت، فإن مت من ليلتك، مُت وأنت على الفطرة، واجعلهن آخر ما تتكلم به**» [متفق عليه].

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجْنِ ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ﴾ [يوسف: ٣٩].

بارك الله لي ولكم...

الخطبة الثانية

الحمد لله، لا رب لنا سواه، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وصفيه وخليله، صلى الله وسلم وبارك عليه، وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيراً.

عباد الله:

من آثار الإيمان باسمه (القاهر) و(القهار):

أولاً: (القاهر والقهار) لا يكون إلا واحداً لا كفؤ له وإلا لم يكن قهاراً، ولذا اقترن اسمه سبحانه (القهار) باسمه سبحانه (الواحد) في كل الآيات.

والإيمان بهذا يستلزم إفراده سبحانه بالعبادة والإرادة والقصد، فلا يجوز صرف شيء من ذلك لما سوى الله ﷻ من المخلوقين المربوبين المقهورين كما قال ﷻ: ﴿يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ ءَأَرۡبَابٞ مُّتَفَرِّقُونَ خَيۡرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ﴾ [يوسف: ٣٩].

ثانيًا: التعلق بالله وحده والتوكل عليه سبحانه، وقطع العلائق بالأسباب المقهورة مع فعلها؛ لأن حقيقة التوكل هي تمام الاعتماد على الله تعالى مع تمام الثقة بكفايته وإعانته، وهذا لا يصرف إلا للواحد القهار، أما المقهور فلا يتوكل عليه لعدم قدرته على الإعانة استقلالاً.

ثالثًا: تعظيم الله ﷻ والخوف منه وحده، وسقوط الخوف من المخالىق الضعاف المقهورين المغلوبين من القلب، سواء كان ذلك خوفًا على الرزق أو خوفًا على الأجل.

رابعًا: مستفاد من قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ﴾ [الأنعام: ١٨] الإيمان بصفة العلو لله تعالى على عباده بكل أنواع العلو: علو الذات، وعلو القهر، وعلو المكانة والقدر.

خامسًا: اسم (القهار) خاص بالله تعالى فلا يصلح أن يسمى به المخلوق أو يوصف به، بل صفة ذم للمخلوق لأنها في الغالب لا تكون إلا مصحوبة بالظلم والعدوان وخاصة مع الضعفاء، ولذا نهى الله سبحانه عن قهر اليتيم بقوله: ﴿فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ﴾ [الضحى: ٩].

وكما قال سبحانه عن فرعون وملئه: ﴿سَنُقَتِّلُ أَبْنَآءَهُمْ وَنَسْتَحْيِۦ نِسَآءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَـٰهِرُونَ﴾ [الأعراف: ١٢٧].

ولذا قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (ولا تجوز تسمية الملوك بالقاهر والظاهر، كما لا يجوز تسميتهم بالجبار والمتكبر، والأول والآخر، والباطن، وعلام الغيوب).

سادسًا: يتضمن اسمه سبحانه (القهار) صفة العزة، و(القوة)، وهذه تجعل المؤمن من مطمئن النفس، طيب الخاطر، يأوي إلى ركن شديد، ورب عزيز فعال لما يريد.

سابعًا: شعور العبد بضعفه وذلته أمام قهر الله عَزَّ وَجَلَّ وجبروته مما يكون له الأثر في تواضع العبد واستكانته لربه الذي لا يكون شيء إلا بإرادته وأمره. يتمنى المرء أن يولد له فلا يولد، وأن لا يمرض فيمرض وأن يستغني فيفتقر، كل ذلك بغلبة من الله وقهر يصده عن مراده، وذلك من آيات كمال القاهر، ونقص المقهور.

هذا وصلوا...

(٥٠) الخطبة الأولى [(١)]

الحمد لله القوي المتين الذي لا يُغلب ولا يُقهر، أحمده وأشكره وأثني عليه الخير كله، لا مانع لما أعطى ولما معطي لما منع، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله وسلم وبارك عليه، وعلى آله وصحبه والتابعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

فاتقوا الله عباد الله، وأطيعوا أمره، واجتنبوا نهيه ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفۡسَهُۥ﴾ [آل عمران: ٢٨].

عباد الله:

من أسماء الله تعالى اسم (القوي) وقد ورد اسمه سبحانه (القوي) في القرآن الكريم تسع مرات، جاء في أكثرها مقترنـًا باسمه (العزيز) كما في قوله ﷻ: ﴿ٱللَّهُ لَطِيفُۢ بِعِبَادِهِۦ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلۡقَوِيُّ ٱلۡعَزِيزُ﴾ [الشورى: ١٩]، وقوله تعالى: ﴿وَلِيَعۡلَمَ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥ وَرُسُلَهُۥ بِٱلۡغَيۡبِۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٞ﴾ [الحديد: ٢٥].

وورد مرتين مقترنـًا بشديد العقاب، كما في قوله تعالى: ﴿فَكَفَرُواْ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُۚ إِنَّهُۥ قَوِيّٞ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ﴾ [غافر: ٢٢].

---

(١) اسم (القـوي، المـتين).

قال الجوهري: (القوة خلاف الضعف، ورجل شديد القوى. أي: شديد أسر الخلق).

وقال الزجاج: (هو الكامل القدرة على الشيء يقول: هو قادر على حمله، فإذا زدته وصفًا قلت: هو قويٌّ على حمله).

ومعناه في حق الله ﷻ:

قال الخطابي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (هو الذي لا يستولي عليه العجز في حالة من الأحوال، والمخلوق وإن وصف بالقوة فإن قوته متناهية، وعن بعض الأمور قاصرة).

فهو سبحانه لا يُعجزه شيء ولا يغلبه غالب، ولا يردُّ قضاءه رادٌّ، يُنْفِذُ أمرُهُ ويمضي قضاؤه في خلقه، يُعَزُّ مَنْ يشاء، ويخذل من يشاء، يخلق المخلوقات العظيمة من غير ضعف، لم يزل ولا يزال قويًا والخلق ضعفاء ﴿وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٖ﴾ [ق: ٣٨].

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ عند قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلۡقُوَّةِ ٱلۡمَتِينُ﴾ [الذاريات: ٥٨]. (فعلم أن (القوي) من أسمائه ومعناه: الموصوف بالقوة).

وقد دعا الله سبحانه عابده للنظر في قوّته بما أوجده من عِظم مخلوقاته حيث قال تعالى: ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلۡإِبِلِ كَيۡفَ خُلِقَتۡ ۝١٧ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيۡفَ رُفِعَتۡ ۝١٨ وَإِلَى ٱلۡجِبَالِ كَيۡفَ نُصِبَتۡ ۝١٩ وَإِلَى ٱلۡأَرۡضِ كَيۡفَ سُطِحَتۡ﴾ [الغاشية: ١٧ - ٢٠].

وهو سبحانه القويّ الذي نصر أنبيائه وألحق العذاب بالظالمين، ومن تأمَّل قوة من عصى تَرَكَ ما عصى: فهؤلاء قوم عاد لما كفروا واستكبروا ﴿أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِي خَلَقَهُمۡ هُوَ أَشَدُّ مِنۡهُمۡ قُوَّةٗۖ وَكَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَجۡحَدُونَ﴾

[فصلت: ١٥]، فعاقبهم الله عقوبة تناسب قوتهم التي اغتروا بها ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِيٓ أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ﴾ [فصلت: ١٦].

وسحرة فرعون لما ألقوا سحرهم العظيم، قال لهم موسى عليه السلام: ﴿مَا جِئْتُم بِهِ ٱلسِّحْرُ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ سَيُبْطِلُهُۥٓ﴾ [يونس: ٨١]، فألقى موسى عصاه فإذا هي حية تسعى، تلتهم جميع ما صنعوا، فبطل سحرهم واضمحلَّ باطلهم، فقوةُ الله سبحانه لا تقف أمامها قوة، ويوم القيامة يدرك المشركون عند معاينة العذاب ﴿أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ [البقرة: ١٦٥].

هذا ومن شواهد قوته لأنبيائه وتأييده لأوليائه، وفي قصص الأنبياء في القرآن خير شاهد على هذا، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَٰلِحًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَمِنْ خِزْىِ يَوْمِئِذٍ ۗ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْعَزِيزُ﴾ [هود: ٦٦]، وقال تعالى: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحج: ٤٠]، وقال تعالى: ﴿كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِىٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ﴾ [المجادلة: ٢١]، وقال تعالى: ﴿وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا﴾ [الأحزاب: ٢٥].

ومن شواهد قوَّته إهلاكه للظّالمين وانتقامه من المجرمين وإحلاله بهم أنواع العقوبات وصنوف المثُلات، قال تعالى: ﴿كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ ۙ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ [الأنفال: ٥٢]، وقال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَانُوا۟ هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَءَاثَارًا فِى ٱلْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٍ ﴿٢١﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَكَفَرُوا۟ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ ۚ إِنَّهُۥ قَوِىٌّ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ [غافر: ٢١-٢٢].

وهو سبحانه القويّ: الذي قامت السموات بأمره، ولا مفرّ ولا ملجأ إلا إليه، جميع القوى المخلوقة هي له سبحانه، فهو الذي أودع المخلوقات ما فيها من قوة، ولو شاء لسلبها، ولهذا جاء في الحديث الصحيح عنه ﷺ «لاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِاللهِ كَنْزٌ مِنْ كُنُوزِ الْجَنَّةِ» فهي كلمة إسلام واستسلام، وتفويض وتبرؤ من الحول والقوة إلا بالله، وأن العبد لا يملك من أمره شيئًا، وليس له حيلة في دفع شر، ولا قوة في جلب خير إلا بإرادة الله تعالى، فلا تحوّل للعبد من معصية إلى طاعة، ولا من مرض إلى صحة، ولا من وهن إلى قوة، ولا من نقصان إلى كمال وزيادة إلا بالله، ولا قوة له على القيام بشأن من شؤونه أو تحقق هدف من أهدافه أو غاية من غاياته إلا بالله العظيم، فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن.

ومن شواهد قوته قيام السماء والأرض بأمره وحفظه لهما ولما فيهما بقدرته فلا يعجزه شيء قال تعالى: ﴿وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَاۚ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، وقال تعالى: ﴿أَوَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ وَكَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنۡهُمۡ قُوَّةٗۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعۡجِزَهُۥ مِن شَيۡءٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيمٗا قَدِيرٗا﴾ [فاطر: ٤٤].

ومن شواهد قوته أن الرزق بيده يؤتيه من يشاء، قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ لَطِيفُۢ بِعِبَادِهِۦ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلۡقَوِيُّ ٱلۡعَزِيزُ﴾ [الشورى: ١٩]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلۡقُوَّةِ ٱلۡمَتِينُ﴾ [الذاريات: ٥٨].

ولا حول للعبد في جلب نفع أو دفع ضر ولا قوة إلَّا بالله، قال تعالى: ﴿وَلَوۡلَآ إِذۡ دَخَلۡتَ جَنَّتَكَ قُلۡتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ﴾ [الكهف: ٣٩].

ومن شواهد قوته أنه لا مفرَّ إلا إليه ولا ملجأ للعبد ولا منجا منه إلَّا إليه، قال تعالى: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَبَقُوٓاْۚ إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ﴾ [الأنفال: ٥٩]، وقال تعالى عن الجنّ: ﴿وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن نُّعْجِزَ ٱللَّهَ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَن نُّعْجِزَهُۥ هَرَبًا﴾ [الجن: ١٢]، وقال تعالى: ﴿وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِيَ ٱللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُۥ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءُۚ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [الأحقاف: ٣٢]، وقال تعالى: ﴿فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۖ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ [الذاريات: ٥٠].

ومن شواهد قوّته أنه الفعَّال لما يُريد، لا يقع شيءٌ في هذا العالم من حركة أو سكون، أو خفض أو رفع، أو عز أو ذل، أو عطاء أو منع إلا بإذنه، يفعل ما يشاء ولا يمانع ولا يغالب، بل قهر كل شيء، ودان له كل شيء، كما قال تعالى: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأعراف: ٥٤]، وقال تعالى: ﴿مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَاۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [فاطر: ٢]، وقال تعالى: ﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَۖ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ﴾ [يونس: ٣].

هذا وإنّ التعبد بهذا الاسم يثمر في العبد انكساراً بين يدي الله وخضوعاً لجانبه، وخوفاً منه سبحانه، ولُجوءاً إليه وحده، وحسن توكل عليه، واستسلاماً لعظمته، وتفويضَ الأمور كلِّها إليه، والتبرؤَ من الحول والقوة إلا به.

ولهذا كانت كلمة (لا حول ولا قوة إلَّا بالله) جليلةَ الشّأن، كبيرةَ القدر، عظيمةَ الأثر، قال ﷺ لأبي موسى الأشعري رضي الله عنه: «يا عبد الله بن قيس، قلْ: لا حول ولا قوة إلَّا بالله؛ فإنّها من كنوز الجنّة» [متفق عليه].

وروى الإمام أحمد من حديث أبي ذرّ رضي الله عنه، قال: «أمر خليلي ﷺ بسبعة، فذكرها، قال: «وأمرني أن أكثر من قول: لا حول ولا قوة إلا بالله، فإنهنّ من كنزٍ تحت العرش» [رواه أحمد].

وهي كلمةُ إسلام واستسلام، وتفويضٍ والجاء، وتبرؤٍ من الحول والقوة إلا بالله، وأن العبد لا يملك من أمره شيئًا، وليس له حيلة في دفع شر، ولا قوة في جلب خير إلا بإذن الله، ولا تحول للعبد من معصية إلى طاعة، ولا من مرض إلى صحة، ولا من وهن إلى قوة، ولا من نقص إلى زيادة إلا بالله، ولا قوة للعبد على القيام بأيِّ شأنٍ من شؤونه إلا بالله عز وجل.

ومن قال هذه الكلمة محقِّقًا ما دلَّت عليه من التوكُّل والتفويض وحسن الالتجاء هُدي ووُقي وكُفي، وكان من أقوى الناس قلبًا وأحسنهم حالاً ومآلاً، وفي الأثر: «من سرَّه أن يكون أقوى الناس فليتوكَّل على الله، ومن سرَّه أن يكون أغنى الناس فيكن بما في يد الله أوثق منه بما في يده».

عباد الله:

الخلائق منقادة لإرادته تعالى، وجميع نواصي المخلوقات بيده، لا يتحرك منها متحرّك ولا يتصرّف متصرّف إلا بحوله وقوته وإذنه، فما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، ولا حول ولا قوة إلا به.

فمن قوته واقتداره أنّه خلق السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام، وأنّه خلق الخلق ثم يميتهم ثم يُحييهم ثم إليه يُرجعون ﴿مَّا خَلۡقُكُمۡ وَلَا بَعۡثُكُمۡ إِلَّا كَنَفۡسٖ وَٰحِدَةٍ﴾ [لقمان: ٢٨]، ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهۡوَنُ عَلَيۡهِ﴾ [الروم: ٢٧].

ومن آثار قدرته أنك ترى الأرض هامدة، فإذا أنزل عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج، ومن آثار قدرته ما أوقعه بالأمم المكذّبين والكُفّار الظالمين من أنواع العقوبات وحلول المثلات، وأنه لم يغنِ عنهم كيدهم ومكرهم ولا أموالهم ولا جنودهم ولا حصونهم من عذاب الله من شيء لّما جاء أمر ربك، وما زادوهم غير تتبيب.

ومن تمام عزته وقدرته وشمولها أنه كما أنه هو الخالق للعباد فهو خالق أعمالهم وطاعتهم ومعاصيهم، وهي أيضًا أفعالهم، فهي تضاف إلى الله خلقًا وتقديراً، وتضاف إليه فعلاً ومباشرة على الحقيقة، ولا منافاة بين الأمرين، فإنّ الله خالق قدرتهم وإرادتهم، وخالق السبب التام خالق للمسبب، قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمۡ وَمَا تَعۡمَلُونَ﴾ [الصافات: ٩٦].

ومن آثار قدرته ما ذكره في كتابه من نصره أولياءه، على قلّة عددهم وعُددهم على أعدائهم الذين فاقوهم بكثرة العَدد والعُدّة، قال تعالى: ﴿كَم مِّن فِئَةٖ قَلِيلَةٍ غَلَبَتۡ فِئَةٗ كَثِيرَةَۢ بِإِذۡنِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٤٩].

ومن آثار قدرته ورحمته ما يحدثه لأهل النار وأهل الجنة من أنواع العقاب وأصناف النعيم المستمر الكثير المتتابع الذي لا ينقطع ولا يتناهى. فبقدرته أوجد الموجودات، وبقدرته دبّرها للعباد وبقدرته سواها وأحكمها، وبقدرته يحيي ويميت، ويبعث للجزاء، ويجازي المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته، وبقدرته يُقَلِّبُ القلوب ويصرفها على ما يشاء الذي إذا أراد شيئًا قال له: ﴿كُن فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢]. قال تعالى: ﴿أَيۡنَ مَا تَكُونُواْ يَأۡتِ بِكُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾ [البقرة: ١٤٨].

بارك الله لي ولكم....

الخطبة الثانية

الحمد لله، حمداً يليق بجلاله وعظمة سلطانه، والصلاة والسلام على نبيه ومصطفاه من رسله، صلى الله وسلم وبارك عليه، وعلى آله وصحبه وأتباعه.

أما بعد:

ومن أسماء الله تعالى (المتين) وقد ورد في موضع واحد، في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ﴾ [الذاريات: ٥٨].

والمتن: الصلابة في الشيء مع امتداد وطول، ومنه المتن: ما صلب من الأرض وارتفع انقاد.

والمتانة: الشدة والقوة، المتين أي ذو الاقتدار الشديد.

وربنا ﷻ هو القوي الشديد الذي لا تنقطع قوته، ولا يلحقه في أفعاله مشقة ولا كلفة ولا تعب، وهو سبحانه بالغ القدرة تامها، قوي لا تتناقص قوته فيَهِن ويفتُر تعالى الله عن ذلك.

وقال الخطابي: (المتين) الشديد القوي الذي لا تنقطع قوته ولا تلحقه في أفعاله مشقة، ولا يمسه لغوب).

و(المتانة تدل على شدة القوة لله تعالى فمن حيث إنه بالغ القدرة: (القوي)، ومن حيث إنه شديد القوة: (متين).

وقال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (ذي القوة المتين): أي ذي القوة الشديد).

ووجه اقتران أسمائه الثلاثة: (الرزاق، القوي المتين) وذلك في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ﴾ [الذاريات: ٥٨].

فأما اقتران اسمه سبحانه (القوي) باسمه سبحانه (المتين) فوجهه واضح لأن في اقترانهما كمال آخر في القوة من حيث التناهي في القدرة، والتناهي في شدة القوة.

أما اقترانها باسمه سبحانه (الرزاق)، فلأن من آثار قوة الله تعالى وقدرته التي لا حد لها تكفله برزق جميع الخلق، وهذا ما لا يقدر عليه إلا الله ﷻ، يقول الشيخ السعدي رحمه الله عند هذه الآية: (ومن قوته أن أوصل رزقه إلى جميع العالم).

عباد الله:

من آثار الإيمان باسمه سبحانه (القوي، المتين):

أولاً: التواضع لله تعالى ولخلقه، والشعور بالضعف الشديد أمام قوة الله ﷻ الذي لا يعجزه شيء، والتي خضع لها كل شيء، فمهما أوتي المخلوق من ملك قوة وسلطان ومال وأولاد فهو ذليل ضعيف أما قوة الله تعالى، وهذا الشعور يثمر التواضع ومعرفة قدر النفس، والبعد عن إيذاء الخلق وظلمهم والاعتداء عليهم، وينفي العجب بالنفس وقوتها وغرورها.

ثانيًا: التوكل على الله وحده الذي لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء وإذا أراد أمراً فلا راد لأمره، فهو سبحانه الذي يجب التوكل عليه وحده؛ لأنه وحده القوي العزيز الذي لا يغالب، يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد. ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ﴾ [الشعراء: ٢١٧].

ثالثًا: الاستهانة بقوة المخلوق، والثقة في نصر الله ﷻ وكفايته للمؤمنين فمهما بلغت قوة الكافرين وعددهم وعتادهم فالله فوقهم، ونواصيهم بيده وقوتهم لا شيء في جنب قوة الله تعالى، لكن بشرط الأخذ بأسباب النصر والعزة.

رابعًا: الشعور بالعزة وعدم الخوف من المخلوق؛ لأنه ضعيف لا يملك لنفسه ضراً ولا نفعًا فضلاً عن أن يملكه لغيره.

خامسًا: التبرؤ من الحول والقوة، حيث لا قوة للعبد على طاعة الله ﷻ وترك معاصيه، والصبر على أحكامه القدرية إلا بقوة الله ﷻ وتوفيقه ولو وكل العبد إلى نفسه وحوله وقوته لضاع وهلك وخسر.

هذا وصلوا...

❁ ❁ ❁

٥١ الخطبة الأولى (١)

الحمد لله الكبير المتعال، له مافي السموات ومافي الأرض ومابينهما وماتحت الثرى، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له في ألوهيته وأسمائه وصفاته، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله وسلم وبارك عليه، وعلى آله وأصحابه، والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

فالوصية المبذولة للأولين والآخرين تقوى الله: ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾ [النساء: ١٣١].

عباد الله:

من أسماء الله تعالى اسم (الكبير) وقد جاء ذكر اسمه سبحانه (الكبير) في القرآن في ستة مواضع منها: قوله تعالى: ﴿عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَـٰدَةِ ٱلْكَبِيرُ ٱلْمُتَعَالِ﴾ [الرعد: ٩].

وقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلْبَـٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ﴾ [لقمان: ٣٠]. وقوله تعالى: ﴿قَالُوا۟ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ۖ قَالُوا۟ ٱلْحَقَّ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ﴾ [سبأ: ٢٣].

---

(١) اسم (الكبير).

وقوله سبحانه: ﴿فَٱلۡحُكۡمُ لِلَّهِ ٱلۡعَلِيِّ ٱلۡكَبِيرِ﴾ [غافر: ١٢]. وقوله تعالى: ﴿فَإِنۡ أَطَعۡنَكُمۡ فَلَا تَبۡغُواْ عَلَيۡهِنَّ سَبِيلًاۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيّٗا كَبِيرٗا﴾ [النساء: ٣٤].

ويلاحظ في هذه الآيات اقتران اسمه سبحانه (الكبير) باسمه ﷻ (المتعال) و(العلي).

ومعنى الكبر في اللغة: خلاف الصَّغر، والكبر – بكسر الكاف وضمها – الرفعة في الشرف.

والكِبْر: العظمة وكذلك الكبرياء، ويقال: أكبرت الشيء: استعظمته. وكَبُر أي عظم، والتكبير التعظيم.

قال الخطابي: (الكبير: هو الموصوف بالجلال وكبر الشأن فصغر دون جلاله كل كبير، ويقال: الذي كبر عن شبه المخلوقين).

وقال الزجاجي: (والكبير: العظيم الجليل؛ يقال: فلان كبير بني فلان، أي: رئيسهم وعظيمهم، ومنه قوله: ﴿إِنَّآ أَطَعۡنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا﴾ [الأحزاب: ٦٧]، أي: عظماءنا ورؤساءنا. وكبرياء الله: عظمته وجلاله).

وقال ابن جرير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (الكبير يعني العظيم الذي كل شيء دونه ولا شيء أعظم منه).

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (فالله سبحانه أكبر من كل شيء، ذاتًا وقدراً وعزة وجلالة، فهو أكبر من كل شيء؛ في ذاته، وصفاته، وأفعاله، كماهو فوق كل شيء، وعال على كل شيء، وأعظم من كل شيء، وأجل من كل شيء، في ذاته وصفاته وأفعاله).

ويقول السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن أسمائه: (المجيد الكبير، العظيم): (وهو الموصوف بصفات المجد، والكبرياء، والعظمة، والجلال الذي هو أكبر من كل شيء وأعظم من كل شيء وأجل وأعلى، وله التعظيم والإجلال في قلوب أوليائه وأصفيائه، قد ملئت قلوبهم من تعظيمه وإجلاله والخضوع له والتذلل لكبريائه).

وربنا عَجَّلَ (الكبير): وهو العظيم الجليل والمتكبر، وهو الذي تكبر عن ظلم عباده، وقيل: الكبير المتعالي عن صفات الخلق، وقيل: المتكبر على عتاة خلقه إذا نازعوه العظمة، ولا يليق الكبر بأحد من المخلوقين وإنما سمة العبد الخشوع والتذلل.

وقيل: التكبر من الكبرياء الذي هو عظمة الله، لا من الكبر، والكبرياء: عظمة الله وملكه وجلاله.

وقيل: هي عبارة عن كمال الذات وكمال الوجود لا يوصف بها إلا الله تعالى. وقد تفرد سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بالكبرياء، فمن نازعه قصمه، فلا ينبغي لأحد أن يتكبر على أحد، وينبغي أن يتواضع، فمن تواضع رفعه الله تعالى.

وقيل المتكبر: أي تكبر عن كل شر، أو كل سوء.

و(الكبير) هو الذي صغر دون جلاله كل كبير، ويقال: هو الذي كبر عن شبه المخلوقين.

فالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أكبر من كل شيء، وله التعظيم والإجلال في قلوب أوليائه وأصفيائه قد ملئت قلوبهم من تعظيمه وإجلاله، والخضوع له والتذلل لكبريائه المقتضي تنزيهه عن السوء والنقص والعيوب.

والكبير العظيم أي: الذي له الكبرياء نعتًا والعظمة وصفًا، قال تعالى في الحديث القدسيّ: «**الكبرياء ردائي، والعظمة إزاري، فمن نازعني واحداً منهما قذفته في النّار**» [رواه أحمد وأبو داود].

عباد الله:

ومعاني الكبرياء والعظمة نوعان:

أحدهما: يرجع إلى صفاته سبحانه، وأنّ له جميع معاني العظمة والجلال، كالقوّة، والعزّة، وكمال القدرة، وسعة العلم، وكمال المجد، وغيرها من أوصاف العظمة والكبرياء، ومن عظمته أنّ السموات السبع والأرضين السبع في يد الله كخردلة في يد أحدنا، كما قال ذلك ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

قال تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَٱلسَّمَـٰوَٰتُ مَطْوِيَّـٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَـٰنَهُۥ وَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الزمر: ٦٧].

فله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ الكبرياء والعظمة والوصفان اللذان لا يقادر قدرهما، ولا يبلغ العباد كنههما، وقد صحّ عن النبيّ ﷺ أنه كان يقول في ركوعه وسجوده: «**سبحان ذي الجبروت، والملكوت، والكبرياء، والعظمة**» [رواه أحمد].

النوع الثاني: أنه لا يستحقّ أحدٌ التّعظيم والتكبير والإجلال والتمجيد غيره، فيجب على العباد أن يعظّموه بقلوبهم وألسنتهم وأعمالهم، وذلك ببذل الجهد في معرفته ومحبّته والذّل له والخوف منه، ومن تعظيمه سبحانه أن يطاع فلا يُعصى، ويُذكر فلا يُنسى، ويُشكر فلا يُكفر، ومن تعظيمه وإجلاله أن يخضع لأوامره وشرعه وحكمه، وأن لا يُعترض على شيء من خلقه أو على شيء من شرعه، ومن تعظيمه تعظيم ما عظمه واحترمه من

زمان ومكان وأشخاص وأعمال، والعبادة روحها تعظيم الباري وتكبيره؛ ولهذا شرعت التكبيرات في الصّلاة في افتتاحها وتنقلاتها ليستحضر العبد معنى تعظيمه في هذه العبادة التي هي أجلّ العبادات.

بل إنّ التكبير مصاحب للمسلم في عبادات عديدة وطاعات متنوعة، فالمسلم يكبِّر الله عندما يكمل عدّة الصّيام، كما قال تعالى: ﴿وَلِتُكۡمِلُواْ ٱلۡعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمۡ وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ﴾ [البقرة: ١٨٥].

ويكبّر الله في الحجّ، قال تعالى: ﴿لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقۡوَىٰ مِنكُمۡۚ كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمۡ لِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمۡۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [الحج: ٣٧].

وبهذا تتبيّن مكانة التكبير وجلالة قدره، وعظم شأنه من الدّين، والتكبير يراد به أن يكون الله عند العبد أكبر من كلّ شيء، كما قال النبيُّ ﷺ لعدي بن حاتم: «**ما يُفِرُّكَ أن تقول لا إله إلا الله، فهل تعلمُ مِن إلهٍ سوى الله؟ قال: قلتُ: لا. قال: ثمّ تكلّم ساعةً، ثم قال: إنّما تَفِرُّ أن تقولَ الله أكبر، وتعلمُ شيئًا أكبرَ من اللهِ؟ قال: قلت: لا**» [رواه أحمد].

وبه يتبيّن معنى (الله أكبر) أي من كلِّ شيء، فلا شيء أكبر ولا أعظم منه، ولهذا يقال: إنَّ أبلغ لفظة للعرب في معنى التّعظيم والإجلال هي: الله أكبر، أي صِفْهُ بأنّه أكبرُ من كلِّ شيء، واعتقدْ أنّه أكبر من كلّ شيء.

عباد الله:

أنّ المسلم إذا اعتقد وآمن بأنّ الله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ أكبر من كلّ شيء، وأنّ كلَّ شيء مهما كبر يصغر عند كبرياء الله وعظمته، علم من خلال ذلك علم اليقين

أن كبرياء الرّب وعظمته وجلاله وسائر أوصافه ونعوته أمر لا يمكن أن تحيط به العقول أو تتصوره الأفهام وتدركه الأبصار والأفكار، فالله أعظم وأكبر من ذلك ﴿وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ ۖ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًۢا﴾ [الإسراء: ١١١].

ومعنى قول: (الله أكبر) في الشرع: فيه قولان: أحدهما: أن معناه؛ الله كبير.

وثانيهما: أن فيه مضمراً. والمعنى: الله أكبر كبيرا.

وقيل: معناه: الله أكبر من كل شيء أي أعظم، فحذف لوضوح معناه.

وقيل: الله أكبر من أن يعرف كنه كبريائه وعظمته. وهو سبحانه أكبر من كل شيء شهادة، والسموات والأرض وما فيهن وما بينهما في كفه سبحانه كخردلة في كف آحاد عباده، وقيل: الكبر كبر القدر.

وأمر آخر، ألا وهو أنّ من علم مدلول هذا الاسم ذلَّ لربِّه وانكسر بين يديه وصرف له أنواع العبادة، واعتقد أنّه المستحقّ لها دون سواه، وعرف أنّ كلَّ مُشرك لم يقدر ربَّه العظيم حقَّ قدره، كما قال تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الزمر: ٦٧]، وقال تعالى: ﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴿١٤﴾ أَلَمْ تَرَوْا۟ كَيْفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ﴿١٥﴾ وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرَاجًا ﴿١٦﴾ وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿١٧﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ﴿١٨﴾ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ بِسَاطًا ﴿١٩﴾ لِّتَسْلُكُوا۟ مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا﴾ [نوح: ١٣ - ٢٠].

وسبحان الله! أين ذهبتْ عقولُ هؤلاء المشركين حين صرفوا ذلَّهم وخضوعهم وانكسارهم ورجاءه وخوفهم ورغبهم ورهبهم وحبَّهم وطمعَهم إلى مخلوقات ضئيلة، وكائنات ذليلة، لا تملك لنفسها شيئًا من النّفع والضّر، فضلاً عن أن تملكه لغيرها، وتركوا الخضوع والذل للربِّ العظيم والكبير المتعال، والخالق الجليل تعالى الله عّما يصفون، وسبحان الله عمّا يشركون، وهو وحده المستحقّ للتعظيم والإجلال والتّاله والخضوع والذّل، وهذا خالص حقّه، فمن أقبحِ الظُّلمِ أن يُعطى حقّه لغيره، أو يشرك بينه وبين غيره فيه، ومن اتّخذ الشركاء والأنداد له ما قدر الله حقَّ قدره، ولا عظّمه حقَّ تعظيمه، سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ الذي عنت له الوجوه، وخشعت له الأصوات، ووجلت القلوب من خشيته، وذلّت له الرِّقاب، تبارك الله ربّ العالمين.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ ۖ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًۢا﴾ [الإسراء: ١١١].

بارك الله لي ولكم....

الخطبة الثانية

الحمد لله الكبير المتعال، ذو العظمة والجلال، وأشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن نبينا محمداً عبده ورسوله، صلى الله وسلم وبارك عليه، وعلى آله وصحبه أجمعين. ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

فالله ﷻ هو: المُرَبِّي جميع عباده، بالتدبير، وأصناف النعم. وأخص من هذا تربيته لأصفيائه، بإصلاح قلوبهم، وأرواحهم وأخلاقهم ولهذا كثر دعاؤهم له بهذا الاسم الجليل؛ لأنهم يطلبون منه هذه التربية الخاصة.

عباد الله:

فإن من أعظم الأذكار التي يحبها الله ﷻ والتي شرعها في كتابه وسُّنة نبيه ﷺ: ذكره سبحانه بالتكبير؛ وذلك بقول: (الله أكبر).

ولو تتبعنا المواطن التي شرع فيها هذا الذكر العظيم المحبوب لله تعالى وندب الناس إليه وحثهم عليه لوجدناها كثيرة جدّاً منها:

قول الله تعالى بعد آيات الصيام: ﴿وَلِتُكۡمِلُواْ ٱلۡعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمۡ وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ﴾ [البقرة: ١٨٥]؛ والمقصود به التكبير ليلة عيد الفطر إلى أن تنقضي الصلاة.

وقوله ﷻ عن ذبح الأنساك في الحج:﴿لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقۡوَىٰ مِنكُمۡۚ كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمۡ لِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمۡۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [الحج: ٣٧].

وقـــول: (الله أكـبر) للدخـــول في الصــلاة، فتحــريم الصــلاة التكبيــر، وتحليلها السلام.

وكذلك تكرار التكبير للانتقال من ركن إلى ركن في الصلاة. والإتيان به في الأذان والإقامة في أولها وآخرها وبصورة مكررة.

وعند الشروع في الطواف حول الكعبة، وعند محاذاة الحجر الأسود في كل شوط.

وعند الصفا والمروة في السعي بينهما. وعند ركوب الدابة في السفر، وعند الارتفاع على كل شرف من الأرض.

وعنـد رمـي الجمـرات في الحـج. ومشـروعيته في عشـر ذي الحجـة وأيـام التشريق. ومشروعيته مع التسبيح والتحميد عقب صلاة الفريضة.

ومشـروعيته مـع التسـبيح والتحميـد عنـد النـوم. ومشـروعيته مـع التسـبيح والتحميد عند ما يتعارّ الإنسان من نومه. وعند رؤية الهلال في أول الشهر.

والـذكر المطلـق بـالتكبير والتحميـد والتسـبيح والتهليـل، وأنهـن الباقيـات الصالحات وأنهن من أحب الكلمات إلى الله تعالى.

وقول: (بسم الله والله أكبر) عند ذبح الأضحية والهدي، والذبح عمومـًا.

وقولها في الجهاد في سبيل الله تعالى وأثر ذلك في هزيمـة الأعـداء وسـقوط المـدن، كمـا قالهـا الرسـول ﷺ في فـتح خيـبر، وكمـا أخـبر الرسـول ﷺ عـن الجيش الذي يغـزو القسـطنطينية في آخـر الزمـان وأنـه التكبيـر تسـقط جوانـب المدينة جانبـًا جانبـًا.

وعند رؤية آيات الله ﷻ وعند التعجب وتعظيم الله ﷻ.

وقد حث النبي ﷺ على الإكثار من التكبير، وأخبر أنه من أحب الكلام إلى الله تعالى، فعن سمرة بن جندب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**أحب الكلام إلى الله أربع لا يضرك بأيهن بدأت: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر**» [رواه مسلم].

فعظموا ربكم وكبروه فهو أهل لذلك جل في علاه.

هذا وصلوا...

❁ ❁ ❁

٥٢

الخطبة الأولى [(١)]

الحمد لله اللطيف الخبير، لطف بعباده فأرسل إليهم رسله، وأنزل عليهم كتبه، لطف بهم في الشدائد وفرج عنهم في المضائق، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن نبينا محمداً عبده ورسوله، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

فاتقوا الله حق التقوى، واستمسكوا من الإسلام بالعروة الوثقى.

عباد الله:

من أسماء الله الحسنى (اللطيف) وقد ورد الاسم الكريم في القرآن سبع مرات، اقترن في بعضها باسمه سبحانه (الخبير) وهو الغالب، وبعضها جاء مفرداً.

قال الله ﷻ: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَـٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَـٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [الأنعام: ١٠٣].

وقال سبحانه: ﴿يَـٰبُنَىَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِى صَخْرَةٍ أَوْ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ أَوْ فِى ٱلْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾ [لقمان: ١٦].

وقال سبحانه: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [الملك: ١٤].

---

(١) اسم (اللطيف).

وقال ﷻ: ﴿وَٱذۡكُرۡنَ مَا يُتۡلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلۡحِكۡمَةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا﴾ [الأحزاب: ٣٤].

وقال تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿ٱللَّهُ لَطِيفُۢ بِعِبَادِهِۦ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلۡقَوِيُّ ٱلۡعَزِيزُ﴾ [الشورى: ١٩].

وقال سبحانه: ﴿إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ﴾ [يوسف: ١٠٠].

يقول ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (واسمه اللطيف يتضمن: علمه بالأشياء الدقيقة، وإيصاله الرحمة بالطرق الخفية).

وربنا (اللطيف) هو الذي يلطف بعبده في أموره الداخلية والمتعلقة بنفسه، ويلطف بعبده في الأمور الخارجية عنه، فيسوقه ويسوق إليه ما به صلاحه من حيث لايشعر. وهذا من آثار علمه وكرمه ورحمته؛ فلهذا كان معنى اللطيف نوعين:

النوع الأول: أنه الخبير الذي أحاط علمه بالأسرار والبواطن والخبايا والخفايا ومكنونات الصدور ومغيبات الأمور، وما لطف ودقَّ من كل شيء.

النوع الثاني: لطفه بعبده ووليِّه الذي يريد أن يُتم عليه إحسانه، ويشمله بكرمه ويُرقِّيه إلى المنازل العالية فييسّره لليُسرى ويجنبه العُسرى، ويجري عليه من أصناف المحن التي يكرهها وتشق عليه، وهي عين صلاحه والطريق إلى سعادته، كما امتحن الأنبياء بأذى قومهم بالجهاد في سبيله،وكما ذكر الله عن يوسف ﷺ وكيف ترقت به الأحوال ولطف الله به وله بما قدّره عليه من تلك الأحوال التي حصل له في عاقبتها حسن العُقبى في الدنيا والآخرة، وكما يمتحن أولياءه بما يكرهونه ليُنيلهم ما يُحبون.

فكم لله من لُطْفٍ وكرمٍ لا تدركه الأفهام، ولا تتصوره الأوهام، وكم استشراف أبعد على مطلوب من مطالب الدنيا من ولاية، أو رياسة، أو سبب من الأسباب المحبوبة، فيصرفه الله عنها ويصرفها عنه رحمةً به لئلا تضره في دينه، فيظل العبدُ حزيناً من جهله وعدم معرفته بربِّه، ولو علم ما ادُّخِرَ له في الغيب وأريد إصلاحه فيه لحمد الله وشكره على ذلك؛ فإنّ الله بعباده رؤوف رحيم لطيف بأوليائه، وفي الدعاء المأثور: «**اللهم ما رزقتني مما أحب فاجعله قوة لي فيما تحب، وما زويت عني مما أُحبُّ فاجعله فراغًا لي فيما تُحبُّ**»

[رواه الترمذي].

عباد الله:

قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (ومن أسمائه الحسنى (اللطيف): الذي لطف علمه حتى أدرك الخفايا، والخبايا، وما احتوت عليه الصدور، وما في الأراضي من خفايا البذور. ولطف بأوليائه، وأصفيائه، فيسرهم لليسرى وجنبهم العسرى، وسهل لهم كل طريق يوصل إلى مرضاته وكرامته، وحفظهم من كل سبب ووسيلة توصل إلى سخطه، من طرق يشعرون بها، ومن طرق لا يشعرون بها، وقدر عليهم أموراً يكرهونها لينيلهم ما يحبون، فلطف بهم في أنفسهم فأجراهم على عوائده الجميلة، وصنائعه الكريمة، ولطف بهم في أمور خارجة عنهم له فيها كل خير وصلاح وناح، فاللطيف متقارب لمعاني الخبير والرؤوف والكريم).

ولُطف الله بعبده له بابٌ واسع، ويتفضّل الله بما شاء منه على من يشاء من عباده ممن يعلمه محلاًّ لذلك وأهلاً له، والفضل بيد الله يؤتيه من يشاء،والله ذو الفضل العظيم.

ومن لطفه بعبادة المؤمنين: أنه يتولاهم بلطفه فيخرجهم من الظّلمات إلى النّور، من ظلمات الجهل والكفر والبدع والمعاصي إلى نور العلم والإيمان والطّاعة.

ومن لطفه: أنه يرحمهم من طاعة أنفسهم الأمارة بالسوء التي هذه طبعها وديدنها، فيوفقهم لنهي النفس عن الهوى ويصرف عنهم السوء والفحشاء فتوجد أسباب الفتنة، وجوانب المعاصي وشهوات الغي، فيرسل الله عليها برهان لطفه ونور إيمانهم الذي منَّ به عليهم فيدعونها مطمئنين لذلك منشرحة لتركها صدورهم.

ومن لطفه بهم: أنه يقيهم طاعةَ أنفسهم الأمّارة بالسُّوء التي هذا طبعها فيوفقهم لنهي النفس عن الهوى، ويصرف عنهم السوء والفحشاء مع توافر أسباب الفتنة وجواذب المعاصي والشّهوات، فيمُنُّ عليهم ببرهان لطفه ونور إيمانهم الذي منَّ عليهم به، فَيَدَعونها مطمئنةً لتركها نفوسُهم، منشرحة للعبد عنها صدورُهم.

ومن لطف الله بعبده: أن يقيّض له إخوانًا صالحين ورفقاء متّقين يعينونه على الخير، ويشدّون من أزره في سلوك سبيل الاستقامة، والبعد عن سبل الهلاك والانحراف.

ومن لطف الله بعبده: أن يبتليه ببعض المصائب فيوفقه للقيام بوظيفة الصّبر فيها، فيُنِيلُه رفيع الدّرجات وعالي الرّتب، وأن يكرمه بأن يوجد في قلبه حلاوة روح الرّجاء وتأميل الرّحمة وانتظار الفرج وكشف الضّر، فيخف أمله وتنشط نفسه.

قال ابن القيِّم رَحِمَهُ اللَّهُ: (فإنَّ انتظاره ومطالعته وترقّبه يخفّف حمل المشقّة، ولا سيما عند قوّة الرَّجاء أو القطع بالفرج فإنه يجد في حشو البلاء من روح الفرج ونسيمه وراحته ما هو من خفي الألطاف وما هو فرج معجّل، وبه وبغيره يفهم معنى اسمه اللطيف).

عباد الله:

ومن لطفه بعباده: أنه يقدر أرزاقهم بحسب مصلحتهم لا بحسب مراداتهم، فقد يردون شيئًا وغيره أصلح فيقدر لهم الأصلح وإن كرهوه لطفًا بهم وبراً وإحسانًا: ﴿ٱللَّهُ لَطِيفُۢ بِعِبَادِهِۦ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلۡقَوِيُّ ٱلۡعَزِيزُ﴾ [الشورى: ١٩]، ﴿وَلَوۡ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزۡقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٖ مَّا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرُۢ بَصِيرٞ﴾ [الشورى: ٢٧].

ومن لطفه بهم: أنه يقدر عليهم أنواع المصائب، وضروب المحن، والابتلاء بالأمر والنهي الشاق رحمة بهم، ولطفًا، وسوقًا على كمالهم، وكمال نعيمهم: ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ شَرّٞ لَّكُمۡۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢١٦].

ومن لطيف لطفه بعبده إذ أهله للمراتب العالية، والمنازلة السامية التي لا تدرك بالأسباب العظام التي لا يدركها إلا أرباب الهمم العالية، والعزائم السامية: أن يقدر له في ابتداء أمره بعض الأسباب المحتملة المناسبة للأسباب التي أهل لها ليتدرج من الأدنى إلى الأعلى، ولتتمرن نفسه ويصير له ملكة من جنس ذلك الأمر، وهذا كما قدر لموسى، ومحمد وغيرهما من الأنبياء – صلوات الله وسلامه عليهم – في ابتداء أمرهم رعاية الغنم،

ليتدرجوا من رعاية الحيوان البهيم وإصلاحه، إلى رعاية بني آدم ودعوتهم وإصلاحهم. وكذلك يذيق عبده حلاوة بعض الطاعات فينجذب ويرغب ويصير له ملكة قوية بعد ذلك على طاعات أجل منها وأعلى، ولم تكن تحصل بتلك الإرادة السابقة حتى وصل على هذه الإرادة والرغبة التامة.

ومن لطفه بعبده: أن يقدر له أن يتربى في ولاية أهل الصلاح، والعلم، والإيمان، وبين أهل الخير ليكتسب من أدبهم، وتأديبهم ولينشأ على صلاحهم وإصلاحهم كما امتن الله على مريم في قوله تعالى: ﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا﴾ [آل عمران: ٣٧] إلى أخر قصتها، ومن ذلك إذا نشأ بين أبوين صالحين وأقارب أتقياء، أو في بلد صلاح، أو وفقه الله لمقارنة أهل الخير وصحبتهم، أو لتربية العلماء الربانيين، فإن هذا من أعظم لطفه بعبده.

ومن لطف الله بعبده: أن يعطي عبده من الأولاد، والأموال، والأزواج ما به تقر عينه في الدنيا، ويحصل له السرور، ثم يبتليه ببعض ذلك ويأخذه، ويعوضه عليه الأجر العظيم إذا صبر واحتسب، فنعمة الله عليه بأخذه على هذا الوجه أعظم من نعمته عليه في وجوده وقضاء مجرد وطره الدنيوي منه، وهذا أيضاً خير وأجر خارج عن أحوال العبد بنفسه، بل هو لطف من الله له أن قيض له أسباباً أعاضه عليها الثواب الجزيل، والأجر الجميل.

عباد الله:

ومن لطف الله بعبده: أن يبتليه ببعض المصائب فيوفقه للقيام بوظيفة الصبر فيها فينيله درجات عالية لا يدركها بعمله، وقد يشدد عليه الابتلاء

بذلك كما فعل بأيوب عليه السلام ويوجد في قلبه حلاوة روح الرجاء وتأميل الرحمة، وكشف الضر فيخفف ألمه وتنشط نفسه، ولهذا من لطف الله بالمؤمنين أن جعل في قلوبهم احتساب الأجر فخففت مصائبهم، وهان ما يلقون من المشاق في حصول مرضاته.

ومن لطف الله بعبده المؤمن الضعيف: أن يعافيه من أسباب الابتلاء التي تضعف إيمانه وتنقص إيقانه، كما أن من لطفه بالمؤمن القوي: تهيئة أسباب الابتلاء والامتحان، ويعينه عليها ويحملها عنه.

ومن لطف الله بعبده: أن يسعى لكمال نفسه مع أقرب طريق يوصله إلى ذلك مع وجود غيرها من الطرق التي تبعد عليه ليبسر عليه التعلم من كتاب أو معلم، يكون حصول المقصود به أقرب وأسهل، وكذلك ييسره لعبادة يفعلها بحالة اليسر والسهولة، وعدم التعويق عن غيرها مما ينفعه فهذا من اللطف.

ومن لطف الله تعالى بعبده: أن يجعل ما يبتليه به من المعاصي سبباً لرحمته، فيفتح له عند وقوع ذلك باب التوبة والتضرع، والابتهال على ربه وازدراء نفسه واحتقارها، وزوال العجب والكبر من قلبه ما هو خير له من كثير من الطاعات.

ومن لطفه بعبده الحبيب عنده: إذا مالت نفسه مع شهوات النفس الضارة، واسترسلت في ذلك أن ينغصها عليه ويكدرها، فلا يكاد يتناول منها شيئاً إلا مقروناً بالمكدرات، محشواً بالغصص لئلا يميل معها كل الميل، كما أن من لطفه به أن يلذذ له التقربات، ويحلي له الطاعات ليميل إليها كل الميل.

ومن لطيف لطف الله بعبده: أن يأجره على أعمال لم يعملها، بل عزم عليها فيعزم على قربة من القُرب ثم تنحل عزيمته لسبب من الأسباب فلا يفعلها فيحصل له أجرها. فانظر كيف لطف الله به فأوقعها في قلبه وأدارها في ضميره، وقد علم تعالى أنه لا يفعلها سوقًا لبره لعبده وإحسانه بكل طريق.

وكم هو نافع للعبد أن يعرف معنى هذا الاسم العظيم ودلالته، وأن يجاهد نفسه على تحقيق الإيمان به والقيام بما يقتضيه من عبودية لله ﷻ، فيمتلئ قلبه رجاء وطمعًا في نيل فضل الله والظفر بنعمه وعطاياه، متحرّيًا في كلّ أحواله الفوز بالعواقب الحميدة والمآلات الرّشيدة، واثقًا بربِّه اللّطيف، ومولاه الكريم، ذي النِّعم السوابغ والعطاء والنوال، ومن يتحرَّ الخير يُعطَه، ومن يتوقَّ الشّرَّ يوقَه، والفضل بيد الله وحده يؤتيه من يشاء، والله ذو الفضل العظيم.

بارك الله لي ولكم...

الخطبة الثانية

الحمد لله، له الحمد في الأولى والأخرى، وإليه المعاد، أحمده وأشكره، وأصلي وأسلم على أشرف رسله.

عباد الله:

من آثار الإيمان باسمه سبحانه (اللطيف):

محبة الله ﷻ والأنس به حيث إنه يلطف بعباده المؤمنين، ويحسن إليهم ويرفق بهم، ولا يعجل عليهم بالعقوبة ويسوق لهم الخير من حيث يحتسبون، ومن حيث لا يحتسبون، بل يسوق لهم الخير من حيث يكرهون، وهذه المحبة تثمر التقرب إليه سبحانه بأنواع العبوديات، كما تثمر الحياء والإجلال له سبحانه، وهذا الحياء يدفع العبد إلى تعظيم حرماته سبحانه فلا يغشاها، وحدوده فلا يقربها، كما تثمر هذه المحبة الدعوة إليه سبحانه والجهاد في سبيله، والتضحية بالنفس والمال في سبيل مرضاته.

ومن آثار اسمه اللطيف: الطمأنينة والسكينة التي يسكبها هذا الاسم الكريم في قلب المؤمن. فكما سبق في معنى (اللطيف) وفي ذكر بعض آثار هذا الاسم الجليل، والتي منها أن الله ﷻ بلطفه يسوق الخير والرحمة إلى عبده من حيث لا يشعر، بل من حيث يكره ويتألم. فإذا استقرت في قلب العبد هذه المعاني رضي وسلم واطمأن وفوض الأمر إلى الله تعالى. وهذه الثمرة تقودنا إلى الثمرة التالية؛ ألا وهي:

صدق التوكل على الله ﷻ والرضا بما يختاره سبحانه والإكثار من دعاء الاستخارة التي به يفوض العبد ربه سبحانه في أن يختار له مما كان له فيه الخير في الدنيا والآخرة، ولا يقترح على ربه طريقاً معيناً فإن الله ﷻ يعلم أين تكون مصلحة العبد والعبد لا يعلم، والله سبحانه يقدر على تحقيقها، والعبد لا يقدر والله سبحانه والعليم القدير.

ومن ذلك أيضاً: إن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لا يفوته من العلم شيء وإن دق وصغر، وخفي وكان في مكان سحيق، قال سبحانه: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ [الأنعام: ٥٩].

وجاء في قوله تعالى عن لقمان: ﴿يَٰبُنَىَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِى صَخْرَةٍ أَوْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوْ فِى ٱلْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾ [لقمان: ١٦].

فالله لا يخفى عليه شيء، ولا الخردلة وهي: الحبة الصغيرة التي لا وزن لها، فإنها لو كانت في صخرة في باطن الأرض، أو في السماوات فإن الله يستخرجها ويأتي بها، لأنه اللطيف الخبير.

فإذا علم العبد أن ربه متصفٌ بدقة العلم، وإحاطته بكل صغيرة وكبيرة، حاسب نفسه على أقواله وأفعاله وحركاته وسكناته، فإنه في كل وقت وحين، بين يدي اللطيف الخبير: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [الملك: ١٤].

عباد الله:

لما كان من معاني (اللطيف) البر والرفق والإحسان، فإن مما يثمره في قلب المؤمن وأخلاقه أن يتخلق بهذا الخلق ا لعظيم فيكون رفيقًا بعباد الله ﷻ محسنًا إليهم، باراً بهم، يحب الخير ويفعله لهم، ويكره الشر لهم. مبتدئًا في ذلك بالوالدين والأولاد والأقارب وعموم المسلمين، قال ﷺ: «**إن الله رفيق يحب الرفق في الأمر كله**» [رواه البخاري].

وهذا وصلوا...

❀ ❀ ❀

٥٣ الخطبة الأولى (١)

الحمد لله الذي هدانا للإسلام، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن نبينا محمداً عبده ورسوله، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه والتابعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

فاتقوا الله -عباد الله - حق التقوى ﴿وَٱتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٨١].

أيها المسلمون:

جاء في الحديث: **«إن لله تسعة وتسعين أسمًا مائة إلا واحداً من أحصاها دخل الجنة»** [رواه البخاري ومسلم].

قول النبي ﷺ: **«إن لله تسعة وتسعين اسما...»** ليس معناه أنه ليس له إلا هذا الأسماء لقوله ﷺ في الحديث الصحيح **«أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك، أو علمته أحدا من خلقك، أو أنزلته في كتابك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك»** [رواه أحمد] لكن معناه أن من أحصى هذه الأسماء فإنه

---

(١) اسم (المؤمن).

يدخل الجنة، ولم يُبين الرسول ﷺ هذه الأسماء في حديث صحيح جامع لها لحكمة بالغة، وهي أن يطلبها الناس ويتحرّوها من الكتاب والسنة الصحيحة، وليس معنى أحصاها أن تُكتب في رقاع ثم تُكرَّر حتى تُحفظ، ولكن معناها.

أولاً: الإحاطة بها لفظًا.

ثانيًا: فهمها معنىً.

ثالثًا: التعبد لله بمقتضاها، وللتعبد بها وجهان:

الوجه الأول: أن تدعو الله بها لقوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠].

وذلك بأن تجعلها وسيلة إلى مطلوبك، فتختار الاسم المناسب لمطلوبك، فعند سؤال المغفرة تقول: يا غفور اغفر لي، وليس من المناسب أن تقول: يا شديد العقاب اغفر لي، لأن هذا يشبه الاستهزاء، بل تقول يا شديد العقاب أجرني من عقابك.

الوجه الثاني: أن تتعرض في عبادتك لما تقتضيه هذه الأسماء، فمقتضى الرحيم (الرحمه) فاعمل العمل الصالح الذي يكون جلبًا لرحمة الله، وأسماء العلم والخبرة والإحاطة والمراقبة تملأ القلب مراقبة لله في الحركات والسكنات، هذا هو معنى (أحصاها) فإذا كان كذلك فهو جدير لأن يكون ثمنًا لدخول الجنة.

عباد الله:

من أسماء الله ﷻ الحسنى، وكل أسمائه حسنى؛ اسم (المؤمن).

والله سبحانه هو المؤمن المصدق الصادقين، دعا خلقه إلى الإيمان به، وهو يملك أمان خلقه في الدنيا والآخرة، ووحد نفسه بقوله: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ [آل عمران: ١٨].

و(المؤمن): هو مصدق عباده المؤمنين؛ أي يصدقهم على إيمانهم بقبول صدقهم وإيمانهم وإثابتهم عليه، كما أنه يصدق ما وعد عبده من الثواب.

وهو مؤمن لأوليائه يؤمنهم عذابه وبأسه فأمنوا؛ فلا يأمن إلا من آمنه، وهو سبحانه يصدق ظنون عباده ولا يخيب آمالهم.

وهو سبحانه الذي وحّد نفسه بقوله: ﴿وَإِلَـٰهُكُمۡ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ [البقرة: ١٦٣].

وهو الذي أمن الخلق من ظلمه، وأمن من عذابه من لا يستحقه.

وهو الذي يصدّق عباده المسلمين يوم القيامة إذا سئل الأمم عن تبليغ رسلهم، قال تعالى: ﴿وَيُؤۡمِنُ لِلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [التوبة: ٦١]. أي يصدقهم.

وكل هذه الصفات لله ﷻ؛ لأنه صَدَّق بقوله ما دعا إليه عباده من توحيد، وأمن الخلق من ظلمه، ووعد الجنة لمن آمن به، والنار لمن كفر به، وهو مصدق وعده.

ومن معانيه في حق الله ﷻ مايلي:

أولاً: أنه يصدق نفسه بتوحيده وصفاته، كما قال عزّ من قائل: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلۡمَلَـٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلۡعِلۡمِ قَآئِمَۢا بِٱلۡقِسۡطِۚ﴾ [آل عمران: ١٨].

فقد شهد سبحانه لنفسه بالوحدانية، وهذه الشهادة أعظم شهادة: ﴿قُلۡ أَيُّ شَيۡءٍ أَكۡبَرُ شَهَـٰدَةً﴾ [الأنعام: ١٩]، فليس فوق شهادة الله شهادة، فهي أعظم من شهادة ملائكته، ورسله، وأنبيائه، ومخلوقاته له بالشهادة.

ثانيـًا: تصـديق الله رسـله وأنبيـاءَه وأتبـاعهم، فمـن ذلـك مـا أنزلـه الله مـن الآيـات البينـات التي دلـت على صـدقهم، ومـن ذلـك مـا يظهـره على أيـدي المؤمنين، ومنها: ما يريه أعداءَه من نصر المؤمنين، فقد يرى الكفرة الملائكة تقاتل مع المؤمنين، ومنها: أن الكفرة قد يدعون الله أن ينصر المحق، فينصر الله المـؤمنين، وغيـر ذلـك مـا يصـدق بـه رسـله وأتبـاعهم. ومـن ذلك:إيقـاع العذاب بالمجرمين والطغاة، أعداء الرسل فإن وقوع العذاب بهم تصديق من الله ﷻ لرسله.

ثالثًا: تصديق الله عباده المؤمنين في يـوم الـدين، فـالله يسـأل النـاس في يـوم القيامـة، ويصـدق المـؤمنين بإيمـانهم، ويكـذب الكفـرة والمجـرمين، فيُشْـهِد علـيهم أعضـاءَهم، فتشـهد. ويصـدق المـؤمنين مـا وعـدهم بـه مـن الثـواب، ومصدق ما أوعدهم من العقاب.

ثم قال: ﴿أَوَلَمۡ يَكۡفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ﴾ [فصلت: ٥٣]، فشهد سبحانه لرسوله بقوله أن ما جاء به حقٌّ، ووعده أن يُري العبادَ من آياته الخلقيَّة ما يشهد بذلك أيضـًا، ثم ذكر ما هو أعظم من ذلك وأجلُّ؛ شهادته سبحانه على كلِّ شيءٍ.

ويقول السعدي رحمه الله: (المؤمن: الذي أثنى على نفسه بصفات الكمـال، وبكمال الجلال، والجمال الذي أرسل رسله وأنزل كتبه بالآيـات والبراهـين، وصدق رسله بكل آية وبرهان، ويدل على صدقهم وصحة ما جاءوا به).

رابعـًا: أنه الذي يُؤَمِّنُ خلقه من ظلمه، وقد ذكـر هـذا المعنـى ابـن جريـر في تفسيره وقال: (قال الضحاك عـن ابـن عبـاس رضي الله عنهما (المـؤمن) أي: أمـن خلقـه من أن يظلمهم).

خامسًا: أنه الذي يهب عباده المؤمنين الأمن في الدنيا بالطمأنينة والأنس الذي يجدونه في قلوبهم بفعل الإيمان به سبحانه وتوحيده.

سادسًا: أنه الذي يؤمن خوف عبده الذي لجأ إليه بصدق في كشف كربته وتأمين خوفه. يقول ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (والمضطر إذا صدق في الاضطرار إليه: وجده رحيمًا مغيثًا، والخائف إذا صدق في اللجوء إليه: وجده مُؤمِّنًا من الخوف).

سابعًا: أنه الذي يؤمن عباده المنقادين لشرعه بما يشرع لهم من الأحكام والحدود التي يأمنون فيها على دينهم، وأنفسهم، وعقولهم، وأعراضهم، وأموالهم سواء على مستوى الفرد، أو الأسرة، أو المجتمع بحيث يعيش الجميع في أمن وسلام في ظل أحكام الله ﷻ والتي هي أثر من آثار اسمه (السلام المؤمن).

ثامنًا: أنه الذي يؤمن عباده يوم الفزع الأكبر من مخاوف يوم القيامة ومن عذاب النار، قال الله تعالى عن عباده المؤمنين: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتۡ لَهُم مِّنَّا ٱلۡحُسۡنَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ عَنۡهَا مُبۡعَدُونَ ۝١٠١ لَا يَسۡمَعُونَ حَسِيسَهَاۖ وَهُمۡ فِي مَا ٱشۡتَهَتۡ أَنفُسُهُمۡ خَٰلِدُونَ ۝١٠٢ لَا يَحۡزُنُهُمُ ٱلۡفَزَعُ ٱلۡأَكۡبَرُ وَتَتَلَقَّىٰهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ هَٰذَا يَوۡمُكُمُ ٱلَّذِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠١-١٠٣]، وقال سبحانه عن أثر الإيمان في تحقيق الأمن في الدنيا والآخرة: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ﴾ [الأنعام: ٨٢].

تاسعًا: أنه الذي يؤمن عباده المؤمنين عند نزول الموت حال الاحتضار بأن يسمعوا تطمين ملائكة الرحمة لهم وتبشيرهم بالجنة، وتأمين خوفهم

حزنهم، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ﴾ [فصلت: ٣٠ - ٣٢].

عاشراً: أنه الذي يؤمن لجميع عباده، بل جميع خلقه، ومؤمنهم وكافرهم، إنسهم وجنهم، كل ما يأمن بقاء حياتهم إلى الأجل الذي أجل لهم بتوفير رزقهم ودفع الغوائل عنهم.

عباد الله:

والعلم بأسماء الله يهز النفوس، ويحرك القلوب، ويزيل الأدران والأرجاس التي تحبس الإنسان عن الخير، كما أن العلم بصفاته هو العاصم من الزلل، والمقيل من العثرة، والمفتاح لباب الأمل، والمعين على الصبر، والواقي من الخمول والكسل.

وإن النفوس قد تهفوا إلى مقارفة الفواحش والذنوب، فتذكر أن الله يراها ويبصرها، وتذكر وقوفها بين يدي الله ﷻ، فترعوي وتجانب المعصية، وقد يقع ولا يوغل في طريق الهاوية، بل يعود إلى التواب الرحيم، قارعاً بابه، فيجده تواباً رحيماً ودوداً.

وتتناوش العبد المصائب والمكاره، فلا يجزع ويهلع، بل يلجأ إلى الحصن الحصين، ويقابل المكاره بنفس راضية.

إن معرفة أسماء الله وصفاته والاشتغال بها وفهم معانيها والإيمان بها على ما يليق به سبحانه، وتدبرها يورث ثمرات عظيمة وفوائد جليلة تجعل

صاحبها يتذوق حلاوة الإيمان، فلا شيء أطيب للعبد ولا ألذ ولا أهنأ ولا أنعم لقلبه وعيشه من محبة فاطره وباريه، ودوام ذكره والسعي في مرضاته، وهذا هو الكمال الذي لا كمال للعبد بدونه وله خلق الخلق، ولأجله نزل الوحي، وأرسلت الرسل، وقامت السماوات والأرض، ووجدت الجنة والنار، ووضع البيت الحرام، وأوجب حجه على الناس إقامة لذكره الذي هو من توابع محبته والرضا به وعنه. ولأجل هذا أمر بالجهاد، وعلى هذا الأمر العظيم أسست الملة ونصبت القبلة.

فكل من عرف الله أحبه، ومن عرف الدنيا وأهلها زهد فيهم، وكلما كان حبه أقوى كانت اللذة أعظم، ولهذا تعظم لذة الظمآن بشرب الماء البارد بحسب شدة طلبه للماء وكذلك الجائع، وكذلك من أحب شيئًا كان لذته على قدر حبه إياه، والحب نابع من العلم بالمحبوب ومعرفة جماله الظاهر والباطن.

إن معرفة أسماء الله وصفاته أفضل وأوجب ما اكتسبته القلوب، وحصلته النفوس، وأدركته العقول، قال ابن رجب: (العلم النافع: ما عرف العبد بربه، ودله عليه حتى عرفه، ووحده وأنس به، واستحى من قربه، وعبده كأنه يراه).

وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (أطيب ما في الدنيا معرفته سبحانه ومحبته، وألذ ما في الجنة رؤيته ومشاهدته).

بارك الله لي ولكم...

الخــطــبــة الثــانيـــة

الحمد لله، أحمد ربي وأشكره، وأتوب إليه وأستغفره، له الملك وحده لا شريك له، وأصلي وأسلم على عبده ورسوله، وصفيه وخليله صلى الله وسلم وبارك عليه، وعلى من تبعه إلى يوم الدين.

أما بعد:

فإن من آثار الإيمان باسم المؤمن محبة الله ﷻ الذي يأمن الخائفون في كنفه، ويطمئن المؤمن بالإيمان به وعبادته وحده، فلا يخاف احدٌ ظُلْمَه سبحانه، بل إن رحمته سبقت غضبه، ورحمته وسعت كل شيء فيحصل من جراء ذلك الأمن النفسي، والسعادة القلبية، والتعلق بالله وحده، ومحبته وإجلاله، وكثرة ذكره وشكره، واللجوء إليه وحده سبحانه في طلب الأمان وذهاب الخوف والفزع في الدنيا والآخرة؛ لأنه لايملك تثبيت القلوب وفتح الرحمة والأمان عليها إلا الله تعالى، قال ﷻ: ﴿مَّا يَفۡتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحۡمَةٖ فَلَا مُمۡسِكَ لَهَاۖ وَمَا يُمۡسِكۡ فَلَا مُرۡسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾ [فاطر: ٢].

وكذلك زيادة الإيمان والتصديق في القلب، وذلك برؤية آثار اسمه سبحانه (المؤمن) الذي منها: تصديق نفسه سبحانه وإقامة البراهين الواضحة الدالة على توحيده وتفرده سبحانه بالربوبية والألوهية وكمال الأسماء والصفات.

ومنها: تصديق الله ﷻ لأنبيائه ورسله بما يظهر على أيديهم من المعجزات والدلائل الباهرة على صدقهم وصدق ما يدعون إليه. ومن ذلك اليقين بصدق وعد الله تعالى لعباده المؤمنين بالنصر في الدنيا والنعيم المقيم في الآخرة.

ومن آثار الإيمان كذلك: الاغتباط بأحكامه سبحانه وشريعته الكاملة الشاملة التي تكفل الخير والسعادة والأمن الشامل لكل الضروريات الخمس التي يعيش الناس بالمحافظة عليها في أمن شامل في أنفسهم وبيوتهم ومجتمعاتهم، بل هو أمان للبشرية بأسرها لو أخذت به، وخضعت لأحكامه، بل هو تعالى أمان في الآخرة من العذاب وهذا الاغتباط يثمر في قلب المؤمن سروراً وفرحاً بهداية الله ﷻ له إلى ذلك، كما يثمر همة وعزيمة ونشاطاً إلى الدعوة إلى هذا الدين القويم، وتبليغه للناس لعلهم يدخلون فيه فينعمون بخيره وأمنه في الدنيا، وبجنة النعيم في الآخرة والتي لا خوف على أهلها ولاهم يحزنون، ويلزم على هذا جهاد الكفار المفسدين الذين يريدون أن يحولوا بين الناس وبين هذا الدين الذي كله أمن وسلام.

ومن ذلك: الصبر على المصائب والمكاره؛ لأن المؤمن يعلم أنها من عند الله الرحيم الحكيم الذي يُؤَمِّنُ عباده من ظلمه، والذي يجعل فيما يصيب المؤمن خيراً له وأمناً في عاقبة أمره وآجله. والله سبحانه لم يبتل العبد ليعذبه، بل ليرحمه ويهذبه.

ومن ذلك أيضاً: سلامة القلب نحو عباد الله تعالى وتأمينهم من العدوان والغوائل. فالمتعبد حقاً باسمه سبحانه (المؤمن) يتصف بصفة السلامة ويكف شره وأذاه عن الناس بحيث يأمن الناس شره.

وفي الحديث، قال رسول الله ﷺ: «**والله لا يؤمن، والله لا يؤمن، والله لا يؤمن! قيل: من يا رسول الله؟ قال: الذي لا يأمن جاره بوائقه**» [رواه البخاري].

وقال ﷺ: «**المسلم من سلم الناس من لسانه ويده، والمؤمن من أمنه الناس على دمائهم وأموالهم**» [رواه الترمذي].

هذا وصلوا...

٥٤

الخطبة الأولى [(١)]

الحمد لله ذو الكبرياء والمجد والعظمة، أحمد ربي وأشكره، وأستهديه وأستغفره، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن نبينا محمداً عبده ورسوله، أرسله الله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون، صلى الله وسلم عليه، وعلى آله وصحبه أجمعين، والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

لزوم التقوى، وصية الله لعباده ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ وَإِن تَكْفُرُوا۟ فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا﴾ [النساء: ١٣١].

عباد الله:

أسماء الله كلها حسنى، ومن أسمائه ﷻ اسم (المتكبر).

وقد ورد اسمه سبحانه (المتكبر) في القرآن مرة واحدة وذلك في قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَـٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الحشر: ٢٣].

---

(١) اسم (المتكبر).

و(المتكبر) العظيم ذو الكبرياء المتعالي عن صفات خلقه، والمتكبر على عتاتهم. والكبرياء: العظمة والملك.

وقد كان النبي ﷺ يسبح ربه سبحانه ويثني عليه في ركوعه وسجوده بهذا الدعاء: «**سبحان ذي الجبروت والملكوت والكبرياء والعظمة**» [رواه النسائي].

والكبير: هو العظيم الجليل، والمتكبر هو الذي تكبر عن ظلم عباده، وقيل: الكبير المتعالي عن صفات الخلق.

وقيل: المتكبر على عتاة خلقه إذا نازعوه العظمة، ولا يليق الكبر بأحد من المخلوقات وإنما سمة العبد الخشوع والتذلل، وقيل: التكبر من الكبرياء الذي هو عظمة الله، لا من الكبر.

عباد الله:

والكبرياء: عظمة الله وملكه وجلاله، وقيل: هي عبارة عن كمال الذات وكمال الوجود ولا يوصف بها إلا الله تعالى. وقد تفرد سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بالكبرياء، فمن نازعه قصمه، فلا ينبغي لأحد أن يتكبر على أحد، وينبغي أن يتواضع، فمن تواضع رفعه الله تعالى.

و(الكبير) هو الذي صغر دون جلاله كل كبير، ويقال: هو الذي كبر عن شبه المخلوقين.

فالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أكبر من كل شيء، وله التعظيم والإجلال في قلوب أوليائه وأصفيائه، قد ملئت قلوبهم من تعظيمه وإجلاله والخضوع له، والتذلل لكبريائه المقتضي تنزيهه عن السوء والنقص والعيوب.

قال الخطابي: (الكبير هو الموصوف بالجلال وكبر الشأن، فصغر دون جلاله كل كبير).

وجاء (الكبير) في خمسة مواضع أربعة منها بالعلي، وفي واحد بالمتعالي، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ﴾ [لقمان: ٣٠].

والتكبر لا يليق إلَّا به سبحانه؛ لأنه وحده الملك وما سواه مملوك، وهو وحده الربُّ وما سواه مربوب، وهو الخالقُ وحده وما سواه مخلوق، وهو وحده المتفرِّدُ بصفات الكمال والجمال والعظمة والجلال، كما كان يجمع ذلك رسول الله ﷺ في تسبيحه لربِّه سبحانه في ركوعه وسجوده، حيث كان يقول: «**سبحان ذي الجبروت والملكوت والكبرياءِ والعظمة**».

فالمنزَّه عن النقائص الذي له الملك والتصرُّف والتدبير والعظمة في أسمائه وصفاته وأفعاله هو وحده المتكبِّر لا شريك له.

وأمَّا العبد المخلوق فمقامُه العبوديَّةُ والخضوعُ والذلُّ والانكسار والركوع والسجود للكبير المتعال، العظيم ذي الجلال، ولعلَّ في هذا سرّاً من أسرار ذكر الله بالتكبير عند الخفض للركوع والخفض للسجود، وذكرِ كبريائه سبحانه وعظمته حالَ الركوع والسجود.

وأمَّا – والعياذ بالله – إذا استكبر العبد ولا سيما عن الغاية التي أُوجد لأجلها وخلق لتحقيقها، وهي عبادة الله وإفراده وحده بالذّل والخضوع والانكسار؛ فإن الله يعاقبه بأعظم العقاب، ويخزيه في الدّنيا والآخرة.

وقد ذكر سبحانه في مواضع عديدة من كتابه العزيز أنواع العقوبات التي يُحلُّها بالمستكبرين، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: ٦٠]، أي: صاغرين ذليلين، وقال تعالى: ﴿أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ﴾ [الزمر: ٦٠].

وقال تعالى: ﴿قِيلَ ٱدۡخُلُوٓاْ أَبۡوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ فَبِئۡسَ مَثۡوَى ٱلۡمُتَكَبِّرِينَ﴾ [الزمر: ٧٢]، وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسۡتَكۡبَرُواْ عَنۡهَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [الأعراف: ٣٦]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسۡتَكۡبَرُواْ عَنۡهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمۡ أَبۡوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلۡجَمَلُ فِي سَمِّ ٱلۡخِيَاطِۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُجۡرِمِينَ﴾ [الأعراف: ٤٠].

عباد الله:

وذكر سبحانه في كتابه العزيز نماذج من المستكبرين من الأشخاص والأمم، وبيَّن ما أحلَّ بهم في الدنيا مِن العقاب، وما أعدَّ لهم في الآخرة من النَّكال، وذلك لتستبين سبيلُ المجرمين، وليكون في ذكر حالهم عظة للمتَّعِظين، وعبرة للمعتبرين.

فذكر سبحانه إمام المستكبرين إبليس عدوَّ الله وعدوَّ دينه وعدوَّ عباده المؤمنين، فقال تعالى: ﴿إِلَّآ إِبۡلِيسَ ٱسۡتَكۡبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ [ص: ٧٤]، وذكر فرعون وتكبُّرَه على الحقِّ هو وجنوده، قال تعالى: ﴿وَٱسۡتَكۡبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُۥ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ﴾ [القصص: ٣٩].

وذكر سبحانه من المتكبرين الوليدَ بنَ المغيرة معاندَ الحقِّ والمبارزَ لله ولرسوله بالمحاربة والمشاقَّة، فذمَّه الله ذمّاً لم يذمَّه غيرَه، وهذا جزاء المعاندين المستكبرين، قال تعالى: ﴿ذَرۡنِي وَمَنۡ خَلَقۡتُ وَحِيدٗا ١١ وَجَعَلۡتُ لَهُۥ مَالٗا مَّمۡدُودٗا ١٢ وَبَنِينَ شُهُودٗا ١٣ وَمَهَّدتُّ لَهُۥ تَمۡهِيدٗا ١٤ ثُمَّ يَطۡمَعُ أَنۡ أَزِيدَ ١٥ كَلَّآۖ إِنَّهُۥ كَانَ لِأٓيَٰتِنَا عَنِيدٗا ١٦ سَأُرۡهِقُهُۥ صَعُودًا ١٧ إِنَّهُۥ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ١٨ فَقُتِلَ كَيۡفَ قَدَّرَ ١٩ ثُمَّ قُتِلَ

كَيْفَ قَدَّرَ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ نَظَرَ ﴿٢١﴾ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ وَٱسْتَكْبَرَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ ﴿٢٤﴾ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ ﴿٢٥﴾ سَأُصْلِيهِ سَقَرَ﴾ [المدثر: ١١ - ٢٦].

وذكر أيضـًا تكبُّر الأمم الماضية على الحقّ، فقال عن قوم نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَآءِىٓ إِلَّا فِرَارًا ﴿٦﴾ وَإِنِّى كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوٓا۟ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَٱسْتَغْشَوْا۟ ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا۟ وَٱسْتَكْبَرُوا۟ ٱسْتِكْبَارًا﴾ [نوح: ٦ - ٧].

وقال عن قوم هود عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿فَأَمَّا عَادٌ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾ [فصلت: ١٥].

وقال عن قوم شعيب عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لَنُخْرِجَنَّكَ يَٰشُعَيْبُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا ۚ قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَٰرِهِينَ﴾ [الأعراف: ٨٨].

وقال تعالى عن قوم صالح عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَٰلِحًا مُّرْسَلٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ قَالُوٓا۟ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلَ بِهِۦ مُؤْمِنُونَ ﴿٧٥﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ إِنَّا بِٱلَّذِىٓ ءَامَنتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ﴾ [الأعراف: ٧٥ - ٧٦].

وعجبـًا ثم عجبـًا من هؤلاء الطغام سفهاء العقول والأحلام كيف رضوا لأنفسهم الاستكبار عن عبادة الواحد القهار، والاستنكاف عن الإخلاص للعزيز الغفَّار، ثم صرفوا عبادتهم وذلَّهم وخضوعهم لحجر من الأحجار، أو شجرة من الأشجار، أو لأي مخلوق ليس له إلَّا الذلّ والافتقار، فلا إله إلّا الله كيف ذهبت عقولهم عن الحق والهدى، وعميتْ أبصارهم عن النُّور والضياء، وسبحان الله ما أشنعها من حال.

يقول الله تعالى: ﴿وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحۡدَهُ ٱشۡمَأَزَّتۡ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِۖ وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ إِذَا هُمۡ يَسۡتَبۡشِرُونَ﴾ [الزمر: ٤٥]، وقال تعالى: ﴿إِنَّهُمۡ كَانُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَهُمۡ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسۡتَكۡبِرُونَ ۝٣٥ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓاْ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٖ مَّجۡنُونِۭ﴾ [الصافات: ٣٥ - ٣٦]، وقال تعالى: ﴿وَإِذَا ذَكَرۡتَ رَبَّكَ فِي ٱلۡقُرۡءَانِ وَحۡدَهُۥ وَلَّوۡاْ عَلَىٰٓ أَدۡبَٰرِهِمۡ نُفُورٗا﴾ [الإسراء: ٤٦].

عباد الله:

الكبر من الأمراض الخطيرة التي تقوض بنيان المجتمع، وتمحق الأجور والحسنات، وتنذر المستكبرين بالسقوط من عين الله والناس. وقد جاء في تعريف الكبر قوله ﷺ: «**بطر الحق وغمط الناس**» أي رفض الحق واحتقار الخلق.

والله ﷻ لا يحب المستكبرين ﴿إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡتَكۡبِرِينَ﴾ [النحل: ٢٣].

والمتكبرون محرومون من دخول الجنة، ففي الحديث: «**لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر**» [رواه مسلم] بل إن الوعيد يسبقهم في آخرتهم الإهانة والخزي والصغر، معاملة لهم بضد قصدهم.

قال ﷺ: «**يحشر المتكبرون يوم القيامة أمثال الذر في صور الرجال، يغشاهم الذل من كل مكان**».

وقال ﷺ كما ورد عند الإمام أحمد: «**من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من كبر، كبه الله لوجهه في النار**».

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**قال الله ﷻ: الكبرياء ردائي، والعظمة إزاري، فمن نازعني واحداً منهما، قذفته في النار**».

وفي صحيح مسلم قال ﷺ: «**ثلاثة لا يكلمهم ا لله يوم القيامة، ولا يزكيهم، ولا ينظر إليهم، ولهم عذاب أليم، شيخ زان، وملك كذاب، وعائل مستكبر**».

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِي سَيَدۡخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: ٦٠].

بارك الله لي ولكم...

الخـــطـــبـة الثـــانيـــة

الحمد لله الكبير المتعال، وأصلي وأسلم على رسوله ومجتباه، وأشهد أن لا إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن نبينا محمداً عبد الله ورسوله، صلى الله وسلم وبارك عليه، وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

فإن من آثار الإيمان باسمه سبحانه (المتكبر):

امتلاء القلب بخُلق التواضع لله تعالى بتوحيده وعبادته، والانقياد للحق الذي جاء في كتابه سبحانه وعلى لسان رسوله ﷺ.

والتواضع لعباد الله وعدم التكبر عليهم، والبعد عن ظلمهم وهضم حقوقهم. قال ﷺ: «**الكبر بطر الحق وغمط الناس**» [رواه مسلم]. وبقدر ما في القلب من تعظيم الله تعالى والإيمان بكبريائه وجلاله يكون التواضع للحق وترك احتقار الخلق.

ومن ذلك: الخوف من الله ﷻ والحياء منه مما يكن له الأثر في المبادرة إلى طاعته فيما أمر به، واجتناب ما عنه نهى وزجر، والإخلاص له سبحانه في ذلك، وتعظيم أمره، والانقياد لحكمه.

ومن ذلك: اليقين بأنه ما من متكبر وطاغية إلا وسيقصمه الله ﷻ في الدنيا والآخرة؛ قال الله ﷻ: ﴿فَأَمَّا عَادٌ فَٱسۡتَكۡبَرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَقَالُواْ مَنۡ أَشَدُّ

مِنَّا قُوَّةً ۖ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً ۖ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ ۝١٥ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِىٓ أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ لِّنُذِيقَهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْىِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْـَٔاخِرَةِ أَخْزَىٰ ۖ وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ﴾ [فصلت: ١٥-١٦].

وفي الآخرة يقول الله ﷻ: ﴿فَٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَفْسُقُونَ﴾ [الأحقاف: ٢٠].

وقال الرسول ﷺ: «**يحشر الجبارون والمتكبرون يوم القيامة أمثال الذر يطأهم الناس**» [رواه أحمد].

وهذا يثمر في قلب المؤمن عدم الاغترار بقوة الكافر وجبروته؛ فإن الله ﷻ فوقهم وقاصمهم إذا أخذ المؤمنون بأسباب النصر وشروطه.

هذا وصلوا...

❁ ❁ ❁

٥٥ الخطبة الأولى [(١)]

الحمد لله أحاط بكل شيء علمًا، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وصفيه وخليله، أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله، ولو كره المشركون، صلى الله وسلم وبارك عليه، وعلى آله وصحبه والتابعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾

[آل عمران: ١٠٢].

عباد الله:

إن معرفة أسماء الله وصفاته هي أصل الدين وأساس الهداية، فالقرآن مليئ بالآيات التي ختمت بأسمائه أو صفاته، والآيات المتضمنة ذكر أسماء الله وصفاته أعظم مما فيه من ذكر المعاد، ولهذا كانت آية الكرسي أعظم آية في كتاب الله، وسورة الإخلاص ثلث القرآن، ومن أحبها أحبه الله، لأنها صفة الرحمن، والله تعالى يُحب من يحب ذكر صفاته سبحانه.

---

(١) اسم (المحيط).

وصفات الله سبحانه وحقائق أسمائه هي الجاذبة للقلوب إلى محبته وطلب الوصول إليه، لأن القلوب إنما تحب من تعرفه وتخافه وترجوه، وتشتاق إليه وتتلذذ بقربه، وتطمئن إلى ذكره بحسب معرفتها بأسمائه وصفاته.

عباد الله:

ومن أعظم ما يُقوي الإيمان وتجلبه معرفة أسماء الله الحسنى الواردة في الكتاب والسنة، والحرص على فهم معانيها، والتعبد لله بها، قال الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٠]، وقد ثبت في الصحيحين من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ أنه قال: «**إن لله تسعة وتسعين اسمًا مائةً إلا واحداً من أحصاها دخل الجنة**» [رواه البخاري] أي من حفظها، وفهم معانيها ومدلولها، وأثنى على الله بها، وسأله بها، واعتقدها، دخل الجنة، والجنة لا يدخلها إلا المؤمنون. فعلم أن ذلك أعظم ينبوع ومادة لحصول الإيمان، وقوته وثباته.

عباد الله:

أسماء الله تعالى كلها أسماء حسنى، وصفاته كلها صفات علا، وحقيقة الإلحاد فيها هو الميل بها عن الاستقامة: إما بإثبات المشاركة فيها لأحدٍ من الخلق، كإلحاد المشركين الذين استقوا لآلهتهم من صفات الله ما لا يصلح إلا لله، كتسميتهم اللات من الإله، والعزى من العزيز، ومناة من المنَّان، وكل مشرك تعلق بمخلوق اشتق لمعبوده من خصائص الربوبية والإلهية ما برَّر له عبادته، وأعظم الخلق إلحاداً طائفة الاتحادية الذين من قولهم: إن الرب عين المربوب، فكل اسم ممدوح أو مذموم يطلق على الله عندهم، تعالى الله عن

قولهم علواً كبيراً، وإما أن يكون الإلحاد بنفي صفات الله وإثبات أسماء لا حقيقة لها، وإما بجحدها وإنكارها رأسًا إنكاراً لوجود الله، كما فعل زنادقة الفلاسفة، فهؤلاء الملحدون قد انحرفوا عن الصراط المستقيم ويمموا طرق الجحيم.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠]، والإلحاد في أسمائه هو العدول بها وبحقائقها ومعانيها عن الحق الثابت لها، وهو مأخوذ من الميل، فمنه اللحد وهو الشق في جانب القبر الذي قد مال عن الوسط، ومنه الْمُلحِد في الدين المائل عن الحق إلى الباطل.

أيها المسلمون:

الملحد المائل عن ا لحق المدخل فيه ما ليس منه. ومنه الملتحد وهو مفتعل من ذلك. وقوله تعالى: ﴿وَٱتْلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ ۖ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَـٰتِهِۦ وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا﴾ [الكهف: ٢٧]. أي من تعدل إليه وتهرب إليه وتلتجئ إليه وتبتهل إليه فتميل إليه عن غيره. تقول العرب: التحد فلان إلى فلان إذا عدل إليه. إذا عُرِفَ هذا فالإلحاد في أسمائه تعالى أنواع:

أحدها: أن تُسمَّى الأصنام بها كتسميتهم اللات من الإله، والعزى من العزيز. وتسميتهم الصنم إلهًا، وهذا إلحاد حقيقة؛ فإنهم عدلوا بأسمائه إلى أوثانهم وآلهتهم الباطلة.

الثاني: تسميته بما لا يليق بجلاله كتسمية النصارى له أبًا، وتسمية الفلاسفة له موجبًا بذاته، أو علة فاعلة بالطبع ونحو ذلك.

ثالثهما: وصفه بما يتعالى عنه ويتقدس من النقائص، كقول أخبث اليهود: إنه فقير. وقولهم: إنه استراح بعد أن خلق خلقه. وقولهم: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ ۚ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟ ۘ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ ۚ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ۚ وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ كُلَّمَآ أَوْقَدُوا۟ نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا ٱللَّهُ ۚ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا ۚ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ [المائدة: ٦٤]، وأمثال ذلك مما هو إلحاد في أسمائه وصفاته.

ورابعها: تعطيل الأسماء عن معانيها وجحد حقائقها، كقول من يقول من الجهمية وأتباعهم: إنها ألفاظ مجردة لا تتضمن صفات ولا معاني فيطلقون عليه اسم السميع، والبصير، والحي، والرحيم، والمتكلم، والمريد، ويقولون: لا حياة له، ولا سمع له، ولا بصر له، ولا كلام، ولا إرادة تقوم به، وهذا من أعظم الألحاد فيها عقلاً، وشرعًا، ولغة، وفطرة، وهو يقابل إلحاد المشركين؛ فإن أولئك أعطوا أسماءه وصفاته لآلهتهم وهؤلاء سلبوه صفات كماله وجحدوها وعطلوها، فكلاهما ملحد في أسمائه، ثم الجهمية وفروخهم متفاوتون في هذا الإلحاد، فمنهم الغالي والمتوسط والمنكوب. ولكن من جحد شيئًا مما وصف الله به نفسه أو وصفه به رسوله فقد ألحد في ذلك فليستقلّ أو ليستكثر.

وخامسها: تشبيه صفاته بصفات خلقه تعالى الله عما يقول المشبهون علواً كبيراً. فهذا الإلحاد ي مقابلة إلحاد المعطلة، فإن أولئك نفوا صفة كماله وجحدوها، وهؤلاء شبهوها بصفات خلقه فجمعهم الإلحاد وتفرقت بهم

طرقه، وبرَّأ الله أتباع رسوله وورثته القائمين بسنته عن ذلك كله فلم يصفوه إلا بما وصف به نفسه، ولم يجحدوا صفاته، ولم يشبهوها بصفات خلقه، ولم يعدلوا بها عما أنزلت عليه لفظاً ولا معنىً؛ بل أثبتوا له الأسماء والصفات ونفوا عنه مشابهة المخلوقات فكان إثباتهم بريئاً من التشبيه، وتنزيههم خالياً من التعطيل، لا كمن شبّه حتى كأنه يعبد صنماً، أو عطَّل حتى كأنه لا يعبد إلا عدماً.

وأهل السنة وسط في النحل، كما أن أهل الإسلام وسط في الملل، توقد مصابيح معارفهم من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية يكاد زيتها يُضيء ولو لم تمسسه نار نور على نور يهدي الله لنوره من يشاء. فنسأل الله تعالى أن يهدينا لنوره، ويُسَهِّل لنا السبيل إلى الوصول على مرضاته ومتابعة رسوله، إنه قريب مجيب.

عباد الله:

من أسماء الله ﷻ اسم (المحيط)، وقد ورد في عدَّة مواضع، قال تعالى: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ مُّحِيطًا﴾ [النساء: ١٢٦]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ [آل عمران: ١٢٠]، وقال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ مُحِيطٌۢ بِٱلْكَـٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ١٩].

و(المحيط) اسم دال على إحاطة الله بكلِّ شيء علماً وقدرةً وقهراً، كما قال تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِٱلنَّاسِ﴾ [الإسراء: ٦٠]، وقال تعالى: ﴿لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا﴾ [الطلاق: ١٢]، وقال تعالى: ﴿وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَىْءٍ عَدَدًۢا﴾ [الجن: ٢٨].

وإحاطته سبحانه بالمخلوقات إحاطة علم، فلا يعزب عنه من خلقه مثقال ذرة، وإحاطة قدرة فلا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء، وإحاطة قهر، فلا يقدرون على فوته أو الفرار منه، قال تعالى: ﴿يَـٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ إِنِ ٱسۡتَطَعۡتُمۡ أَن تَنفُذُواْ مِنۡ أَقۡطَارِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ فَٱنفُذُواْۚ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلۡطَـٰنٍ﴾ [الرحمن: ٣٣]، أي: لا تستطيعون هربـًا من أمر الله وقدره لأنه محيط بكل شيء علمـًا وقدرةً وقهراً.

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعۡمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ [آل عمران: ١٢٠]. قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: المحيط: الذي أحاط بكل شيء علماً وقدرة ورحمة وقهراً.

وإحاطته سبحانه بخلقه إحاطة علم: فلا يخفى عليه خافية ﴿وَمَا كُنَّا عَنِ ٱلۡخَلۡقِ غَـٰفِلِينَ﴾ [المؤمنون: ١٧]، يعلم سرهم ونجواهم، يعلم خطرات قلوبهم وحركات جوارحهم.

وإحاطته سبحانه بخلقه إحاطة قدرة: فلا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء ﴿وَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱللَّهَ غَـٰفِلًا عَمَّا يَعۡمَلُ ٱلظَّـٰلِمُونَ﴾ [إبراهيم: ٤٢]، قال البغويّ: والآية تسلية للمظلوم وتهديد للظالم.

وإحاطته سبحانه بخلقه إحاطة رحمة: فوسعت رحمته أهل الأرض والسماوات.

وإحاطته سبحانه بخلقه إحاطة قهر: فلا يقدرون على فوته أو الفرار منه ﴿يَـٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ إِنِ ٱسۡتَطَعۡتُمۡ أَن تَنفُذُواْ مِنۡ أَقۡطَارِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ فَٱنفُذُواْۚ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلۡطَـٰنٍ﴾ [الرحمن: ٣٣]، أي لا تستطيعون هربـًا من أمر الله وقدره، بل هو محيط بكم لا تقدرون على التخلص من حُكْمه، ولا

النفوذ عن حُكْمه فيكم، أينما ذهبتم أُحيط بكم، وهذا في مقام الحشر، فالملائكة مُحْدِقَةٌ بالخلائق، سبع صفوف من كل جانب، فلا يقدر أحد على الذهاب ﴿إِلَّا بِسُلْطَٰنٍ﴾ أي: إلا بأمر الله ﴿يَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ ٱلْمَفَرُّ ۝ كَلَّا لَا وَزَرَ ۝ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمُسْتَقَرُّ﴾ [القيامة: ١٠ - ١٢].

قال الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطًا﴾ [النساء: ١٢٦]. وقال ﷻ: ﴿وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ [آل عمران: ١٢٠].

وهو الذي أحاط بكل شيء علماً، وقدرة، ورحمة، وقهراً. وقد أحاط علمه بجميع المعلومات، وبصره بجميع المبصرات، وسمعه بجميع المسموعات، ونفذت مشيئته وقدرته بجميع الموجودات، ووسعت رحمته.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ في قوله: ﴿أَلَآ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطٌۢ﴾ [فصلت: ٥٤]: (يقول تعالى ذكره: ألا إن الله بكلِّ شيءٍ مما خلق محيطٌ علماً بجميعه وقدرته عليه، لا يَعزب عنه علم شيء منه أراده فيفوته، ولكنه المُقتدر عليه العالم بمكانه).

وقال الزجاجي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (فالله ﷻ محيطٌ بالأشياء كلِّها، لأنها تحت قدرته، لا يمكن شيء منها الخروج عن إرادته فيه، ولا يمتنع عليه منها شيء، وقد قال الله ﷻ: ﴿أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًۢا﴾ [الطلاق: ١٢]، أي: علم كل شيءٍ حقيقته، بجميع صفاته فلم يخرج شيء منها عن علمه.

وقد قال الله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ مُحِيطٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ١٩] قال المفسرون: (تأويله:مُهلك الكافرين، حقيقته أنهم لا يُعْجزونه ولا يفوتونه فهو مُحيطٌ بهم).

وقال الخطابي رَحِمَهُ اللَّهُ: (المحيطُ) هو الذي أحاطت قدرته بجميع خلقه، وهو الذي أحاطَ بكل شيءٍ علمـًا، وأحصى كلَّ شيءٍ عدداً).

ويقول ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: (قد دلَّ العقل والفطرة، وجميع كتب الله السماوية على أن الله تعالى عالٍ على خلقه؛ فوق جميع المخلوقات، وهو مستوٍ على عرشه، وعرشه فوق السماوات كلِّها، فهو سبحانه (مُحيطٌ) بالعالم كلِّه).

بارك الله لي ولكم...

الخطبة الثانية

الحمد لله، أحمد ربي وأشكره وأثني عليه الخير كله، وأشهد أن لا إله إلا الله ولي الصالحين، وأشهد أن نبينا محمداً الصادق الأمين، بعثه الله رحمة للعالمين، صلى الله وسلم وبارك عليه، وعلى آله وصحبه أجمعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

عباد الله:

إن معرفة أسماء الله وصفاته على الوجه الذي أخبر به ﷻ ورسوله ﷺ، توجب على العبد القيام بعبوديته -سبحانه- على الوجه الأكمل؛ فكلما كان الإيمان به أكمل، كان الحب والإخلاص والتعبد أقوى. وأكملهم عبودية المتعبد بجميع الأسماء والصفات التي يطلع عليها البشر، فالإيمان بما تقتضيه الأسماء والصفات يوجد استقامة كاملة في العبد.

ثم إن مفتاح الدعوة الإلهية معرفة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بأسمائه الحسنى وصفاته العلا، لأنه لا حياة للقلوب ولا نعيم، ولا لذة ولا سرور، ولا أمان ولا طمأنينة إلا بأن تعرف ربها ومعبودها وفاطرها بما سمى به نفسه أو وصف به نفسه، ويكون أحب إليها مما سواه، ويكون سعيها في ما يقربها إليه ويدنيها من مرضاته. فبعث الله الرسل وجعل مفتاح دعوتهم وزبدة رسالتهم معرفة المعبود الحق بأسمائه وصفاته وأفعاله.

وأحب الأشياء إلى الله حمده ومدحه، والثناء عليه بأسمائه وصفاته، وأفعاله، ولا يستقر للعبد قدم في المعرفة، بل ولا في الإيمان، حتى يؤمن بصفات ربه

جَلَّجَلَالُهُ، فالإيمان بالصفات هو أساس الإسلام وقاعدة الإيمان وثمرة شجرة الإحسان، ودليل تعلق القلب بها، وشهوده لها هو روح السالكين وحاديهم إلى الوصول، ومحرك عزماتهم إذا فتروا، ومثير هممهم إذا قصروا.

عباد الله:

ومن آثار الإيمان باسمه سبحانه (المحيط):

أولاً: الخوف من الله ﷻ والخضوع له، والحياء منه، ومراقبته سبحانه في كل خطرة ولفظة ولحظة وخطوة، لأن علمه سبحانه محيط بكل شيء ولا يخفى عليه شيء دق أو جل، خفي أم ظهر.

ثانيًا: البعد عن ظلم العباد والاعتداء عليهم، ذلك بأن الله ﷻ قد أحاطت قدرته بكل شيء، فلا يفوته شيء ولا يعجزه شيء، فتذكر هذه القدرة المحيطة تمنع العبد من الاغترار بقدرته على الناس وظلمهم، لأن قدرة الله ﷻ فوق قدرته وهو القاهر الذي أحاط قهره بكل شيء، وما من دابة إلا هو سبحانه آخذ بناصيتها.

ثالثًا: إن الإيمان بإحاطة قدرته سبحانه وقهره لكل شيء تثمر في القلب الاستهانة بقوة المخلوق من الأعداء الكفرة والمنافقين بعد الأخذ بأسباب المدافعة لشرهم، لأن الله ﷻ محيط بهم وقاهر لهم. وإذا حصل التقوى والصبر من المؤمنين فلن يضرهم كيد الكائدين لأن الله ﷻ بما يعملون ويكيدون محيط.

قال سبحانه: ﴿وَإِن تَصۡبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لَا يَضُرُّكُمۡ كَيۡدُهُمۡ شَيۡـًٔاۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعۡمَلُونَ مُحِيطٞ﴾ [آل عمران: ١٢٠].

هذا وصلوا وسلموا...

٥٦ الخطبة الأولى[(١)]

الحمد لله العلي الأعلى، خلق فسوى، وقدر فهدى، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، لا رب لنا سواه، ولا معبود بحق إلا إياه، وأشهد أن نبينا محمداً عبده ورسوله، أرسله الله بالهدى ودين الحق، ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون، صلى الله وسلم عليه، وعلى آله وصحبه والتابعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

فاتقوا الله عباد الله حق التقوى، فإنها وصية الله للأولين والآخرين: ﴿وَلَقَدۡ وَصَّيۡنَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكُمۡ وَإِيَّاكُمۡ أَنِ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ وَإِن تَكۡفُرُواْ فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا﴾ [النساء: ١٣١].

عباد الله:

أكمل الناس عبودية: المتعبد بجميع الأسماء والصفات التي يطَّلع عليها البشر، فلا تحجبه عبودية اسم عن عبودية اسم آخر، كمن يحجبه التعبد باسمه (القدير) عن التعبد باسمه (الحليم الرحيم) أو يحجبه عبودية اسمه (المعطي) عن عبودية اسمه (المانع) أو عبودية اسمه (الرحيم والعفوّ والغفور) عن اسمه

(١) اسم (العلي، الأعلى، المتعال).

(المنتقم) أو التعبد بأسماء (التودد، والبر، واللطف، والإحسان) عن أسماء (العدل، والجبروت، والعظمة، والكبرياء) ونحو ذلك.

وهذه طريقة الكُمَّل من السائرين إلى الله، وهي طريقة مشتقة من آيات القرآن. قال الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠] والدعاء بها يتناول دعاء المسألة، ودعاء الثناء، ودعاء التعبد، وهو سبحانه يدعو عباده إلى أن يعرفوه بأسمائه وصفاته، ويثنوا عليه بها، ويأخذوا بحظهم من عبوديتها.

وهو سبحانه يحب موجب أسمائه وصفاته؛ فهو (عليم) يحبّ كل عليم، (جَوَادٌ) يُحب كل جواد، (وتر) يحب الوتر، (جميل) يحب الجمال، (عفو) يحب العفو وأهله، (حَيِي) يحب الحياء وأهله، (بَرٌّ) يحب الأبرار، (شكور) يحب الشاكرين، (صبور) يحب الصابرين، (حليم) يحب أهل الحلم. فلمحبته سبحانه للتوبة والمغفرة، والعفو والصفح خَلَقَ من يغفر له، ويتوب عليه ويعفو عنه.

عباد الله:

من أسماء الله تعالى: (العلي، والأعلى، والمتعال).

والعلو في اللغة: السمو والارتفاع، يقال: علا النهار: أي ارتفع، وقيل: العلاء والرفعة، والعلو العظمة والتجبر، ومنه قول تعالى: ﴿إِنَّ فِرۡعَوۡنَ عَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ [القصص: ٤]. أي استكبر وطغا.

ويقال لكل شيء يعلو: علا يعلو؛ سواء أكان في الرفعة والشرف، أم في القهر والاستيلاء. ويقال: علا إذا ظهر وغلب. ويقال: فلان عليَّ ذو علاء، إذا كان جليلاً عظيم الشأن والقدر، وعلا أمر فلان إذا جل شأنه وعظم قدره.

ودليل اسمه سبحانه (العلي)، قوله تعالى: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، وأما دليل اسمه سبحانه: (الأعلى)، قوله ﷻ: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾ [الأعلى: ١]، وأما دليل اسمه سبحانه (المتعالِ) قوله سبحانه: ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْكَبِيرُ ٱلْمُتَعَالِ﴾ [الرعد: ٩].

وربنا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ هو: (العلي): الذي علا عن كلّ عيب وسوء ونقص. ومن كمال علوّه ألا يكون فوقه شيء، بل يكون فوق كل شيء.

قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ﴾ [الشورى: ٤]. وقال تعالى: ﴿وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، وقال تعالى: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾ [الأعلى: ١]، وقال تعالى: ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْكَبِيرُ ٱلْمُتَعَالِ﴾ [الرعد: ٩]، وذلك دالّ على أن جميع معاني العلوّ ثابتة لله من كل وجه.

فله علوّ الذات؛ فإنه فوق المخلوقات، وعلى العرش استوى: أي علا، وارتفع علو الذات، فالله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ مستو على عرشه، وعرشه فوق مخلوقاته، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [يونس: ٣].

وقال: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ﴾ [الرعد: ٢] وقال: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه: ٥].

والله مستو على عرشه فوق عباده، كما قال تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ﴾ [الأنعام: ١٨]. وقال: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [النحل: ٥٠].

وله علوّ القدر: وهو علوّ صفاته وعظمتها، فلا يماثله صفة مخلوق، بل لا يقدر الخلائق كلهم أن يحيطوا ببعض معاني صفة واحدة من صفاته، قال تعالى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا﴾ [طه: ١١٠]. وبذلك يُعلم أنه ليس كمثله

شيء في كل نعوته علو المكانة والقدر، وهو الذي أطلق عليه القرآن: (المثل الأعلى) كما في قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [النحل: ٦٠]، وقوله ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ۚ وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [الروم: ٢٧].

فالمثل الأعلى: الصفات العليا التي لا يستحقها غيره، فالله هو الإله الواحد الأحد، وهو متعال عن الشريك والمثيل والند والنظير: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ [الإخلاص: ١ - ٤].

وله علوّ القهر؛ فإنه الواحد القهّار الذي قهر بعزّته وعلوه الخلق كلهم، فنواصيهم بيده، وما شاء كان لا يمانعه فيه ممانع، وما لم يشأ لم يكنْ، فلو اجتمع الخلق على إيجاد ما لم يشأهُ الله لم يقدروا، ولو اجتمعوا على منع ما حكمت به مشيئته لم يمنعوه، وذلك لكمال اقتداره، ونفوذ مشيئته، وشدة افتقار المخلوقات كلها إليه من كل وجه علو القهر والغلب، كما قال تعالى: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ﴾ [الزمر: ٤]. فلا ينازعه منازع، ولا يغلبه غالب، وكل مخلوقاته تحت قهره وسلطانه، ما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن.

وقد وصف الحق تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ نفسه صفات كثيرة تدل على علو القهر والغلب كالعزيز، والقوي، والقدير، والقاهر، والغالب، ونحو ذلك. قال سبحانه: ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ﴾ [الأنعام: ١٨].

عباد الله:

والله سبحانه هو العلي المتعالي الأعلى، تعالى عما يقول الظالمون علواً كبيراً، وهو الأعلى بمعنى العالي، والعلي بمعنى الشريف العالي الذي ليس فوقه شيء.

وتعالى الله: أي جلَّ عن كل ثناء، فهو أعظم وأجلَّ وأعلى مما يثنى عليه.

و(المتعالِ): إما بمعنى العالي أو الذي جلَّ عن إفك المفترين، وتنزه عن وساوس المتحيرين، وهو سبحانه الأعلى، أي صفته أعلى الصفات، والله سبحانه عليَّ عن النظير والأشباه، وهو عليَّ على خلقه بارتفاع مكانه عن أماكنهم، فهو على العرش عالٍ على جميع خلقه.

و(الأعلى): يجمع معاني العلو جميعها، وهو سبحانه علي على كل شيء بمعنى أنه قاهر له قادر عليه متصرف فيه، وهو عال عن كل عيب ونقص ومنزه عن ذلك، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُۥٓ ءَالِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَّٱبْتَغَوْا۟ إِلَىٰ ذِى ٱلْعَرْشِ سَبِيلًا ﴿٤٢﴾ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا﴾ [الإسراء: ٤٢ - ٤٣].

والرب تعالى لا يكون شيء أعلى منه قط بل هو العلي والأعلى، ولا يزال هو العلي الأعلى مع أنه يقرب إلى عباده ويدنو منهم وينزل إلى حيث شاء، ويأتي كما شاء، وهو في ذلك العلي الأعلى، الكبير المتعال، عليٌّ في دنوه قريب في علوه.

قال تعالى: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾ [الأعلى: ١]، ﴿وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ﴾ [الشورى: ٤]، ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْكَبِيرُ ٱلْمُتَعَالِ﴾ [الرعد: ٩].

عباد الله:

ربنا (الأعلى - العليّ – المُتعَال): الذي لا أعلى منه تعالى، له العلو الكامل من جميع الوجوه.

قال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (فطر الله قلوب العباد على أنه أجلّ وأكبر وأعلى وأعلم وأعظم وأكمل من كل شيء).

ففرعون مُقرٌّ بأن الله في السماء، وإن خادع أتباعه، قال سبحانه: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰهَٰمَٰنُ ٱبْنِ لِي صَرْحًا لَّعَلِّيٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ ﴿٣٦﴾ أَسْبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ﴾ [غافر: ٣٦ - ٣٧] فأمر فرعون لهامان ببناء صرح يطّلع به على إله موسى، وهنا يدلُّ على أنَّ موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ قال لفرعون وآلِهِ: إن الله في السماء، فيكون علو الله تعالى ذاتيًا قد جاءت به الشرائع السابقة.

ويشرع للعبد أن يقول في سجوده، وهو أكثر ما يكون سفولاً بوضع أشرف أعضائه وهو الوجه على الأرض (سبحان ربي الأعلى) فيصف ربه بصفة العلو.

وقال السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ: (العلي، الأعلى) هو الذي له العلو المطلق من جميع الوجوه: علو الذات، وعلو القدر والصفات، وعلو القهر. فهو الذي على العرش استوى، وعلى الملك احتوى، وبجميع صفات العظمة والكبرياء والجلال والجمال وغاية الكمال اتصف، وإليه فيها المنتهى).

عباد الله:

جاء لفظ الأعلى في آيتين هما قوله تعالى: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾ [الأعلى: ١]، ﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ﴿١٩﴾ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [الليل: ١٩ - ٢٠].

وجاء لفظ المثل الأعلى في موضعين، منهما قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ۚ وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [الروم: ٢٧].

وجاء بلفظ العلي في ستة مواضع اقترن في أربعة منها بالكبير، وفي اثنين بالعظيم، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا۟ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ۖ قَالُوا۟ ٱلْحَقَّ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ﴾ [سبأ: ٢٣].

وفي آية الكرسي في آخرها: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

وبلفظ (علي) مرة في قوله تعالى: ﴿فَيُوحِىَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ عَلِىٌّ حَكِيمٌ﴾ [الشورى: ٥١].

والمتعالِ مرة واحدة في قوله تعالى: ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْكَبِيرُ ٱلْمُتَعَالِ﴾ [الرعد: ٩].

بارك الله لي ولكم...

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين، أحمد ربي وأشكره وأثني عليه الخير كله، له الملك وإليه ترجعون، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن نبينا محمداً عبده ورسوله وصفيه وخليله، صلى الله وسلم عليه وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

فقد تنوعت الدّلائل، وتكاثرت البراهين، وتعدّدت الشواهد على علو الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ على خلقه، حتى إنّ القرآن الكريم فيه أزيد من ألف دليل على علوِّ الله سبحانه.

والإيمان بعلو الله على خلقه يورث العبد تعظيما لله وذلاّ بين يديه، وانكساراً له، وتنزيهاّ له عن النقائص والعيوب، وإخلاصًا في عبادته، وبعداً عن اتخاذ الأنداد والشّركاء.

عباد الله:

من أثار الإيمان بهذه الأسماء الحسنى:

الأول: الخضوع لله تعالى والإخبات، والتذلل له مع محبته وتعظيمه وإجلاله، وهذان هما ركنا العبودية لله تعالى؛ إذ إن حقيقة العبودية لله تعالى إنما تنشأ من غاية الحب لله تعالى مع غاية التذلل له.

الإيمان بعلو الله ﷻ ذاتًا وقدراً وقهراً يورث في النفس خضوعًا وإخباتًا لمن هذه صفاته، ولذا لما نزل قوله تعالى: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾ [الأعلى: ١]، قال ﷺ: «ضعوها في سجودكم» [رواه أبو داود].

وعن سر ذلك يقول ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وكان وصف الرب بالعلو في هذه الحال في غاية المناسبة لحال الساجد الذي قد انحط إلى السفل على وجهه، ذكر علو ربه في حال سقوطه، كما ذكر عظمته في حال خضوعه في ركوعه، ونزه ربه عما لا يليق به مما يضاد عظمته وعلوه).

الثاني: التواضع لله تعالى ولما أنزل من الحق، لأن الإيمان بعلوه سبحانه وقهره لعباده يورث في القلب تواضعاً وحياءً، وتعظيماً لله تعالى وأوامره ونواهيه، ورضاً بأحكامه القدرية والشرعية، وإذعانه للحق إذا بان له، وعلم أنه من عند الله تعالى وتقدس، ولا يرد أحد الحق ويؤثر الباطل عليه إلا من يغفل عن آثار أسماء الله عَزَّ وَجَلَّ الحسنى، ومنها الأسماء التي فيها إثبات العلو، والعظمة، والملك، والحكمة لله تعالى.

الثالث: الحذر من العلو في الأرض بغير الحق، وتجنب ظلم العباد والتكبر عليهم، وقهرهم والعدوان عليهم. ولا ينجو من ذلك إلا من تذكر علو الله تعالى وقهره وأن العبد مهما علا وظلم وقهر فإن الله (العلي المتعال) فوقه، يراه يقتص للمظلومين ممن ظلمهم. وما من جبَّار علا في الأرض وتجبر إلا وقصمه الله تعالى وأهلكه.

رابعاً: الخوف من الله وحده وتخلص القلب من الخوف من المخلوق الضعيف. فمهما أوتي المخلوق من قوة وعلو في الأرض فإن الله عَزَّ وَجَلَّ فوقه مكاناً وقدراً وقهراً، وكلما تذكر العبد علو الله تعالى على خلقه وعظمته وكبريائه؛ تمحض الخوف له سبحانه وحده، وتخلص من الخوف من المخلوق الضعيف.

خامسًا: تنزيهه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عن كل نقص في ذاته وصفاته وأفعاله، وإثبات صفات الكمال له سبحانه وحمده على ذلك، ولذا نجد في القرآن الكريم أن قوله: (تعالى) يقرن كثيراً بقوله: (سبحانه) كما في قوله ﷻ: ﴿وَجَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ٱلْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ ۖ وَخَرَقُواْ لَهُۥ بَنِينَ وَبَنَٰتٍۭ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [الأنعام: ١٠٠].

وقولــــه تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُۥٓ ءَالِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَّٱبْتَغَوْاْ إِلَىٰ ذِى ٱلْعَرْشِ سَبِيلًا ﴿٤٢﴾ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا﴾ [الإسراء: ٤٢ - ٤٣].

هذا وصلوا...

❁ ❁ ❁

٥٧ الخطبة الأولى [١]

الحمد لله الأول والآخر، والظاهر والباطن، وهو بكل شيء عليم، وأشهد أن لا إله إلا الله الحكيم العليم، وأشهد أن نبينا محمداً عبده ورسوله المصطفى الأمين، صلى الله وسلم وبارك عليه، وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

فاتقوا الله حق التقوى، ﴿وَٱتَّقُواْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٨١].

عباد الله:

إن معرفة أسماء الله وصفاته على الوجه الذي أخبر به ﷻ توجب على العبد القيام بعبوديته –سبحانه – على الوجه الأكمل؛ فكلما كان الإيمان به أكمل، كان الحب والإخلاص والتعبد أقوى. وأكملهم عبودية المتعبد بجميع الأسماء والصفات التي يطلع عليها البشر، فالإيمان بما تقتضيه الأسماء والصفات يوجد استقامة كاملة في العبد.

---

(١) اسم (الأول والآخر).

ثم إن مفتاح الدعوة الإلهية معرفة الله – تعالى – بأسمائه الحسنى وصفاته العلا، لأنه لا حياة للقلوب ولا نعيم، ولا للذة ولا سرور، ولا أمان ولا طمأنينة إلا بأن تعرف ربها ومعبودها وفاطرها بما سمى به نفسه أو وصف به نفسه، ويكون أحب إليها مما سواه، ويكون سعيها في ما يقربها إليه ويدنيها من مرضاته. فبعث الله الرسل وجعل مفتاح دعوتهم زبدة رسالتهم معرفة المعبود الحق بأسمائه وصفاته وأفعاله.

وأحب الأشياء إلى الله حمده ومدحه، والثناء عليه بأسمائه وصفاته، وأفعاله، ولا يستقر للعبد قدم في المعرفة، بل ولا في الإيمان، حتى يؤمن بصفات ربه جَلَّجَلَالُهُ، فالإيمان بالصفات هو أساس الإسلام، وقاعدة الإيمان، وثمرة شجرة الإحسان، ودليل تعلق القلب بها، وشهوده لها هو روح السالكين وحاديهم إلى الوصول، ومحرك عزماتهم إذا فتروا، ومثير هممهم إذا قصروا.

قال ابن القيم: (والفرح والسرور، وطيب العيش والنعيم؛ إنما هو في معرفة الله وتوحيده، والأنس به، والشوق إلى لقائه، واجتماع القلب والهمَّة عليه، فإنَّ أنكد العيش: من قلبُه مُشتَّتٌ؛ وهمُّه مُفرَّقٌ عن ذلك بقوله:

وما ذاق طعم العيش من لم يكن ... له حبيبٌ إليه يطمئنُّ ويسكن

فالعيش الطيِّب؛ والحياة النافعة؛ وقرَّة العين: في السكون والطمأنينة إلى الحبيب الأوَّل، ولو تنقَّل القلب في المحبوبات كلّها لم يسكن، ولم يطمئن، ولم تقرَّ عينه حتى يطمئن إلى إلهه وربِّه ووليِّه؛ الذي ليس له من دونه وليٌّ ولا شفيعٌ، ولا غنى له عنه طرفة عين).

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (إن الأدب مع الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ هو القيام بدينه والتأدب بآدابه ظاهراً وباطناً. ولا يستقيم لأحد قط الأدب مع الله إلا بثلاثة أشياء: معرفته بأسمائه وصفاته، ومعرفته بدينه وشرعه وما يحب وما يكره، ونفس مستعدة قابلة لينة متهيئة لقبول الحق – علماً وعملاً وحالاً – والله المستعان).

عباد الله:

من أسماء الله عَزَّوَجَلَّ: (الأول والأخر، والظاهر والباطن).

والأسماء الأربعة المباركة قد فسرها النبي ﷺ تفسيراً جامعاً واضحاً فقال يخاطب ربه: «**اللهم أنت الأول فليس قبلك شيء، وأنت الآخرُ فليس بعدك شيء، وأنت الظاهرُ فليس فوقك شيء، وأنت الباطن فليس دونك شيء**» [رواه مسلم].

فسّر ﷺ كل اسم بمعناه العظيم، ونفى عنه ما يُضاده ويُنافيه. الدّالة على تفرّد الرب العظيم بالكمال المطلق والإحاطة الزمانية في قوله: (**الأوّلُ والآخرُ**)، والمكانية في (**الظاهرُ والباطن**).

(**فالأول**) يدلّ على أنّ كل ما سواه حادث كائن بعد أنْ لم يكن، ويوجب للعبد أن يلحظ فضل ربه في كل نعمة دينية أو دنيوية، إذ السبب والمسبب منه تعالى.

(**والآخر**) يدل على أنه هو الغاية، والصمد الذي تصمد إليه المخلوقات بتألُّهها، ورغبتها، ورهبتها، وجميع مطالبها.

والمعنى في اللغة:

الأول: هو مبتدأ الشيء.

والآخر: هو نقيض المتقدم.

وقد جاء تفسيرهما في الشرع في حديث أبي هريرة ﵁ قوله ﷺ: «أنت الأول فليس قبلك شيء، وأنت الآخر فليس بعدك شيء» [رواه مسلم].

فالله هو الأول: أي المتقدم للحوادث بأوقات لا نهاية لها، فالأشياء كلها وجدت بعده وقد سبقها كلها.

وهو الآخر: لأنه المتأخر عن الأشياء كلها ويبقى بعدها. أو لأنه هو الباقي بعد فناء خلقه كله صامته وناطقه، وهو سبحانه الآخر الذي لا يزال آخراً دائماً باقياً والوارث لكل شيء بديمومته وبقائه.

قال ابن جرير ﵀: (هو الأول قبل كل شيء بغير حد، والآخر بعد كل شيء بغير نهاية، وإنما قيل ذلك لأنه كان ولا شيء موجود سواه، وهو كائن بعد فناء الأشياء كلها، كما قال جل ثناؤه: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ [القصص: ٨٨].

وقال الخطابي ﵀: (هو السابق للأشياء كلها، والكائن الذي لم يزل قبل وجود الخالق، فاستحق الأولية إذ كان موجوداً ولا شيء قبله ولا معه، وهو الباقي بعد فناء الخلق، وليس معنى الآخر ماله الانتهاء، كما ليس معنى الأول ماله الابتداء فهو الأول والآخر وليس لكونه أول ولا آخر).

ويدور الأسمان الأول والآخر على الإحاطة الزمانية فهو سبحانه أول كل شيء وآخره، كما أنه سبحانه رب كل شيء وخالقه وبارئه فهو إليه وغايته التي لا صلاح له ولا فلاح ولا كمال إلا بأن يكون سبحانه غايته ونهاية مقصوده.

قال البيهقي: ((الأول) هو الذي لا ابتداء لوجوده).

وقد وردت هذه الأسماء الأربعة مجتمعة في موضع واحد من القرآن الكريم، قال الله تعالى: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْءَاخِرُ وَٱلظَّـٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ

عَلِيمٌ﴾ [الحديد: ٣]، وخير ما تفسّر به هذه الأسماء الحسنى ويبيّن به معناه ما ورد في السنّة النبوية في مناجاة النبي ﷺ لربه بهذه الأسماء مناجاةً تتضمن بيان معاني هذه الأسماء وتوضيح مدلولاتها.

روى مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ يأمرنا إذا أخذنا مضجعنا أن نقول: «**اللهم رب السموات ورب الأرض ورب العرش العظيم، ربنا ورب كل شيء، فالق الحب والنوى، ومنزل التوراة والإنجيل والفرقان، أعوذ بك من شر كل شيء أنت آخذٌ بناصيته، اللهم أنت الأول فليس قبلك شيء، وأنت الآخر فليس بعدك شيء، وأنت الظاهر فليس فوقك شيء، وأنت الباطن فليس دونك شيء، اقض عنا الدين وأغننا من الفقر**».

فبين عليه الصلاة والسلام في هذا الدعاء الجامع معنى كل اسم ونفى ما يناقضه، وهذا أعلى درجات البيان.

وقد جرى على ألسنة كثير من الناس تسمية (الرب) تعالى (بالقديم)، والقديم ليس من أسماء الله تعالى الحسنى.

والتزام تسميته بـ(الأول) هو الموافق للكتاب والسنة، واللغة، ويؤدي ما يؤديه (القديم) وزيادة؛ فإن (القديم) يعم كل متقدم على غيره في الزمان، وأما (الأول) فإنه يدل على التقدم المطلق على كل شيء.

قال السعدي رحمه الله: (الأول): يدل على أن كل ما سواه حادث كائن بعد أن لم يكن، ويجب على العبد أن يلحظ فضل ربه في كل نعمة دينية أو دنيوية إذ السبب والمسبب منه تعالى).

والمعنى في حق الله تعالى لاسمه (الآخر):

قال الخطابي رَحِمَهُ اللَّهُ: (الآخر) هو الباقي بعد فناء الخلق. وليس معنى (الآخر) ما له انتهاء، كما ليس معنى (الأول) هو الذي لا انتهاء لوجوده).

وأحسن التعريفات وأكملها ما فسره أعرف البشر بالله ﷻ وذلك في قوله ﷺ: «وأنت الآخر فليس بعدك شيء».

ويقول ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: (سبق كل شيء بأوليته، وبقي بعد كل شيء بآخريته).

عباد الله:

الغايات والنهايات كلها إليه تنتهي: ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ﴾ [النجم: ٤٢]؛ فانتهت إليه الغايات والنهايات؛ وليس له سبحانه غايةٌ ولا نهايةٌ؛ لا في وجوده، ولا في مزيد جوده، إذ هو (الأول) الذي ليس قبله شيء، و(الآخر) الذي ليس بعده شيءٌ، ولا نهاية لحمده وعطائه؛ بل كلما ازداد له العبد شكراً؛ زاده فضلاً، وكلما ازداد له طاعة؛ زاده لمجده مثوبة، وكلما ازداد منه قربـًا: لاح له من جلاله وعظمته ما لم يشاهده قبل ذلك، وهكذا أبداً لا يقف على غاية ولا نهايةٍ، ولهذا جاء: إن أهل الجنة في مزيدٍ دائمٍ بلا انتهاء. فإن نعيمهم متصلٌ ممن لا نهاية لفضله ولا لعطائه؛ ولا لمزيده، ولا لأوصافه، فتبارك الله ذو الجلال والإكرام: ﴿إِنَّ هَـٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ﴾ [ص: ٥٤].

وفضل الله واسع، وعطاؤه عظيم، جاء في الحديث القدسي: «يا عبادي لو أن أوَّلكم وآخركم؛ وإنسكم وجنكم قاموا في صعيدٍ واحدٍ فسألوني؛ فأعطيتُ كل إنسان مسألته: ما نقص ذلك مما عندي إلا كما يُنقص المخيطُ إذا أُدخل البحر» [رواه مسلم].

هذا وصلوا وسلموا...

الخطبة الثانية

الحمد لله بفضله اهتدى المهتدون، وبعدله ضل الضالون، أحمده وأشكره وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وسلم، وعلى آله وصحابته أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

فإن عبوديته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ باسمه (الآخر) تقتضي أيضًا عدم ركون العبد ووثوقه بالأسباب والوقوف معها، فإنها تنعدم لا محالة، وتنقضي بالآخرية، ويبقى الدائم الباقي بعده، فالتعلق بها تعلق بما يعدم وينقضي، والتعلق بـ(الآخر) سبحانه تعلق بالحي الذي لا يموت ولا يزول، فالمتعلق به حقيق أن لا يزول ولا ينقطع، بخلاف التعلق بغيره مما له آخر يفنى به. فتأمل عبودية هذين الاسمين وما يوجبانه من صحة الاضطرار إلى الله وحده، ودوام الفقر إليه دون كل شيء سواه، وأن الأمر ابتدأ منه وإليه يرجع، فهو المبتدئ بالفضل حيث لا سبب ولا وسيلة، وإليه تنتهي الأسباب والوسائل، فهو أول كل شيء وآخره، وكما أنه رب كل شيء وفاعله وخالقه وبارئه، فهو إلهه وغايته التي لا صلاح له، فلا فلاح، ولا كمال إلا بأن يكون وحده غايته ونهايته ومقصوده، فهو الأول الذي ابتدأت منه المخلوقات، والآخر الذي انتهت إليه عبودياتها وإراداتها ومحبتها، فليس وراء الله شيء يقصد ويعبد

ويتألـه، كمـا أنـه لـيس قبلـه شـيء يخلـق ويـبرأ. فكمـا كـان واحـداً في إيجـادك فاجعله واحداً في تألهك إليه لتصح عبوديتك، وكما ابتدأ وجودك وخلقك منـه فاجعلـه نهايـة حبـك وإرادتـك وتألهـك إليـه لتصـح لـك عبوديتـه باسـمه **(الأول والآخر)** وأكثر الخلق تعبدوا له باسمه **(الأول)** وإنما الشأن في التعبد لـه باسـمه **(الآخـر)** فهـذه عبوديـة الرسـل وأتبـاعهم، فهـو رب العـالمين وإلـه المرسلين سبحانه وبحمده.

ويذكر ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ بعض أسرار اقتران اسمي الجلالة (الأول، الآخر) فيقول: (قال الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱهۡتَدَوۡاْ زَادَهُمۡ هُدٗى﴾ [محمد: ١٧]، فهداهم أولاً فاهتدوا فزادهم هدى ثانياً، وهذا من سر اسمه (الأول والآخر): فهو المعد وهو الممد، ومنه السبب والمسبب، وهو الذي يعيذ من نفسه بنفسه كما قال أعرف الخلق به: «**وأعوذ بك منك**».

عباد الله:

من آثار الإيمان بهذين الاسمين الكريمين:

أنها تقتضي التجرد من مطالعة الأسباب، والوقوف أو الالتفات إليها، وتجريد النظر إلى مجرد سبق فضله ورحمته، وأنه هو المبتدئ بالإحسان من غير وسيلة من العبد، إذ لا وسيلة له في العدم قبل وجوده، وأي وسيلة كانت هناك، وإنما هو عدم محض، وقد أتى عليه حين من الدهر لم يكن شيئاً مذكوراً، فمنه سبحانه الإعداد، ومنه الإمداد وفضله سابق على الوسائل من مجرد فضله وجوده؛ لم تكن بوسائل أخرى. فمن نزل اسمه (الأول) على هذا المعنى أوجب له فقراً خاصاً وعبودية خاصة. فمعرفة أولية الله لكل شيء

وسبِقه بالفضل والإحسان الأسبابَ كلَّها تقتضي إفراده وحده بالذل والالتجاء، وعدم الالتفات إلى غيره أو التوكل على سواه، وتقتضي التجرد من التعلق بالأسباب والالتفات إليها إلى التعلق بمن منه الإمداد ومنه الإعداد، وفضله سابق على الوسائل والأسباب.

ومعرفة آخريَّة الله تقتضي أن يُجعل وحده غاية العبد التي لا غاية له غيره، ولا مطلوب له وراءه، إليه وحده المنتهى، وليس وراءه مرمى ولا بعده مقصد، وتقتضي عدم الركون إلى الأسباب؛ فإنها تنعدم ولا محالة وتنقضي بالآخرية، ويبقى الدائم الباقي بعدها، فالتعلق بها تعلق بما يعدم وينقضي، والتعلق بالآخر سبحانه تعلق بالحي الذي لا يموت، وبالباقي الذي لا يزول.

هذا وصلوا...

❁ ❁ ❁

(٥٨) الخطبة الأولى[(١)]

الحمد لله الظاهر والباطن، وهو بكل شيء عليم، وأشهد أن لا إله إلا الله الواحد الأحد رب العالمين، وأشهد أن نبينا محمداً عبده ورسوله الصادق الأمين، صلى الله عليه وسلم وبارك عليه، وعلى آله وصحبه أجمعين، والتابعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

فاتقوا الله عباد الله ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٨١].

أيها المسلمون:

بين ﷺ: «**إن لله تسعة وتسعين إسمًا، مائة إلا واحدا، من أحصاها دخل الجنة**».

ومعنى أحصاها: الإحاطة بها لفظا وفهمها معنى، والتعبد لله بمقتضاها، ولذلك وجهان:

الأول: أن تدعو الله بها لقوله سبحانه: ﴿فَادْعُوهُ بِهَا﴾ وذلك بأن تجعلها وسيلة إلى مطلوبك، فتختار الاسم المناسب لمطلوبك فعند سؤال المغفرة والرحمة تقول: (يا غفور يا رحيم، اغفر لي وارحمني) وكقول: (رب اغفر

---

(١) اسم: (الظاهر والباطن).

لي وارحمني، إنك أنت الغفور الرحيم) وعند سؤال الشفاء: (يا شافي اشفني) وهكذا.

الثاني: أن تتعرض في عبادتك لما تقتضيه هذه الأسماء، فمثلاً: أسماء الله السميع والعليم والرقيب، تملأ القلب مراقبة لله في الحركات والسكنات، فلا يقول المرء أو يفعل إلا ما يرضي الله، فإذا كان كذلك كان جديرا بأن يكون ذلك ثمنا لدخول الجنة.

والأسماء الحسنى ليست منحصرة في تسعة وتسعين لحديث: «**أسألك بكل اسم هو لك، سميت به نفسك، أو أنزلته في كتابك، أو علمته أحدا من خلقك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك**» والحديث جملة واحدة، وقوله: «**من أحصاها دخل الجنة**» صفة لا خبر مستقل؛ لئلا يتوهم الحصر بالتسعة والتسعين اسمًا، فلا يدخل تحت حصر ولا تحد بعدد، والمعنى له سبحانه أسماء متعددة من شأنها أن من أحصاها دخل الجنة، وهذا لا ينفي أن يكون له أسماء غيرها، والتسعة والتسعين واردة في الكتاب والسنة.

فالواجب على العبد المسلم أن يتعرف على الله بأسمائه الحسنى وصفاته العلا، ويدعوه ويتوسل إليه بها، وأن يحذر من سلوك طريق أهل الإلحاد والضلال في أسماء الله وصفاته.

عباد الله:

ومن أسماء الله الحسنى، وكل أسمائه حسنى؛ اسم (الظاهر والباطن).

وقد ورد ذكر هذين الاسمين الكريمين في قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلۡأَوَّلُ وَٱلۡأٓخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلۡبَاطِنُۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ﴾ [الحديد: ٣]، وكذلك في الحديث قوله ﷺ: «**وأنت الظاهر فليس فوقك شيء، وأنت الباطن فليس دونك شيء... الحديث**».

والمعنى اللغوي للظاهر: الظهر من كل شيء خلاف البطن، وظهارة الثوب ما علا الظهر ولم يل الجسد، وظهرتُ البيت: علوتُه. والظاهر: الظهور يدل على القوة والبروز، يقال: ظهر الشيء يظهر ظهوراً فهو ظاهر إذا انكشف وبرز، والأصل فيه ظهر الإنسان، وهو خلاف بطنه وهو يشمل البروز والقوة.

والظهور: الغلبة. والظهور يتضمن العلو ومنه قوله تعالى: ﴿فَمَا ٱسْطَٰعُوٓاْ أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا ٱسْتَطَٰعُواْ لَهُۥ نَقْبًا﴾ [الكهف: ٩٧].

أي يعلوا عليه، ويقال: ظهر على الشيء إذا غلبه وعلاه، وظهر فلان على الجبل إذا علاه، وأظهر الله المسلمين؛ أي أعلاهم على الكافرين.

والمعنى في حق الله تعالى:

قال ابن جرير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وقوله: (والظاهر) يقول: وهو الظاهر على كل شيء دونه، وهو العالي فوق كل شيء فلا شيء أعلى منه).

ويقول ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (اسمه (الظاهر) من لوازمه أن لا يكون فوقه شيء كما في الصحيح: (وأنت الظاهر فليس فوقك شيء)، بل هو سبحانه فوق كل شيء، فمن جحد فوقيته سبحانه فقد جحد لوازم اسمه (الظاهر).

(والظاهر) يدل على عظمة صفاته، واضمحلال كل شيء عند عظمته من ذوات وصفات على علوّه.

(والباطن) يدلّ على اطّلاعه على السرائر، والضمائر، والخبايا، والخفايا، ودقائق الأشياء، كما يدلّ على كمال قربه ودنوّه. ولا يتنافى الظاهر والباطن؛ لأن الله ليس كمثله شيء في كل النعوت.

وقد فسر معنى الظاهر حديث أبي هريرة رضي الله عنه وفيه قوله ﷺ: «**وأنت الظاهر فليس فوقك شيء، وأنت الباطن فليس دونك شيء**» [رواه مسلم].

فالظاهر فسَّره بالظهور بمعنى العلو، والله تعالى عال على كل شيء، وفسره بعضهم بالظهور بمعنى البروز: فهو الذي ظهر للعقول بحججه وبراهينه وجوده وأدلة وحدانيته؛ فهو الظاهر بالدلائل الدالة عليه، وأفعاله المؤدية إلى العلم به ومعرفته، فهو ظاهر مُدرك بالعقول والدلائل. وباطن؛ لأنه غير مشاهد كسائر الأشياء المشاهدة في الدنيا عز وجل عن ذلك وتعالى علواً كبيراً.

والله سبحانه هو الظاهر بحكمته وخلقه وصنائعه وجميع نعمه التي أنعم بها فلا يرى غيره، والباطن هو المحتجب عن ذوي الألباب كنه ذاته وكيفية صفاته عز وجل.

قال السعدي رحمه الله: ((والظاهر): يدل على عظمة صفاته واضمحلال كل شيء عند عظمته من ذوات وصفات، ويدل على علوه).

وقال الزجاج: ((والباطن): هو العالم ببطانة الشيء، يقال: بطنت فلاناً وخبرته إذا عرفت باطنه وظاهره. والله عارف ببواطن الأمور وظواهرها. فهو ذو الظاهر، وذو الباطن).

قال سبحانه: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الحديد: ٣].

وتفسيرها كما ورد عنه ﷺ: «**اللهم أنت الأول فليس قبلك شيء، وأنت الأخر فليس بعدك شيء، وأنت الظاهر فليس فوقك شيء، وأنت الباطن فليس دونك شيء**».

عباد الله:

الأول والآخر والظاهر والباطن: مدار هذه الأسماء على بيان إحاطة الرب تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بخلقه، إحاطة زمانية ومكانية: -

فالإحاطة الزمانية: في (الأول)، و(الآخر): فما من أول إلا والله قبله، فالأشياء كلها وجدت بعده، وقد سبقها كلها، وما من آخر إلا والله بعده، فهو ﷻ الباقي بعد فناء خلقه كلّه صامته وناطقه، فهو سبحانه الأول فليس شيء قبله، والآخر فليس شيء بعده.

والإحاطة المكانية: في (الظاهر) و(الباطن): (فما من ظاهر إلا والله فوقه)، عال على العرش، والعرش أعلى المخلوقات، (وما من باطن إلا والله دونه)، فبطونه سبحانه إحاطته بكل شيء بحيث يكون أقرب إليه من نفسه، فهو يدل على كمال اطلاعه على السرائر والخفايا، كما يدل على كمال قربه ودنوه، فمع علوه على عرشه فهو قريب من خلقه محيط بهم، ولا يحجب عنه ظاهر باطناً،بل الباطن له ظاهر، والغيب عنده شهادة، والبعيد منه قريب، والسر عنده علانية.

ومعرفة ظاهريته وأنه فوق عباده يدبر أمورهم، وتصعد إليه أعمالهم؛ تقتضي حسن توجه القلب إليه، وتمام الذل بين يديه والخضوع لجنابه وعظمته والضراعة إليه وحده دون سواه ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ﴾ [الحج: ٦٢]، وأمّا من لا يؤمن بظاهريَّة الله وعلوّه فإنه ضائع مشتَّت القلب، ليس لقلبه قبلة يتوجه نحوها، ولا معبود يتوجّه إليه قصده.

ومعرفة باطنيّته سبحانه وشهود إحاطته بالعوالم، وقربه من العبيد، وعلمه بالبواطن والسرائر والخفيات؛ تقتضي تزكية النفس وإصلاح السريرة، وتطهير الباطن، وتنقية القلب وعمارته بالإيمان والتقى.

روى أبو داود عن أبي زُميل سماك بن الوليد قال: سألت ابن عباس فقلت: ما شيء أجده في صدري؟ قال: ما هو؟ قلت: والله ما أتكلم به، قال: فقال لي: أشيء من شك؟ قال: وضحك، قال: ما نجا من ذلك أحدٌ، قال: حتى أنزل الله ﷻ: ﴿فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ فَسْـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقْرَءُونَ ٱلْكِتَـٰبَ مِن قَبْلِكَ﴾ [يونس: ٩٤]، قال: فقال لي: فإذا وجدت في نفسك شيئا فقل: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْـَٔاخِرُ وَٱلظَّـٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الحديد: ٣].

فأرشد رضي الله عنه إلى هذا الذِّكر الحكيم لطرد الوساوس وقطع الشّكوك.

عباد الله:

وردت هذه الأسماء الأربعة الأول والآخر، والظاهر والباطن مجتمعة في موضع واحد من القرآن الكريم، قال الله تعالى: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْـَٔاخِرُ وَٱلظَّـٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الحديد: ٣]، وخير ما تفسّر به هذه الأسماء الحسنى ويبيّن به معناها ما ورد في السنة النبوية في المناجاة لنبي ﷺ لربه بهذه الأسماء مناجاةً تتضمن بيان معاني هذه الأسماء وتوضيح مدلولاتها.

روى مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ يأمرنا إذا أخذنا مضجعنا أن نقول: «**اللهم رب السموات ورب الأرض ورب العرش العظيم، ربنا ورب كل شيء، فالق الحب والنوى، ومنزل التوراة والإنجيل والفرقان، أعوذ بك من شر كل شيء أنت آخذٌ بناصيته، اللهم أنت الأول فليس**

قبلك شيء، وأنت الآخر فليس بعدك شيء، وأنت الظاهر فليس فوقك شيء، وأنت الباطن فليس دونك شيء، أقضِ عنا الدين وأغْننا من الفقر».

فبين عليه الصلاة والسلام في هذا الدعاء الجامع معنى كل اسم ونفي ما يناقضه، وهذا أعلى درجات البيان، ومدار هذه الأسماء الأربعة على بيان إحاطة الرب تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بخلقه.

ففي هذه الأسماء الأربعة جماع المعرفة بالله، وجماع العبودية له، كما أن فيها قمعًا للوساوس المهلكة، والشكوك المردية التي يلقيها الشيطان في قلب الإنسان بُغية إهلاكه وصرفه عن الإيمان.

بارك الله لي ولكم...

الخطبة الثانية

الحمد لله حمداً يليق بجلاله وعظيم سلطانه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن نبينا محمد عبده ورسوله، وصفيه وخليله، صلى الله وسلم وبارك عليه، وعلى آله وصحابته الكرام، والتابعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم المعاد.

أما بعد:

قال بعض العلماء: أول فرض فرضه الله على خلقه: معرفته. فإذا عرفه الناس عبدوه. قال الله تعالى: ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [محمد: ١٩] فينبغي للمسلمين أن يعرفوا أسماء الله وتفسيرها، فيعظموا الله حق عظمته. ولو أراد رجل أن يعامل رجلاً طلب أن يعرف اسمه وكنيته، واسم أبيه وجده، وسأل عن صغيرة أمره وكبيره. فالله الذي خلقنا ورزقنا، ونحن نرجو رحمته ونخاف من سخطه أولى أن نعرف أسماءه ونعرف تفسيرها).

و في معرفة الله ﷻ بأسمائه وصفاته زيادة في الإيمان واليقين وتحقيق للتوحيد.

عباد الله:

ومن آثار الإيمان باسميه سبحانه (الظاهر)، (الباطن): ما قاله ابن القيم رحمه الله: (... والمقصود أن العبد باسمه (الظاهر) يجمع القلب على المعبود، ويجعل له ربـاً يقصده، وصمداً يصمد إليه في حوائجه، وملجأً إليه. فإذا

استقر ذلك في قلبه وعرف ربه باسمه (الظاهر) استقامت له عبوديته، وصار له معقل وموئل يلجأ إليه، ويهرب إليه، ويفر في كل وقت إليه).

ومن آثار هذه الأسماء الجليلة: أنها علاج للوسوسة الشيطانية في كنه الذات الإلهية فعن أبي زميل قال: (سألت ابن عباس رضي الله عنهما فقلت: ما شيء أجده في صدري؟ قال: ما هو؟ قال: قلت: والله لا أتكلم به. قال: فقال لي: أشيء من شك؟ قلت: بلى. فقال لي: ما نجا من ذلك أحد، حتى أنزل الله عز وجل: ﴿فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ فَسْـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقْرَءُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكَ﴾ [يونس: ٩٤]، قال: فقال لي: فإذا وجدت في نفسك شيئًا، فقل: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْـَٔاخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الحديد: ٣].

قال ابن القيم رحمه الله: (فأرشدهم بهذه الآية إلى بطلان التسلسل الباطل ببديهة العقل، وأن سلسلة المخلوقات في ابتدائها تنتهي على أول ليس قبله شيء، كما تنتهي في آخرها إلى آخر ليس بعده شيء، كما أن ظهوره هو العلو الذي ليس فوقه شيء، وبطونه هو الإحاطة التي لا يكون دونه فيها شيء، ولو كان قبله شيء يكون مؤثراً فيه، لكان ذلك هو (الرب) الخلاق، ولابد أن ينتهي الأمر إلى خالق غير مخلوق، وغني عن غيره، وكل شيء فقير إليه. قائم بنفسه، وكل شيء قائم به. موجود بذاته، وكل شيء موجود به. قديمٌ لا أول له، وكل ما سواه فوجوده بعد عدمه. باق بذاته، وبقاءُ كل شيء به، فهو (الأول) الذي ليس قبله شيء، و(الآخر) الذي ليس بعده شيء، (الظاهر) الذي ليس فوقه شيء، (الباطن) الذي ليس دونه شيء).

هذا وصلوا...

٥٩ الخطبة الأولى [١]

الحمد لله لا مانع لما أعطى، ولا معطي لما منع، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن نبينا محمداً عبده ورسوله، وصفيه وخليله، صلى الله وسلم وبارك عليه، وعلى آله وصحبه والتابعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

فأوصيكم ونفسي بتقوى الله في السر والعلن، والمنشط والمكره، وخشيته سبحانه بالغيب والشهادة، وفي حال الأمن والخوف، فإنه سبحانه سريع العقاب، شديد المحال، عزيز ذو انتقام ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُم بِٱلۡغَيۡبِ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٞ كَبِيرٞ ۝١٢ وَأَسِرُّواْ قَوۡلَكُمۡ أَوِ ٱجۡهَرُواْ بِهِۦٓۖ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ [الملك: ١٢ - ١٣].

عباد الله:

إن كمال الإنسان وسعادته لا تتم إلاَّ بمعرفة فاطره وبارئه، ومعرفة أسمائه وصفاته، ومعرفة الطريق التي توصل إليه.

---

(١) اسم (المعطي).

ومنهج أهل السنة والجماعة في أسماء الله وصفاته، هو الإيمان بأسماء الله وصفاته على الوجه الذي يليق بجلاله من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل.

وأسماء الله كلها حسنى، أي بالغة في الحسن غايته، قال الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [الأعراف: ١٨٠] وذلك لأنها متضمنة لصفات كاملة لا نقص فيها بوجه من الوجوه لا احتمالاً ولا تقديراً.

إن معرفة أسماء الله وصفاته هي أصل الدين وأساس الهداية، فالقرآن مليئ بالآيات التي ختمت بأسمائه أو صفاته، والآيات المتضمنة ذكر أسماء الله وصفاته أعظم مما فيه من ذكر المعاد، ولهذا كانت آية الكرسي أعظم آية في كتاب الله، وسورة الإخلاص ثلث القرآن، ومن أحبها أحبه الله، لأنها صفة الرحمن، والله تعالى يُحب من يحب ذكر صفاته سبحانه.

وصفات الله سبحانه وحقائق أسمائه هي الجاذبة للقلوب إلى محبته وطلب الوصول إليه، لأن القلوب إنما تحب من تعرفه وتخافه وترجوه، وتشتاق إليه وتتلذذ بقربه، وتطمئن إلى ذكره بحسب معرفتها بأسمائه وصفاته.

أيها المسلمون:

من أسماء الله تعالى (المُعطي) وهو سبحانه المعطي: المتفرد بالعطاء على الحقيقة، لا مانع لما أعطى، ولا معطي لما منع، فجميع المصالح والمنافع منه تُطلب، وإليه يرغب فيها، وهو الذي يعطيها لمن يشاء، ويمنحها من يشاء بحكمته ورحمته.

وسع عطاؤه العباد كلهم، مؤمنهم وكافرهم، وبَرَّهم وفاجرهم.

قال ﷺ فيما يرويه عن ربّه: «يَا عِبَادِي، لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ، قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ فَسَأَلُونِي، فَأَعْطَيْتُ كُلَّ إِنْسَانٍ مَسْأَلَتَهُ، مَا نَقَصَ ذَلِكَ من مُلْكِي، إِلَّا كَمَا يَنْقُصُ الْمِخْيَطُ إذا أُدْخِلَ الْبَحْرَ»، تحقيق لأن ما عنده لا ينقص البتَّة كما قال تعالى: ﴿مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ﴾ [النحل: ٩٦]، فإن البحر إذا غُمس فيه إبرة ثم أُخْرِجت لم ينقص من البحر بذلك شيء، وكذا لو فرض أنه شرب منه عصفور مثلاً فإنه لا ينقص البحر البتَّة.

فجميع الخلق راتعون في عطائه وفضله، ﴿كُلاًّ نُّمِدُّ هَـٰٓؤُلَآءِ وَهَـٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ ۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا﴾ [الإسراء: ٢٠] أي لا يمنعه أحد ولا يرده رادّ ﴿ٱنظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ [الإسراء: ٢١].

فَضَّل سبحانه بعضهم في الدنيا بسعة الأرزاق وقلتها، والعسر واليسر، والعلم والجهل، والعقل والسفه، وغير ذلك من الأمور التي فضّل الله العباد بعضهم على بعض بها، ﴿وَلَلْءَاخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَـٰتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلاً﴾ [الإسراء: ٢١]، أي وتفاوتهم في الدار والآخرة أكبر من الدنيا، فإنَّ منهم مَنْ يكون في الدَرَكَات في جهنم وسلاسلاً وأغلالاً، ومنهم من يكون في الدرجات العليا ونعيمها وسرورها، ثم أهلُ الدركات يتفاوتون فيما هم فيه كما أن أهل الجنة يتفاوتون، فإنَّ الجنة مائة درجة، ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض.

عباد الله:

لم يرد ذكر اسمه سبحانه (المعطي) في القرآن الكريم، وإنما ورد في السُّنَّة النبوية، حيث روى البخاري رَحِمَهُ اللهُ في صحيحه عن معاوية رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين، والله المعطي وأنا القاسم، ولا تزال هذه الأمة ظاهرة على من خالفهم حتى يأتي أمر الله وهم ظاهرون».

وقد ورد في القرآن بصيغة المصدر للفعل (أعطى) وذلك في قوله تعالى: ﴿كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا﴾ [الإسراء: ٢٠]، كما ورد بصيغة الفعل وذلك في قوله سبحانه: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ﴾ [الضحى: ٥]، وقوله ﷻ: ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ﴾ [الكوثر: ١].

عباد الله:

والله سبحانه هو المعطي على الحقيقة، لا مانع لما أعطى ولما معطي لما منع، وعطاؤه سبحانه واسع ليس له حدود ولا قيود، يعطي عباده في الدنيا كافرهم ومؤمنهم، أما في الآخرة فإن عطاءه وفضله لا يكون إلا للمؤمنين به فحسب، قال الله تعالى: ﴿كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ۝٢٠ ٱنظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍۚ وَلَلْءَاخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَٰتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا﴾ [الإسراء: ٢٠ - ٢١].

وقال تعالى: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِي ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [آل عمران: ٢٦].

وعطاؤه سبحانه واسع يشمل كل العطايا والهبات وأعظمها عطية الإيمان والهداية.

وفي الحديث قوله ﷺ: «**إن الله هو المُسعِّرُ، القابضُ، الباسطُ، الرَّازقُ..**» [رواه أبو داود]. وقال ﷺ: «**من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين، والله المعطي وأنا القاسم..**» [رواه البخاري].

وقال النبي ﷺ: «إن الله ﷻ لا ينام ولا ينبغي له أن ينام، يخفض القسط ويرفَعُهُ، يُرفع إليه عمل الليل قبل عمل النهار، وعمل النهار قبل عمل الليل...»[رواه مسلم].

وقال ﷺ: «إن الله يرفعُ بهذا الكتاب أقواماً ويضَعُ به آخرين» [رواه مسلم].

وقد كان ﷺ يقول بعد السلام من الصلاة حينما ينصرف إلى الناس: «لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمدُ وهو على كل شيءٍ قدير، اللهم لا مانع لما أعطيت ولا مُعطي لما منعت ولا ينفع ذا الجدِّ منك الجدُّ» [رواه البخاري].

عباد الله:

هذه الصفات الكريمة من الأسماء المتقابلات التي لا ينبغي أن يُثنى على الله بها إلا كل واحد منها مع الآخر؛ لأن الكمال المطلق من اجتماع الوصفين، فهو القابض للأرزاق والأرواح والنفوس، والباسط للأرزاق والرحمة والقلوب، وهو الرافع لأقوام قائمين بالعلم والإيمان، الخافض لأعدائه، وهو المُعِزُّ لأهل طاعته، وهذا عز حقيقي؛ فإن المطيع لله عزيز وإن كان فقيراً ليس له أعوان، المُذِلُّ لأهل معصيته وأعدائه ذُلاً في الدنيا والآخرة. فالعاصي وإن ظهر بمظاهر العز فقلبه حشوه الذُّلُّ وإنْ لم يشعر به لانغماسه في الشهوات؛ فإنّ العزّ بطاعة الله، والذُّلُّ بمعصيته، قال تعالى: ﴿وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكۡرِمٍ﴾ [الحج: ١٨]، قال تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ جَمِيعًا﴾ [فاطر: ١٠]، قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [المنافقون: ٨].

وهو تعالى المانع المعطي فلا معطي لما منع، ولا مانع لما أعطى، وهذه الأمور كلها تبع لعدله وحكمته وحمده؛ فإنّ له الحكمة في خفض من يخفضه ويُذِلُّه ويحرمه، ولا حجّة لأحد على الله، كما له الفضل المحض على من رفعه وأعطاه وبسط له الخيرات، فعلى العبد أن يعترف بحكمة الله، كما عليه أن يعترف بفضله ويشكره بلسانه وبجنانه وأركانه. وكما أنه هو المنفرد بهذه الأمور، وكلها جارية تحت أقداره، فإن الله جعل لرفعه وعطائه وإكرامه أسبابًا، ولضد ذلك أسبابًا.

أيها المسلمون:

إن الله هو الذي يعطي من استحق العطاء، ويمنع من لم يستحق إلا المنع، ويعطي من يشاء، ويمنع من يشاء، وهو العادل في جميع ذلك، فإذا أعطى فتفضل وإصلاح، وإذا منع فحكمة وصلاح، لا مانع لما أعطى ولا معطي لما منع.

وفسّر المانع بأنه يمنع أهل دينه؛ أي يحوطهم وينصرهم، ولا منعة لمن لم يمنعه الله، وقيل: يمنع من يريد من خلقه ما يريد، ويعطيه ما يريد، وليس منعه سبحانه الشيء بخلاً به، لكن منعه حكمة، وعطاءه جود ورحمة.

بارك الله لي ولكم...

الخطبة الثانية

الحمد لله جزيل العطايا، واسع الرحمة، هدانا للإسلام، وجعلنا من خير أمة أخرجت للناس. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن نبينا محمداً عبده ورسوله، صلى الله وسلم على المبعوث رحمة للعالمين، وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

عباد الله:

وإن مما يتضمنه اسم الجلالة (المعطي) أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لا يتبرم بعطائه، بل إنه سبحانه يحب أن يجود على عباده ويحسن إليهم.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (محبته للجود والإعطاء والإحسان، والبر والإنعام والإفضال فوق ما يخطر ببال الخلق، أو يدور في أوهامهم. إذ هذا شأن الجواد من الخلق؛ ولو أن أهل سماواته وأرضه، وأول خلقه وآخرهم، وإنسهم وجنهم، ورطبهم ويابسهم قاموا في صعيد واحد فسألوه فأعطى كل واحد ما سأله: ما نقص ذلك مما عنده مثقال ذرة).

وفي الحديث عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: أن رسول الله ﷺ قال: **«يد الله ملأى لا يغيضها نفقة، سحاء الليل والنهار، وقال: أرأيتم ما أنفق منذ خلق السموات والأرض، فإنه لم يغض ما في يده»** [رواه البخاري].

وهو الجواد لذاته، كما أنه الحي لذاته، العليم لذاته، السميع البصير لذاته. فجوده العالي من لوازم ذاته، والعفو أحب إليه من الانتقام، والرحمة أحب إليه من العقوبة، والفضل أحب إليه من العدل، والعطاء أحب إليه من المنع).

عباد الله:

من آثار الإيمان باسمه سبحانه (المعطي):

أولاً: محبته سبحانه وحمده والثناء عليه وشكره على ماله من العطايا المتنوعة في الدين والدنيا التي لا تعد ولا تحصى، والشكر على ذلك يستلزم العمل بطاعته سبحانه واجتناب محارمه وتعظيم أوامره ونواهيه.

ثانيًا: سؤاله سبحانه وحده، والتعلق به في جلب المنافع والمصالح، ودفع المضار إذ إن المخلوق الضعيف لا يملك من ذلك شيئًا إلا أن يأذن الله ﷻ ويجعله سبباً في العطية، والحرص في سؤال الله ﷻ على العطية العظمية التي لا تبيد ولا تفنى ألا وهي الجنة ونعيمها ورؤية الله ﷻ قال الله تعالى: ﴿كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴿٢٠﴾ ٱنظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍۚ وَلَلْءَاخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَٰتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا﴾ [الإسراء: ٢٠ - ٢١].

ثالثًا: السخاء بما في اليد وإعطاؤه لمستحقيه من الفقراء والمحتاجين، لأن المال مال الله ﷻ وهو المعطي على الحقيقة، فمن شُكر الله ﷻ في نعمة المال؛ الجود به وإعطائه لمستحقيه، قال الله ﷻ: ﴿وَأَنفِقُواْ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِۖ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَأَنفَقُواْ لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ [الحديد: ٧].

رابعًا: كما أن من آثار اسمه سبحانه (المعطي) عدم المن بالعطية، لأنها من الله ﷻ على الحقيقة، وإنما العبد مستخلف فيه للابتلاء، كما قال الله ﷻ: ﴿وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَآ ءَاتَىٰكُمْ﴾ [الأنعام: ١٦٥].

هذا وصلوا...

❀ ❀ ❀

٦٠ الخطبة الأولى[١]

الحمد لله المقدم المؤخر، المعز المذل، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وإليه المرجع والمعاد، وأشهد أن نبينا محمداً عبده ورسوله، صلى الله وسلم وبارك عليه، وعلى آله وصحبه، والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

فالزموا التقوى ـ عباد الله ـ فإنها وصية الله للأولين والآخرين ﴿وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا تُرۡجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا كَسَبَتۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٨١].

عباد الله:

من أسماء الله الحسنى، وكل أسمائه حسنى، اسم (المقدم) واسم (المؤخر) وذكر هذين الاسمين معـاً فيه أدب وزيادة حسن، لأن الكمال في اقترانهما، ولم يرد ذكر هذين الاسمين الكريمين في القرآن الكريم وإنما وردا في حديث صحيح؛ وذلك في دعائه ﷺ في استفتاحه لصلاة التهجد حيث جاء فيه قوله ﷺ: «... **اللهم لك أسلمت وبك آمنت، وعليك توكلت وإليك**

---

(١) اسم (المقدم، المؤخر).

أنبت، وبك خاصمت وإليك حاكمت، فاغفر لي ما قدمت وما أخَّرت وما أسررت وما أعلنت، أنت المقدم وأنت المؤخر لا إله إلا أنت ـ أو ـ لا إله غيرك» [رواه البخاري].

وورد أيضاً في حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه في وصفه لصلاة النبي صلى الله عليه وسلم إذ يقول:

(... ثم يكون من آخر ما يقول بين التشهد والتسليم: «**اللَّهم اغفر لي ما قدمت وما أخرت، وما أسررت وما أعلنت وما أسرفت، وما أنت أعلم به مني أنت المقدم وأنت المؤخر لا إله إلا أنت**» [رواه مسلم].

ومعنى المقدم في اللغة:

التقدم: السبق، ومقدمة الجيش: أوله. والتأخر: خلاف التقدم. والمؤخر: هو الذي يؤخر الأشياء فيضعها في مواضعها، وهو ضد المقدّم.

والله سبحانه هو الذي يقدم ما يجب تقديمه من شيء حكماً وفعلاً على ما أحب وكيف أحب، وما قدمه فهو مقدَّم، وما أخره فهو مؤخَّر، وهو الذي يؤخر ما يجب تأخيره، والحكمة والصلاح فيما يفعله الله تعالى، وإن خفي علينا وجه الحكمة والصلاح فيه.

وهو سبحانه المنزل الأشياء منازلها يقدّم ما شاء الله منها، ويؤخر ما شاء، قدم المقادير قبل خلق الخلق، وقدّم من أحب من أوليائه على غيرهم من عبيده، ورفع الخلق بعضهم فوق بعض درجات، وقدّم من شاء بالتوفيق إلى مقامات السابقين، وأخر من شاء عن مراتبهم، وأخر الشيء عن حين توقعه؛ لعلمه بما في عواقبه الحكمة، فلا مقدّم لما أخر ولا مؤخر لما قدم.

عباد الله:

(المقدِّمُ والمؤخِّر) من الأسماء المزدوجة المتقابلة التي لا يطلق واحد بمفرده على الله إلا مقروناً بالآخر؛ فإن الكمال من اجتماعهما، فهو تعالى المُقَدِّم لمن شاء والمُؤَخِّرُ لمن شاء بحكمته.

وهذا التقديم يكون كونياً كتقديم بعض المخلوقات على بعض، وتأخير بعضها على بعض، وكتقديم الأسباب على مسبباتها، والشروط على مشروطاتها.

وأنواع التقديم والتأخير في الخلق والتقدير بحر لا ساحل له، ويكون شرعياً كما فضّل الأنبياء على الخلق، وفضّل بعضهم على بعض، وفضّل بعض عباده على بعض، وقدّمهم في العلم، والإيمان، والعمل، والأخلاق، وسائر الأوصاف، وأخّر من أخّر منهم بشيء من ذلك، وكل هذا تبع لحكمته.

وهذان الوصفان وما أشبههما من الصفات الذاتية لكونهما قائمين بالله والله متصف بهما، ومن صفات الأفعال؛ لأن التقديم والتأخير متعلق بالمخلوقات ذواتها، وأفعالها، ومعانيها، وأوصافها، وهي ناشئة عن إرادة الله وقدرته.

فهذا هو التقسيم الصحيح لصفات الباري، وإنّ صفات الذات متعلقة بالذات، وصفات أفعاله متصفة بها الذات، ومتعلقة بما ينشأ عنها من الأقوال والأفعال.

قال الله ﷻ: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ﴾ [الأنعام: ١٧]، وقال تعالى: ﴿قُلْ فَمَن يَمْلِكُ لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًۢا ۚ بَلْ كَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًۢا﴾ [الفتح: ١١].

وصفة الضر والنفع هما كما تقدم من الأسماء المزدوجة المتقابلة، فالله تعالى النافع لمن شاء من عباده بالمنافع الدينية والدنيوية، الضار لمن فعل

الأسباب التي توجب ذلك، وكل هذا تبع لحكمته وسننه الكونية وللأسباب التي جعلها موصلة إلى مسبباتها، فإن الله تعالى جعل مقاصد للخلق وأموراً محبوبة في الدين والدنيا، وجعل لها أسباباً وطرقاً، وأمر بسلوكها ويسّرها لعباده غاية التيسير، فمن سلكها أوصلته إلى المقصود النافع، ومن تركها أو ترك بعضها، أو فوَّت كماله أو أتاها على وجه ناقص ففاته الكمال المطلوب، فلا يلومنّ إلا نفسه، وليس له حجة على الله؛ فإن الله أعطاه السمع، والبصر، والفؤاد، والقوة، والقدرة، وهداه النجدين، وبين له الأسباب، والمسببات، ولم يمنعه طريقاً يوصل إلى خير ديني ولا دنيوي، فتخلّفه عن هذه الأمور يوجب أن يكون هو الملوم عليها المذموم على تركها.

عباد الله:

صفات الأفعال كلها متعلقة وصادرة عن هذه الصفات الثلاث: القدرة الكاملة، والمشيئة النافذة، والحكمة الشاملة التامة، وهي كلها قائمة بالله، والله متصف بها، وآثارها ومقتضياتها جميع ما يصدر عنها في الكون كله من التقديم، والتأخير، والنفع والضر، والعطاء والحرمان، والخفض والرفع، لا فرق بين محسوسها ومعقولها، ولا بين دينها ودنيويها. فهذا معنى كونها أوصاف أفعال.

والعبد يسعى إلى التقرب إلى الله بطاعته التي يكون بها تقدّمه ونيل رضاه ومحبته، قال ﷺ: «**أَحَبُّ الأعمال إلى اللهِ الصَّلاةُ عَلَى وَقْتِهَا، ثُمَّ بِرُّ الْوَالِدَيْنِ**» [رواه البخاري]، وفي رواية للحاكم: سُئل ﷺ: أي الأعمال أفضل؟قال: «**الصَّلَاةُ فِي أَوَّلِ وَقْتِهَا...**».

ويبعد عن المنهيات التي يكون بها تأخيره ووقوعه في سخط الله ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ﴾ [المدثر: ٣٧]، وهذا كقوله ﴿وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَقْدِمِينَ مِنكُمْ﴾ [الحجر: ٢٤]، أي في الخير ﴿وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَـْٔخِرِينَ﴾ [الحجر: ٢٤].

والمؤمن لا يفتر دوماً يتفقد حاله كما قال أبو الدرداء رضي الله عنه: (من فقه الرجل أن يتعاهد إيمانه وما نقص منه، ومن فقه العبد أن يعلم أيزداد هو أم ينقص؟).

وقد قدّم الله سبحانه أهل الطاعات في الدنيا: فرفع أهل العلم والإيمان، قال تعالى: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾ [المجادلة: ١١].

قال ابن حجر: قيل في تفسيرها: (يرفع الله المؤمن العالم على غير العالم، ورفعة الدرجات تدل على الفضل، ورفعتها تشمل: المعنوية في الدنيا بعلو المنزلة وحسن الصيت، وفي الآخرة برفع المنزلة في الجنة، وكان ﷺ يقدم للصلاة أكثرهم أخذاً للقرآن.

وحين دفن شهداء أحد كان ﷺ يسأل: كم معه من القرآن؟ فإذا كان أحدهم أكثر حفظاً قدمه على غيره ووضعه في قبره، وفي الآخرة قال ﷺ: «يُقَالُ لقارئ الْقُرْآنِ اقْرَأْ وَارْتَقِ وَرَتِّلْ كما كُنْتَ تُرَتِّلُ فِي الدُّنْيَا فإِنَّ مَنْزِلَكَ عِنْدَ آخِرِ آيةٍ تَقْرَؤُهَا» [رواه الترمذي].

وبالذكر يتقدّم العبد ويرفعه الله، قال تعالى عن إدريس ﴿وَرَفَعْنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾ [مريم: ٥٧]، قال ابن عباس رضي الله عنهما: (إنّ إدريس كان خياطاً، فكان لا يغرز إبرة إلاّ قال: سبحان الله، فكان يمسي حين يمسي وليس في الأرض أحد أفضل عملاً منه).

وفي الدنيا: ينال العبد بخُلقه الحسن محبّة الناس، فَمَنْ لانَتْ كلمتُه وجبت محبته.

وفي الآخرة: ينال محبة نبيه ﷺ، قال ﷺ: «إِنَّ مِنْ أَحَبِّكُمْ إِلَيَّ وَأَقْرَبِكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَحَاسِنكُمْ أَخْلَاقًا» [رواه الترمذي].

وقدّم سبحانه أهل الطاعات في الآخرة: فعند المرور على الصراط يتفاوت الخَلْق على حسب ما كانوا عليه في التقدم أو التأخر عن طاعة الله، فمن كان سريعًا في طاعة في الدنيا كان سريعًا في المشي على الصراط، ومن كان بطيئًا في طاعة الله في الدنيا كان بطيئًا في المشي على الصراط، جزاءً وفاقًا.

وفي الآخرة تتفاوت المنازل على حسب التقدم في الطاعات والتأخر: فالسابقون المقربون وأصحاب اليمين في جنات النعيم، وأصحاب الشمال في دركات الجحيم، بل هناك من الموحدين من يتأخرون عن دخول الجنة يدخلون النار ثم يخرجوا منها برحمة رب العالمين، أو بشفاعة النبي ﷺ وبشفاعة الصالحين.

ومما جاء في تأخر أهل الفسق والضلال في الدنيا والآخرة: أنهم لا يكونون أئمة في الصلاة، ولا شهوداً على حق، ولا ولاية لهم على أهليهم.

بارك الله لي ولكم...

الخـــطـــبـــة الثـــانيـــة

الحمد لله رب العالمين، مالك يوم الدين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن نبينا محمداً عبده ورسوله المصطفى الأمين، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه والتابعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين..

عباد الله:

من آثار الإيمان باسميه سبحانه (المقدم، المؤخر):

أولاً: الإيمان بأنه سبحانه (المقدم والمؤخر) يثمر في قلب المؤمن التعلق بالله وحده، والتوكل عليه؛ لأنه سبحانه لا مقدم لما أخر، ولا مؤخر لما قدم، فمهما حاول البشر من تقديم شيء لم يرد الله ﷻ تقديمه، أو تأخير أمر لم يرد الله تعالى تأخيره فلن يستطيعوا. وهذا يُخلص القلب من الخوف من المخلوق أو رجائه؛ لأنه لا يملك تقديم شيء أو تأخيره إلا بإذن الله تعالى وحده.

ثانيـًا: إن التقدم الحقيقي النافع هو التقدم إلى طاعة الله ﷻ وجنته ومرضاته، والتأخر عن ذلك هو التأخر الحقيقي المذموم، أما التقدم في الدنيا والتأخر عنها فليس بمقياس للتقدم والتأخر، ولذا ينبغي للمسلم أن يتوسل إلى ربه سبحانه بهذين الاسمين الكريمين لنيل التقَّدم الحقيقي عنده سبحانه وترك كل ما يؤخر عن جنته ومرضاته.

ثالثـًا: الإيمان بحكمته سبحانه البالغة في تقديم ما قدم وتأخير ما أخرَّ، وأن أي أمر قدَّم أو أخرَّ فإنما هو بعلم الله تعالى وإرادته وحكمته البالغة، وهذا

يشمل كل شيء قدم أو فضل على غيره، أو أخر عنه، ومن ذلك تقديم الآجال وتأخيرها، وتقديم أو تفضيل بعض الأزمنة والأمكنة على بعضها أو تقديم بعض خلقه وتفضيلهم على بعض، أو تقديم إيجاد شيء على شيء آخر، أو تقديم عقوبة أقوام وتأخير آخرين.

وكذلك فيما يحصل للمؤمن من تقديم أمر لا يحب تقديمه أو تأخير أمر يكره تأخيره، فإن مقتضى هذين الاسمين الكريمين ومقتضى حكمته سبحانه يجعل المؤمن يرضى ويسلم ويعتقد بأن الخيرة فيما اختاره الله له من تقديم أو تأخير، وقد يكون في ذلك الرحمة واللطف وهو لا يشعر.

رابعًا: تقديم من قدَّمه الله ﷻ وتأخير من أخَّره سبحانه، وذلك بأن يكون ميزان التقديم والتأخير، والحب والبغض، والولاء والبراء هو ميزان الله ﷻ في ذلك كله، لا كما يزن به أكثر الناس اليوم، حيث يقدِّمون أهل الجاه والمال والرئاسات وغيرها من أعراض الدنيا على غيرهم من أهل الدين والتقوى وهذا يخالف ميزان الله ﷻ في التقديم والتأخير، قال الله ﷻ: ﴿أَمۡ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجۡتَرَحُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجۡعَلَهُمۡ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءٗ مَّحۡيَاهُمۡ وَمَمَاتُهُمۡۚ سَآءَ مَا يَحۡكُمُونَ﴾ [الجاثية: ٢١].

خامسًا: استشعار حكمة الله ورفعته لأهل الطاعة في الدنيا والآخرة. والمسارعة والمسابقة إلى الخيرات والطاعات ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٣]، ﴿سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا كَعَرۡضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ أُعِدَّتۡ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ﴾ [الحديد: ٢١].

هذا وصلوا...

(٦١) الخطبة الأولى [(١)]

الحمد لله نحمده ونستعينه، ونستغفره، ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾ [النساء: ١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠ - ٧١].

أما بعد:

فاتقوا الله حق التقوى، فإنها الكرامة في الدنيا والنجاة في الأخرى.

عباد الله:

السعيد من وفقه الله، فاشتغل بطاعة مولاه، غير معتمد على عمله وتقواه، ومن أراد الارتقاء فليعلم أن صفات الله لا تدرك إلاّ بعد معرفة تأثيرها في الموجودات، وبقدر مراتب العلم تكون درجاتُ المعرفة.

---

(١) اسم (المقيت).

وقد سهَّل الله سبحانه لنا طريق الدعاء بقوله: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠] أي: سبحوه، واذكروه، واعبدوه بها؛ كي نرقى في ذلك إلى أسمى غاية، ونشرب من رحيق المعرفة الكفاية.

وجاء في الحديث قوله ﷺ: «إن لله تسعة وتسعين اسمًا من أحصاها دخل الجنة» ومعنى أحصاها: حفظها، ووعاها، ودعا بها، وكرَّر تلاوتها عالمًا بمعناها، والله سبحانه سمَّى نفسه بما سماها، وجميع الأسماء إلى ربك منتهاها.

قال ابن العربي: (فمن حصَّل هذه المعاني في أسماء الله نال الحسن من كل طريق، وحصل له القطع بالتوفيق).

وقد تسابق أهلُ العلم في الحديث عن هذا الموضوع الجليل، فبيّنوا معانيها، وأظهروا للناس دواعي معرفتها ومقاصدها، ولا شك أن معرفة الله ﷻ بأسمائه وصفاته هي غاية الغايات، وأشرفها قدراً، وهي السبيل إلى دخول الجنة لقوله عليه الصلاة والسلام: «من أحصاها دخل الجنة».

قال أبو بكر ابن العربي حول السبيل إلى معرفة هذه الأسماء: (حلَّق العلماء عليها، وساروا إليها، فمن جائرٍ وقاصدٍ؛ والقاصد في الأكثر واقف دون المرام، والجائر ليس فيه كلام والذي أدلكم عليه أن تطلبوها في القرآن والسنة، فإنها مخبوءة فيهما، كما خبئت ساعة الجمعة في اليوم، وليلة القدر في الشهر رغبةً، والكبائر في الذنوب رهبةً؛ لتعمّم العباداتُ اليوم بجميعه، والشهر بكليته، وليقع الاجتناب لجميع الذنوب، وكذلك أخفيت هذه الأسماء المتعددة في جملة الأسماء الكلية، لندعُوه بجميعها، فنصيب العدد الموعود به فيها).

عباد الله:

أسماء الله كلها حُسنى، ليس فيها اسم غير ذلك أصلاً، وقد تقدم أن من أسمائه ما يطلق عليه باعتبار الفعل نحو الخالق، والرازق، والمحيي، والمميت، وهذايدل على أن أفعاله كلها خيرات محض لا شر فيها، لأنه لو فعل الشر لا شتقّ له منه اسم، ولم تكن أسماؤه كلها حُسنى، وهذا باطل، فالشر ليس إليه، فكما لا يدخل في صفاته ولا يلحق ذاته، ولا يدخل في أفعاله، فالشر ليس إليه، لا يُضاف إليه فعلاً ولا وصفًا، وإنما يدخل في مفعولاته. وفرق بين الفعل والمفعول، فالشر قائم بمفعوله المباين له، لا بفعله الذي هو فعله، فتأمل هذا فإنه خفي على كثير من المتكلمين وزلت فيه أقدامٌ، وضلت فيه أفهامٌ، وهدى الله أهل الحق لما اختلفوا فيه بإذنه، والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم.

والفرق بين الأسماء والصفات: أن الاسم: هو اللفظ الدال على المسمى.

وأسماء الله: هي كلُّ ما دل على ذات الله من صفات الكمال القائمة به، مثل: القادر، العليم، الحكيم، السميع، البصير، فإن هذه الأسماء دلت على ذات الله، وعلى ما قام به من القدرة والعلم والحكمة والسمع والبصر.

وأسماء الله تعالى مباركة تُنال بها البركة، وبركتها من جهة دلالتها على المسمى، ولهذا فرقت الشريعة بين ما ذكر اسم الله عليه وما لا يذكر اسم الله عليه.

وصفات الله: هي أوصاف الكمال القائمة بالذات، كالعلم والحكمة والسمع والبصر فالاسم دل على أمرين، والصفة دلت على أمر واحد.

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: من أسمائه الحُسنى ما يكون دالاً على عدة صفات.

ويكون ذلك الاسم متناولاً لجميعها تناول الاسم الدال على الصفة الواحدة لها كاسمه؛ العظيم، والمجيد، والصمد، كما قال ابن عباس فيما رواه عنه ابن أبي حاتم في تفسيره: الصمد السيد الذي قد كَمُلَ في سؤدده، والشريف الذي قد كمل في شرفه، والعظيم الذي قد كمل في عظمته، والحليم الذي قد كمل في حلمه، والعليم الذي قد كمل في علمه، والحكيم الذي قد كمل في حكمته، وهو الذي قد كمل في أنواع شرفه وسؤدده وهو الله سبحانه. وهذه صفته لا تنبغي إلا له، ليس له كفواً أحد، وليس كمثله شيء، سبحان الله الواحد القهار. هذا لفظه. وهذا مما خَفِيَ على كثير ممن تعاطَى الكلام في تفسير الأسماء الحسنى، ففسَّر الاسم بدون معناه، ونقصه من حيث لا يعلم، فمن لم يُحط بهذا علماً بخس الاسم الأعظم حقه وهضمه معناه فتدبره).

أيها المسلمون:

من أسماء الله الحسنى اسم (المقيت)، وقد ورد ذكر اسمه سبحانه (المقيت) مرة واحدة في القرآن الكريم وذلك في قوله تعالى: ﴿مَّن يَشْفَعْ شَفَـٰعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٌ مِّنْهَا ۖ وَمَن يَشْفَعْ شَفَـٰعَةً سَيِّئَةً يَكُن لَّهُۥ كِفْلٌ مِّنْهَا ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقِيتًا﴾ [النساء: ٨٥].

قال الزجاج: إن (المقيت) بمعنى الحافظ والحفيظ؛ لأنه مشتق من القوت.

وقيل: إن المقيت: المقتدر على الشيء، قال الله ﷻ: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقِيتًا﴾ أي: مقتدراً.

والمعنى في حق الله تعالى:

قال ابن جرير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (اختلف أهل التأويل في تأويل قوله تعالى: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقِيتًا﴾، فقال بعضهم في تأويله: وكان الله على كل شيء حفيظاً وشهيداً.

وقــال آخرون معنى ذلك: القائم على كل شيء بالتدبير، وقال آخرون: هو القدير).

وقال الخطابي: (المقيت بمعنى القدير، والمقيت أيضـًا: معطي القوت).

و(المَقِيت): الذي أوصل إلى كل موجود ما به يقتات، وأوصل إليها أرزاقها وصرَّفها كيف يشاء بحكمته وحمده. فهو سبحانه قد تكفّل بأرزاق وأقوات جميع ما دبّ على وجه الأرض؛ من آدمي أو حيوان بريّ أو بحريّ ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا ۚ كُلٌّ فِي كِتَـٰبٍ مُّبِينٍ﴾ [هود: ٦]، وكلُّ هذه الأرزاق والأقوات قدّرها سبحانه عند خلقه للأرض ﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَـٰرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا فِيٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَآءً لِّلسَّآئِلِينَ﴾ [فصلت: ١٠]، أي: قدّر منها ما يحتاجه أهلها من الأرزاق والأماكن التي تزرع وتغرس، وما يصلح لمعاشهم من التجارات والأشجار والمنافع، وهدى العباد وسائر الحيوانات إلى صلاح معاشها وحالها.

وفي الحديث الشريف «**كفى بالمرء إثمـًا أن يضيع من يقوت**» [رواه أحمد].

وقيل: (من يقيت)، قال الله تعالى: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقِيتًا﴾، وقيل: مقتدراً، وقيل: حافظـًا، وقيل: شاهداً، وحقيقته قائمـًا عليه يحفظه ويقيته)، وفي الحديث: «**اللَّهم اجعل رزق آل محمد قوتـًا**» [رواه مسلم].

هناك فرق بين اسم المقيت واسـم الـرزاق، فالمقيـت أخـص مـن الـرزاق؛ لأنه يختص بالقوت، أما الرزاق فيتناول القوت وغير القوت.

فالمقيت سبحانه يقدر حاجة الخلائق بعلمه، ثم يسوقها إليهم بقدرته، ليقيتهم بها ويحفظهم. قال الله ﷻ: ﴿وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا﴾ [فصلت: ١٠].

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ عند هذه الآية: (وقدر فيها أقواتها وهو ما يحتاج أهلها إليه من الأرزاق والأماكن التي تزرع وتغرس).

أيها المسلمون:

صفات الله تعالى هي مصادر أسمائه الحسنى، وصفات الله عَزَّ وَجَلَّ كلها ثناء عليه ومدح له، مدح بها نفسه، ونّبه العباد إليها وتعبدهم بوصفه بها.

والفرق بين الاسم والصفة: أن الاسم مادل على الذات وما قام بها من صفات الكمال، أما الصفة فهي ما قام بالذات مما يميزها عن غيرها من معان ذاتية وهي صفات الكمال كالعلم والقدرة، أو فعلية كالخلق والرزق والإحياء والإماتة، فالصفة دلَّت على أمر واحد، والاسم دلَّ على أمرين، ويُقال الاسم متضمن للصفة، والصفة متلزمة للاسم.

ومن انفتح له باب العلم باسماء الله وصفاته، انفتح له باب التوحيد الخالص والإيمان الكامل الذي لا يحصل إلا للموحدين. فالعلم بهذه الأسماء والاشتغال بفهمها والبحث عنها هو اشتغال بأعلى المطالب، وحصوله للعبد من أشرف المواهب، وكلما ازداد العبد معرفة بربه ازداد إيمانه، وكلما نقص نقص، فعلى المسلمين أن يعرفوا أسماء الله وتفسيرها، فيعظموا الله حق تعظيمه.

بارك الله لي ولكم...

الخطبة الثانية

الحمد لله لا راد لما أعطى، ولا معطي لما منع، وأشهد أن لا إله إلا الله الواحد الأحد الفرد الصمد، واشهد أن نبينا محمداً عبده ورسوله، وصفيه وخليله، بلغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة، فصلوات ربي وسلامه عليه، وعلى آله وصحبه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

عباد الله:

من آثار الإيمان باسمه سبحانه (المقيت):

أولاً: محبته سبحانه المحبة الحقيقية التي تثمر توحيده سبحانه وإخلاص العبادة له لا شريك له؛ لأنه سبحانه الخالق الرازق المتصرف في شؤون خلقه المحيي المميت لهم، المتكفل بحفظ حياتهم وأرزاقهم فكيف يعرض الكثير من عبيده عن عبادته إلى عبادة غيره من المخاليق الضعاف الذين لا يملكون موتًا ولا حياة ولا نشوراً، ولا يملكون رزقًا ولا حفظًا لأنفسهم فضلاً عن أن يملكوه لغيرهم؟

ثانيًا: الاعتماد على الله وحده والتوكل عليه سبحانه في طلب الرزق وجلب النفع ودفع الضر؛ لأنه سبحانه الذي يملك ذلك كله لا شريك له، وهذا لا يمنع الأخذ بالأسباب المتاحة مع عدم التعلق بها، خالق الأسباب ومسبباتها هو الله سبحانه، وهذا التعلق بالله وحده يسكب الطمأنينة والرضى في القلب، فلا تتعاوره المخاوف والهواجس ولا يعتريه القلق والهلع على الرزق والأجل.

ثالثًا: التوجه إلى الله ﷻ وحده في طلب القوت والرزق وبخاصة قوت القلوب من الإيمان، والهدى، والإخلاص، والإخبات، وغيرها من أعمال القلوب، وهذا هو القوت الحقيقي الذي إذا حصل للعبد فلا يضره ما فاته من قوت الأبدان، وهذا هوالقوت الذي أخبر عنه النبي ﷺ حينما قيل له: إنك تواصل الصوم فقال: «**إني لست كهيئتكم، إني أبيت يطعمني ربي ويسقين**» [رواه البخاري].

رابعًا: معرفة فضل الله ﷻ على عباده، حيث يسر أرزاقهم وأقواتهم وما ينفع أبدانهم وقلوبهم.

خامسًا: معرفة قدرة الله وعظيم صنعه بأن يسر أقوات ما خلقهم من مخلوقاتهم، ولم يعجزه ذلك، ولم ينقص من ملكه شيء.

هذا وصلوا...

❁ ❁ ❁

(٦٢) الخطبة الأولى[1]

الحمد لله مالك الملك، بيده الخير، وهو على كل شيء قدير، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن نبينا محمداً عبده ورسوله وصفيه وخليله، صلى الله وسلم وبارك عليه، وعلى آله وأصحابه والتابعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

فاتقوا الله حق التقوى، واستمسكوا من الإسلام بالعروة الوثقى.

عباد الله:

من أسماء الله ﷻ (الملك، المليك، المالك).

وقد ورد ذكر هذه الأسماء الحسنى في القرآن الكريم بعضها مفرداً وبعضها مضافًا.

فاسمه سبحانه (الملك) ورد في القرآن الكريم خمس مرات، منها قوله تعالى: ﴿مَـٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ [الفاتحة: ٤] وهي قراءة سبعية متواترة.

وقوله سبحانه: ﴿مَلِكِ ٱلنَّاسِ﴾ [الناس: ٢].

وقوله تعالى: ﴿فَتَعَـٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ﴾ [طه: ١١٤]، وقوله تعالى: ﴿ٱلْمَلِكِ ٱلْقُدُّوسِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ﴾ [الجمعة: ١].

---

(١) اسم (الملك، المليك، المالك).

وجاء في دعائه ﷺ في استفتاح الصلاة «**اللَّهم أنت الملك لا إله إلا أنت، أنت ربي وأنا عبدك ظلمت نفسي واعترفت بذنبي... الحديث**» [رواه الترمذي].

وأما اسمه سبحانه (المليك) فجاء في القرآن الكريم مرة واحدة؛ وذلك في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ۝ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍۭ﴾ [القمر: ٥٤ – ٥٥].

وأما اسمه سبحانه (المالك) فجاء في القرآن الكريم مرتين مضافًا؛ وذلك في قوله تعالى: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِي ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ﴾.. الآية [آل عمران: ٢٦]. وقوله سبحانه: ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ [الفاتحة: ٤].

وجاء عنه ﷺ أنه قال: «**إن أخنع اسم عند الله رجل تسمى ملك الأملاك؛ لا مالك إلا الله**» [رواه مسلم].

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: (جاء حبر إلى النبي ﷺ فقال: يا محمد، أو يا أبا القاسم إن الله تعالى يمسك السماوات يوم القيامة على أصبع، والأراضين على أصبع، والجبال والشجر على أصبع، والماء والثرى على أصبع، وسائر الخلق على أصبع؛ ثم يهزهن فيقول: أنا الملك أنا الملك، فضحك رسوله الله ﷺ تعجبًا مما قال الحبر، تصديقًا له ثم قرأ: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الزمر: ٦٧]) [رواه البخاري].

قيل في المعنى اللغوي (للملك): المَلْك، المُلك، والمِلْك: احتواء الشيء والقدرة على الاستبدادية وتملكه: أي ملكه قهراً، وأملكه الشي ومَلكه إياه تمليكًا: جعله مِلكًا له.

والملكوت مختص بملك الله تعالى وهو مصدر ملَكَ، أدخلت فيه التاء نحو: جبروت ورهبوت ورحموت. قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَنظُرُواْ فِى مَلَكُوتِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الأعراف: ١٨٥].

ومعناه في حق الله تعالى:

قال ابن جرير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (المَلِك: الذي لا ملك فوقه ولا شيء إلا دونه).

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وهو الله الذي لا إله إلا هو الملك. أي: المالك لجميع الأشياء المتصرف فيها بلا مبالغة ولا مدافعة).

وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (إن من أسمائه: (الملك)، ومعناه الملك الحقيقي ثابت له سبحانه بكل وجه، وهذه الصفات تستلزم سائر صفات الكمال. إذ من المحال ثبوت الملك الحقيقي التام لمن ليس له حياة ولا قدرة، ولا إرادة ولا سمع ولا بصر ولا كلام ولا فعل اختياري يقوم به، وكيف يُوصف بالمُلك مَنْ لا يأمر ولا ينهى؛ ولا يُثيب ولا يُعاقب؛ ولا يُعطي ولا يمنع؛ ولا يُعِزُّ ولا يذل؛ ولا يُهين ولا يُكرم؛ ولا يُنعم ولا ينتقم؛ ولا يخفض ولا يرفع، ولا يُرسل الرسل على أقطار مملكته، ولا يتقدَّم إلى عبيده بأوامره ونواهيه؟ فأيُّ مُلكٍ في الحقيقة لمن عدم ذلك؟)

وهذه المعاني التي تضمَّنها اسم الجلالة (الملك): هي ما يتمُّ به حقيقة المُلك، كما ذكر ذلك ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ حيث يقول: (إن حقيقة الملك: إنما تتم بالعطاء والمنع، والإكرام والإهانة، والإثابة والعقوبة، والغضب والرضا، والتولية والعزل، وإعزاز من يليق به العِزُّ، وإذلال من يليق به الذلُّ. قال تعالى: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَـٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ

وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾ تُولِجُ ٱلَّيْلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيْلِ ۖ وَتُخْرِجُ ٱلْحَيَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَيِّ ۖ وَتَرْزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [آل عمران: ٢٦ - ٢٧]، وقال تعالى: ﴿يَسْـَٔلُهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ [الرحمن: ٢٩]).

عباد الله:

ربنا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يغفر ذنبًا؛ ويُفرّج كربًا؛ ويكشف غمًا، وينصر مظلومًا؛ ويأخذ ظالمًا، ويفكُّ عانيًا؛ ويُغني فقيراً، ويجبر كسيراً؛ ويشفي مريضًا، ويُقيل عثرةً؛ ويستر عورةً، ويُعِزُّ ذليلاً؛ ويُذِلُّ عزيزاً؛ ويُعطي سائلاً، ويُذهب بدولةٍ ويأتي بأخرى؛ ويداول الأيام بين الناس؛ ويرفع أقوامًا ويضع آخرين، ويسوق ا لمقادير التي قدَّرها قبل خلق السماوات والأرض بخمسين ألف عام إلى مواقيتها؛ فلا يتقدَّم شيءٌ منها عن وقته ولا يتأخَّر، بل كلُّ منها قد أحصاه كما أحصاه كتابه؛ وجرى به قلمه؛ ونفذ فيه حكمه؛ وسبق به علمه، فهو المتصرِّف في الممالك كلِّها وحده؛ تصرُّف ملك قادرٍ قاهرٍ، عادلٍ رحيم، تامُّ الملك؛ لا يُنازعه في ملكه منازعٌ؛ ولا يُعارضه فيه معارضٌ، فتصرُّفه في المملكة دائرٌ بين العدل والإحسان؛ والحكمة والمصلحة والرحمة؛ فلا يخرج تصرُّفه عن ذلك).

فهو الربّ الحقّ، الإله الحقّ، خلقهم بربوبيّته، وقهرهم بملكه، واستعبدهم بإلاهيته، فتأملْ هذه الجلالةَ وهذه العظمةَ التي تضمنتها هذه الألفاظ الثلاثة على أبدع نظام، وأحسن سياق. رب الناس، ملك الناس، إله الناس، وقد اشتملت هذه الإضافات الثلاث على جميع قواعد الإيمان،

وتضمنت معاني أسمائه الحسنى، أما تضمنها لمعاني أسمائه الحُسنى فإنّ (الربّ): هو القادر، الخالق، البارئ، المصوِّرُ، الحيّ، القيّوم، العليم، السميع، البصير، المحسن، المنعم، الجواد، المعطي المانع، الضارّ، النافع، المُقَدِّم، المُؤَخِّر، الذي يُضِلُّ من يشاء، إلى غير ذلك من معاني ربوبيته التي له منها ما يستحقّه من الأسماء الحُسنى.

وأما (الملك) فهو الآمر، الناهي، المُعِزُّ، المُذِلُّ، الذي يُصرِّفُ أمور عباده كما يحبّ، ويقلّبهم كما يشاء، وله من معنى الملك ما يستحقّه من الأسماء الحسنى؛ كالعزيز، الجبار، المتكبر، الحكَم، العدل، الخافض، الرافع، المُعِزُّ، المُذِلُّ، العظيمُ، الجليلُ، الكبيرُ، الحسِيبُ، المجيدُ، الوَليُّ، المُتَعَالي، مَالكُ الملْكِ، المقْسِطُ، الجامعُ، إلى غير ذلك من الأسماء العائدة إلى الملك.

وإذا كان وحده هو ربنا، ومَلِكُنا، وإِلَهُنَا فلا مفزع لنا في الشدائد سواه، ولا ملجأ لنا منه إلا إليه، ولا معبود لنا غيره، فلا ينبغي أن يُدعى، ولا يُخاف، ولا يُرجى، ولا يُحب سواه، ولا يُذل لغيره، ولا يُخضع لسواه، ولا يتوكل إلا عليه؛ لأن من ترجوه، وتخافه، وتدعوه، وتتوكل عليه إما أن يكون مربيك، والقيّم بأمورك، ومتولّي شأنك، وهو ربّك فلا ربّ سواه، أو تكون مملوكه وعبده الحقّ، فهو ملك الناس حقـًا، وكلهم عبيده ومماليكه، أو يكون معبودك وإلهك الذي لا تستغني عنه طرفة عين، بل حاجتك إليه أعظم من حاجتك إلى حياتك، وروحك، وهو الإله الحق إله الناس الذي لا إله لهم سواه فمن كان ربهم، وملكهم، وإِلَهَهُم فهم جديرون أن لا يستعيذوا بغيره، ولا يستنصروا بسواه، ولا يلجؤوا إلى غير حماه، فهو كافيهم، وحسبهم،

وناصرهم، ووليّهم، ومتولّي أمورهم جميعًا بربوبيته، وملكه، وإلهيته لهم. فكيف لا يلتجئ العبد عند النوازل ونزول عَدُوِّهِ إلى ربِّه، ومالكِه، وإلَهِهِ؟

عباد الله:

الله هو الملك الحق للسماوات والأرض وما فيهما وما بينهما، لأنه خالقهما فلا يخرج شيء من خلقه عن ملكه، وهذا يقتضي أنه سبحانه المدبر لهما المتصرف فيهما كما يشاء بقدرة مطلقة لامانع لما أعطى ولا معطي لما منع، ولا يعجزه شيء في السماوات ولا في الأرض.

ومن لوازم الملك بمعناه الشامل المطلق الذي هو لله وحده ولا يشركه فيه أحد أن يكون قادراً على كل شيء لا يمتنع عليه شيء ولا يعجزه شيء، قاهراً لكل شيء قد خضع له كل شيء، ولذا فإن من صفات الله ﷻ التي هي أخص باسم (الملك): صفات العدل، والقبض، والبسط، والخفض والرفع، والعطاء والمنع، والإعزاز والإذلال، والقهر والحكم، ونحوها.

من مقتضى اسمه سبحانه (الملك) أن يكون رحيمًا منزهًا عن الظلم والجور، ولذا ـ والله أعلم ـ اقترن اسمه سبحانه (الملك) باسمه (القدوس، السلام) لبيان أنه سبحانه مع كونه ملكًا قاهراً يتصرف في خلقه كيف شاء، إلا أنه سبحانه منزه ومبرأ في أفعاله من الظلم والجور، فهو السلام الذي سلم عباده من ظلمه، وهو المؤمن الذي يؤمن عبيده من جوره وظلمه. فثبت أن كونه ملكًا لا يتم إلا مع كونه رحيمًا قدوسًا سلامًا.

ومن آثار ملكه سبحانه التام على خلقه قهره للملوك والطغاة الجبابرة المتكبرين، وقصمه وإهلاكه لهم لما طغوا وبغوا وظنوا أنهم معاجزين لله

تعالى وغرهم ملكهم وسلطانهم كما فعل ذلك بالفراعنة والقياصرة والأكاسرة، وانطوى ملكهم وأصبحوا نسيًا منسيًا.

وقد تكرّر في القرآن الكريم بيان أن تفرد الله بالملك لا شريك له دليل ظاهر على وجوب إفراده وحده بالعبادة، قال تعالى: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ﴾ [الزمر: ٦]، وقال تعالى: ﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ﴾ [المؤمنون: ١١٦].

وأنَّ عبادة من سواه ممن لا يملك لنفسه ضرًّا ولا نفعًا ولا حياةً ولا موتًا ولا نشوراً أضل الضّلال وأبطل الباطل، وقد ورد في القرآن آيات عديدة تقرر هذه الحقيقة وتجلي هذا الأمر. قال الله تعالى: ﴿وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً لَّا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَوٰةً وَلَا نُشُورًا﴾ [الفرقان: ٣].

وقال تعالى: ﴿يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ ۚ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا۟ مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾ [فاطر: ١٣ - ١٤].

وقال تعالى: ﴿قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ۚ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [المائدة: ٧٦].

وقال تعالى: ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا﴾ [الإسراء: ٥٦].

وقال تعالى: ﴿قُلِ ٱدْعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۖ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ﴾ [سبأ: ٢٢]، أي: لا يملك مثقال ذرة استقلالاً، ولا يملكه على وجه المشاركة، ولا يملك الإنسان في هذه الحياة شيئا إلا بتمليك الله له، قال تعالى: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [آل عمران: ٢٦]، ومن لا يملك في هذا الكون ولا مثقال ذرّة لا يجوز أن يُصرف له شيء من العبادة، إذ العبادة حق للملك العظيم والخالق الجليل والرب المدبّر لهذا الكون لا شريك له عزَّ شأنه وعظم سلطانه وتعالى جدُّه ولا إله غيره.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿قُلْ هُوَ رَبِّى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ﴾ [الرعد: ٣٠].

بارك الله لي ولكم...

الخطبة الثانية

الحمد لله ملك فقدر، وحكم فعدل، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن نبينا محمداً عبده ورسوله، بلغ الرسالة وأدى الأمانة، ونصح الأمة، فصلوات ربي وسلامه عليه، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

إيها المسلمون:

ومن آثار الإيمان بأسمائه سبحانه (الملك، والملك، والمالك):

أولاً: توحيد الله ﷻ وعبادته وحده لا شريك له بالحب والخوف والرجاء، لأن هذه العبادة لا يستحقها إلا الملك الحق فاطر السماوات والأرض، المالك لهما، المتصرف فيهما فكيف تصرف العبادة لغيره ممن لا يملك شيئاً في السماوات ولا في الأرض؛ قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمۡلِكُونَ مِن قِطۡمِيرٍ﴾ [فاطر: ١٣]، وقال سبحانه: ﴿وَيَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمۡلِكُ لَهُمۡ رِزۡقٗا مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ شَيۡـٔٗا وَلَا يَسۡتَطِيعُونَ﴾ [النحل: ٧٣]، وقال ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمۡلِكُونَ لَكُمۡ رِزۡقٗا فَٱبۡتَغُواْ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزۡقَ وَٱعۡبُدُوهُ وَٱشۡكُرُواْ لَهُۥٓۖ إِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ﴾ [العنكبوت: ١٧].

ثانيًا: الخوف منه سبحانه والرجاء فيه وحده، لأنه سبحانه المالك لكل شيء، المتصرف في كل شيء، وهو القاهر فوق عباده: ﴿مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذُۢ بِنَاصِيَتِهَآ﴾ [هود: ٥٦] فعندما يستشعر المؤمن هذه المعاني فإنه لا يخاف إلا من الله وحده.

وحقيقة التوكل هذه من شأنها أن تبدد الهموم والأحزان والمخاوف، وتقضي على اليأس والقنوط.

ثالثًا: ولما كان من لوازم الملك لله تعالى الحكم والتشريع كان لزامًا على العباد قبول حكم الله تعالى وشرعه، ورفض ماسواه والإعراض عن التحاكم لغيره، فالحكم لله وحده.

قال تعالى: ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يوسف: ٤٠]، وقال سبحانه: ﴿وَلَا يُشْرِكُ فِى حُكْمِهِۦٓ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٢٦]، حيث لا أحسن، ولا أكمل من حكم الله تعالى: ﴿أَفَحُكْمَ ٱلْجَـٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [المائدة: ٥٠].

رابعًا: الاعتصام بالله الملك الحق، والاستعانة والاستغاثة به وحده وأن لايلوذ العباد المملوكون المربوبون في نوائبهم إلا مليكهم ومعبودهم سبحانه.

خامسًا: لما كان من مقتضى اسمه سبحانه (الملك) ملكه لخزائن السماوات والأرض، وتفرده سبحانه برزق العباد، وأن خزائنه ملأى لا تنضب، فإن اليقين بهذا يثمر في قلب العبد تعلقه بربه سبحانه في طلب رزقه واطمئنانه إلى ما كتب الله تعالى له مع أخذه بالأسباب التي أمر الله تعالى بها في طلب الرزق مع عدم تعلقه بها.

قال الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ خَزَآئِنُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَـٰكِنَّ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ﴾ [المنافقون: ٧]. وقال الله تعالى: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا ۚ كُلٌّ فِى كِتَـٰبٍ مُّبِينٍ﴾ [هود: ٦]، وقال ﷻ: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَـٰرَ وَمَن يُخْرِجُ

ﭐلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَيُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتَ مِنَ ٱلۡحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُۚ فَقُلۡ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ [يونس: ٣١].

سادسًا: لما كان الملك الحقيقي هو لله تعالى وأن ملك العباد في الدنيا إنما هو ملك ناقص، وعارية مستردة، ولا يملكون إلا أن يملكهم الله تعالى، فإن الشعور بهذا يُلقي في القلب تواضعاً لله تعالى لكل متملك شيئًا من هذه الدنيا، سواء كان ملكًا كبيراً كملك الملوك والسلاطين، أو كان تملكًا جزئيًا لمال أو أرض أو غير ذلك، قال ﷺ: «إن أخنى الأسماء يوم القيامة عند الله، رجل تسمى ملك الأملاك» [رواه البخاري].

سابعًا: تمجيد الله ﷻ باسمه الكريم (الملك) وقد جاءت أدعية وأذكار صحيحة تتضمن هذه الاسم الكريم والتوسل إلى الله ﷻ به كما في دعاء الاستفتاح لصلاة التهجد منه: «ولك الحمد أنت ملك السموات والأرض ومن فيهن» [رواه البخاري].

وكذلك ما ورد في دعاء الاستفتاح الآخر وفيه: «اللَّهم أنت الملك لا إله إلا أنت، أنت ربي وأنا عبدك، ظلمت نفسي واعترفت بذنبي فاغفر لي ذنوبي جميعًا؛ فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت».

وكان يقول في دبر كل صلاة إذا سلم: «لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير» [رواه البخاري].

هذا وصلوا وسلموا...

❁ ❁ ❁

(٦٣) الخـطبــة الأولــى [(١)]

الحمد لله، له الأسماء الحسنى والصفات العلا، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن نبينا محمداً عبده ورسوله، أرسله الله رحمة للعالمين، وحجة على الناس أجمعين، صلى الله وسلم وبارك عليه، وعلى آله وصحبه أجمعين، والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

فاتقوا الله حق التقوى؛ فإنها وصية الله للأولين والآخرين ﴿وَلَقَدۡ وَصَّيۡنَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكُمۡ وَإِيَّاكُمۡ أَنِ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ [النساء: ١٣١].

عباد الله:

أسماء الله تعالى كلها أسماء حسنى، ومن أسماء الله تعالى اسم (المجيد).

وقد ورد اسمه (المجيد) في القرآن الكريم مرتين، وذلك في قوله تعالى: ﴿رَحۡمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيۡكُمۡ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٞ مَّجِيدٞ﴾ [هود: ٧٣].

وكــذلك في قولــه تعــالى: ﴿وَهُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلۡوَدُودُ ۝١٤ ذُو ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡمَجِيدُ﴾ [البروج: ١٤ - ١٥].

---

(١) اسم (المجيــد).

كما جاء اسم (المجيد) وصفًا للقرآن الكريم الذي هو كلام الله ﷻ؛ قال تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿قٓۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡمَجِيدِ﴾ [ق: ١]، وقال ﷻ: ﴿بَلۡ هُوَ قُرۡءَانٞ مَّجِيدٞ ٢١ فِي لَوۡحٖ مَّحۡفُوظِۭ﴾ [البروج: ٢١ - ٢٢].

قال الزجاج: (أصل المجد في الكلام: الكثرة والسعة).

وقال الأزهري: (الله تعالى هو المجيد، تمجد بفعاله، ومجده خلقه لعظمته).

قال الخطابي: (المجيد) هو الواسع الكرم).

وقال ابن جرير: (مجيد)، ذو مجد ومدح وثناء كريم).

وقال أيضًا: (وصف نفسه بـ(المجيد) وهو: المتضمن لكثرة صفات كماله وسعتها، وعدم إحصاء الخلق لها، وسعة أفعاله وكثرة خيره ودوامه، وأما من ليس له صفات كمال ولا أفعال حميدة فليس له من المجد شي، والمخلوق إنما يصير مجيداً بأوصافه وأفعاله فكيف يكون الرب تَبَارَكَ وَتَعَالَى مجيداً وهو مُعطل عن الأوصاف والأفعال، تعالى الله عما يقول المعطلون علواً كبيراً، بل هو المجيد الفعال لما يريد، والمجد في لغة العرب: كثرة أوصاف الكمال وكثرة أفعال الخير).

وقال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (المجيد: الكبير العظيم الجليل، وهو الموصوف بصفات المجد والكبرياء والعظمة والجلال الذي هو أكبر من كل شيء، وأجل وأعلى، وله التعظيم والإجلال في قلوب أوليائه وأصفيائه، قد ملئت قلوبهم من تعظيمه وإجلاله والخضوع له والتذلل لكبريائه).

ويقول أيضًا: (والمجد هو عظمة الصفات وسعتها فكل وصف من أوصافه عظيم شأنه: فهو العليم الكامل في علمه، الرحيم الذي وسعت رحمته كل شيء، القدير الذي لا يعجزه شيء، الحليم الكامل في حلمه، الحكيم الكامل في حكمته، إلى بقية أسمائه وصفاته).

وقد جاء في الحديث القدسي: «**قسمت الصلاة بيني وبين عبدي، فإذا قال العبد الحمد لله رب العالمين، قال الله تعالى: حمدني عبدي، وإذا قال: الرحمن الرحيم، قال الله تعالى: أثنى علي عبدي، وإذا قال: مالك يوم الدين، قال: مجدني عبدي...**» [رواه مسلم].

ومن هذا الحديث يظهر معنى من معاني المجيد حيث إن من تمجيد الله تعالى وصفه والاعتراف له بالملك والقهر، والحكم يوم الدين والحساب لا معقب لحكمه، ولا مهرب من جزائه.

عباد الله:

وقد وصف الله ﷻ كتابه بـ(المجيد) في الآيتين في سورة البروج، وسورة ق.

فالقرآن مجيد؛ أي: شريف كريم عظيم واسع الخير والفضل والكرم، وذلك لما تضمنه من العلوم والمكارم، والمقاصد العليا والمصالح الدنيوية والأخروية، ولا غرابة في ذلك فإنه كلام الله ﷻ المجيد الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد، ومن عظمة هذا القرآن ومجده: أن الله يرفع به أقوامًا، ويخفض به آخرين. يرفع به من عمل به واتخذه دينًا ومنهجًا، ويخفض به ويذل من تركه وراءه ظهريًا، ففي صحيح مسلم عن عامر بن واثلة أن نافع ابن عبد الحارث لقي عمر بعسفان، وكان

عمر يستعمله على مكة، فقال من استعملت على أهل الوادي؟ فقال: ابن أبزى، قال: ومن ابن أبزى؟ قال: مولى من موالينا، قال: فاستخلفت عليهم مولى؟! قال: إنه قارئٌ لكتاب الله ﷻ وإنه عالمٌ بالفرائض، قال عمر: أما إن نبيكم ﷺ قد قال: «إن الله يرفعُ بهذا الكتاب أقوامًا ويضعُ به آخرين».

فقد رفع الله تعالى هذا المولى لحفظه لكتابه وعلمه به، على غيره من أهل مكة أهل الشرف والنسب.

وهذا المجد والرفعة في الدرجات في الآخرة، فإنما هي لمن أخذ بهذا الكتاب، وعمل به، والذّل والمهانة والدركات لمن تركه وأعرض عنه.

فكل وصف من أوصافه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ؛ عظيم شأنه: فهو العليم الكامل في علمه، الرّحيم الذي وسعت رحمته كل شيء، القدير الذي لا يعجزه شيء، الحليم الكامل في حلمه، الحكيم الكامل في حكمته، إلى بقية أسمائه وصفاته التي بلغت غاية المجد، فليس في شيء منها قصور أو نقصان، قال الله تعالى: ﴿رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ ۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ﴾ [هود: ٧٣].

والله ﷻ مَجَّد نفسَه في كتابه في آيات عديدة، بل إنَّ القرآن الكريم كلَّه كتابُ مجيد وتعظيم لله ﷻ، لا تخلو آيةٌ من القرآن من ذكر شيء من أسماء الله الحسنى وصفاته العليا وأفعاله الحكيمة، وأعظم آي القرآن هي التي اشتملت على ذلك، فآية الكرسي التي هي أعظم آية في القرآن الكريم فيها من أسماء الله الحسنى خمسة أسماء، وفيها من صفات الله ما يزيد على العشرين صفة، وسورة الإخلاص التي تعدل ثلث القرآن أخلصت لبيان أسماء الله الحسنى وصفاته العظيمة، وسورة الفاتحة التي هي أعظم سورة في القرآن الكريم، نصفها ثناء على الله وتمجيد.

أيها المسلمون:

روى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «قال الله تعالى: قسمتُ الصلاة بيني وبين عبدي نصفين، ولعبدي ما سأل؛ فإذا قال العبد: الحمد لله ربّ العالمين؛ قال الله تعالى: حمدني عبدي، وإذا قال: الرّحمن الرّحيم؛ قال الله تعالى: أثنى عليّ عبدي، وإذا قال: مالك يوم الدين؛ قال الله تعالى: مجّدني عبدي، فإذا قال: إيّاك نعبد وإياك نستعين؛ قال: هذا بيني وبين عبدي، ولعبدي ما سأل، فإذا قال: اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين: قال: هذا لعبدي ولعبدي ما سأل».

والصّلاة كلّها قائمة على الثّناء والتّعظيم والتّمجيد للحميد المجيد سبحانه أهل الثناء كله والمجد، وقد كان رسول الله ﷺ إذا رفع رأسه من الرّكوع قال: «ربّنا لك الحمد، ملء السموات والأرض، وملء ما شئت من شيء بعد، أهل الثّناء والمجد، أحقّ ما قال العبد، وكلّنا لك عبد، اللهم لا مانع لما أعطيت، ولا معطي لما منعت ولا ينفع ذا الجد منك الجد» [رواه مسلم].

وفي ركوعه وسجوده ﷺ يعظِّم الله ويمجِّده، وإذا قعد للتّشهد يثني على الله ويمجّده ويختم ذلك بقوله: «إنّك حميد مجيد»، فأوّل الصّلاة حمد وتمجيد، وآخرها حمد وتمجيد، بل كلها قائمة على الحمد والتمجيد.

قال ابن القيِّم رحمه الله: (وأحسن ما قرن اسم المجيد إلى الحميد، كما قالت الملائكة لبيت الخليل عليه السلام: ﴿قَالُوٓاْ أَتَعۡجَبِينَ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۖ رَحۡمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيۡكُمۡ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٞ مَّجِيدٞ﴾ [هود: ٧٣]، كما شرع لنا في آخر الصّلاة أن

نثني على الرّبّ تعالى أنه حميد مجيد، وشرع في آخر الرّكعة عند الاعتدال أن نقول: «**ربنا ولك الحمد أهل الثّناء والمجد**»، فالحمد والمجد على الإطلاق لله الحميد القادر الغني ذو الجلال والإكرام).

وفي ختم التشهد باسم الله المجيد معنى لطيفٌ نبَّه عليه ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ قال: (وتأمَّل كيف جاء هذا الاسم مقترنـًا بطلب الصّلاة من الله على رسوله كما علمناه ﷺ؛ لأنه في مقام طلب المزيد، والتعرض لسعة العطاء وكثرته ودوامه، فأتى في هذا المطلوب باسم يقتضيه).

لأنَّ المجد يدل على كثرة أوصاف الكمال وكثرة أفعال البر والخير وعدد العطاء والنوال.

وأشرف أحوال العبد وأرفع مقاماته أن يكون مُثنيـًا على ربِّه معظِّما لجنابه ممجِّداً له، ومن أعظم ذلك تلاوة كلامه المجيد، وقد وصفه تَبَارَكَ وَتَعَالَى لذلك في موضعين من القرآن، قال تعالى: ﴿بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ۝٢١ فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍۭ﴾ [البروج: ٢١ - ٢٢]، وقال تعالى: ﴿قٓ ۚ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْمَجِيدِ﴾ [ق: ١].

فالقرآن مجيد؛ أي: عليٌّ قدرُه، رفيعٌ شأنُه، عظيمةٌ مكانتُه، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد. ومما يمجَّد به الربُّ سبحانه حسنُ الثناء عليه تحميداً وتكبيراً وتسبيحـًا وتهليلاً، ومَن لازَمَ ذلك سَعِد سعادةً لا شقاء معها، وفاز بخيري الدُّنيا والآخرة.

بارك الله لي ولكم...

الخـــطــبــة الثــــانيــــة

الحمد لله الحميد المجيد، له الحمد في الأولى والأخرى، وله المرجع وإليه المعاد، وأشهد أن لا إله إلا الله العلي العظيم، وأشهد أن نبينا محمداً عبده ورسوله وصفيه وخليله، صلى الله وسلم وبارك عليه، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

فاتقوا الله وراقبوه، تفوزوا بسعادة الدارين.

عباد الله:

لا يستقر للعبد قدم في المعرفة - بل ولا في الإيمان - حتى يؤمن بصفات الربّ جَلَّجَلَالُهُ، ويعرفها معرفة تخرجه عن حدّ الجهل بربّه. فالإيمان بالصفات وتعرّفها هو أساس الإسلام، وقاعدة الإيمان، وثمرة شجرة الإحسان. فمن جحد الصفات فقد هدم أساس الإسلام والإيمان، وثمرة شجرة الإحسان، فضلاً عن أن يكون من أهل العرفان.

وقد جعل الله سبحانه مُنكر صفاته مسيءَ الظن به، وتوعّده بما لم يتوعد به غيره من أهل الشرك والكفر الكبائر، فقال تعالى: ﴿وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ ۝٢٢ وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَىٰكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [فصلت: ٢٢ - ٢٣].

فأخبر سبحانه أن إنكارهم هذه الصفة من صفاته من سوء ظنهم به، وأنه هو الذي أهلكهم. قال في الظَّانين به ظن السوء: ﴿عَلَيۡهِمۡ دَآئِرَةُ ٱلسَّوۡءِۖ وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ وَلَعَنَهُمۡ وَأَعَدَّ لَهُمۡ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرٗا﴾ [الفتح: ٦].

ولم يجئ مثل هذا الوعيد في غير من ظن السوء به سبحانه. وجحدُ صفاته وإنكار حقائق أسمائه من أعظم ظن السوء به.

ولما كان أحب الأشياء إليه حمده ومدحه، والثناء عليه بأسمائه وصفاته وأفعاله، كان إنكارها وجحدها أعظم الإلحاد والكفر به، وهو شر من الشرك، فالمعطِّلُ شرٌّ من المشرك؛ فإنه لا يستوي جحد صفات الملك وحقيقة ملكه والطعن في أوصافه هو، والتشريك بينه وبين غيره في الملك، فالمعطلون أعداء الرسل بالذات، بل كل شرك في العالم أصله التعطيل.

عباد الله:

من آثار الإيمان باسمه (المجيد):

أولاً: محبة الله ﷻ الذي وسع خلقه بكرمه وفضله ورحمته. وهذا يلزم عليه عبادته وحده لا شريك له، والتعلق به وحده، وسؤاله قضاء الحوائج، وتفريج الكربات وحده، وترك التعلق بالمخلوق الضعيف الفقير بذاته إلى الله تعالى، وإن كان فيه مجد أو كرم محدود فهو من جود الله تعالى وكرمه.

ثانيًا: تمجيده سبحانه واللهج بذكره، والثناء عليه بالتهليل والتحميد والتسبيح والتكبير وسؤاله بأسمائه الحسنى، لأن كل أسمائه وصفاته هي من باب التمجيد لله رب العالمين، فقولنا: هو الله الواحد، الأحد، الصمد، العزيز، الوهاب، الملك، الأول والآخر، الظاهر والباطن، الحميد، السميع، البصير؛ كل هذا من باب التمجيد لله الواحد الأحد.

ثالثًا: التقرب إلى الله ﷻ بطاعته والتماس مرضاته، والبعد عن معاصيه ومساخطه، وهذه هي حقيقة التقوى التي فيها الشرف والمجد والرفعة للعبد في الدنيا والآخرة، قال الله ﷻ: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣]، وقال الرسول ﷺ: «**ومن بطأ به علمه لم يسرع به نسبه**» [رواه مسلم]، فالله سبحانه (المجيد) لا يهب المجد والرفعة والذكر الحسن إلا لمن عبده ووحده، ومجده، واتقاه.

هذا وصلوا...

(٦٤) الخطبة الأولى [(١)]

الحمد لله كثير العطايا، جزيل الهبات، أغدق على عباده الخيرات، وهدى من شاء منهم إلى صراطه المستقيم، وأشهد أن لا إله إلى الله وحده لا شريك له، وأشهد أن نبينا محمداً عبده ورسوله، صلى الله وسلم وبارك عليه، وعلى آله وأصحابه وأتباعه، ومن اقتفى أثرهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

فالتقوى هي وصية الله للأولين والآخرين، فاتقوا الله وراقبوه واحفظوا حدوده وحرماته.

عباد الله:

من أسماء الله تعالى اسم (المنان)؛ ولم يرد اسمه سبحانه (المنان) في القرآن الكريم إلا بصيغة الفعل؛ كما في قوله تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [آل عمران: ١٦٤].

وقوله تعالى: ﴿قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ﴾ [إبراهيم: ١١]، وقوله:﴿بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَىٰكُمْ لِلْإِيمَـٰنِ﴾ [الحجرات: ١٧].

---

(١) اسم (المنان).

وجاء في السُّنَّة التصريح بهذا الاسم الكريم، كما جاء في السنن عن أنس رضي الله عنه أنه كان جالسًا مع رسول الله ﷺ ورجل يصلي ثم دعا: اللَّهم إني أسألك بأن لك الحمد لا إله إلا أنت المنان بديع السماوات والأرض يا ذا الجلال والإكرام يا حي يا قيوم، فقال النبي ﷺ: «**لقد دعا الله باسمه الأعظم الذي إذا دعي به أجاب وإذا سئل به أعطى**» [رواه البخاري].

و(المنان) من أبنية المبالغة كالسفاك والوهاب.

وفي الحديث «**ما أحد أمنَّ علينا من ابن أبي قحافة**»، أي: ما أحد أجود بماله وذات يده من أبي بكر رضي الله عنه.

قال الزجاجي رحمه الله: ((المنان) فعال، من قولك: مننت على فلان إذا اصطنعت عنده وأحسنت إليه، فالله عز وجل منان على عباده بإحسانه وإنعامه ورزقه، وفلان يمنُّ على فلان: إذا كان يعطيه ويحسن إليه).

وقال الخطابي رحمه الله: (وأما (المنان) فهو كثير العطاء).

ويقول القرطبي رحمه الله: (ولما كان البارئ سبحانه يدر العطاء على عباده منًّا عليهم بذلك وتفضلاً، كانت له المنة في ذلك. فيرجع (المنان) إذا كان مأخوذاً من المنِّ الذي هو العطاء إلى أوصاف فعله، ويرجع (المنان) إذا أخذته من (المنة) التي هي تعداد النعمة وذكرها والافتخار بفعلها، في معرض الامتنان إلى صفة كلامه تعالى).

ويقول ابن تيمية رحمه الله: ((والمنان) الذي يجود بالنوال قبل السؤال).

و(المنان): هو الذي يُنعم غير فاخر بالإنعام.

وهو المعطي ابتداءً، ولله المنة على عباده بإحسانه وإنعامه ورزقه إياهم، ولا منة لأحد عليه ـ تعالى ـ عن ذلك علواً كبيراً.

فالله سبحانه هو المنان الذي ليس كمثله شيء، وهو عظيم المواهب أعطى الحياة والعقل والنطق، وصور فأحسن، وأنعم فأجزل، وأكثر العطايا والمنح، وأنقذ عباده المؤمنين، ومنَّ عليهم بإرسال الرسل وإنزال الكتب وإخراجهم من الظلمات إلى النور بمنّه وفضله، ومَنَّ على عباده أجمعين بالخلق والرزق والصحة والأمن لعباده المؤمنين، وأسبغ عليهم النعم مع كثرة معاصيهم وذنوبهم.

وأعظم المِنَن وأكملها وأنفعها - بل أصل النِّعم – هداية الله لعبده إلى دين الإسلام والعمل بشرائعه، فقد تفضَّل سُبحانه على المؤمنين الصادقين بإرسال محمد ﷺ لإخراجهم من الظلمات إلى النور، قال تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [آل عمران: ١٦٤].

وفي الآخرة يذكر المؤمنون امتنان الله عليهم بدخول الجنة: ﴿فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ ۝ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْبَرُّ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الطور: ٢٧ - ٢٨]، وقد بُشِّروا بدخولها في عدة مواطن.

قال بعض المفسرين في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ [فصلت: ٣٠].

قالوا: (يُبشَّر المؤمن بالجنة عند موته في قبره ويوم يُبعث، فإنه لفي الجنة ما ذهب فرحة البشارة من قلبه).

والله ﷻ هو الذي مَنّ على عباده بالخلق والرزق، والصحة في الأبدان، والأمن في الأوطان، وأسبغ عليهم النعم الظاهرة والباطنة.

عباد الله:

والمنان: هو كثير العطاء، عظيم المواهب، واسع الإحسان، الذي يدرّ العطاء على عباده، ويوالي النعماء عليهم تفضّلا منه وإكراما، ولا منّان على الإطلاق إلا الله وحده، الذي يبدأ بالنّوال قبل السؤال، له المنّة على عباده، ولا منَّة لأحد منهم عليه، تعالى الله علواً كبيراً، وهو أمر مشهود للخليقة كلِّها بَرِّها وفاجرها من جزيل مواهبه، وسعة عطاياه، وكريم أياديه، وجميل صنائعه، وسعة رحمته، وبره ولطفه، وإجابته لدعوات المضطرين، وكشف كربات المكروبين، وإغاثة الملهوفين، ودفع المحن والبلايا بعد انعقاد أسبابها، وصرفها بعد وقوعها، ولطفه تعالى في ذلك إلى ما لا تبلغه الآمال.

ومن عظيم منِّه ـ سبحانه ـ هدايته خاصته وعباده إلى سبيل دار السلام، ومدافعته عنهم أحسن الدفاع، وحمايتهم من الوقوع في الآثام، وحبب إليهم الإيمان وزينه في قلوبهم، وكره إليهم الفسوق والعصيان، وجعلهم من الراشدين، وكتب في قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح منه، وسماهم المسلمين من قبل أن يخلقهم، وذكرهم قبل أن يذكروه، وأعطاهم قبل أن يسألوه، تعرَّف إليهم بأسمائه، وأمرهم بما أمرهم به رحمة منه بهم وإحساناً، لا حاجة منه إليهم، ونهاهم عما نهاهم عنه حماية وصيانة لهم لا بُخلاً منه عليهم، وخاطبهم بألطف خطاب وأجله، ونصحهم بأحسن النصائح، ووصاهم بأكمل الوصايا، وأمرهم بأشرف الخصال، ونهاهم عن أقبح الأقوال والأعمال، وصرف لهم الآيات وضرب لهم الأمثال، التي تدنيهم من رضاه وتُبعدهم عن غضبه، إلى غير ذلك من أنواع نعمه وصنوف مننه، القائل

سبحانه: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآ﴾ [النحل: ١٨]، والقائل جلّ شأنه: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعۡمَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِ﴾ [النحل: ٣٥].

ومن أراد مطالعة أصول المنن فليدم سرح النظر في رياض القرآن الكريم، وليتأمل ما عدد الله فيه من نعمه العظيمة وعطاياه الكريمة، ومننه الجزيلة. فقد ذكَّر سبحانه عباده بمنّة الهداية لهذا الدين، والإخراج من ظلمات الشرك والكفر برب العالمين.

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبۡتُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُواْ وَلَا تَقُولُواْ لِمَنۡ أَلۡقَىٰٓ إِلَيۡكُمُ ٱلسَّلَٰمَ لَسۡتَ مُؤۡمِنٗا تَبۡتَغُونَ عَرَضَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا فَعِندَ ٱللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٞۚ كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبۡلُ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمۡ فَتَبَيَّنُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٗا﴾ [النساء: ٩٤]، وقال تعالى: ﴿يَمُنُّونَ عَلَيۡكَ أَنۡ أَسۡلَمُواْۖ قُل لَّا تَمُنُّواْ عَلَيَّ إِسۡلَٰمَكُمۖ بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيۡكُمۡ أَنۡ هَدَىٰكُمۡ لِلۡإِيمَٰنِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾ [الحجرات: ١٧]، وقال تعالى: ﴿وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنۡ أَحَدٍ أَبَدٗا وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَآءُ﴾ [النور: ٢١]، وقال تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِي قُلُوبِكُمۡ وَكَرَّهَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡكُفۡرَ وَٱلۡفُسُوقَ وَٱلۡعِصۡيَانَۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ۝٧ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَنِعۡمَةٗۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ﴾ [الحجرات: ٧-٨].

عباد الله:

وذكَّر سبحانه بمنّة بعث الرسل عليهم الصلاة والسلام، وإكرامه هذه الأمة ببعث صفوة رسله وخير أنبيائه محمدٍ ﷺ: ﴿وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦]، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [فاطر: ٢٤]، وقال تعالى:

﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [آل عمران: ١٦٤].

وذكَّر سبحانه بمنّة التمكين لأنبيائه عليهم السلام ولعباده المؤمنين، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَـٰرُونَ ﴿١١٤﴾ وَنَجَّيْنَـٰهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴿١١٥﴾ وَنَصَرْنَـٰهُمْ فَكَانُواْ هُمُ ٱلْغَـٰلِبِينَ ﴿١١٦﴾ وَءَاتَيْنَـٰهُمَا ٱلْكِتَـٰبَ ٱلْمُسْتَبِينَ ﴿١١٧﴾ وَهَدَيْنَـٰهُمَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ [الصافات: ١١٤—١١٨]، وقال تعالى: ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٥﴾ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَنُرِىَ فِرْعَوْنَ وَهَـٰمَـٰنَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُواْ يَحْذَرُونَ﴾ [القصص: ٥—٦].

وذكَّر بمنّته على عباده المؤمنين بدخول الجنة والنجاة من النار، واستشعارهم لهذه المنَّة العظيمة والفضل الكبير ﴿قَالُوٓاْ إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِىٓ أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ ﴿٢٦﴾ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ ﴿٢٧﴾ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْبَرُّ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الطور: ٢٦ - ٢٨]، ﴿وَقَالُواْ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَـٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ لَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ وَنُودُوٓاْ أَن تِلْكُمُ ٱلْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ٤٣].

ومن عرف ربَّه سبحانه بهذا الاسم العظيم وأنه وحده ولي المنِّ والعطاء، صاحب الهبة والنعماء؛ أوجب له ذلك أن يحمد ربه على نعمائه، وأن يشكره على فضله وعطائه ﴿قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ﴾ [الأحقاف: ١٥].

وقد أمر الله عباده بالشكر ونهاهم عن ضده، وأثنى على عباده الشاكرين، ووعدهم بأحسن الجزاء، وجعل الشكر سببا لمزيد الفضل والعطاء، وحارسا وحافظا للهبة والنعماء ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ۖ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ [إبراهيم: ٧].

وأوجب له كذلك ألا يستعمل نعمة الله ومنته سبحانه في معصيته، وألا يضيف النعمة إلا إلى المنعم وحده، وهو الله لا شريك له، خلاف من قال الله عنهم: ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ﴾ [النحل: ٨٣]، أي: بإضافتهم النعمة إلى غير المنعم.

فاللَّهم لك الحمد شكراً، ولك المنُّ فضلاً، لك الحمدُ بالإسلام، ولك الحمد بالإيمان، ولك الحمد بالقرآن، ولك الحمد بالأهل والمال والمعافاة، لك الحمد بكلِّ نعمة أنعمت بها علينا في قديم أو حديث، أو سر أو علانية، أو خاصة أو عامة، لك الحمد على ذلك حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه، اللهم لك الحمد حتى ترضى، ولك الحمد إذا رضيت.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ۖ﴾ [النحل: ٥٣].

بارك الله لي ولكم...

الخـــطـــبـة الثـــانيـــة

الحمد لله أعطى فأجزل، ووهب فأتم وأكمل، وأشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وأصلي وأسلم على الرحمة المهداه، والنعمة المسداة، صلى الله وسلم وبارك عليه، وعلى آله وصحابته، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

فإن من آثار الإيمان باسمه سبحانه (المنان):

أولاً: محبة الله ﷻ وحمده والثناء عليه وعلى مننه العظيمة التي لا تعد ولا تحصى، وأعظمها منة الهداية للإيمان كما قال سبحانه: ﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا ۖ قُل لَّا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُم ۖ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ [الحجرات: ١٧].

وهذا يقتضي شكره سبحانه بالقلب واللسان والجوارح، وإعمال هذه الأركان الثلاثة في طاعته والتقرب إليه وإمساكها عن كل ما يغضبه سبحانه وينهى عنه.

ثانيـًا: الشعور بالتطامن وهضم النفس والاعتراف بضعفها ونقصها، وأن العبد الضعيف لو وكل إلى نفسه طرفة عين لهلك وخاب وخسر، ولكنه توفيق الله ﷻ للعبد ومنته عليه هو الذي أقامه وحفظه ويسر له أموره.

ثالثًا: والثمرة السابقة تقود إلى ثمرة أخرى ألا وهي عدم التعلق بالأسباب والركون إليها، وأنها لولا منَّة الله ﷻ وإذنه بنفعها وأثرها لم تجد على فاعلها شيئًا، فالمنان بكل خير هو الله وحده مسبب الأسباب، والقاهر لكل شيء، والفعال لما يريد، لامانع لما أعطى ولامعطي لما منع سبحانه وبحمده. فوجب التوكل عليه وحده وتفويض الأمور إليه.

رابعًا: البعد عن صفة المنة على الخلق؛ لأن الله سبحانه هو المنان الحقيقي على عباده، وقد نهى الله ﷻ ورسوله ﷺ عن المن بالعطية ورؤية النفس وإيذاء الفقراء بالمن عليهم، قال الله ﷻ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبۡطِلُواْ صَدَقَـٰتِكُم بِٱلۡمَنِّ وَٱلۡأَذَىٰ﴾ [البقرة: ٢٦٤].

وقال الرسول ﷺ: «**ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم: المسبل إزاره، والمنان الذي لا يعطي شيئًا إلا مِنَّةً، والمنفق سلعته بالحلف الكاذب**» [رواه مسلم].

وقسم ابن القيم رحمه الله المنَّ على الناس إلى قسمين، فقال:

(فالمنن نوعان:

أحدهما: مَنٌّ بقلبه من غير أن يصرح به لسانه، وهذا إن لم يبطل الصدقة فهو من نقصان شهود منة الله عليه في إعطائه المال وحِرمان غيره، وتوفيقه للبذل ومنع غيره منه، فللّه المنة عليه من كل وجه، فكيف يشهد قلبه منة لغيره؟

والنوع الثاني: أنْ يمنَّ عليه بلسانه، فيعتدي على من أحسنَ إليه بإحسانه، ويُريه أنه اصطنعه، وأنه أوجب عليه حقًا وطوَّقه مِنةً في عنقه فيقول: أما أعطيتك كذا وكذا؟ ويعدد أياديه عنده).

هذا وصلوا وسلموا...

٦٥ الخطبة الأولى [١]

الحمد لله الملك القدوس، السلام المؤمن المهيمن، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن نبينا محمداً عبده ورسوله، أدى الأمانة ونصح الأمة، وجاهد في الله حق جهاده، فصلوات ربي وسلامه عليه، وعلى آله وأصحابه، والتابعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

فاتقوا الله ﷻ حق التقوى، واستمسكوا من الإسلام بالعروة الوثقى ﴿وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ ۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٨١].

عباد الله:

أسماء الله كلها حسنى؛ وإنما كانت حسنى لكونها قد دلّت على صفاتِ كمالٍ عظيمةٍ لله، فما كان من الأسماء علماً محضاً لا يدل على صفة لم يكن من أسماء الله، وما كان منها ليس دالاً على صفات كمال بل إمّا دالاً على صفات نقص أو صفات منقسمة إلى المدح والقدح لم يكن من أسماء الله، فأسماء الله جميعها توقيفية دالّةٌ على صفات كمال ونعوت جلال للرَّبِّ

(١) اسم (المهيمن).

تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، فهي حسنى باعتبار معانيها وحقائقها لا بمجرد ألفاظها؛ إذ لو كانت ألفاظًا لا معاني فيها لم تكن حسنى، ولا كانت دالة على مدح وكمال، ولَسَاغ وقوعُ الأسماء الدّالة على البطش والانتقام والغضب في مقام الأسماء الدالة على الرحمة والإحسان، وبالعكس، فيقال: اللهم إني ظلمت نفسي فاغفر لي إنَّك شديد العقاب، أو اللهم أعطِنِي فإنَّك أنت القابض المانع، ونحو ذلك من الكلام المتنافر غيرِ المستقيم.

ولهذا؛ فإنَّ كلَّ اسم من أسماء الله دالٌّ على معنى من صفات الكمال ليس هو المعنى الذي دلَّ عليه الاسم الآخر، فالرحمن -مثلاً- يدلُّ على صفة الرحمة، والعزيز يدلُّ على صفة العزَّة، والخالق يدلُّ على صفة الخلق، والكريم يدلُّ على صفة الكرم، والمحسن يدلُّ على صفة الإحسان، وهكذا، وإن كانت جميعُها متَّفقةً في الدلالة على الرَّبِّ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، ولذا فهي من حيث دلالتها على الذات مترادفة، ومن حيث دلالتها على الصفات متباينة، لدلالة كل اسم منها على معنى خاص مستفاد منه.

عباد الله:

أسماء الله كلها أسماء حسنى، ومنها: اسم (المهيمن).

وقد ورد اسمه سبحانه (المهيمن) مرة واحدة في القرآن الكريم، وذلك في قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَـٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ﴾ [الحشر: ٢٣].

والمعنى اللغوي للمهيمن: معناه الأمين، وهو من أمَنَ غيره من الخوف.

وقيل: إن (المهيمن) الرقيب الحافظ.

وأما معناه في حق الله تعالى:

فقد قال ابن جرير رَحِمَهُ اللهُ: (وأصل الهيمنة الحفظ والارتقاب، يقال إذا رقب الرجل الشيء وحفظه وشهده، قد هيمن فلان عليه فهو يهيمن هيمنة، وهو عليه مهيمن).

وقال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ: (قال ابن عباس وغير واحد أي: الشاهد على خلقه بأعمالهم، بمعنى هو رقيب عليهم كقوله: ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ﴾ [المجادلة: ٦]، وقوله: ﴿ثُمَّ ٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفۡعَلُونَ﴾ [يونس: ٤٦]، وقوله: ﴿أَفَمَنۡ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفۡسِۭ﴾ [الرعد: ٣٣].

فهو تعالى الشاهد على الخلق بأعمالهم، الرقيب عليهم فيما يصدر من قولٍ أو فعلٍ، لا يغيب عنه من أفعالهم شيء، ولا يعزب عنه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء.

ويقول الغزالي رَحِمَهُ اللهُ:

(معناه في حقّ الله عَزَّ وَجَلَّ، أنه القائم على خلقه بأعمالهم وأرزاقهم وآجالهم، وإنّما قيامه عليهم باطّلاعه واستيلائه وحفظه، وكل مشرف على كنه الأمر مستولٍ عليه حافظ له، فهو مهيمن عليه، والإشراف يرجع إلى العلم، والاستيلاء إلى كمال القدرة، والحفظ إلى الفعل، فالجامع بين هذه المعاني اسمه المهيمن، ولن يجتمع ذلك على الإطلاق والكمال إلاّ لله عَزَّ وَجَلَّ).

و(المهيمن) بمعنى الأمين تفسيره: أنه سبحانه لا ينقص المطيعين يوم الحساب من طاعاتهم شيئًا، فهو يثيبهم عليه؛ لأن الثواب لا يعجزه، ولا هو مُستكره عليه فيضطر إلى كتمان بعضها، ولايلحقه نقص بما يثيب فيحبس

بعضه؛ لأنه ليس منتفعاً بملكه حتى إذا نفع غيره به زال انتفاعه عنه بنفسه، كما لا ينقص المطيع من حسناته شيئًا، ولا يزيد العصاة على ما اجترحوا من السيئات شيئًا فيزيدهم عقابًا على ما استحقوا؛ لأن واحداً من الظلم والكذب غير جائز عليه، وقد سمى عقوبة أهل النار جزاء فما لهم يقابل منها ذنبًا لم يكن جزاءً، ولم يكن وفاقًا، فدل على أنه لا يفعله.

وقد وصف الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ كتابه وهو القرآن بأنه مهيمن على الكتب السابقة، قال: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ [المائدة: ٤٨].

فالقرآن الكريم حاكم على الكتب من قبله، فقد جاء بأحسن ما فيها، ونسخ منها ما نسخه، وقصّ على بني إسرائيل أكثر الذي هم فيه يختلفون، فأظهر تحريفهم، وأظهر الحق الذي تضمنته الكتب السابقة.

وهو جَلَّوَعَلَا المطّلع على خفايا الأمور وخبايا الصدور، الذي أحاط بكل شيء علماً.

عباد الله:

ومن تأمل في سريان آثار الأسماء والصفات في الأمر والعلم هداه إلى الإيمان بكمال الرب سبحانه في أسمائه الحسنى وصفاته العليا وأفعاله الحميدة، وأنه سبحانه له في كل ما قضاه وقدره الحكمة البالغة والآيات الباهرة والتعرفات إلى عباده بأسمائه وصفاته، استدعاءُ محبتهم له، وذكرهم له وشكرِهم له، وتعبدهم له بأسمائه الحسنى.

فكلُّ اسمٍ له تعبد مختص به – علما ومعرفة وحالا – ولا يتحقق شيء من هذا إلَّا بمثل هذا النظر والتدبر النافع في كل اسم وما يقتضيه، وأكمل الناس

عبودية المتعبد بجميع الأسماء والصفات التي يطلع عليها البشر، فلا تحجبه عبودية اسم عن عبودية اسم آخر، كمن يحجبه التعبد باسمه القدير عن التعبد باسمه الحليم الرحيم، أو يحجبه عبودية اسمه المعطي عن عبودية اسمه المانع، أو التعبُّد بأسماء التودد والبر واللطف والإحسان عن أسماء العدل والجبروت والعظمة والكبرياء ونحو ذلك.

وهذه طريقة الكُمَّل من السائرين إلى الله، وهي طريقة مشتقَّة من القرآن الكريم، قال الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠].

والدعاء بها يتناول دعاء المسألة ودعاء الثناء ودعاء التعبد، وهو سبحانه يدعو عباده إلى أن يعرفوه بأسمائه وصفاته، ويثنوا عليه بها ويأخذوا بحظهم من عبوديتها، وهو جَلَّوَعَلَا يحبّ أسماءه وصفاته، ويحب ظهور آثارها في خلقه، فإن ذلك من لوازم كماله، وفتح سبحانه لعباده أبواب معرفته والتبصر بأسمائه وصفاته، فدعا عباده في القرآن إلى معرفته من طريقين:

أحدهما: النظر في مفعولاته؛ فإنها أدلُّ شيء على أسمائه وصفاته.

والثاني: التفكر في آياته وتدبرها.

الأول: تفكر في آياته المشهودة.

والثاني: تدبر لآياته المتلوة، ولك منهما بابٌ واسعٌ في معرفة الربِّ المجيد والإله الحميد، فسبحان من تعرَّف إلى خلقه بجيمع أنواع التعرُّفات، ودلّهم عليه بأنواع الدلالات، وفتح لهم إليه جميع الطرقات، ثم نصب إليه الصراط المستقيم وعرَّفهم به ودلهم عليه ﴿لِّيَهۡلِكَ مَنۡ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٖ وَيَحۡيَىٰ مَنۡ حَيَّ عَنۢ بَيِّنَةٖۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الأنفال: ٤٢].

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (ومتى العبد عارفـًا بربِّه محبًّا قائما بعبوديته ممتثلا أمره ومبتعداً عن نواهيه؛ تحقق له بهذه المعرفة والعبودية اللتين هم غاية الخلق والأمر كمال الإنسان المرجو وسمَّوه المنشود، بل ليست حاجة الأرواح قط إلى شيء أعظم منها إلى معرفة بارئها وفاطرها ومحبته وذكره والابتهاج به، وطلب الوسيلة إليه والزلفى عنده، ولا سبيل إلى هذا إلا بمعرفة أوصافه وأسمائه، فكلما كان العبد بها أعلم كان بالله أعرف وله أطلب وإليه أقرب، ولكما كان لها أنكر كان بالله أجهل وإليه أكره ومنه أبعد، والله ينزل العبد من نفسه حيث ينزله العبد من نفسه).

بارك الله لي ولكم...

الخطبة الثانية

الحمد لله ولي المتقين، ولا عدوان إلا على الظالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله الحق المبين، وأشهد أن نبينا محمداً الصادق الأمين، صلى الله وسلم وبارك عليه، وعلى آله وصحبه أجمعين، والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

أسماء الرَّبِّ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ كلُّها أسماء مدح، ولو كانت ألفاظًا مجرَّدة لا معاني لها لم تدل على المدح، وقد وصفها الله سبحانه بأنها حسنى كلَّها فقال: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَاۖ وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ أَسۡمَٰٓئِهِۦۚ سَيُجۡزَوۡنَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٠]، فهي لم تكن حسنى لمجرَّد اللَّفظ بل لدلالتها على أوصاف الكمال.

ولهذا لماسمع بعض العرب قارئًا يقرأ ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقۡطَعُوٓاْ أَيۡدِيَهُمَا جَزَآءَۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلٗا مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٞ﴾ [المائدة: ٣٨].

أخطأ فقرأ: (والله غفور رحيم) قال: ليس هذا بكلام الله تعالى، فقال القارئ: أتكذِّب بكلام الله تعالى؟! فقال: لا، ولكن ليس هذا بكلام الله، فعاد إلى حفظه وقرأ: ﴿وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٞ﴾ فقال الأعرابي: صدقت؛ عزَّ فحكم فقطع، ولو غفر ورحم لمَا قَطع، ولهذا إذا ختمت آية الرحمة باسم عذاب أو بالعكس ظهر تنافر الكلام وعدم انتظامه.

عباد الله:

من آثار الإيمان باسمه سبحانه (المهيمن):

أولاً: لما كان من معاني (المهيمن) أنه الشاهد على خلقه بما يصدر منهم من قول أو عمل لا يغيب عنه من أعمالهم الباطنة والظاهرة شيء، فإن هذا الإيمان يثمر مراقبة الله ﷻ في السر والعلانية، ويثمر الخوف منه وإجلاله وتعظيمه.

وهذا الشعور يثمر البعد عن كل ما يسخط الله ﷻ من الأعمال البطانة والظاهرة، ولو ضعف العبد ووقع فيما يسخط الله تعالى، وجب عليه المسارعة في التوبة والإنابة إلى ربه ﷻ.

ثانيًا: ولما كان من معاني (المهيمن) القائم على خلقه بأعمالهم وآجالهم فإن الإيمان بهذا يثمر محبة الله ﷻ والتقرب إليه بالطاعات والقربات تعبداً له ﷻ وحبًا والتماسًا لمرضاته، وشكراً له على نعمائه وأفضاله وإحسانه، كما يثمر التوكل عليه وحده وتفويض الأمور إليه.

ثالثًا: ولما كان من صفات القرآن الكريم الذي هو كلام الله ﷻ أنه مهيمن على ما سبق من الكتب السماوية التي قبله لقوله سبحانه: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَـٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۖ فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ [المائدة: ٤٨] فإن الإيمان بهذا يثمر تعظيم كتاب الله ﷻ ومحبته والفرح به أعظم الفرح، وحمد الله وشكره على الهداية إليه. وهذا يقتضي الحكم به والتحاكم إليه، والعلم به، ورفض ما سواه.

هذا وصلوا...

(٦٦) الخطبة الأولى [(١)]

الحمد لله نصر عباده الموحدين، وخذل أعداءه المشركين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن نبينا محمد الصادق الأمين، أرسله الله إلى الناس أجمعين، صلى الله وسلم وبارك عليه، وعلى آله وأصحابه الغر الميامين، وعلى التابعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

فاتقوا الله حق التقوى، واعلموا أنكم مجزيون، وعلى أعمالكم محاسبون.

عباد الله:

اللذة التامة والفرح والسرور وطيب العيش والنعيم إنما هو في معرفة الله وتوحيده، والأنس به والشوق إلى لقائه، وأنكدُ العيش عيشُ قلبٍ مشتَّت، وفؤاد ممزَّق ليس له قصدٌ صحيح يبغيه، ولا مسار واضح يتَّجه فيه، تشعبت به الطرق، وتكاثرت أمامه السبل، وفي كل طريق كبوة وفي كل سبيل عثرة، حيرانَ يهيم في الأرض لا يهتدي سبيلا، ولو تنقل في هذه الدروب ما تنقل لن يحصل لقلبه قرار، ولا يسكن ولا يطمئن ولا تقر عينُه حتى يطمئنَّ إلا إلى

---

(١) اسم (النصير).

إلهه وربّه وسيِّده ومولاه، الذي ليس له من دونه وليٌّ ولا شفيع، ولا غنى له عنه طرفة عين.

قال السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ: (وسبيل هذه المعرفة يكون باستحضار معاني الأسماء الحسنى وتحصيلها في القلوب حتى تتأثر القلوب بآثارها ومقتضياتها، وتمتلئ بأجل المعارف، فمثلاً أسماء العظمة والكبرياء والمجد والجلال والهيبة تملأ القلب تعظيما لله وإجلالاً له، وأسماء الجمال والبر والإحسان والرحمة والجود تملأ القلب محبة لله وشوقا له وحمداً له وشكراً، وأسماء العز والحكمة والعلم والقدرة تملأ القلب خضوعًا لله وخشوعًا وانكساراً بين يديه، وأسماء العلم والخبرة والإحاطة والمراقبة والمشاهدة تملأ القلب مراقبة لله في الحركات والسكنات، وحراسة للخواطر عن الأفكار الرديَّة والإرادات الفاسدة، وأسماء الغنى واللطف تملأ القلب افتقارا واضطرارا إليه والتفاتًا إليه كل وقت في كل حال.

فهذه المعارف التي تحصل للقلوب بسبب معرفة العبد بأسمائه وصفاته، وتعبده بها لله لا يحصِّل العبد في الدنيا أجلّ ولا أفضل ولا أكمل منها، وهي أفضل العطايا من الله لعبده، وهي رُوح التوحيد ورَوْحُه، ومن انفتح له هذا الباب انفتح له باب التوحيد الخالص والإيمان الكامل).

عباد الله:

ومن أسماء الله تعالى اسم (النصير).

وقد ورد اسمه سبحانه (النصير) في القرآن في أربعة مواضع، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَإِن تَوَلَّوْاْ فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَىٰكُمْۚ نِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ﴾ [الأنفال: ٤٠]،

وقوله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦۚ هُوَ ٱجۡتَبَىٰكُمۡ وَمَا جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٖۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمۡ إِبۡرَٰهِيمَۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ مِن قَبۡلُ وَفِي هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيۡكُمۡ وَتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِۚ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعۡتَصِمُواْ بِٱللَّهِ هُوَ مَوۡلَىٰكُمۡۖ فَنِعۡمَ ٱلۡمَوۡلَىٰ وَنِعۡمَ ٱلنَّصِيرُ﴾ [الحج: ٧٨]، وقوله سبحانه: ﴿وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِأَعۡدَآئِكُمۡۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَلِيّٗا وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ نَصِيرٗا﴾ [النساء: ٤٥]، وقوله ﷻ: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوّٗا مِّنَ ٱلۡمُجۡرِمِينَۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيٗا وَنَصِيرٗا﴾ [الفرقان: ٣١].

وجاء بلفظ خير الناصرين في قوله تعالى: ﴿بَلِ ٱللَّهُ مَوۡلَىٰكُمۡۖ وَهُوَ خَيۡرُ ٱلنَّٰصِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٥٠].

ومعنى النصير في اللغة: نَصَرَهُ يَنْصُرَه نَصْراً، إذا أعانه على عَدُوِّه، والاسم النُّصْرة.

والنَّصِيرُ: النَّاصر، والجمع: الأنصار، مثل شريف وأشراف.

قال الراغب: (النَّصْرُ والنُّصْرةُ: العَون).

وأما معناه في حق الله تعالى: فقد قال: ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ في قوله: ﴿وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦۚ هُوَ ٱجۡتَبَىٰكُمۡ وَمَا جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٖۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمۡ إِبۡرَٰهِيمَۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ مِن قَبۡلُ وَفِي هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيۡكُمۡ وَتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِۚ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعۡتَصِمُواْ بِٱللَّهِ هُوَ مَوۡلَىٰكُمۡۖ فَنِعۡمَ ٱلۡمَوۡلَىٰ وَنِعۡمَ ٱلنَّصِيرُ﴾ [الحج: ٧٨] (يعني نعم الولي ونعم الناصر من الأعداء).

وقال ابن جرير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: في قوله سبحانه: ﴿بَلِ ٱللَّهُ مَوۡلَىٰكُمۡۖ وَهُوَ خَيۡرُ ٱلنَّٰصِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٥٠]، (وليكم وناصركم على أعدائه الذي كفروا: ﴿وَهُوَ خَيۡرُ

ﭽﭑﭼ لا مَنْ فررتم إليه من اليهود وأهل الكفر بالله!! فبالله الذي هو ناصرُكم ومولاكُم فاعْتصموا، وإياه فاستنصروا دون غيره ممن يبغيكم الغوائل ويرصدكم بالمكاره).

وقال في قوله سبحانه: ﴿وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِأَعۡدَآئِكُمۡۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَلِيّٗا وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ نَصِيرٗا﴾ [النساء: ٤٥]، وحسبكم بالله ناصراً لكم على أعدائكم وأعداء دينكم، وعلى من بَغَاكم الغَوائل، وبَغَى دينكم العِوج.

وقال في قوله سبحانه: ﴿وَنِعۡمَ ٱلنَّصِيرُ﴾: وهو النَّاصر.

وقال في قوله: ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَلِيّٗا وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ نَصِيرٗا﴾، يقول تعالى لنبيه: وكفى يا محمد بربك هادياً يهديك إلى الحقّ، ويبصرك الرشد.

(ونصيراً): يقول: ناصراً لك على أعدائك، يقول: فلا يهولنك أعداؤك من المشركين، فإني ناصرك عليهم، فاصبر لأمري، وامض لتبليغ رسالتي إليهم.

و(النصير): الذي تولى نصر عباده، ينصر المؤمنين على أعدائهم، ويثبت أقدامهم ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيَوۡمَ يَقُومُ ٱلۡأَشۡهَٰدُ﴾ [غافر: ٥١].

وبحسب ما يقوم به العبد للرسول ﷺ ظاهراً وباطناً، وقيامه بعبودية الله تعالى، تكون الكفاية والعزة والنصرة.

قال تعالى: ﴿وَلَقَدۡ سَبَقَتۡ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلۡمُرۡسَلِينَ ١٧١ إِنَّهُمۡ لَهُمُ ٱلۡمَنصُورُونَ ١٧٢ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلۡغَٰلِبُونَ﴾ [الصافات: ١٧١ - ١٧٣]، قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: تقدم في الكتاب الأول أن العاقبة للرسل وأتباعهم في الدنيا والآخرة).

وقال تعالى: ﴿وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾ قال الشيخ محمد بن إبراهيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (هذه صيغة حصر تحصر جميع أنواع الغَلْب، ولا نظن أنه لا يمكن تسلط أهل الشر في هذه الأزمان فإنه بسبب إضاعته، وإلا فدين الله محفوظ حتى أنه يحفظ مَنْ يقوم به، ولا نظنّ أنه يردّ عليه إدالة أهل الباطل بعض الأحيان؛ فإنه تمحيص ورفعة لأهل الحق، وغرور لأهل الباطل).

وقد أمر الله سبحانه عباده المؤمنين بنصره ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُوٓاْ أَنصَارَ ٱللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّـۧنَ مَنْ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِۖ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِۖ فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٌ مِّنۢ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَكَفَرَت طَّآئِفَةٌۖ فَأَيَّدْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُواْ ظَٰهِرِينَ﴾ [الصف: ١٤].

ومِنَ النصر لدين الله: تعلّم كتاب الله وسنة رسوله ﷺ والحث على ذلك، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وقد وعد الله مَنْ قام بذلك بالنصر والتأييد، فمن نصر الله بالقيام بدينه والدعوة إليه، وجهاد أعدائه، وقَصَد بذلك وجه الله؛ نصره الله وأعانه وقواه ﴿ٱلَّذِينَ أُخْرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًاۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحج: ٤٠].

ويقول الشيخ السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ عند قوله تعالى: (﴿وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَآئِكُمْۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ نَصِيرًا﴾ [النساء: ٤٥]: (﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَلِيًّا﴾، أي: يتولى أحوال عباده، ويلطف بهم، في جميع أمورهم، وييسر لهم ما به سعادتهم وفلاحهم.

﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ نَصِيرًا﴾ ينصرهم على أعدائهم، ويبين لهم ما يحذرون منهم يعينهم عليهم، فولايته تعالى، فيها حصول الخير، ونصره فيه زوال الشر).

و(النصير) هو الموثوق منه بأن لا يسلم وليه ولا يخذله، والله ﷻ النصير، ونصره ليس كنصر المخلوق: ﴿فَاطِرُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَمِنَ ٱلْأَنْعَٰمِ أَزْوَٰجًا ۖ يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ ۚ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

وقد سمى نفسه تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ باسم النصير، فقال: ﴿بَلْ كَذَّبُوا۟ بِٱلسَّاعَةِ ۖ وَأَعْتَدْنَا لِمَن كَذَّبَ بِٱلسَّاعَةِ سَعِيرًا﴾ [الفرقان: ٣١]، وقال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَآئِكُمْ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ نَصِيرًا﴾ [النساء: ٤٥]، وقال ﷻ: ﴿وَجَٰهِدُوا۟ فِى ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ ۚ هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ ۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِى هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ۚ فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِٱللَّهِ هُوَ مَوْلَىٰكُمْ ۖ فَنِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ﴾ [الحج: ٧٨]، وقال سبحانه: ﴿وَإِن تَوَلَّوْا۟ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَىٰكُمْ ۚ نِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ﴾ [الأنفال: ٤٠].

أيها المسلمون:

والله ﷻ هو النصير الذي ينصر عباده المؤمنين ويعينهم كما قال ﷻ: ﴿إِن يَنصُرْكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ ۖ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا ٱلَّذِى يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعْدِهِۦ ۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٠]، وقال ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تَنصُرُوا۟ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ [محمد: ٧]، وقال جَلَّ وَعَلَا: ﴿فِى بِضْعِ سِنِينَ ۗ لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ ۚ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝٤ بِنَصْرِ ٱللَّهِ ۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الروم: ٤ - ٥]، وقال سبحانه: ﴿ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ

وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذۡكَرُ فِيهَا ٱسۡمُ ٱللَّهِ كَثِيرٗاۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحج: ٤٠]، وقال ﷻ: ﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ رُسُلًا إِلَىٰ قَوۡمِهِمۡ فَجَآءُوهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَٱنتَقَمۡنَا مِنَ ٱلَّذِينَ أَجۡرَمُواْۖ وَكَانَ حَقًّا عَلَيۡنَا نَصۡرُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [الروم: ٤٧]، وقال تعالى: ﴿مَن كَانَ يَظُنُّ أَن لَّن يَنصُرَهُ ٱللَّهُ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ فَلۡيَمۡدُدۡ بِسَبَبٍ إِلَى ٱلسَّمَآءِ ثُمَّ لۡيَقۡطَعۡ فَلۡيَنظُرۡ هَلۡ يُذۡهِبَنَّ كَيۡدُهُۥ مَا يَغِيظُ﴾ [الحج: ١٥].

ونُصرةُ الله للعبد ظاهرة من هذه الآيات وغيرها، فهو ينصر من ينصره، ويعينه ويسدّده. أما نُصْرَة العبد لله فهي: أن ينصر عباد الله المؤمنين والقيام بحقوق الله ﷻ، ورعاية عهوده، واعتناق أحكامه، والابتعاد عما حرّم الله عليه، فهذا من نصرة العبد لربه، كما قال ﷻ: ﴿إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ﴾ وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُوٓاْ أَنصَارَ ٱللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ لِلۡحَوَارِيِّـۧنَ مَنۡ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِۖ قَالَ ٱلۡحَوَارِيُّونَ نَحۡنُ أَنصَارُ ٱللَّهِۖ فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٞ مِّنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَكَفَرَت طَّآئِفَةٞۖ فَأَيَّدۡنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَىٰ عَدُوِّهِمۡ فَأَصۡبَحُواْ ظَٰهِرِينَ﴾ [الصف: ١٤]، وقال: ﴿لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا رُسُلَنَا بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلۡنَا مَعَهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلۡقِسۡطِۖ وَأَنزَلۡنَا ٱلۡحَدِيدَ فِيهِ بَأۡسٞ شَدِيدٞ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعۡلَمَ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥ وَرُسُلَهُۥ بِٱلۡغَيۡبِۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٞ﴾ [الحديد: ٢٥]، ومن نصر الله بطاعته والابتعاد عن معصيته نصره الله نصراً مؤزّراً.

والله ﷻ: ينصر عباده المؤمنين على أعدائهم، ويبين لهم ما يحذرون منهم، ويعينهم عليهم، فولايته تعالى فيها حصول الخير، ونصره فيه زوال الشر.

وقد كان النبي ﷺ يقول إذا غزا: «**اللهم أنت عضدي، وأنت نصيري، بك أجُول وبك أصول، وبك أقاتل**» [رواه أبوداود].

والله ﷻ ينصـر عبـاده المـؤمنين في قـديم الـدهر وحديثـه في الـدنيا، ويُقِـرُّ أعينهم ممن آذاهم، ففي البخاري يقول الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: «**من عـادى لـي وليـًا فقد آذنتـه بـالحرب**»؛ ولهـذا أهلـك الله قـوم نـوح، وعـاد، وثمـود، وأصـحاب الرس، وقوم لوط، وأهل مدين، وأشباههم ممن كذَّب الرسل وخالف الحق، وأنجى الله تعالى من بينهم المؤمنين، فلم يهلك منهم أحداً، وعذب الكافرين فلم يفلت منهم أحداً.

وهكذا نصر الله نبيه محمداً ﷺ وأصحابه على من خالفه وكذبه، وعـاداه، فجعل كلمته هي العليا، ودينه هو الظاهر على سائر الأديان.. ودخل النـاس في دين الله أفواجـًا، وانتشر دين الإسلام في مشارق الأرض ومغاربها.

قال سبحانه: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ﴾ [غافر: ٥١].

هذا وصلوا...

الخطبة الثانية

الحمد لله ناصر عباده المؤمنين، وأشهد ألا إله إلا الله رب الأولين والآخرين، وأشهد أن نبينا محمداً الرسول الأمين، صلى الله وسلم وبارك عليه، وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

فقد وعد الله من ينصره بالنصر والتأييد، فمن نصر الله بالقيام بدينه والدعوة إليه، وجهاد أعدائه، وقصد بذلك وجه الله، نصره الله وأعانه وقوّاه، والله وعد وهو الكريم، وهو أصدق قيلا، وأحسن حديثا، فقد وعد أن الذي ينصره بالأقوال والأفعال سينصره مولاه، ويُيَسِّرُ له أسباب النصر من الثبات وغيره.

وقد بيّن الله ﷻ علامة من ينصر الله فمن ادّعى أنّه ينصر الله وينصر دينه، ولم يتصف بهذا الوصف، فهو كاذب. قال ﷻ: ﴿ٱلَّذِينَ أُخْرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًاۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ۝ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْاْ عَنِ ٱلْمُنكَرِۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ﴾ [الحج: ٤٠ - ٤١]، فهذا علامة من ينصر الله وينصره الله.

وقد أمر الله عباده المؤمنين بنصره ﷻ فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُوٓاْ أَنصَارَ ٱللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّـۧنَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِۖ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ

أَنصَارُ ٱللَّهِۖ فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٞ مِّنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَكَفَرَت طَّآئِفَةٞۖ فَأَيَّدۡنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَىٰ عَدُوِّهِمۡ فَأَصۡبَحُواْ ظَٰهِرِينَ﴾ [الصف: ١٤]، ومن نصرِ دين الله تعلُّم كتاب الله وسنة رسوله وتعليمه، والحث على ذلك، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

عباد الله:

من آثار الإيمان باسمه سبحانه (الناصر):

أولاً: الثقة في نصر الله تعالى لعباده المؤمنين وعدم الرهبة من قوة الكافرين إذا أخذ بالأسباب، والتوكل على الله وحده في ذلك؛ فالمنصور من نصره الله تعالى، والمخذول من خذله. قال سبحانه: ﴿إِن يَنصُرۡكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمۡۖ وَإِن يَخۡذُلۡكُمۡ فَمَن ذَا ٱلَّذِي يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعۡدِهِۦۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٠].

وقال الله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ رُسُلًا إِلَىٰ قَوۡمِهِمۡ فَجَآءُوهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَٱنتَقَمۡنَا مِنَ ٱلَّذِينَ أَجۡرَمُواْۖ وَكَانَ حَقًّا عَلَيۡنَا نَصۡرُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [الروم: ٤٧]، وقال سبحانه: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيَوۡمَ يَقُومُ ٱلۡأَشۡهَٰدُ﴾ [غافر: ٥١].

ثانيًا: من آثار اسمه سبحانه (الناصر) أنه يدفع المؤمن للأخذ بأسباب نصر الله تعالى له في الدنيا والآخرة، وذلك بالخضوع لأمره وشريعته ونصر دينه في نفسه وفي مجتمعه.

ثالثًا: شعور العبد بحاجته لنصرة الله تعالى في جميع أحواله وشؤونه كلها وأنه لا يستغني عن نصر ربه له طرفة عين، فهو محتاج إلى أن ينصره الله ﷻ على هواه ونفسه، وهو محتاج إلى نصرة الله تعالى له على شيطانه من الإنس والجن، وهو محتاج إلى نصرة الله له على أعدائه الكافرين.

هذا وصلوا...

٦٧ الخطبة الأولى (١)

الحمد لله الواسع العليم، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن نبينا محمداً عبده ورسوله، وصفيه وخليله، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه والتابعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

فاتقوا الله حق التقوى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ﴾ [الحشر: ١٨].

عباد الله:

ربنا – سبحانه – مستوٍ على عرشه يكلم ملائكته، ويسمع أصوات خلقه، ويرى أفعالهم وحركاتهم، ويشاهد بواطنهم كما يشاهد ظواهرهم، يأمر وينهى، ويرضى ويغضب، ويحب ويسخط، ويضحك من قنوطهم وقُرْبِ غِيَرِهِ، يجيب دعوة مضطرهم، ويغيث ملهوفهم، ويعين محتاجهم، ويجبر كسيرهم، ويغني فقيرهم، ويميت ويحيي، ويمنع ويعطي، يؤتي الحكمة من يشاء، مالك الملك، يؤتي الملك من يشاء، وينزع الملك ممن يشاء، ويعز من يشاء، ويذل من يشاء، بيده الخير وهو على كل شيء قدير، كل يوم هو في

---

(١) اسم (الواسع).

شأن، يغفر ذنبًا ويفرج كربًا، ويفك عانيًا، وينصر مظلومًا، ويرحم مسكينًا، ويغيث ملهوفًا، ويسوق الأقدار إلى مواقيتها، ويجريها على نظامها، ويقدم ما يشاء تقديمه، ويؤخر ما يشاء تأخيره، فالأمور كلها بيده.

عباد الله:

من أسماء الله ﷻ اسم (الواسع) وقد ورد ذكر هذا الاسم الكريم في القرآن الكريم في تسع آيات منها:

قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ١١٥]، وقوله تعالى: ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا ۚ قَالُوٓا۟ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِٱلْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ ٱلْمَالِ ۚ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِى ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِ ۖ وَٱللَّهُ يُؤْتِى مُلْكَهُۥ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٤٧].

وقوله تعالى: ﴿ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٦٨]، وقوله سبحانه: ﴿وَإِن يَتَفَرَّقَا يُغْنِ ٱللَّهُ كُلًّا مِّن سَعَتِهِۦ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ وَٰسِعًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ١٣٠]، وقوله تبارك وتعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [المائدة: ٥٤].

والمعنى اللغوي للواسع: السعة: نقيض الضيق. وشيء وسيع وأُسيع: واسع.

وقال الجوهري: (والوُسْع والسعة: الجدة والطاقة.. وأوسع الرجل إذا صار ذا سعة وغنى).

وقال الزجاج: (أصل السعة في الكلام: كثرة أجزاء الشيء، يقال: إناء واسع، وبيت واسع، ثم قد يستعمل في الغنى. يقال: فلان يعطي من سعة، يراد من غنى وجده).

ومعناه في حق الله تعالى:

قال في اللسان: (الواسع هوالذي وسع رزقه جميع خلقه، ووسعت رحمته كل شيء، وغناه كل فقر).

ويقول الخطابي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (الواسع: هو الغني الذي وسع غناه مفاقر عباده، ووسع رزقه جميع خلقه، والسعة في كلام العرب: الغنى. ويقال: الله يعطي عن سعة؛ أي عن غنى).

ويقول الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: عند قوله تعالى: ﴿وَمَا يَفۡعَلُواْ مِنۡ خَيۡرٖ فَلَن يُكۡفَرُوهُۗ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلۡمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ١١٥]: (يعني جل ثناؤه بقوله: (واسع) أي: يسع خلقه كلهم بالكفاية والاتصال والجود والتدبير).

ويقول السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (الواسع الصفات والنعوت ومتعلقاتها بحيث لا يحصي أحد ثناء عليه، بل هو كما أثنى على نفسه، واسع العظمة والسلطان والملك، واسع الفضل والإحسان، عظيم الجود والكرم).

ويلاحظ في هذا المعنى أن كل واحد منها أخذ ببعض معان مقتضيات هذا الاسم الجليل، وإلا فاسم (الواسع) يشمل كما قال الشيخ السعدي جميع الصفات والنعوت، فهو الواسع في علمه، وهو الواسع في غناه، وهو الواسع في فضله وإنعامه وجوده، وهو الواسع في قوته وعظمته وجبروته، وهو الواسع في قدرته، والواسع في حكمته، وهو الواسع في مغفرته ورحمته. قال تعالى: ﴿وَإِن يَتَفَرَّقَا يُغۡنِ ٱللَّهُ كُلّٗا مِّن سَعَتِهِۦۚ وَكَانَ ٱللَّهُ وَٰسِعًا حَكِيمٗا﴾ [النساء: ١٣٠].

و(الواسع): أي الواسع الصفات والنعوت ومتعلقاتها، بحيث لا يُحصي أحدٌ ثناء عليه، بل هو كما أثنى على نفسه، واسع العظمة والسلطان والملك، واسع الفضل والإحسان عظيم الجود والكرم.

وَسِعَ سُبحانه علمه كل شيء ﴿وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ [الأنعام: ٨٠].

ووسعت رحمته كل شيء ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٦].

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: (وكان هذا الكتاب العظيم الشأن أي: «**إن رحمتي سبقت غضبي**» كالعهد من الله سبحانه للخليقة كلّها، بالرحمة لهم والعفو، والصفح عنهم، والمغفرة، والتجاوز، والستر والإمهال، والحلم، والأناة، ولولاه لكان للخلق شأن آخر).

ورزقه واسع: مِنْ ذلك: أنه إذا تعذر الوفاق بين الزوجين وتفرقا، فمن فضله سبحانه وإحسانه الواسع أنَّه يغني الزوج عنها، ويغنيها عنه، بأن يعوضه الله من هو خير له منها، ويعوضها عنه بمن هو خير لها منه كما قال تعالى: ﴿وَإِن يَتَفَرَّقَا يُغْنِ اللَّهُ كُلًّا مِّن سَعَتِهِ وَكَانَ اللَّهُ وَاسِعًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ١٣٠].

ومغفرته واسعة ﴿الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ فَلَا تُزَكُّوا أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَىٰ﴾ [النجم: ٣٢].

وسّعَ على عباده في دينهم فلم يكلفهم ما ليس في وُسْعهم ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا

طَاقَةَ لَنَا بِهِۦۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٨٦].

عباد الله:

الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَى واسع يسع خلقه كلهم بالكفاية والإفضال والجود والتدبير؛ فالله هو الغني الذي وسع رزقه جميع خلقه، فلا تجد أحداً إلا وهو يأكل من رزقه، ولا يقدر أن يأكل من غير ما رزقه، وسعت رحمته كل شيء، وغناه كل فقر، وهو الكثير العطاء الذي يسع العطاء الذي يسع لما يُسأل، وهو المحيط بكل شيء كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَآ إِلَٰهُكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ وَسِعَ كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا﴾ [طه: ٩٨].

فالواسع قد يتضمن من المعنى ما لا يتضمنه الغني حيث يقال: واسع الفضل وواسع الرحمة، وقد عمت رحمته كل شيء، وأحاط علمه بكل شيء، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُواْ وَٱتَّبَعُواْ سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ﴾ [غافر: ٧].

ويقتضي هذا الاسم الاعتراف بأنه لا يعجزه شيء، ولا يخفى عليه؛ فهو الكثير مقدوراته ومعلوماته سبحانه.

والله الواسع الصفات والنعوت ومتعلقاتها، بحيث لا يحصي أحد ثناء عليه، بل هو كما أثنى على نفسه، وهو واسع العظمة والسلطان والملك، واسع الفضل والإحسان، عظيم الجود والكرم.

فقد تكرر اسمه (الواسع) في عدة مواضع من القرآن، قال تعالى: ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا ۚ قَالُوٓاْ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِٱلْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ ٱلْمَالِ ۚ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِى ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِ ۖ وَٱللَّهُ يُؤْتِى مُلْكَهُۥ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٤٧]، وقال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ فَأَيْنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ١١٥].

ومعناه: الواسع الصّفات والنّعوت، ومتعلقاتها، بحيث لا يحصي أحداً ثناءً عليه، بل هو كما أثنى على نفسه، واسع العظمة والسّلطان والملك، واسع الفضل والإحسان، عظيم الجود الكرم.

قال تعالى: في بيان سعة علمه: ﴿وَحَآجَّهُۥ قَوْمُهُۥ ۚ قَالَ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّى فِى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنِ ۚ وَلَآ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّى شَيْـًٔا ۗ وَسِعَ رَبِّى كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ۗ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾ [الأنعام: ٨٠]، وقال تعالى: ﴿إِنَّمَآ إِلَٰهُكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَسِعَ كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا﴾ [طه: ٩٨].

وقال تعالى في بيان سعة رحمته: ﴿وَٱكْتُبْ لَنَا فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ ۚ قَالَ عَذَابِىٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنْ أَشَآءُ ۖ وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ ۚ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٦]، وقال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُواْ وَٱتَّبَعُواْ سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ﴾ [غافر: ٧]، وقال تعالى: ﴿فَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل رَّبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَٰسِعَةٍ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُۥ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ [الأنعام: ١٤٧].

وقال تعالى في بيان سعة رزقه: ﴿وَإِن يَتَفَرَّقَا يُغْنِ ٱللَّهُ كُلاًّ مِّن سَعَتِهِۦ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ وَٰسِعًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ١٣٠]، وقال تعالى: ﴿وَلَا تُؤْمِنُوٓاْ إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنَّ ٱلْهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ أَن يُؤْتَىٰٓ أَحَدٌ مِّثْلَ مَآ أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَآجُّوكُمْ عِندَ رَبِّكُمْ ۗ قُلْ إِنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [آل عمران: ٧٣]، وقال تعالى: ﴿وَأَنكِحُواْ ٱلْأَيَـٰمَىٰ مِنكُمْ وَٱلصَّـٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْ ۚ إِن يَكُونُواْ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [النور: ٣٢].

وقال تعالى: في بيان سعة مغفرته: ﴿ٱلشَّيْطَـٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلاً ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٦٨]، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ [النجم: ٣٢]، وقال تعالى: ﴿قُلْ يَـٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الزمر: ٥٣].

وقال تعالى في بيان سعة ثوابه: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّاْئَةُ حَبَّةٍ ۗ وَٱللَّهُ يُضَـٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٦١].

ومن شواهد اسمه (الواسع) أنه سبحانه وسَّع على عباده في دينهم فلم يكلفهم ما ليس في وسعهم، قال تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ ۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ ۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَـٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٨٦]، وقال تعالى: ﴿أَوْ كَٱلَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ

عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحۡيِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعۡدَ مَوۡتِهَاۖ فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِاْئَةَ عَامٖ ثُمَّ بَعَثَهُۥۖ قَالَ كَمۡ لَبِثۡتَۖ قَالَ لَبِثۡتُ يَوۡمًا أَوۡ بَعۡضَ يَوۡمٖۖ قَالَ بَل لَّبِثۡتَ مِاْئَةَ عَامٖ فَٱنظُرۡ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمۡ يَتَسَنَّهۡۖ وَٱنظُرۡ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجۡعَلَكَ ءَايَةٗ لِّلنَّاسِۖ وَٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡعِظَامِ كَيۡفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكۡسُوهَا لَحۡمٗاۚ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥ قَالَ أَعۡلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾ [البقرة: ٢٥٩] وقال تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمۡۚ وَخُلِقَ ٱلۡإِنسَٰنُ ضَعِيفٗا﴾ [النساء: ٢٨].

فللّه الحمد على ما منّ ويسَّر حمداً كثيراً طيبـًا مباركـًا فيه، كما يحب ربُّنا ويرضى.

بارك الله لي ولكم...

الخـــطـــبـــة الثـــانيـــة

الحمد لله، أحمده وأشكره، وأثني عليه الخير كله، وأشهد أن لا إلـه إلا الله وحده لا شريك له، وأشـهد أن محمـداً عبـده ورسـوله، وصـفيه وخليلـه، أدى الأمانة، ونصح الأمة، وجاهد في الله حق جهاده، فصلوات ربي وسلامه عليه، وعلى آله وصحبه والتابعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

فإن من آثار اسمه الواسع:

سعة جود الله وكرمه: أما سعة جود الله وكرمه، وإحسانه وبسط نعمه فباب كبير، يلحظه العباد فيما ينزله الله من السماء من ماء، وما تجري به الأنهار، في جنبات الأرض ومشرقه ومغربه، وما يخرجه الله من نبات الأرض وأشجارها وثمارها، وما تموج به البحار من خيرات مما لا يعلمه ولا يحصيه إلا رب العباد، ومنها ما يوسع الله به على بعض خلقه دون بعض، كما قال سبحانه: ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا ۚ قَالُوٓا۟ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِٱلْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ ٱلْمَالِ ۚ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِى ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِ ۖ وَٱللَّهُ يُؤْتِى مُلْكَهُۥ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٤٧]، وقال: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّا۟ئَةُ حَبَّةٍ ۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٦١]، وقال: ﴿وَأَنكِحُوا۟ ٱلْأَيَٰمَىٰ مِنكُمْ وَٱلصَّٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْ ۚ إِن يَكُونُوا۟ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [النور: ٣٢].

وكذلك سعة علم الله: وعلم الله أيضـًا واسع، كما قال سبحانه: ﴿إِنَّمَآ إِلَـٰهُكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَسِعَ كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا﴾ [طه: ٩٨]، وقال: ﴿قَدِ ٱفْتَرَيْنَا عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِى مِلَّتِكُم بَعْدَ إِذْ نَجَّىٰنَا ٱللَّهُ مِنْهَا ۚ وَمَا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّعُودَ فِيهَآ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّنَا ۚ وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ۚ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا ۚ رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْفَـٰتِحِينَ﴾ [الأعراف: ٨٩].

ولسعة علـم الله فإن الله لا يخفى عليه شـيء في الأرض ولا في السـماء، لا من الجماد، ولا من الحيوان، ولا النبات، سواءً كـان صـغيراً أو كبيـراً، ظـاهراً أو خفيـًا.

هذه وصلوا وسلموا...

٦٨ الخطبة الأولى (١)

الحمد لله نحمده ونستعينه، ونستغفره ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَـٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠ - ٧١].

أما بعد:

فاتقوا الله حق التقوى، فإنها وصية الله للأولين والآخرين. ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾ [النساء: ١٣١].

---

(١) اسم (الوتر).

عباد الله:

ربنا ﷻ واحد أحد، فرد صمد، لا رب لنا سواه، له من الأسماء أكملها وأتمها وأحسنها، أسماء حسنى، وصفات عليا.

ومن أسماء الله تعالى اسم (الوتر).

ولم يرد ذكر هذا الاسم الكريم في القرآن الكريم، وإنما ورد في حديث النبي ﷺ حيث روى أبو هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**إن لله تسعة وتسعين اسمًا مائة إلا واحد؛ لا يحفظها أحد إلا دخل الجنة، وهو وتر يحب الوتر**» [رواه البخاري].

وعن علي رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ أوتر ثم قال: «**أوتروا يا أهل القرآن فإن الله وتر يحب الوتر**» [رواه أبو داود].

والوِتر والوَتر في اللغة: الفرد أو ما لم يتشفع من العدد. وأوتره: أفذه.

وأوتر الرجل: صلى الوتر. وهي ركعة تكون بعد صلاته مثنى ومثنى من الليل.

والمعنى في حق الله تعالى:

قال ابن قتيبة رحمه الله: (الله ﷻ وتر وهو واحد).

وقال الخطابي رحمه الله: (الوتر) هو الفرد الذي لا شريك له ولا نظير).

وقال ابن حجر رحمه الله: (الوتر) الفرد، ومعناه في حق الله أنه الواحد الذي لا نظير له في ذاته ولا انقسام).

و(الوتر): هو الفرد الذي لا شريك له ولا نظير، فهو اسمٌ دالٌّ على وحدانية الله سبحانه، وتفرده بصفات الكمال، ونعوت الجلال، وأنه ليس له شريك ولا

مثيل في شيء منها، منها، والنّصوص الكثيرة في القرآن الكريم، في نفي النِّدِّ والمثل والكفؤ والسميّ عن الله تدلّ على ذلك وتقرره أوضح تقرير.

قال الله تعالى: ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٢]، وقال تعالى: ﴿فَاطِرُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَمِنَ ٱلْأَنْعَٰمِ أَزْوَٰجًا ۖ يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ ۚ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]، وقال تعالى: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ [الإخلاص: ٤]، وقال تعالى: ﴿رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ ۚ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا﴾ [مريم: ٦٥].

وفي الإيمان بأن الله وترٌ نفيٌ للشريك من كل وجه؛ في الذات والصفات والأفعال، وإقرارٌ بتفرُّده سبحانه بالعظمة والكمال، والمجد والكبرياء والجلال، وكذلك فيه إقرارٌ بتفرده بخلق الكائنات وإبداع البريات وإيجاد المخلوقات، والتصرف فيها بما يشاء، فلا ندّ له، ولا شبيه، ولا نظير، ولا مثيل.

وهذا الإقرار موجبٌ يُفرَد وحده بالذُّلّ والخضوع والحبِّ والرّجاء والتّوكل والإنابة وسائر أنواع العبادة، وفي القرآن آيٌ كثيرة يقرِّر فيها سبحانه المشركين بما لا يسعهم إنكاره ولا مناص لهم من إثباته، ولا مخلص لهم من الاعتراف به من تفرّده بالرِّزق والملك والتدبير والإحياء في وجوب توحيده وإفراده بالعبادة، وإبطال ما هم عليه من الشرك الفاضح، والكفر المبين، بالعكوف على من لا يملك لهم ضرّا ولا نفعا ولا موتا ولا حياة ولا نشورا.

قال القرطبيّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (والوتر يُراد به التوحيد، فيكون المعنى: إنّ الله في ذاته

وكماله وأفعاله واحدٌ، ويحبُّ التوحيد، أي: يُوحَّد ويُعتقد انفرادُه دون خلقه، فيلتئمُ أوّل الحديث وآخرُه، وظاهره وباطنُه).

فأوّل الحديث إخبارٌ بوحدانية الله وتفرُّده بالجلال والكمال، والخلق والتصرف والتدبير، وآخره ترغيب في التوحيد وحضٌّ عليه ببيان حبه سبحانه لأهله القائمين به المحافظين عليه.

وكم في القرآن من الآي في تقرير هذا التوحيد وإبطال الشرك والتنديد، قال الله تعالى: ﴿يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ ءَأَرۡبَابٞ مُّتَفَرِّقُونَ خَيۡرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ﴾ [يوسف: ٣٩]، وقال تعالى: ﴿قُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَىٰٓۗ ءَآللَّهُ خَيۡرٌ أَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾ [النمل: ٥٩]، وكم فيه من ذكر الحجج الواضحات، والبراهين البينات، والدلائل الساطعات وإرشاد العباد في الاستدلال على وحدانيته بآياته وسننه الكونية، وتفرده سبحانه بتصريف المخلوقات وتدبير الكائنات بما هو أبين دليل على تفرده بالإلهية واستحقاقه أن يعبد وحده لا شريك له.

قال ابن القيِّم رَحِمَهُ اللَّهُ: (كلُّ سورة في القرآن متضمِّنة لنوعي التوحيد، بل نقول قولاً كليّاً: إنَّ كلَّ آية في القرآن فهي متضمّنة للتّوحيد، شاهدة به، داعية إليه، فإن القرآن إما خبر عن الله وأسمائه وصفاته وأفعاله، فهو التوحيد العلمي الخبري، وأما دعوة إلى عبادته وحده لا شريك له، وخلع كل ما يعبد من دونه، فهو التوحيد الإرادي الطَّلبي، وإما أمر ونهي وإلزام بطاعته في نهيه وأمره فهي حقوق التوحيد ومكملاته، وإمَّا خبر عن كرامة الله لأهل توحيده وطاعته، وما فعل بهم في الدنيا، وما يكرمهم به في الآخرة؛ فهو جزاء توحيده،

وإمَّا خبر عن أهل الشِّرك وما فعل بهم في الدُّنيا من النَّكال، وما يحلُّ بهم في العقبى من العذاب؛ فهو خبرٌ عمَّن خرج عن حكم التوحيد، فالقرآن كلُّه في التوحيد وحقوقه وجزائه، وفي شأن الشرك وأهله وجزائهم).

وقد بيَّن جَلَّوَعَلَا في القرآن الكريم أن المتخذين شفعاء مشركون به، وأنهم لا يملكون لعابديهم شيئًا من الخير والنفع، قال الله تعالى: ﴿أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُفَعَآءَۚ قُلۡ أَوَلَوۡ كَانُواْ لَا يَمۡلِكُونَ شَيۡـٔٗا وَلَا يَعۡقِلُونَ﴾ [الزمر: ٤٣].

وقال تعالى: ﴿وَيَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمۡ وَلَا يَنفَعُهُمۡ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِۚ قُلۡ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعۡلَمُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾ [يونس: ١٨].

فمتّخذ الشفيع مشركٌ لا تنفعه شفاعته ولا يشفع له، ومتَّخذ الربِّ وحده إلهه ومعبوده ومحبوبه ومرجوه ومخوفه الذي يتقرب إليه وحده، ويطلب رضاه، ويتباعد عن سخطه سبحانه مؤمنٌ موحِّد، له العاقبة الحميدة والسعادة والفلاح في الدنيا والآخرة.

فالوتر في أسماء الله فيه الدلالة على وحدانية الله ووجوب توحيده وإفراده وحده بالعبادة، وحبه سبحانه للوتر إنّما هو في حقّ من يعبد الله بالوحدانية والإخلاص ونبذ الشّريك والندّ.

إضافة إلى أنه ينتظم في معناه حبّه سبحانه لكل وترٍ شَرَعَه، حيث أمر بالوتر في كثير من الأعمال والطّاعات، كما في الصّلوات الخمس، ووتر الليل، وأعداد الطهارة، وتكفين الميّت، ونحو ذلك، لما رواه الإمام أحمد، وأهل (السنن) وصحَّحه ابن خزيمة واللفظ له عن علي بن أبي طالب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: أنه

قال: «إن الوتر ليس بحتم كصلاتكم المكتوبة، ولكن رسول الله ﷺ أوتر ثم قال: «أوتروا يا أهل القرآن، فإنَّ الله وتر يحبُّ الوتر» [رواه أحمد].

وكان نبيُّنا ﷺ يراعي الوترَ في سائر شؤونه، فجاء عنه الاصطباح بسبع تمرات، وشرب الماء في أنفاس ثلاثة، والاستغفار ثلاثا أدبار الصلوات المكتوبة، وفي كثير من الأذكار الدّعوات يأتي بها وتراً إما مرةً أو ثلاثًا أو سبعًا إلى غير ذلك مما ورد عنه ﷺ في سنته القويمة، وهديه المبارك.

ومِن حُبِّ الله سبحانه للوتر خصَّ تسعةً وتسعين اسمًا من أسمائه الحسنى والواردة في القرآن والسنة بأنَّ مَن أحصاها حفظا لها وفهمًا لمدلولها، وقياما بالعبوديات التي تقتضيها دخل الجنة.

وقد سُئل الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ الله: هل (الوتر) من الأسماء الحسنى، أم صفة من صفاته؟

فأجاب: (يحتمل أن يكون أسمًا من أسماء الله، ويحتمل ألا يكون، لأن بعض العلماء ذكر قاعدة، قال: ما جاء معرفًا بأل فهو من أسماء الله، وما لم يأت معرفًا فهو صفة من صفات الله. وبعض العلماء يقول: كل صفة من صفات الله وصف الرسول بها ربه؛ فإنها أسم، وعلى هذا يتنزل الجواب: إن قلنا بأن أسماء الله هي المقرونة بأل، فالوتر لا أعلمه جاء مقرونًا بأل، وإن قلنا؛ كل ما أثبته الله لنفسه، أو أثبته الرسول سواء بأل أو بغير أل فهو اسم، قلنا أن الوتر من أسماء الله، والله أعلم).

عباد الله:

يُسأل الله تعالى بهذا الاسم (الوتر) باستحضار معناه، وأنه ﷻ واحد لا شريك له، ولا نظير له، متفرد عن خلقه، بائن منهم بصفاته، يحب من عبده

أن يفرده بربوبيته، وألوهيته، وأسمائه وصفاته، فلا يجعل لـه فيهـا شـفعـًا، ولا شبيهـًا، ولا نداً، ولا شريكـًا.

ثم يمكن للسائل أن يدعو الله بإسمائه وصفاته، متضمنة هذا الاسم، فيقول مثلاً: اللهم إني أسألك بأنك أنت الواحد الأحد الصمد الوتر أن تغفر لي، أو تقضي حاجتي، أو يقول: اللهم يا وتر، اجعلني من عبادك الموحدين المخلصين. فيذكر الاسم في الدعاء من جملة ما يذكر من أسماء الله تعالى، مستحضراً معناه، متوسلاً إلى الله تعالى به، بما تضمنه من معاني وحدانيته وألوهيته ممتثلاً قول الله ﷻ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠].

بارك الله لي ولكم...

الخـــطـبـة الثـــانيـــة

الحمد لله حمداً كثيراً طيبـًا مباركـًا فيـه، وأشـهد أن لا إلـه إلا الله وحـده لا شريك له، وأشهد أن نبينا محمداً عبده ورسوله وصفيه وخليلـه، بلـغ الرسـالة وأدى الأمانة، وجاهد في الله حق جهاده، فصلوات ربي وسلامه عليـه، وعلـى آله وأصحابه وأتباعه، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين

أما بعد:

فإن من آثار الإيمان باسمه سبحانه (الوتر):

إفراد الله بالوحدانية، ومحبة كل ما ورد في الشرع من السنة التي أعدادها وِتر.

وكذلك الحرص في الأقوال والأعمال على إيقاعها وتراً حسـب مـا ورد في السنة من الحث على إنهاء بعض الأقـوال والأعمـال علـى وتـر؛ لأنـه سـبحانه وتر يحب الوتر.

والمتتبع لكثيـر مـن الأذكـار والأعمـال التـي جـاءت في الشـريعة يجـد أنهـا تنتهي بوتر؛ وبخاصة الواحد، والثلاثة، والسبعة.

وقد جاء الحث على صلاة الوتر حيث يختم الليل بها.

قال ﷺ: «**إِنَّ اللهَ وِتْرٌ يُحِبُّ الْوِتْرَ، فَأَوْتِرُوا يَا أَهْلَ الْقُرْآنِ**» [رواه الترمذي].

و(الوتر): هو الفرد الذي لا شريك لـه ولا نظيـر، فهـو سـبحانه واحـد في ذاتـه، واحد في صفاته، فلا شبه له مثل، واحد في أفعاله، فلا شريك له ولا معين.

وهو سبحانه وِتْر: يحب الوِتْر، وقد ظهرت آثار هذه المحبة في مخلوقاته وشرائعه: الشرائع التي شرعها الله نَجِد أن أكثرها وتر، ينقطع بوتر: الصلوات الخمس عددها سبع عشرة ركعة، وهي وتر، صلاة الليل إحدى عشرة ركعة، وهي وتر.

كذلك المخلوقات: أعظم ما نعلم من المخلوقات: العرش وهو واحد، ثم السموات وهنّ سبع ثم الأرضون وهنّ سبع، فنجد أن الوترية ظهرت في مشروعات الله، وفي مخلوقات الله ﷻ، لأن الله وتر يحب الوتر.

هذا وصلوا...

۞ ۞ ۞

(٦٩) الخطبة الأولى [(١)]

الحمد لله الغني الوهاب، بيده خزائن كل شيء، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، بلغ الرسالة وأدى الأمانة، ونصح الأمة، وجاهد في الله حق جهاده حتى أتاه اليقين، فصلوات ربي وسلامه عليه، وعلى آله وصحبه أجمعين، والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

فأوصيكم ونفسي بتقوى الله ﴿وَٱتَّقُواْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٨١].

عباد الله:

من أسماء الله تعالى اسم (الوهاب) وقد ورد اسمه سبحانه (الوهاب) ثلاث مرات في القرآن الكريم، وذلك في قوله ﷻ: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ﴾ [آل عمران: ٨]، وقوله سبحانه: ﴿أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ ٱلْعَزِيزِ ٱلْوَهَّابِ﴾ [ص: ٩]، وقوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ﴾ [ص: ٣٥].

---

(١) اسم (الوهاب).

والهبة في اللغة: العطية الخالية عن الأعراض والأغراض، فإذا كثرت سمي صاحبها وهابًا، وهو من أبنية المبالغة، وكل ما وهب لك من ولد وغيره فهو موهوب، والوَهُوب: الرجل الكثير الهبات.

والمعنى في حق الله تعالى:

قال ابن جرير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: عند قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ﴾ [آل عمران: ٨] (يعني إنك أنت المعطي عبادك التوفيق والسداد للثبات على دينك وتصديق كتابك ورسلك)، وقال أيضًا: (إنك وهاب ما تشاء لمن تشاء، بيدك خزائن كل شيء تفتح من ذلك ما أردت لمن أردت).

و(الوهَّاب): صيغة من واهب، وهو الكثير الهبات والعطايا التي يتقلب فيها أهل سماواته وأرضه، والتي لا تنفك عنهم طرفة عين منذ أن خلق السموات والأرض.

وقد ذكر الله في كتابه أنواعًا من الهبات، وذكر توجه أنبيائه والصالحين من عباده في طلبها ونيلها، فقد وهب سُبحانه زكريا عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ذرية طيبة بعد بلوغه من الكبر عتيًا ﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥ قَالَ رَبِّ هَبْ لِى مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ﴾ [آل عمران: ٣٨]، وسأل سليمان عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ربّه ﴿فَسَخَّرْنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجْرِى بِأَمْرِهِۦ رُخَآءً حَيْثُ أَصَابَ ﴿٣٦﴾ وَٱلشَّيَٰطِينَ كُلَّ بَنَّآءٍ وَغَوَّاصٍ﴾ [ص: ٣٦ - ٣٧].

وهو سبحانه واهب العلوم النافعة لعباده الصالحين، نقل ابن المرّي في حديثه عن البخاري: (ومن المعلوم أنَّ البخاري مع جلالة قدره أُخرج طريداً ثم مات بعد ذلك غريبًا، وعوّضه الله عن ذلك بما لا يخطر في باله، ولا مرّ في

خياله من عكوف الهمم على كتابه، وشدة احتفالها به، وترجيحها له على جميع كتب السنن، وذلك لكمال صحته، وعظيم قدره، وحسن تربيته، وجميل نية مؤلفه وغير ذلك من الأسباب).

وهو سبحانه واهب الأموال والأرزاق، فعلى العبد إذا وهبه الله مالاً أن لا يعلّق قلبه بهذا المال فيصدّه عن الطاعات أو يقصر فيها، فإنّه إذا تعلق قلبه بهذا المال صار مستعبداً له، قال ﷺ: «تَعِسَ عَبْدُ الدِّينَارِ والدِّرْهَمِ...» [رواه البخاري]، فالواجب على العبد أن يكون هذا المال في يده لا في قلبه، يؤدي ما أمر الله به، ويترك ما حرم عليه، يكسبه من وجه حلال، وينفقه فيما يقربه إلى ربّ العزة والجلال، ويجانب إنفاقه في الحرام، قال سلمة بن دينار: (كل نعمة لا تقربك إلى الله فهي بلية).

وعلى المرء أن يحمد الله ﷻ على عطاياه وهباته، ولا ينسب منها شيء لجهده وحذقه وعلمه، كما قال من كفر بنعمة الله ﴿قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلۡمٍ عِندِيٓۚ أَوَلَمۡ يَعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَهۡلَكَ مِن قَبۡلِهِۦ مِنَ ٱلۡقُرُونِ مَنۡ هُوَ أَشَدُّ مِنۡهُ قُوَّةً وَأَكۡثَرُ جَمۡعًاۚ وَلَا يُسۡـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلۡمُجۡرِمُونَ﴾ [القصص: ٧٨].

بل يحمد الله ويشكره، وأن يجعل ما وهبه الله عوناً على طاعته، وكان ديدن الأنبياء الحمد والشكر للوهاب سبحانه، كما قال تعالى عن إبراهيم ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى ٱلۡكِبَرِ إِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَۚ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ﴾ [إبراهيم: ٣٩].

عباد الله:

وإحسانه تعالى عام وخاص:

فالعامّ المذكور في قوله: ﴿ٱلَّذِينَ يَحۡمِلُونَ ٱلۡعَرۡشَ وَمَنۡ حَوۡلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَيُؤۡمِنُونَ بِهِۦ وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَا وَسِعۡتَ كُلَّ شَيۡءٖ رَّحۡمَةٗ وَعِلۡمٗا فَٱغۡفِرۡ لِلَّذِينَ تَابُواْ وَٱتَّبَعُواْ سَبِيلَكَ وَقِهِمۡ عَذَابَ ٱلۡجَحِيمِ﴾ [غافر: ٧]، ﴿وَٱكۡتُبۡ لَنَا فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِنَّا هُدۡنَآ إِلَيۡكَۚ قَالَ عَذَابِيٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنۡ أَشَآءُۖ وَرَحۡمَتِي وَسِعَتۡ كُلَّ شَيۡءٖۚ فَسَأَكۡتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤۡمِنُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٦]، وقال تعالى: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعۡمَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيۡهِ تَجۡـَٔرُونَ﴾ [النحل:٥٣]، وهذا يشترك فيه البرّ والفاجر، وأهل السماء وأهل الأرض والمكلّفون وغيرهم.

والخاصّ رحمته ونعمه على المتقين حيث قال: ﴿وَٱكۡتُبۡ لَنَا فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِنَّا هُدۡنَآ إِلَيۡكَۚ قَالَ عَذَابِيٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنۡ أَشَآءُۖ وَرَحۡمَتِي وَسِعَتۡ كُلَّ شَيۡءٖۚ فَسَأَكۡتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤۡمِنُونَ ﴿١٥٦﴾ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلۡأُمِّيَّ ٱلَّذِي يَجِدُونَهُۥ مَكۡتُوبًا عِندَهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ يَأۡمُرُهُم بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَىٰهُمۡ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنۡهُمۡ إِصۡرَهُمۡ وَٱلۡأَغۡلَٰلَ ٱلَّتِي كَانَتۡ عَلَيۡهِمۡۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٦ - ١٥٧]، وقال: ﴿وَلَا تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ بَعۡدَ إِصۡلَٰحِهَا وَٱدۡعُوهُ خَوۡفٗا وَطَمَعًاۚ إِنَّ رَحۡمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٞ مِّنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [الأعراف: ٥٦].

وفي دعاء سليمان: ﴿فَتَبَسَّمَ ضَاحِكٗا مِّن قَوۡلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوۡزِعۡنِيٓ أَنۡ أَشۡكُرَ نِعۡمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنۡ أَعۡمَلَ صَٰلِحٗا تَرۡضَىٰهُ وَأَدۡخِلۡنِي

﴿بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [النمل: ١٩]، وهذه الرحمة الخاصة التي يطلبها الأنبياء وأتباعهم، تقتضي التوفيق للإيمان، والعلم، والعمل، وصلاح الأحوال كلها، والسعادة الأبدية، والفلاح، والنجاح، وهي المقصود الأعظم لخواص الخلق.

وهو سبحانه المتصف بالجود: وهو كثرة الفضل والإحسان، وجوده تعالى أيضًا نوعان:

النوع الأول: جودٌ مطلق عمَّ جميع الكائنات وملأها من فضله وكرمه ونعمه المتنوعة.

النوع الثاني: جودٌ خاص بالسائلين بلسان المقال أو لسان الحال من برٍّ وفاجرٍ ومسلم وكافر، فمن سأل الله أعطاه سؤله وأناله ما طلب، فإنه البرّ الرحيم: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ﴾ [النحل: ٥٣]. ومن جوده الواسع ما أعدَّه لأوليائه في دار النعيم مما لا عينٌ رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر.

و(الوهاب) اسمٌ تكرَّر في القرآن الكريم في ثلاثة مواضع، قال الله تعالى: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ﴾ [آل عمران: ٨]، وقال تعالى: ﴿أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ ٱلْعَزِيزِ ٱلْوَهَّابِ﴾ [ص: ٩]، وقال تعالى في ذكر نبيّ الله سليمان عليه السلام: ﴿قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ﴾ [ص: ٣٥].

والوهَّاب: هو كثير الهبة والمنَّة والعطية، و(فعَّال) في كلام العرب للمبالغة، فالله جَلَّ وَعَلَا وهَّابٌ، يهبُ لعباده من فضله العظيم، ويوالي عليهم

النِّعم، ويوسِّع لهم في العطاء، ويجزل لهم في النَّوال، فجاءت الصّفة على (فعَّال) لكثرة ذلك وتواليه وتنوعه وسعِته، وهو سبحانه بيده خزائن كلِّ شيءٍ وملكوت السماء والأرض ومقاليد الأمور، يتصرَّف في ملكه كيف شاء، ما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن، يعطي لمن يشاء ما يشاء، ولا تزال هباته على عبده متوالية، وعطاياه له متتالية، في عطاء دائم، وسخاء مستمرّ، يجود بالنّوال قبل السؤال، من حين وُضِعتْ النُّطفة في الرَّحم، فنعمه وهباته للجنين في بطن أمِّه دارَّة، يربيه أحسن تربية، فإذا وضعته أمُّه عطف عليه والديه، ورباه بنعمه حتى يبلغ أشدّه، يتقلَّب في نعم الله ومواهبه مدَّة حياته.

وإذا كانت حياتُه على الإيمان والتّقوى فهذه أشرف هبة، وإذا توفاه الله على ذلك نال من المواهب أضعاف ما كان عليه في الدّنيا مما أعدَّه الله تعالى لعباده المؤمنين المتَّقين، مما لا عينٌ رأت، ولا أذنٌ سمعت، ولا خطرَ على قلب بشر.

وقد ذكر الله ﷻ في القرآن الكريم أنواعًا من هباته، وذكر توجه أنبيائه والصّالحين من عباده إليه في طلبها ونيلها.

فذكر سبحانه من هباته الرّحمة التي من نالها نال سعادة الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا﴾ [مريم: ٥٠]، وقال تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥ مِن رَّحْمَتِنَآ أَخَاهُ هَـٰرُونَ نَبِيًّا﴾ [مريم: ٥٣]، وقال تعالى: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ﴾ [آل عمران: ٨]، وقال تعالى: ﴿أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ ٱلْعَزِيزِ ٱلْوَهَّابِ﴾ [ص: ٩].

وذكر سبحانه من هباته الحكم والملك، قال تعالى: ﴿فَفَرَرْتُ مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [الشعراء: ٢١]، وقال تعالى: ﴿رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْحِقْنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [الشعراء: ٨٣]، وقال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِي لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِيٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ﴾ [ص: ٣٥].

وذكر سبحانه من هباته المنَّة على العبد بالزوجة الصّالحة، والذّرية الطّيبة ما يكون به قرَّة عين الإنسان، قال تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنَّا وَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِي ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [ص: ٤٣]، وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ [الفرقان: ٧٤]، وقال تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا صَٰلِحِينَ﴾ [الأنبياء: ٧٢]، وقال تعالى: ﴿فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ﴾ [الأنبياء: ٩٠]، وقال تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُۥدَ سُلَيْمَٰنَ ۚ نِعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾ [ص: ٣٠].

وهذه الهبات المتنوّعة بيده سبحانه، فهو المالك لهذا الكون، المتصرّف فيه سبحانه كما شاء، قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لَهُم مِّنْ أَوْلِيَآءَ يَنصُرُونَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۗ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن سَبِيلٍ ﴿٤٦﴾ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِرَبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ ۚ مَا لَكُم مِّن مَّلْجَإٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُم مِّن نَّكِيرٍ ﴿٤٧﴾ فَإِنْ أَعْرَضُوا۟ فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ۖ إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ۗ وَإِنَّآ إِذَآ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِنَّا رَحْمَةً فَرِحَ بِهَا ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ كَفُورٌ ﴿٤٨﴾ لِّلَّهِ مُلْكُ

ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ﴿٤٩﴾ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَٰثًا ۖ وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًا ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌ قَدِيرٌ﴾ [الشورى: ٤٦-٥٠]، وفي هذا دلالة على أنَّ وجود الولد وصلاحه هبة ربانية، ومنَّةٌ من الله تعالى، المتفرد بالتصرف والتدبير في هذا الكون لا شريك له، فالأمر له سبحانه مِن قبلُ ومن بعد، ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، يعطي من يشاء، ويمنع من يشاء، لا مانع لما أعطى، ولا معطي لما منع، وهو جَلَّوَعَلَا يعطي من يشاء من خلقه الأولاد، ويمنع من يشاء، وهو العليم القدير.

وقوله: ﴿يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا﴾ أي: يرزقه بناتٍ فقط ليس معهنّ ذكور، وقوله: ﴿وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ﴾ أي: يرزقه البنين فقط ليس معهم إناث، وقوله: ﴿أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَٰثًا﴾ أي: يجمع لمن شاء الذكور والإناث في العطاء، وقوله: ﴿وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًا﴾ أي: لا يولّدُ له أصلاً.

فقسَّم سبحانه حالَ الزوجين إلى أربعة أقسام: منهم مَن يُعطيه البنات، ومنهم مَن يُعطيه البنين، ومنهم مَن يعطيه من النوعين ذكوراً وإناثًا، ومنهم من يمنعه هذا وهذا، فيجعله عقيماً لا نَسلَ له ولا يولد له.

عباد الله:

والله سبحانه وهابًا يهب لعباده واحداً بعد واحد، ويعطيهم، ويجود بالعطاء من غير استثابة، ولا يستحق أن يُسمى وهابًا إلا من تصرفت مواهبه في أنواع العطايا، فكثرت نوافله ودامت، والمخلوقون إنما يملكون أن يهبوا مالاً أو نوالاً في حال دون حال، ولا يملكون أن يهبوا شفاءً لسقيم ولا ولداً لعقيم، ولا هدًى لضالٍّ، ولا عافية لذي بلاء، والله سبحانه يملك جميع

ذلك، وسع الخلق جودُه ورحمتُه، فدامت مواهبه واتصلت مننه وعوائده، ثم إن البشر وإن وهبوا فإنهم إذا غضبوا قطعوا هبتهم، وقد قال أحد الصالحين لوزير سأله ماذا يحتاج إليه لقوته في كل سنة ليجريه عليه، فقال: أنا في جراية من إذا غضب عليَّ لم يقطع جرايته عني.

بارك الله لي ولكم...

الخــطــبـة الثــانيــة

الحمد لله رب العالمين، مالك يوم الدين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أرسله الله على حين فترة من الرسل فأقام به عمود الدين، بعثه الله رحمة للعالمين، وحجة على الناس أجمعين. صلى الله وسلم وبارك عليه، وعلى آله وصحبه أجمعين، والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

عباد الله:

من آثار الإيمان باسمه سبحانه (الوهاب):

أولاً: محبة الله ﷻ وإخلاص العبادة له وحده، لأنه بيده وحده جميع المواهب التي لا تعد ولا تحصى بجميع أصنافها وأنواعها فهو سبحانه واهب الحياة، وواهب القوة، وواهب الرزق، وواهب الهداية والإيمان، من غير عوض ولا ثواب يريده سبحانه من خلقه؛ فخليق بمن هذه مواهبه أن يبذل له الحب كله، وأن يعبد وحده لا شريك له إذ لا يستطيع المخلوق، بل الخلائق جميعها أن تهب شيئاً من الهبات استقلالاً كما في قوله ﷻ: ﴿قُلۡ مَن يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ أَمَّن يَمۡلِكُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَمَن يُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَيُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتَ مِنَ ٱلۡحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُۚ فَقُلۡ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ [يونس: ٣١] إلى قوله تعالى في نفس السياق: ﴿قُلۡ هَلۡ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥۚ قُلِ ٱللَّهُ يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥۖ فَأَنَّىٰ تُؤۡفَكُونَ ۝٣٤ قُلۡ هَلۡ

مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَهْدِيٓ إِلَى ٱلْحَقِّ ۚ قُلِ ٱللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ ۗ أَفَمَن يَهْدِيٓ إِلَى ٱلْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّيٓ إِلَّآ أَن يُهْدَىٰ ۖ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ [يونس: ٣٤ – ٣٥].

ثانيًا: القيام بشكر الله ﷻ على هباته العظيمة الدينية والدنيوية وذلك بذلها في طاعته سبحانه واتقاء مساخطه، ونشر هدايته وإيصالها للناس من غير عوض يرجى في الدنيا.

ثالثًا: التخلق بهذه الصفة لمن أقدره الله ﷻ عليها، وذلك بأن يهب المؤمن مما وهبه الله ﷻ من مال أو جاه أو علم للمحتاجين إليه.

رابعًا: المحافظة على نعم الله ﷻ وهباته العظيمة من الضياع، وذلك بالبعد عن أسباب فقدها، ولا سيما هبة الهداية إلى الحق والإيمان، سؤال الله ﷻ والتضرع بين يديه بالثبات على الهداية وعدم الزيغ عنها كما توسل الراسخون في العلم باسمه (الوهاب) للثبات على الدين، وذلك في قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ۝ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ﴾ [آل عمران: ٧ – ٨].

خامسًا: سؤال الله ﷻ بهذا الاسم الكريم كل ما يحتاجه العبد من خيري الدنيا والآخرة؛ لأنه لا واهب إلا الله ﷻ وهذا كثير في دعاء الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام - في القرآن الكريم.

قال الله ﷻ: ﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥۖ قَالَ رَبِّ هَبۡ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةًۖ إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ﴾ [آل عمران: ٣٨]، وقال سبحانه عن دعوة سليمان عليه السلام: ﴿قَالَ رَبِّ ٱغۡفِرۡ لِي وَهَبۡ لِي مُلۡكًا لَّا يَنۢبَغِي لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعۡدِيٓۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡوَهَّابُ﴾ [ص: ٣٥].

وتحدث موسى عليه السلام عن نعمة ربه عليه بالنبوة فقال: ﴿فَفَرَرۡتُ مِنكُمۡ لَمَّا خِفۡتُكُمۡ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكۡمًا وَجَعَلَنِي مِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ﴾ [الشعراء: ٢١].

اللهم لك الحمد على جودك وكرمك، وفضلك وإحسانك، اللهم أعطنا ولا تحرمنا وزدنا ولا تنقصنا، وبارك لنا فيما أعطيتنا، وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب.

هذا وصلوا وسلموا...

(٧٠) الخطبة الأولى [(١)]

الحمد لله، يرث الأرض ومن عليها، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن نبينا محمداً عبده ورسوله، صلى الله وسلم وبارك عليه، وعلى آله وصحبه والتابعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

فاتقوا الله حق التقوى ﴿إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [يوسف: ٩٠].

عباد الله:

من أسماء الله تعالى اسم (الوارث) وقد ورد ذكر (الوارث) في القرآن ثلاث مرات كلها بصيغة الجمع وهي: في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِۦ وَنُمِيتُ وَنَحْنُ ٱلْوَٰرِثُونَ﴾ [الحجر: ٢٣].

وقوله تعالى: ﴿وَزَكَرِيَّآ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرْنِى فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٩].

وقوله تعالى: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍۭ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا ۖ فَتِلْكَ مَسَٰكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَن مِّنۢ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا ۖ وَكُنَّا نَحْنُ ٱلْوَٰرِثِينَ﴾ [القصص: ٥٨].

---

(١) اسم (الوارث).

وورد مرة واحدة بصيغة الفعل في قوله سبحانه: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ ٱلْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ﴾ [مريم: ٤٠]، وهو الذي يدل عليه قوله تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن: ٢٦ - ٢٧].

يقول الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ عند قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ ٱلْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا﴾ يقول: (ونحن نرث الأرض ومن عليها. بأن نميت جميعهم فلا يبقى حي سوانا إذا جاء ذلك الأجل).

وقال تعالى: عن زكريا عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿وَزَكَرِيَّآ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٩].

ومعنى (الوارث): أي الباقي بعد فناء الخلق﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِۦ وَنُمِيتُ وَنَحْنُ ٱلْوَٰرِثُونَ﴾ [الحجر: ٢٣]، الجميع يفنى، والكلُّ يموت، ويبقى الله وحده الحي الذي لا يموت.

وكتابه سبحانه هو كتاب الهداية والعز والفلاح يورثه سبحانه مَنْ اصطفاهم لمنته واجتباهم لكرامته ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ﴾ [فاطر: ٣٢] فكلهم قد اصطفاهم الله لوراثة هذا الكتاب، وإن تفاوتت مراتبهم، وتمايزت أحوالهم، فلكل منهم حظ ونصيب من وراثته.

عباد الله:

والله ﷻ هو الباقي الدائم الذي يرث الخلائق ويبقى بعد فنائهم، وهو سبحانه يبقى بعد ذهاب الملاك الذي أمتعهم في هذه الدنيا بما آتاهم؛ لأن

وجوهم ووجود الأملاك كان به ووجوده ليس بغيره، والله ﷻ يرث الأرض ومَنْ عليها، وهو خير الوارثين أي: يبقى بعد فناء الكل، ويفنى من سواه، فيرجع ما كان من ملك العباد إليه وحده لا شريك له، وله سبحانه ميراث السموات والأرض فهو يفني أهلها فتبقيان بما فيهما وليس لأحد فيها ملك فخوطب القوم بما يعقلون؛ لأنهم يجعلون ما رجع إلى الإنسان ميراثًا له إذ كان ملكًا له وقد أورثه غيره، والله سُبْحَانَهُوَتَعَالَى لم يزل باقيًا مالكًا لأصول الأشياء كلها ويورثها من يشاء ويستخلف فيها من أحب.

ومعنى (الوارث)، أي: الباقي بعد فناءِ الخلق، فكلُّ مَن سواه زائل، وكلُّ مَن عداه فانٍ، وهو جَلَّوَعَلَا الحيُّ الذي لا يموت، الباقي الذي لا يزول، إليه المرجع والمنتهى، وإليه المآل والمصير، يفني الملاك وأملاكهم، ويرث تبارك الخلقَ أجمعين؛ لأنه باقٍ وهم فانون، ودائمٌ وهم زائلون.

فقوله: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ ٱلْأَرْضَ﴾ أي: نرث الأرض ومن عليها، بأن نُميتَ جميعهم فلا يبقى حيٌّ سوانا إذا جاء ذلك الأجل، إذ الجميع يفنى وكلٌّ يموت، ويبقى الله وحده الحيّ الذي لا يموت.

وقال ﷻ: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ ٱلْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ﴾ [مريم: ٤٠]، وفي هذا تنبيهٌ لمن أَلْهَتْه الدنيا وشَغَلَتْه عمَّا خُلِقَ لأجله وأُوجِد لتحقيقه؛ أنّ الدنيا وما فيها من أولها إلى آخرها ستذهب عن أهلها، ويذهبون عنها، وسيرث الله ﷻ الأرض ومن عليها، ويُرجِعُهم إليه فيُجازيهم بما عملوا فيها.

وقد حثَّ الله عبادَه المؤمنين على النَّفقة في سبيله مِنَ المال الذي مَنَّ عليهم به، وجعلهم مُستَخلَفين فيه، مُذكِّراً لهم بأنه الوارثُ سبحانه، قال

تعالى: ﴿ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَأَنفِقُواْ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسۡتَخۡلَفِينَ فِيهِۖ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَأَنفَقُواْ لَهُمۡ أَجۡرٞ كَبِيرٞ﴾ [الحديد: ٧]، إلى أن قال: ﴿وَمَا لَكُمۡ أَلَّا تُنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ لَا يَسۡتَوِي مِنكُم مَّنۡ أَنفَقَ مِن قَبۡلِ ٱلۡفَتۡحِ وَقَٰتَلَۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَعۡظَمُ دَرَجَةٗ مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُواْ مِنۢ بَعۡدُ وَقَٰتَلُواْۚ وَكُلّٗا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ﴾ [الحديد: ١٠].

روى مسلم في صحيحه عن مُطرِّف، عن أبيه عبد الله بن الشِّخِّير رضي الله عنه قال: (أتيتُ النَّبيَّ ﷺ وهو يقرأ: ﴿أَلۡهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ﴾، قال: «**يقول ابنُ آدم: مالي، مالي، قال: وهل لك يا ابنَ آدم مِن مَالِكَ إلَّا ما أكلتَ فأفنيتَ، أو لبستَ فأبليتَ، أو تصدَّقت فأمضيتَ**».

عباد الله:

وفي موضع آخر مِنَ القرآن توعَّد سبحانه كفَّار قريش الذين مَنَّ الله عليهم بأنْ مكَّن لهم حَرَماً آمنًا يجبى إليه ثمرات كل شيء رزقا من لدنه سبحانه، وأبوا قبولَ دعوة الرسول ﷺ والإيمانَ بما جاء به، وتوعدهم بما فَعلَه بالأمم الماضية حيث قال: ﴿وَكَمۡ أَهۡلَكۡنَا مِن قَرۡيَةِۭ بَطِرَتۡ مَعِيشَتَهَاۖ فَتِلۡكَ مَسَٰكِنُهُمۡ لَمۡ تُسۡكَن مِّنۢ بَعۡدِهِمۡ إِلَّا قَلِيلٗاۖ وَكُنَّا نَحۡنُ ٱلۡوَٰرِثِينَ﴾ [القصص: ٥٨]، أي: أنه سبحانه الوارث للعباد حيث يُميتُهم سبحانه ويرجع إليه جميع ما متعهم به من النعم، ثم يعيدهم إليه ليجازي كلاًّ منهم بعمله.

وفي ذلك اليوم ينكشف للناس الغطاء، وتذهبُ أوهامُ مَن تعلَّقت قلوبهم بالدنيا، وظنوا أنهم باقون فيها، وأن ملكهم فيها سيبقى، وأنهم إلى الله لا يرجعون، فيوقنون حينئذ بأن الملك لله الواحد القهار، وأنه سبحانه الوارث

لديارهــم وأمــوالهم، ولا ينفعهم حينئذ تقطُّع قلوبهم حَسرات وامتلاؤُها بالنَّدَم والأَسَف.

وكان آخر خطبة خطبها عمر بن عبد العزيز أنْ حمد الله وأثنى عليه ثم قال: أمّا بعد، فإنّكم لم تُخلقوا عبثًا، ولن تُتركوا سُدى، وإنّ لكم معاداً ينزل الله فيه للحكم بينكم والفصل بينكم، فخاب وخسر مَنْ خرج مِنْ رحمة الله، وحرم جنّة عرضها السموات والأرض، ألم تعلموا أنّه لا يأمن غداً إلاّ من حذر هذا اليوم وخافه،وباع نافداً بباق، وقليلاً بكثير، وخوفًا بأمان، ألا ترون أنّكم من أصلاب الهالكين، وسيكون من بعدكم الباقين حتى تُردّون إلى خير الوارثين؟!.

ثم إنّكم في كلّ يوم تشيِّعون غاديـًا ورائحـًا إلى الله ﷻ، قد قضى نحبه، وانقضى أجله، حتّى تغيِّبوه في صدْع من الأرض، في بطن صَدْع غير ممهّد ولا مُوسّد، قد فارق الأحباب وباشر التراب، وواجه الحساب، مرتَهن بعمله، غني عمّا ترك، فقير إلى ما قدّم.

فاتقوا الله –عباد الله – قبل انقضاء مواثيقه، ونزول الموت بكم. ثم جعل طرف ردائه على وجهه، فبكى وأبكى من حوله).

بارك الله لي ولكم...

الخطبة الثانية

الحمد لله رب كل شيء ومليكه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله وسلم وبارك عليه، وعلى آله وأصحابه، والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

الله ﷻ هو المالك للسموات والأرض، والمالك لكل شيء، والأرض له سبحانه يورثها من يشاء من عباده.

قال تعالى: ﴿قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱسْتَعِينُواْ بِٱللَّهِ وَٱصْبِرُوٓاْ ۖ إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [الأعراف: ١٢٨]، وقال تعالى: ﴿وَأَوْرَثْنَا ٱلْقَوْمَ ٱلَّذِينَ كَانُواْ يُسْتَضْعَفُونَ مَشَٰرِقَ ٱلْأَرْضِ وَمَغَٰرِبَهَا ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا ۖ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ بِمَا صَبَرُواْ ۖ وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُۥ وَمَا كَانُواْ يَعْرِشُونَ﴾ [الأعراف: ١٣٧]، وقال تعالى: ﴿وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَٰرَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَـُٔوهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢٧].

والجنة دار كرامته يورثها من يشاء من عباده ﴿جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ عِبَادَهُۥ بِٱلْغَيْبِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ وَعْدُهُۥ مَأْتِيًّا ﴿٦١﴾ لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَٰمًا ۖ وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴿٦٢﴾ تِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِى نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيًّا﴾ [مريم: ٦١ - ٦٣].

وقال تعالى: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ ۖ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ ۖ لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ ۖ وَنُودُوا أَن تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ٤٣]، وقال تعالى: ﴿وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الزخرف: ٧٢].

وكتابه ﷻ هو كتاب الهداية والعزِّ والفلاح، يورثه سبحانه من اصطفاهم لمنَّته واجتباهم لكرامته، قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾ [فاطر: ٣٢]، فكلهم قد اصطفاهم الله لوراثة هذا الكتاب، وإن تفاوتت مراتبهم، وتمايزت أحوالهم، فلكلٍّ منهم قسط ونصيب من وراثته.

ثم إنَّ التوسُّل إلى الله بهذا الاسم داخلٌ في عموم قوله: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٠]، ولا سيما بمراعاة المناسبة بين المطلوب والاسم المذكور كما في دعاء نبي الله زكريا ؑ، قال تعالى: ﴿وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ ﴿٨٩﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٩-٩٠]، وفي الآية الأخرى قال: ﴿وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِن وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ﴿٥﴾ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ ۖ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا﴾ [مريم: ٥-٦].

والإرث المذكور هنا إنما هو إرثُ علمٍ ونبوَّةٍ ودعوةٍ إلى الله ﷻ لا إرث مالٍ، وقد توسَّل عليه السلام في هذا السياق باسم الله الوارث مراعاة لمناسبة المسألة والمطلوب.

ومن ثمرات الإيمان بهذا الاسم: اليقين بعظمة الله، وأن كل ما في السموات والأرض يؤول إليه، ويبقى سبحانه الواحد القهار.

هذا وصلوا...



الخطبة الأولى [(١)]

الحمد لله حمداً يليق بجلاله وعظيم سلطانه، له الحكم وإليه ترجعون، من توكل عليه كفاه وآواه. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن نبينا محمداً عبده ورسوله، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى أصحابه والتابعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

فاتقوا الله وراقبوه، واستعدوا ليوم تشخص فيه الأبصار.

أيها الناس:

كل من سار في هذه الدنيا، ووطأت قدمه الثرى يحتاج إلى مَنْ يعينه وينصره، ويحتاج إلى من يتوكل عليه وينصرف بقلبه إليه.

ولهذا كان التوكل على الله والاعتماد عليه في جلب المنافع ودفع المضار، وحصول الأرزاق، والنصر على الأعداء، وشفاء المرضى وغير ذلك من أهم المهمات وأوجب الواجبات، وهو من صفات المؤمنين، ومن شروط الإيمان، ومن أسباب قوة القلب ونشاطه، وطمأنينة النفس وسكينتها وراحتها.

---

(١) اسم (الوكيل).

والآيات في الأمر بوجوب التوكل على الله، والحث عليه في كتاب الله ﷻ كثيرة منها قوله: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾ [المائدة: ٢٣]، وقوله تعالى: ﴿فَإِذَا عَزَمۡتَ فَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ١٥٩] وقال عز من قائل في صفات المؤمنين: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [الأنفال: ٢].

وفي الحديث الصحيح المتفق عليه أن النبي ﷺ ذكر أنه يدخل الجنة من أمته سبعون ألفًا لا حساب عليهم، ثم قال في وصفهم: «**هم الذين لا يتطيرون، ولا يسترقون، ولا يكتوون، وعلى ربهم يتوكلون**».

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «**حسبنا الله ونعم الوكيل، قالها إبراهيم عليه السلام وحين ألقي في النار، وقالها محمد ﷺ حين قالوا: إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيمانًا وقالوا: حسبنا الله ونعم الوكيل**» [رواه البخاري].

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**لو أنكم تتوكَّلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير، تغدو خماصًا [جياعًا] وتروح بطانًا [شباعًا]**» [رواه أحمد والترمذي]

عباد الله:

من أسماء الله تعالى اسم (الوكيل).

قال الله تعالى: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ﴾ [الزمر: ٦٢]، فهو سبحانه المتولّي لتدبير خلقه، بعلمه، وكمال قدرته، وشمول حكمته، الذي تولى أولياءه، فيسَّر هم لليُسرى، وجنّبهم العُسرى، وكفاهم الأمور.

فمن اتخذه وكيلاً كفاه: ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۖ﴾ [البقرة: ٢٥٧].

و(الوكيل): له معنيان، عام وخاصّ:

العام: يدل عليه قوله: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ﴾ [الأنعام: ١٠٢]، أي المتكفل بأرزاق جميع المخلوقات وأقواتها، القائم بتدبير شؤون الكائنات وتصريف أمورها.

والخاص: يدل عليه قوله ﴿وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَزُوا۟ مِنْ عِندِكَ بَيَّتَ طَآئِفَةٌ مِّنْهُمْ غَيْرَ ٱلَّذِى تَقُولُ ۖ وَٱللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّتُونَ ۖ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا﴾ [النساء: ٨١]، أي نِعْم الكافي لمن التجأ إليه، والحافظ لمن اعتصم به، وهو خاص بعباده المؤمنين به، المتوكلين عليه.

وأما معنى التوكُّل: فهو الاعتماد على الله مع فعل الأسباب المشروعة أو المباحة، ومن توكَّل على الله كفاه ما أهمّه من أمور الدنيا والآخرة ﴿وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ ۚ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا﴾ [الطلاق: ٣].

و(الكفيل) معناه: القائم بأمور الخلائق المتكفِّل بأقواتهم وأرزاقهم.

وقول الله تعالى: ﴿وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُوا۟ ٱلْأَيْمَٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾ [النحل: ٩١]، قيل: أي: شهيداً، وقيل: حافظاً، وقيل: ضامناً.

هذا؛ ومن صدقَ مع الله بذلك ورضي به سبحانه كفيلاً أعانه على الوفاء، ويسَّر له الأمر من حيث لا يحتسب.

ومعنى الوكيل في اللغة: هو الذي توكل إليه الأمور، والتوكل: إظهار العجز في الأمر، والاعتماد على الغير، ويقال: توكل بالأمر إذا ضمن القيام

به، ووكّل فلانـًا إذا استكفاه أمره بكفايته أو عجزاً عن القيام بأمر نفسه، والمتوكل على الله: هو الذي يعلم أن الله كافل رزقه وأمره، فيركن إليه وحده ولا يتوكل على غيره.

والمعنى في الشرع:

الوكيل: الحفيظ المحيط، وقيل: الشهيد.

وهو المقيم الكفيل بأرزاق العباد القائم عليهم بمصالحهم، وحقيقته أنه يستقل بالأمر الموكول إليه، فالخلق والأمر كله له لا يملك أحد من دونه شيئًا، وقيل: الحافظ، الذي توكل بالقيام بجميع ما خلق.

وقيل: الكفيل ونعم الكفيل بأرزاقنا. وقيل: الكافي ونعم الكافي.

وقد ورد اسم (الوكيل) في القرآن في ثلاثة عشر موضعًا، منها قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُواْ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾ [آل عمران: ١٧٣]، ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [الزمر: ٦٢].

قال الراغب في المفردات: (التوكيل أن تعتمد على غيرك وتجعله نائبـًا عنك، والوكيل: فعيل بمعنى المفعول).

وقال الجوهري: (والتوكل إظهار العجز والاعتماد على غيرك والاسم التكلان).

واسمه سبحانه (الوكيل) يأتي بمعنى الوكيل العام على جميع خلقه، وذلك لأنه خالقهم ومدبر أمرهم والمتكفل بأرزاقهم وحاجاتهم، ومحييهم ومميتهم، وذلك كما في قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَٱعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [الأنعام: ١٠٢].

يقول الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ عند هذه الآية: (والله على كل ما خلق من شيء رقيب وحفيظ، يقوم بأرزاق جميعه وأقواته وسياسته وتدبيره وتصريفه بقدرته).

ويقول الشيخ السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ عند قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [الزمر: ٦٢].

(فإخباره بأنه على كل شيء وكيل، يدل على إحاطة علمه بجميع الأشياء، وكمال قدرته على تدبيرها، وكمال تدبيره، وكمال حكمته التي يضع بها الأشياء مواضعها).

أما المعنى الخاص (للوكيل) فهو ما ذكره السعدي بقوله: (الذي يتولى أولياءه فيسرهم لليسرى وجنبهم العسرى وكفاهم الأمور)، وهو المراد في قوله تعالى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا﴾ [الأحزاب: ٣]، وقوله سبحانه: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُواْ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾ [آل عمران: ١٧٣].

وقد دعا سبحانه عبادَه إلى التوكل عليه وحده، وجعل ذلك دليل الإيمان، قال تعالى: ﴿رَّبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذْهُ وَكِيلًا﴾ [المزمل: ٩]، وقال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَۖ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾ [الملك: ٢٣]، ووعد على ذلك عظيم الثواب، وحسن المآب، قال تعالى: ﴿فَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَيْءٍ فَمَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَاۖ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [الشورى: ٣٦]، وحذَّر سبحانه من التوكُّل على سواه، قال تعالى: ﴿وَءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُواْ مِن دُونِى وَكِيلًا﴾ [الإسراء: ٢].

والتوكل على الله وحده، وتفويض الأمور كلها إليه، والاعتماد عليه في جلب النعماء ودفع الضر والبلاء مقام عظيم من مقامات الدّين الجليلة، وفريضة عظيمة من فرائض الله على عباده يجب إخلاصها لله وحده، وهو من أجمع أنواع العبادة وأهمّها لما ينشأ عنه من الأعمال الصالحة والطاعات الكثيرة، فإنه إذا اعتمد القلب على الله في الأمور الدينية والدنيوية ثقة به سبحانه بأن الكفيل الوكيل لا شريك له صحَّ إخلاصه وقويت معاملته مع الله وحسن إسلامه وزاد يقينه وصلحت أحواله كلها.

فالتوكل الأصل لجميع مقامات الدين، ومنزلته منها كمنزلة الجسد من الرأس، فكما لا يقوم الرأس إلا على البدن، فكذلك لا يقوم الإيمان ومقاماته وأعماله إلا على ساق التوكل.

عباد الله:

وحقيقة التوكل هو عمل القلب وعبوديته اعتماداً على الله وثقة به والتجاء إليه، ورضا بما يقضيه له، لعلمه بكفايته سبحانه وحسن اختياره لعبده إذا فوض إليه أموره مع قيامه بالأسباب المأمور بها واجتهاداً في تحصيلها، ففي التّوكل جمعٌ بين أصلين: اعتماد القلب على الله وحده لا شريك له، مع فعل الأسباب المأمور بها والقيام بها، دون تعدٍّ إلى فعل سبب غير مأمور به وسلوك طريق غير مشروع، وقد جمع بين هذين الأصلين في نصوص كثيرة كقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَخۡبَتُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [هود: ٢٣]، وقوله: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥]، وقال النبي ﷺ: «**احرصْ على ما ينفعك واستعن بالله**»، والنصوص في هذا المعنى كثيرة.

والتوكل مصاحب للمؤمن الصّادق في أموره كلها الدينية والدنيوية؛ فهو مصاحب له في صلاته وصيامه وحجّه وبرّه وغير ذلك من أمور دينه، ومصاحب له في جلبه للرزق وطلبه للمباح وغير ذلك من أمور دنياه، فهو نوعان: توكل عليه في جلب حوائج العبد وحظوظه الدنيوية أو دفع مكروهاته ومصائبه، وتوكل عليه في حصول ما يحبه هو ويرضاه من الإيمان واليقين والصلاة والصيام والحج والجهاد والدعوة وغير ذلك.

ولذا روى أبو داود والترمذي وغيرهما عن أنس بن مالك رضي الله عنه أنّ النبيّ ﷺ قال: «**إذا خرج الرجل من بيته فقال: بسم الله، توكلت على الله، لا حول ولا قوة إلا بالله. قال: يقال حينئذ: هُديت وكُفيت ووُفيت، فيتنحى عنه الشيطان، فيقول شيطان آخر: كيف لك برجل قد هُدي وكُفي ووُقي؟!**».

وفي هذا دليل بيّن على عظيم افتقار العبد إلى كفاية الله وهدايته ووقايته، وأنه لا غنى له عن ربِّه طرفة عين بأن يكون له حافظًا ومؤيِّداً ومُسدِّاً وهاديًا.

قال ابن رجب عن التوكل: (هو صدق اعماد القلب على الله عز وجل في استجلاب المصالح، ودفع المضارّ من أمور الدنيا والآخرة وكلةُ الأمور كلها إليه، وتحقيق الإيمان بأنه لا يعطي ولا يمنع ولا يضرُّ ولا ينفع سواه).

وقال ابن القيم: (التوكل: نصف الدين. والنصف الثاني: الإنابة، فإن الدين: استعانة وعبادة. فالتوكل هو الاستعانة، والإنابة هي العبادة. ومنزلته أوسع المنازل وأجمعها. ولا تزال معمورة بالنزلين. لسعة متعلق التوكل، وكثرة حوائج العالمين، فأولياؤه وخاصته يتوكلون عليه في الإيمان، ونصرة دينه، وإعلاء كلمته، وجهاد أعدائه وفي محابه وتنفيذ أوامره).

وقال بعض السلف: من سرَّه أن يكون أقوى الناس، فليتوكل على الله.

وقال سالم بن أبي الجعد: (حُدَّثتُ أن عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ كان يقول: اعملوا لله ولا تعملوا لبطونكم، وإياكم وفضول الدنيا، فإن فضول الدُّنيا عند الله رجز، هذه طير السماء تغذو وتروح ليس معها من أرزاقها شيء، لا تحرث ولا تحصد، الله يرزقها، فإن قلتم: إن بطوننا أعظم من بطون الطير، فهذه الوحوش من البقر والحمير وغيرها تغدو وتروح ليس معها من أرزاقها شيء لا تحرث ولا تحصد، الله يرزقها).

عباد الله:

التوكل على الله أعم من أن يكون في تحصيل المال ومصالح الدنيا، بل هناك ما هو أعظم من ذلك وأنفع للعبد.

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ: (إن التوكل أعم من التوكل في مصالح الدنيا، فإن المتوكل يتوكل على الله في صلاح قلبه ودينه، وحفظ لسانه وإرادته وهذا أهم الأمور إليه، ولهذا يناجي ربه في كل صلاة بقوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥].

وهناك فهم خاطِئ للتوكل، فقد يظن بعض الناس أن معنى التوكل ترك الكسب بالبدن، وترك التدبير بالقلب، والسقوط على الأرض كالخرقة، وهذا ظن الجهال، وحرامٌ في الشرع. ولاشك أن ترك التكسب ليس من التوكل في شيء إنما هو من فعل البطالين الذي آثروا الراحة، وتعللوا بالتوكل.

قال ابن رجب رَحِمَهُ اللَّهُ: (واعلم أن تحقيق التوكل لا ينافي السَّعي في الأسباب التي قدر الله سبحانه المقدورات بها، وجرت سنته في خلقه بذلك، فإن الله تعالى أمر بتعاطي الأسباب مع أمره بالتوكل، فالسَّعيُ في الأسباب بالجوارح

طاعة له، والتوكل بالقلب إيمانٌ به، كما قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ خُذُواْ حِذۡرَكُمۡ فَٱنفِرُواْ ثُبَاتٍ أَوِ ٱنفِرُواْ جَمِيعٗا﴾ [النساء: ٧١]، وقال: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٖ وَمِن رِّبَاطِ ٱلۡخَيۡلِ﴾ [الأنفال: ٦٠]، وقال: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَٱبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ﴾ [الجمعة: ١٠].

عن أنس رضي الله عنه قال: قال رجل: يا رسول الله، أعقلها وأتوكَّل، أو أطلقها وأتوكَّل؟ قال: «**اعقلها وتوكَّل**» [رواه الترمذي].

قال معاوية بن قرة: لقي عمر بن الخطاب ناساً من أهل اليمن، فقال من أنتم؟قالوا: نحو المتوكَّلون، قال: (بل أنتم المتأكَّلون، إنما المتوكل الذي يلقي حبَّة في الأرض، ويتوكل على الله عز وجل).

والتوكل عند المسلم هو إذاً عملٌ وأملٌ، مع هدوء قلب، وطمأنينة نفس، واعتقاد جازم بأن ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، وأن الله لا يضيع أجر من أحسن عملاً.

والناس مع التوكل على ثلاثة أنواع:

الأول: من تواكل وقعد عن العمل ولم يأخذ بالأسباب وهذا مخالف لسنة الله عز وجل في الكون.

الثاني: من قام بالأسباب وترك التوكل وهؤلاء الماديون وأتباعهم.

الثالث: أهل الحق من قاموا بالأسباب وتوكلوا على الله عز وجل. وهذا هو طريق الرسل والأنبياء ومن تبعهم بإحسان، فهم يعملون للجنة وبتوكلون على الله، ويعملون في مصالحهم وهم متوكلون على الله، ويجاهدون وهم مستعدون متوكلون.

بارك الله لي ولكم...

الخطـــبـة الثـــانيــة

الحمـد لله، عليـه توكلنـا، وإليـه أنبنـا، وإليـه المصـير، وأشـهد أن لا إلـه إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن نبينا محمداً عبده ورسوله، أرسله بالهدى ودين الحق ليظهر على الدين كله، ولو كره الكافرون، صلى الله وسلم وبارك عليه، وعلى آله وصحبة أجمعين، والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

عباد الله:

من آثار الإيمان باسمه سبحانه (الوكيل):

أولاً: لما كان من معاني الوكيل: المتولي لأمر عباده حيث منه سبحانه الإيجاد والخلق، ومنه الإمداد بالرزق وأسباب الحياة ومنه الإعداد وأصناف النعم. فإن هذا يستلزم عبادته وحده لا شريك له ومحبته وإجلاله ورجاءه والخوف منه وحده سبحانه، وحمده وشكره.

ثانيًا: ولما كان الله ﷻ هو المتفرد برزق عباده وبيده النفع والضر، وبيده الموت والحياة فإن هذا يقتضي أوصافًا عظيمة من أوصافه سبحانه الأخرى كحياته وعلمه وقدرته وقوته ورحمته وجوده وكرمه، إلى غير ذلك من الأوصاف الحميدة التي يقتضيها اسمه الوكيل والكفيل.

ثالثًا: صدق التوكل على الله وحده في جلب المنافع، ودفع المضار ونقض القلب واليد عمن سواه؛ لأنه سبحانه الضامن لرزق عباده المدبر لشؤونهم، الراعي لمصالحهم بحكمه وعلم وقدرة مطلقة، وهذا يقتضي عدم

التعلق بالأسباب مع فعلها لأن الله ﷻ أمر بالأخذ بالأسباب الشرعية والنظر فيها إلى مسببها وخالقها وهو الله سبحانه.

قال الله تعالى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَيِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِهِۦ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًا﴾ [الفرقان: ٥٨]، فالوكيل سبحانه حي لا يموت، عزيز لا يغلب، رحيم يرعى مصالح عباده ويسوق لنفسه الخير إليهم بعلم وحكمة، أما من سواه فإنه يموت ويُغلب، ولا يملك لنفسه نفعاً ولا ضراً فضلاً عن أن يملكه لغيره.. وحقيقة التوكل تكون في غاية الاعتماد على الله تعالى مع غاية الثقة في كفايته وقدرته.

و(التوكل) معنى يلتئم من أصلين: من الثقة، والاعتماد، وهو حقيقة: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥] وهذان الأصلان – وهما التوكل، والعبادة – قد ذكرا في القرآن في عدة مواضع، قرن بينهما. هذا أحدها).

وصدق التوكل على الله تعالى من علامات الإيمان الحق، قال ﷻ: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [الأنفال: ٢].

رابعـًا: لما كان من معاني (الوكيل) و(الكفيل) الضامن لرزق عباده، المتكفل بذلك لهم فإن الإيمان بهذا يمحو القلق والهلع على الرزق في الدنيا، وهذا يلقى الطمأنينة والسكينة في قلوب عباده المتوكلين عليه، ويجعلهم يأخذون بالأسباب المشروعة في طلب الرزق وينأون بأنفسهم عن الأسباب المحرمة، ويرضون بما كتب الله تعالى لهم من الرزق لأنه سبحانه العليم الحكيم الذي يبسط الرزق لمن يشاء ويضيق على من يشاء.

خامسـًا: الثقـة بكفايـة الله تعـالى وتوليـه لعبـاده الصـالحين ونصـرته لهـم وإحسان الظن به سبحانه، وهذا كله يبث الرجاء في النفوس المؤمنـة ويـذهب عنها اليأس والخوف من المخلوق والإحباط والتشاؤم.

هذا وصلوا...

❁ ❁ ❁

(٧٢) الخطبة الأولى[1]

الحمد لله المحسن، أحسن إلى عباده، ووفق من شاء منهم إلى دينه القويم، وإلى صراطه المستقيم، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن نبينا محمداً عبده ورسوله، صلى الله وسلم وبارك عليه، وعلى آله وأصحابه وأتباعه إلى يوم الدين.

أما بعد:

فاتقوا الله – عباد الله – وراقبوه في السر والنجوى.

أيها المسلمون:

الله سبحانه أهلٌ أن يُحَبّ ويعَظَّم، وأهلٌ أن يُجلّ ويُطَاع، وليس للقلوب راحة ولا لذة إلا بمعرفته سبحانه، والشوق إلى لقائه، والتقرب إليه بما يرضيه، وإذا قويت هذه المعرفة عَظُم إقبال القلوب عليه، واستسلمت لشرعه، ولزِمَتْ أوامره، وبعدت عن نواهيه، وقَوِيَ الحياء من قربه ونظره.

ومن الطرق الموصلة إلى ذلك: معرفة المعاني العظيمة لأسماء الله الحسنى، وتفرُّدها بكل كمالٍ ومجدٍ وحكمةٍ ورحمةٍ وغيرِ ذلك من صفات الكمال.

---

(١) اسم (المُحسِن).

عباد الله:

أسماء الله كلها حسنى، ومن أسماء الله تعالى اسم (المحسن).

ولم يرد هذا الاسم في القرآن اسمـًا وإنّما ورد فعلاً كما في قوله تعالى: ﴿وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْأَخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ [القصص: ٧٧].

وقوله تعالى: ﴿رَّسُولًا يَتْلُوا۟ عَلَيْكُمْ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ مُبَيِّنَـٰتٍ لِّيُخْرِجَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ مِنَ ٱلظُّلُمَـٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعْمَلْ صَـٰلِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ قَدْ أَحْسَنَ ٱللَّهُ لَهُۥ رِزْقًا﴾ [الطلاق: ١١].

وقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ۖ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَـٰنِ مِن طِينٍ﴾ [السجدة: ٧].

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَـٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَـٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَـٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَـٰلِقِينَ﴾ [المؤمنون: ١٤].

وجاءت السنَّة بإثبات هذا الاسم لله ﷻ في ثلاثة أحاديث عن رسول الله ﷺ.

الأول: حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال: رسول الله ﷺ: «**إذا حكمتم فاعدلوا، وإذا قتلتم فأحسنوا، فإن الله مُحسن يحب المحسنين**» [رواه الطبراني، وأبو نعيم].

والثاني: حديث شداد بن أوس رضي الله عنه قال: حفظت من رسول الله ﷺ اثنين: قال: «**إن الله مُحْسن يُحبُّ الإحسان إلى كلِّ شيء، فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذّبح، وليحد أحدكم شفرته وليرح ذبيحته**» [رواه عبد الرزاق].

والثالث: حديث سمرة بن جندب رضي الله عنه، عن النبي قال: «**إن الله عز وجل محسن فأحسنوا، فإذا قتلَ أحدُكُم فليُحسِن مَقتولَه، وإذا ذَبَح فليحدَّ شفرتَه وليُرح ذَبيحته**» [رواه ابن عدي].

وهذه الرّوايات تدلُّ بمجموعها على ثبوت هذه الاسم لله عز وجل.

وقد جاء ذكر هذا الاسم في ثنايا كلام أهل العلم، وكثر التعبيد لله به.

والمعنى اللغوي للحسن؛ الحسن: نقيض القبح والجمع محاسن، وحسَّنتُ الشيء تحسيناً: زينته وأحسنت إليه وبه.

والمحاسن في الأعمال ضد المساوئ. والمحاسن: المواضع الحسنة من البدن.

وقال الراغب: (الإحسان يقال على وجهين: أحدهم: الإنعام على الغير، يقال: أحسن على فلان.

والثاني: إحسان في فعله، وذلك إذا علم علماً حسناً أو عمل عملاً حسناً. والإحسان فوق العدل وذلك أن العدل هو أن يعطي ما عليه ويأخذ ما له.

والإحسان أن يعطي أكثر مما عليه ويأخذ أقل مما له، فالإحسان زائد على العدل فتحري العدل واجب، وتحري الإحسان ندب وتطوع).

عباد الله:

والمعنى في حق الله تعالى:

قال القرطبي رحمه الله: (المحسن جَلَّجَلَالُهُ وتقدست أسماؤه، لم يرد في القرآن اسماً وإنما ورد فعلاً فقال: ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَخَرُّواْ لَهُۥ سُجَّدًا ۖ وَقَالَ يَـٰٓأَبَتِ هَـٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَـٰىَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّى حَقًّا ۖ وَقَدْ أَحْسَنَ بِىٓ إِذْ

أَخْرَجَنِي مِنَ ٱلسِّجْنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلْبَدْوِ مِنۢ بَعْدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيْطَٰنُ بَيْنِى وَبَيْنَ إِخْوَتِىٓ ۚ إِنَّ رَبِّى لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [يوسف: ١٠٠]. ومعناه راجع إلى معنى المفضل وذي الفضل، والمنان والوهاب).

وقال المناوي في قوله ﷺ: «إن الله تعالى محسن»: (أي: الإحسان له وصف لازم لا يخلو موجود عن إحسانه طرفة عين، فلا بد لكل مكون من إحسانه إليه بنعمة الإيجاد إليه بنعمة الإيجاد ونعمة الإمداد).

والله سبحانه محسن في إنعامه فيعطي النعم الكثيرة التي لا تعد ولا تحصى، ومحسن في فعله، فهو سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أحسن كل شيء خلقه؛ قال تعالى: ﴿ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ۖ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ﴾ [السجدة: ٧].

قال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وكان شيخُ الإسلام الهروي قد سمّى أهل بلده بعامة أسماء الله الحسنى، وكذلك بيتنا غلب على أسمائهم التعبيد لله: كعبد الله وعبد الرحمن،وعبد الغني والسلام والقاهر واللطيف والحكيم والعزيز والرحيم والمحسن..)، وذكر بعض أسماء الله الحسنى.

وقال ابن القيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وإقرار قلوبنا بأنَّ الله الذي لا إله إلا هو وأنه حكيم كريم محسن... ولا أحد أحب إليه الإحسان منه، فهو محسن يحب المحسنين).

ومعنى اسم الله (المحسن) يرجع إلى الفضل والإنعام والجود والإكرام والمن والعطاء، والإحسانُ وصفٌ لازم له سبحانه، لا يخلو موجود عن إحسانه طرفة عين بالإيجاد والإنعام والإمداد، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ۖ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ﴾ [السجدة: ٧]، وقال تعالى: ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ﴾ [التغابن: ٣].

وأعظم الإحسان التوفيق لهذا الدين، وشرح الصدر للزوم طاعة رب العالمين، والتثبيت على الحق والهدى إلى الممات، إلى أن يتوج ذلك بأعظم الكرامة وأجل الإحسان بدخول الجنان يوم القيامة، ورؤية الكريم الرحمن المحسن المنان، نسأله سبحانه من فضله العظيم وإحسانه الجزيل.

ثم إن الله سبحانه يحب من عباده أن يتقربوا إليه بمقتضى معاني أسمائه، فهو الرحمن يحب الرحماء، وهو الكريم يحب الكرماء، محسن يحب المحسنين، قال تعالى: ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ﴾ [البقرة: ١٩٥]، وقال تعالى: ﴿وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ [القصص: ٧٧]، وقال تعالى: ﴿هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ﴾ [الرحمن: ٦٠] وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾ [النحل: ١٢٨].

عباد الله:

والإحسان من العبد هو أعلى مقامات الدين وأرفعها كما جاء ذلك في حديث جبريل المشهور ﷺ، وفسر الإحسان في الحديث بأن يعبد ربه كأنه يراه، فإن لم يكن يراه فإن الله جَلَّ وَعَلَا يراه لا يخفى عليه منه شيء، وهذا إحسان في عبادة الله، وهو أشرف الدين وأرفع مقاماته، ومن الإحسان أيضا الإحسان إلى عباد الله برّاً بالوالدين، وصلة للأرحام، ووفاءً بالحقوق، وإعانة لذوي الحاجات، وكفّ الأذى عن الناس، والاجتهاد في إيصال الخير لهم، إلى غير ذلك من الإحسان لعباد الله.

وقد وعد الله على ذلك بالثواب العظيم، قال تعالى: ﴿هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَـٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَـٰنُ﴾ [الرحمن: ٦٠].

وقال تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ۖ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ﴾ [يونس: ٢٦].

وقال تعالى: ﴿مَا كَانَ لِأَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُوا۟ عَن رَّسُولِ ٱللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا۟ بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَطَـُٔونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ ٱلْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِۦ عَمَلٌ صَـٰلِحٌ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [التوبة: ١٢٠].

ومن ثمار الإحسان العظيمة في الدنيا انشراح صدر المحسن وطيب نفسه وطمأنينة قلبه، ولذا يقول ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ في كلام له عن أسباب شرح الصدر، قال: (ومنها: الإحسان إلى الخلق، ونفعهم بما يمكنه من المال والجاه، والنفع بالبدن وأنواع الإحسان، فإن الكريم المحسن أشرح الناس صدراً، وأطيبهم نفسا، وأنعمهم قلباً، والبخيل الذي ليس فيه إحسان أضيقُ الناس صدراً، وأنكدهم عيشاً، وأعظمهم هما وغمًّا).

وقد ضرب رسول الله ﷺ في (الصّحيح) مثلا للبخيل والمتصدق كمثل رجلين عليهما جُنّتان من حديد، كلما همَّ المتصدِّق بصدقة اتسعت عليه وانبسطت، حتى يجر ثيابه ويُعفيَ أثره، وكلما همَّ البخيل بالصدقة لزمت كل حلقة مكانها، ولم تتسع عليه، فهذا مثلُ انشراح صدرِ المؤمنِ المتصدِّقِ وانفساحِ قلبِه، ومثلُ ضيقِ صدرِ البخيلِ وانحصار قلبه).

وأما ثواب الإحسان في الآخرة فكل ما تشتهيه الأنفس وتلذُّه الأعين يناله المحسنون، قال تعالى: ﴿لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْۚ ذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [الزمر: ٣٤].

وقد جمع الله لهم بين الثوابين المعجل والمؤجل في قوله: ﴿فَـَٔاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ ٱلْـَٔاخِرَةِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٨].

وفي الحديث قال ﷺ: «إِنَّ اللّهَ مُحْسِنٌ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ».

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وهو المُنْعِم المحسن إلى عبده بالحقيقة، فإنه المتفضِّل بجميع النِّعم وإن جرت بواسطة، إذ هو مُيسّر الوسائط ومُسبب الأسباب).

والقلوب جُبلت على حبِّ من أحسن إليها، ولا أحد أعظم إحسانًا من الله، فإنَّ إحسانه على عبده في كل نَفَسٍ ولحظة، وأعظم إحسانه جَلَّ وَعَلَا: التوفيق لهذا الدين، وشرح الصدر للزوم طاعة رب العالمين.

بارك الله لي ولكم...

الخطبة الثانية

الحمد لله عمت نعمته، ووسع إحسانه، وتم فضله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن نبينا محمداً عبده ورسوله، وصفيه وخليله، صلى الله وسلم وبارك عليه، وعلى آله وصحبه أجمعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين..

أما بعد:

فاتقوا الله عباد الله، واخلصوا له العمل، فإن التحول إلى الدار الآخرة قريب والدنيا دار ممر لا دار مقر.

عباد الله:

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: إن معرفة الله ومعرفة أسمائه الحسنى وصفاته العليا هي غاية مطالب البرية، وهي أفضل العلوم وأعلاها وأسماها، وهي الغاية التي شمَّر إليها المشمرون، وتنافس فيها المتنافسون، وجرى إليها المتسابقون، وإلى نحوها تمتد الأعناق، وإليها تتجه القلوب الصحيحة بالأشواق، وبها يتحقق للعبد طيب الحياة، فإن حياة الإنسان بحياة قلبه وروحه، ولا حياة لقلبه إلَّا بمعرفة فاطره ومحبته وعبادته وحده والإنابة إليه والطمأنينة بذكره والأُنس بقربه، ومن فقد هذه الحياة فقد الخير كلَّه، ولو تعوَّض عنها بما تعوض من الدنيا، بل ليست الدنيا بأجمعها عوضا عن هذه الحياة، فمِنْ كلِّ شيءٍ يفوت عوضٌ، وإذا فاته الله لم يُعوِّض عنه شيءٌ البتَّة).

أيها المسلمون:

إن من آثار الإيمان باسمه (المحسن):

أولاً: الفرح بهذا الدين وشريعة الإسلام التي هي من آثار إحسانه سبحانه، والسعي لنشرها والدعوة إليها لتهنأ البشرية بهذا الإحسان العظيم وذلك بالعيش في ظلال هذه الشريعة الحسنى المتقنة التي كفلت الخير والمصالح العظيمة للناس، قال الله تعالى: ﴿أَفَحُكْمَ ٱلْجَـٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [المائدة: ٥٠].

ثانيًا: التحلي بصفة الإحسان والسعي لأن يكون العبد من المحسنين الذين يحبهم الله ﷻ حيث يقول: ﴿وَأَنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ ۛ وَأَحْسِنُوٓا۟ ۛ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة: ١٩٥]، والإحسان من العبد نوعان:

الأول: إحسان في عبادة الله تعالى كما جاء في الحديث الصحيح: «**الإحسان أن تعبد الله تعالى كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك**» [رواه مسلم].

والثاني: إحسان إلى عباد الله تعالى، وذلك بإيصال جميع أنواع الخير لهم، وكلا النوعين قد وعد الله تعالى بالثواب عليهما فقال: ﴿مَا كَانَ لِأَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُوا۟ عَن رَّسُولِ ٱللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا۟ بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَطَـُٔونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ ٱلْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِۦ عَمَلٌ صَـٰلِحٌ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [التوبة: ١٢٠]، والإحسان إلى الخلق صوره كثيرة فمن ذلك قضاء حوائجهم وإغاثة ملهوفهم،

وتعليمهم ما ينفعهم في دينهم ودنياهم، وإرشادهم إلى طريق الخير، وتحـذيرهم من مسـالك الشر والمهالك، وغير ذلك من وجوه الإحسان إلى الخلق.

ثالثًا: طلب حوائج الدنيا والآخرة من الله سبحانه، والاجتهاد في العمل للوصول إلى مرتبة الإحسان.

هذا وصلوا...

❁ ❁ ❁

٧٣ الخطبة الأولى [(١)]

الحمد لله ربنا الودود الرحيم، ذو العرش المجيد، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن نبينا محمداً عبده ورسوله، صلى الله وسلم وبارك عليه، وعلى آله وصحبه والتابعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

فاتقوا الله وأطيعوا أمره، واجتنبوا نهيه. فإن الفوز والفلاح في طاعته ومرضاته.

عباد الله:

من أسماء الله تعالى اسم: (الودود).

والود في اللغة: المحبة، تقول: وَدِدته إذا أحببته، وودِدت أن ذاك كان إذا؛ تمنيته.

والود: الحب يكون في جميع مداخل الخير.

والمعنى في الشرع: قال ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: (الودود: الحبيب).

وقيل: (الودود): هو المحب لأوليائه، وقد خلق الود فأسكنه قلوب خلقه.

وهو المحب لعباده الواد لهم، فهو يود عباده الصالحين ويحبهم.

---

(١) اسم (الودود).

ومن آثار ذلك: أنه يرضى عنهم بإعمالهم ويحسن إليهم، ويمدحهم بها، كما أنه يوددهم إلى خلقه، وهو سبحانه مودود، يوده عباده ويحبونه؛ لما يتعرفون من إحسانه إليه، وكثرة عوائده عندهم، فقد امتلأت قلوبهم بمحبته والتي لا تعادلها محبة أخرى، ولذا لهجت ألسنتهم بالثناء عليه، وانجذبت أفئدتهم إليه وداً وإخلاصاً وإنابة من جميع الوجوه.

ومحبة الله لعبده فضل منه ـ سبحانه ـ؛ فإنه سبحانه إذا أحب عبده جعل المحبة في قلبه، ثم لما أحبه العبد بتوفيقه لا بحول العبد ولا بقوّته، جازاه سبحانه بحب آخر، وهذا هو الإحسان المحض على الحقيقة، والمصلحة كلها إلى العبد، ومحبة العبد لربه محفوفة بمحبتين من ربه فمحبة قبلها صار بها محبـًا، ومحبة بعدها شكراً من الله له على محبة صار بها من أصفيائه المخلصين.

وقد اتفق سلف الأمة وأئمتها على أن الله تعالى يُحبِ ويُحَب لذاته، وأعلى درجات المحبة الخُلَّة وهي خاصة، وقد نالها إبراهيم ومحمد عليهما الصلاة والسلام، وقد أخبر بذلك رسول الله ﷺ.

قال ابن جرير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (ودود) يقول: ذو محبةٍ لمن أناب وتاب إليه، يوده ويحبه).

وقال في قوله: ﴿وَهُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلۡوَدُودُ﴾ (يقول تعالى ذكره وهو ذو المغفرة لمن تاب إليه من ذنوبه، وذو المحبة له).

وقال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (الودود هو المحب المحبوب بمعنى واد ومودود)، وقال أيضـًا: (فهو الذي يحب أنبياءه ورسله وأتباعهم ويحبونه، فهو أحب

إليهم من كل شيء قد امتلأت قلوبهم من محبته، ولهجت ألسنتهم بالثناء عليه، وانجذبت أفئدتهم إليهم وداً وإخلاصاً وإنابة من جميع الوجوه).

وقال أيضاً: (ولا تعادل محبة الله من أصفيائه محبة أخرى، لا في أصلها ولا في كيفيتها ولا في متعلقاتها وهذا هو الفرض، والواجب أن تكون محبة الله في قلب العبد سابقة لكل محبة عالية، ومحبة بقية المحاب تبعاً لها، ومحبة الله هي روح الأعمال، وجميع العبوديات الظاهرة والباطنة ناشئة عن محبة الله).

وقال تعالى في كتابه الكريم واصفاً نفسه الشريفة: ﴿وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ﴾ [البروج: ١٤].

الوَدُود: مأخوذ من الوِدّ، وهو خالص المحبّة: وهي بمعنى وادّ، وبمعنى مودود، لأنه ﷻ محب ومحبوب كما قال: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ يُجَـٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [المائدة: ٥٤].

و(الودود): الذي يحب أنبياءه ورسله وأتباعهم، ويحبونه، فهو أحب إليهم من كل شيء، وقد امتلأت من محبته، ولهجت ألسنتهم بالثناء عليه، وانجذبت أفئدتهم إليه ودًّا وإخلاصاً وإنابة من جميع الوجوه.

وهو ذو محبة لعباده الصالحين، يحب التوابين والمتقين والصابرين، فهم يحبونه محبة تدين وتذلّل وتعبد، ومحبته لهم محبة إحسان وتفضل.

وإذا أحبَّ الله عبداً اصطنعه لنفسه، واجتباه لمحبته، واستخلصه لعبادته فَشَغَلَ همّه به، ولسانه بذكره، وجوارحه لطاعته.

قال ابن القيم: (إن في القلب شعث لا يلمُّه إلا الإقبال على الله، وفيه وحشة لا يزيلها إلا الأنس به في خلوته، وفيه حزن لا يذهبه إلا السرور بمعرفته وصدق معاملته، وفيه قلق لا يسكنه إلا الاجتماع عليه والفرار إليه، وفيه نيران حسرات، ولا يطفئها إلا الرضى بأمره ونهيه وقضائه، وملازمة الصبر على ذلك إلى وقت لقائه، وفيه فاقة لا يسدّها إلاَّ محبته والإنابة إليه ودوام ذكره وصدق الإخلاص له، ولو أُعطي الدنيا وما فيها لم يُسدّ تلك الفاقه أبداً).

وقال السعدي رَحِمَهُ اللهُ في تقرير عظيم له في بيان معنى هذا الاسم ودلالاته: (الودود)، أي: المتودد إلى خلقه بنعوته الجميلة، وآلائه الواسعة، وألطافه الخفية، والجلية، فهو الودود بمعنى الوادّ، وبمعنى المودود، يحبّ أولياءه وأصفياءه ويحبونه، فهو الذي أحبهم وجعل في قلوبهم المحبة، فلما أحبوه أحبهم حبّاً آخر جزاء لهم على حبهم.

فالفضل كلُّه راجع إليه، فهو الذي وضع كل سبب يتودَّدهم به، ويجلب ويجذب قلوبهم إلى ودّه، تودَّدَ إليهم بذكر ما له من النّعوت الواسعة العظيمة الجميلة الجاذبة للقلوب السّليمة والأفئدة المستقيمة، فإن القلوب والأرواح الصحيحة مجبولة على محبة الكمال).

والله تعالى له الكمال التام المطلق، فكل وصف من صفاته له خاصية في العبودية وانجذاب القلوب إلى مولاها، ثم توددهم بآلائه ونعمه العظيمة

التي بها أوجدهم، وبها أبقاهم وأحياهم، وبها أصلحهم، وبها أتم لهم الأمور، وبها كمَّل لهم الضروريات والحاجيات والكماليات، وبها هداهم للإيمان والإسلام، وبها هداهم لحقائق الإحسان، وبها يسر لهم الأمور، وبها فرّج عنهم الكربات، وأزال المشقات، وبها شرع لهم الشرائع ويسرها ونفى عنهم الحرج، وبها بين لهم الصراط المستقيم وأعماله وأقواله، وبها يسر لهم سلوكه، وأعانهم على ذلك شرعا وقدرا، وبها دفع عنهم المكاره والمضار كما جلب لهم المنافع والمسارّ، وبها لطف بهم ألطافا شاهدوا بعضها، وما خفي عليهم منها أعظم.

فجميع ما فيه الخليقة من محبوبات القلوب والأرواح والأبدان الداخلية والخارجية، الظاهرة والباطنة فإنها من كرمه وجوده، يتودد بها إليه؛ فإن القلوب مجبولة على محبة المحسن إليها، فأي إحسان أعظم من هذا الإحسان الذي يتعذر إحصاء أجناسه، فضلا عن أنواعه، فضلا عن أفراده، وكل نعمة منه تطلب من العباد أن تمتلئ قلوبهم من مودته وحمده وشكره والثناء عليه.

ومِن تودُّده: أنَّ العبد يشرد عنه فيتجرأ على المحرمات، ويقصِّر في الواجبات، والله يستره ويحلم عنه ويمده بالنعم، ولا يقطع عنه منها شيئًا، ثم يُقيِّض له من الأسباب والتذكيرات والمواعظ والإرشادات ما يجلبه إليه، فيتوب إليه وينيب، فيغفر له تلك الجرائم، ويمحو عنه ما أسلفه من الذنوب العظائم، ويعيد عليه وده وحبَّه، ولعل هذا ـ والله أعلم ـ سرُّ اقتران الودود بالغفور في قوله: ﴿وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ﴾ [البروج: ١٤].

عباد الله:

ومن كمال مودته للتائبين أنه يفرح بتوبتهم أعظم فرح يقدَّر، وأنه أرحم بهم من والديهم وأولادهم والناس أجمعين، وأن من أحبه من أوليائه كان معه وسدده في حركاته وسكناته، وجعله مجاب الدعوة وجيهاً عنده، كما في الحديث القدسي: «**لا يزال عبدي يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، ولئن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه، وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن قبض نفس عبدي، المؤمن يكره الموت وأكره مساءَتَه**» [رواه البخاري].

وآثار حبّه لأوليائه وأصفيائه عليهم لا تخطر ببال، ولا تحصيها الأقلام، وأما مودة أوليائه له فهي رُوحهم ورَوحهم وحياتهم وسرورهم، وبها فلاحهم وسعادتهم، بها قاموا بعبوديته، وبها حمدوه وشكروه، وبها لهجت ألسنتهم بذكره، وسعت جوارحهم لخدمته، وبها قاموا بما عليهم من الحقوق والمتنوعة، وبها كفوا قلوبهم عن التعلق بغيره وخوفه ورجائه، وجوارحَهم عن مخالفته، وبها صارت جميع محابهم الدينية والطبيعية تبعا لهذه المحبة.

أما الدينية؛ فإنهم لما أحبوا ربهم أحبوا أنبياءه ورسله وأولياءه، وأحبوا كل عمل يقرب إليه، وأحبوا ما أحبه من زمان ومكان وعمل وعامل.

وأما المحبَّة الطبيعية؛ فإنهم تناولوا شهواتهم التي جبلت النفوس على محبتها من مأكل ومشرب وملبس وراحة على وجه الاستعانة بها على ما يحبه مولاهم، وأيضا فكما قصدوا بها هذه الغاية الجليلة فإنهم تناولوها

بحكم امتثال الأوامر المطلقة في مثل قوله: ﴿كُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ﴾ ونحوها من الأوامر والترغيبات المتعلقة بالمباحات والراحات، فصار السبب الحامل لها امتثال الأمر، والغاية التي قصدت لها الاستعانة بها على محبوبات الربّ، فصارت عبادات، وصارت أوقاتهم كلها مشغولة بالتقرّب إلى محبوبهم.

فكما أن الله ليس له مثيل في ذاته وأوصافه، فمحبته في قلوب أوليائه ليس لها مثيل ولا نظير في أسبابها وغاياتها، ولا في قدرها وآثارها، ولا في لذتها وسرورها، ولا في بقائهاودوامها، ولا في سلامتها من المنكدات والمكدرات من كل وجه.

وإذا عَرفَ العبدُ بأنَّ ربَّه سبحانه وَدودٌ يحبُّ أولياءه ويحب من أطاعه، يحب المؤمنين المتقين، ويحب الصابرين المتوكلين، ويحب التوابين المتطهرين، ويحب الصادقين المحسنين، ويحب جميع الطائعين، ولا يحب الظالمين الكافرين، ولا يحب الخائنين المسرفين، ولا يحب المختالين المستكبرين؛ فإنه يجب عليه أن يطيع أمره، ويفعل ما يحبه ويرضاه من سديد الأقوال وصالح الأعمال، وأن يتقرب إليه سبحانه بامتثال أمره، واجتناب نهيه، وحب ما يحبه من الأقوال والأعمال، وحب كلامه سبحانه، وحبّ رسوله ﷺ وسنته،نوالاجتهاد في متابعته، فبذلك تُنال محبةُ الله، قال تعالى: ﴿قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ [آل عمران: ٣١]، وفي الدُّعاء المأثور عن النبي ﷺ: «**أسألك حبَّك، وحبَّ من يحبُّك، وحُبَّ عملٍ يقرِّبني إلى حبِّك**» [رواه أحمد والترمذي].

عباد الله:

ذكر ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ جملة من الأسباب، التي تقرب إلى الله ﷻ وتجلب محبته ومودته، منها:

(قـراءةُ القـرآن بالتـدبر والـتفهّم لمعانيـه ومـا أُريـدَ بـه. والتقـرّب إلـى الله بالنوافل بعد الفرائض فإنها توصله إلى درجة المحبوبيَّة بعـد المحبـة. ودوام ذكره على كل حال باللسان والقلب والعمل والحال، فنصيبه من المحبة على قدر نصيبه مـن هـذا الـذكر. وإيثـارُ محابّه علـى محابّك عنـد غلَبَـات الهـوى، والتسَنُّمُ إلى محابّه وإن صَعُبَ المرتقى.

ومن ذلك مطلعة القلب لأسمائه وصفاته، ومشـاهدتها ومعرفتهـا، وتقلّبهـا في رياض هـذه المعرفـة وميادينهـا؛ فمـن تعـرف الله بأسـمائه وصـفاته وأفعالـه أحبَّه لا محالة.

وكذلك مشاهدة برِّه وإحسانه وآلائه ونعمه الباطنـة والظـاهرة؛ فإنهـا داعيـة إلى محبته.

ومن أعجبها، انكسار القلب بكليته بين يـدي الله تعـالى، ولـيس في التعبير عن هذا المعنى غير الأسماء والإشارات.

وكذلك الخلوة به وقت النزول الإلهي لمناجاته وتلاوة كلامـه، والوقـوف بالقلب والتأدب بأدب العبودية بين يديه، ثم ختم ذلك بالاستغفار والتوبة.

ومجالسة المحبين الصادقين، والتقاط أطايب ثمـرات كلامهـم كمـا ينتقـى أطايـب الثمـر، ولا تـتكلَّم إلا إذا ترجَّحـتْ مصـلحة الكـلام، وعلمـتَ أنَّ فيـه مزيداً لحالك ومنفعةً لغيرك.

و مباعدةُ كلِّ سببٍ يحولُ بينَ القلب وبينَ اللهِ ﷻ).

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿وَٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِۚ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٞ وَدُودٞ﴾ [هود: ٩٠].

هذا وصلوا...

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين، وفق من شاء من عباده إلى محبته، فأحبهم وأحبوه، وأشهد أن لا إله إلا الله، لا شريك له في ألوهيته وأسمائه وصفاته، وأشهد أن نبينا محمداً عبده ورسوله، وصفيه وخليله، صلى الله وسلم عليه وعلى آله وصحبه أجمعين، والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

الودّ مأخوذ من الوُدّ بضم الواو، بمعنى خالص المحبة، فالودود هو المحب المحبوب بمعنى وادّ مودود، فهو الواد لأنبيائه، وملائكته، وعباده المؤمنين، وهو المحبوب لهم، بل لا شيء أحب إليهم منه، ولا تعادل محبة الله من أصفيائه محبة أخرى، لا في أصلها، ولا في كيفيتها، ولا في متعلّقاتها، وهذا هو الفرض والواجب أن تكون محبة الله في قلب العبد سابقة لكل محبة، غالبة لكل محبة، ويتعيّن أن تكون بقية المحابّ تبعاً لها.

ومحبة الله هي روح الأعمال، وجميع العبودية الظاهرة والباطنة ناشئة عن محبة الله.

ومحبة العبد لربه فضلٌ من الله وإحسان، ليست بحول العبد ولا قوته، فهو تعالى الذي أحب عبده فجعل المحبة في قلبه، ثم لّما أحبه العبد بتوفيقه جازاه الله بِحُبٍّ آخر، فهذا هو الإحسان المحض على الحقيقة، إذ منه السبب ومنه المسبِّب، ليس المقصود منها المعاوضة، وإنما ذلك محبة منه تعالى

للشاكرين من عباده ولشكرهم، فالمصلحة كلها عائدة إلى العبد، فتبارك الذي جعل وأودع المحبة في قلوب المؤمنين، ثم لم يزل يُنميها ويُقويها حتى وصلت في قلوب الأصفياء إلى حالة تتضاءل عندها جميع المحابّ، وتُسلِّيهم عن الأحباب، وتُهوِّن عليهم المصائب، وتُلَذِّذُ لهم مشقّة الطاعات، وتثمر لهم ما يشاءون من أصناف الكرامات التي أعلاها محبة الله والفوز برضاه والأنس بقربه.

فمحبة العبد لربه محفوفة بمحبتين من ربه: فمحبة قبلها صار بها محبـًا لربه، ومحبة بعدها شكراً من الله على محبة صار بها من أصفيائه المخلصين.

وأعظم سبب يكتسب به العبد محبّة ربه التي هي أعظم المطالب، الإكثار من ذكره والثناء عليه، وكثرة الإنابة إليه، وقوة التوكّل عليه، والتقرب إليه بالفرائض والنوافل، وتحقيق الإخلاص له في الأقوال والأفعال، ومتابعة النبي ﷺ ظاهراً وباطناً كما قال تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [آل عمران: ٣١].

ومن آثار الإيمان باسمه سبحانه (الودود):

محبة الله ﷻ المحبة الحقيقية التي تثمر إخلاص العبودية له وحده، وتقديم محابة سبحانه على ما سواها، كما أنها تستلزم محبة من يحبه الله ﷻ وما يحبه، ويبغض من يبغضه وما يبغضه وهذه هي حقيقة الولاء والبراء.

وعلى المسلم التقرب على الله ﷻ بالعمل الصالح من الواجبات والنوافل وترك المكروهات والمحرمات، وإعانة المحتاجين، ومساعدة الأرامل والمساكين.

هذا وصلوا...

٧٤ الخطبة الأولى[1]

الحمد لله ولي المتقين، ولا عدوان إلا على الظالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله الحق المبين، وأشهد أن نبينا محمداً عبده ورسوله المصطفى الأمين، أدى الرسالة ونصح الأمة، وجاهد في الله حق جهاده، صلى الله وسلم وبارك عليه، وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

فاتقوا الله حق التقوى، واعلموا أنكم في دار عمل، وغداً حساب ولا عمل.

عباد الله:

إن شرف العلم تابع لشرف معلومه، ولا ريب أن أجل معلوم وأعظمه وأكبره هو الله الذي لا إله إلا هو رب العالمين، وقيوم السماوات والأرضين، الملك الحق المبين، الموصوف بالكمال كله، المنزه عن كل عيب ونقص، وعن كل تمثيل وتشبيه في كماله، ولا ريب أن العلم به وبأسمائه وصفاته وأفعاله أجلَّ العلوم، وأفضلها. ونسبته على سائر المعلومات كنسبة معلومه إلى سائر المعلومات. وكما أن العلم به أجل العلوم وأشرفها فهو أصلها، والمقصود أن العلم بالله أصل كل علم، وهو أصل علم العبد بسعادته

---

(١) اسم (المولى، الولي).

وكماله، ومصالح دنياه وآخرته. والجهل به مستلزم للجهل بنفسه، ومصالحها وكمالها، وما تزكو به وتفلح به، فالعلم به سعادة العبد، والجهل به أصل شقاوته.

ولا سعادة للعباد، ولا صلاح لهم، ولا نعيم إلا بأن يعرفوا ربهم ويكون هو وحده غاية مطلوبهم، والتعرف إليه قرة عيونهم.. ومتى فقدوا ذلك كانوا أسوأ حالاً من الأنعام. وكانت الأنعام أطيب عيش منهم في العاجل، وأسلم عاقبة في الآجل.

أيها المسلمون:

من أسماء الله تعالى: (المولى) و(الولي).

قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِأَعۡدَآئِكُمۡۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَلِيّٗا وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ نَصِيرٗا﴾ [النساء: ٤٥].

و(المَوْلَى): هو الناصر والمعين، فهو الذي يتولى الخلق عامة، والمؤمنين خاصة في كل الأحوال.

و(الولي): مالك الأشياء جميعها المتصرف فيها.

وولاية الله وتولّيه لعباده نوعان:

الأولى: ولاية عامة: وهي تصريفه سبحانه وتدبيره لجميع الكائنات، وتقديره على العباد وما يريد من خير وشر نفع وضر، وإثبات معاني الملك كلّه لله، وأنَّ العباد كلهم طوعُ تدبيره لا خروج لأحد منهم عن نفوذ مشيئته وشمول قدرته، وهذا أمر يشمل المؤمن والكافر ﴿ثُمَّ رُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ مَوۡلَىٰهُمُ ٱلۡحَقِّۚ أَلَا لَهُ ٱلۡحُكۡمُ وَهُوَ أَسۡرَعُ ٱلۡحَٰسِبِينَ﴾ [الأنعام: ٦٢].

الثانية: ولاية خاصة وتولٍّ خاص: تقتضي عنايته ولطفه بعباده المؤمنين وتوفيقهم بالتربية على الإيمان ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوۡلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخۡرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِۗ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [البقرة: ٢٥٧].

وتقتضي التأييد والنصرة على الأعداء ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۚ لَهَا مَا كَسَبَتۡ وَعَلَيۡهَا مَا ٱكۡتَسَبَتۡۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذۡنَآ إِن نَّسِينَآ أَوۡ أَخۡطَأۡنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تَحۡمِلۡ عَلَيۡنَآ إِصۡرٗا كَمَا حَمَلۡتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلۡنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦۖ وَٱعۡفُ عَنَّا وَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَآۚ أَنتَ مَوۡلَىٰنَا فَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٨٦].

وتقتضي منّتُهُ عليهم بدخول الجنة ﴿لَهُمۡ دَارُ ٱلسَّلَٰمِ عِندَ رَبِّهِمۡۖ وَهُوَ وَلِيُّهُم بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ [الأنعام: ١٢٧]، وقد بيَّن الله سبحانه الأسباب التي نال بها هؤلاء ولاية الله لهم وتوليّه إياهم بتوفيقه وتسديده ﴿أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ۝٦٢ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ﴾ [يونس: ٦٢-٣٦].

وقد جاء ذكر اسمه سبحانه (الولي) في القرآن خمس عشرة مرة، من ذلك قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوۡلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخۡرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِۗ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [البقرة: ٢٥٧].

وقوله سبحانه: ﴿وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِأَعۡدَآئِكُمۡۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَلِيّٗا وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ نَصِيرٗا﴾ [النساء: ٤٥]، وقوله ﷻ: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي يُنَزِّلُ ٱلۡغَيۡثَ مِنۢ بَعۡدِ مَا قَنَطُواْ وَيَنشُرُ رَحۡمَتَهُۥۚ وَهُوَ ٱلۡوَلِيُّ ٱلۡحَمِيدُ﴾ [الشورى: ٢٨]، وقوله سبحانه: ﴿إِنَّ أَوۡلَى ٱلنَّاسِ بِإِبۡرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِيُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۗ وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [آل عمران: ٦٨].

وقوله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِي مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِۚ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّۦ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِۖ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [يوسف: ١٠١].

وقوله ﷻ: ﴿وَٱخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُۥ سَبْعِينَ رَجُلًا لِّمِيقَٰتِنَاۖ فَلَمَّآ أَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّٰىَۖ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآۖ إِنْ هِىَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَآءُ وَتَهْدِى مَن تَشَآءُۖ أَنتَ وَلِيُّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَاۖ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْغَٰفِرِينَ﴾ [الأعراف: ١٥٥].

أما اسمه سبحانه (المولى) فقد ورد في القرآن الكريم اثنتي عشرة مرة من ذلك قوله تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَاۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٨٦].

وقوله سبحانه: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّاۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ [الأنفال: ٤]، وقوله ﷻ: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَأَنَّ ٱلْكَٰفِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ﴾ [محمد: ١١].

و(الوَلْي) في اللغة: القرب والدنو.

(والوَليُّ): ضد العدو، والموالاة ضد المعاداة، يقال فيه: تولاه.

(والمَوْلى): المُعتِقُ والمُعتَقُ، وابن العم، والناصر، والجار، والصديق، والتابع، والمحب، والحليف، والشريك، وابن الأخت.

ومعناهما في حق الله تعالى:

أولاً: (الولي):

قال ابن جرير في قول تعالى: ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوۡلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخۡرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِۗ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [البقرة: ٢٥٧] (نصيرهم وظهيرهم، يتولاَّهم بعونه وتوفيقه: ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوۡلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخۡرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِۗ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [البقرة: ٢٥٧]، يعني بذلك: يُخرجهم من ظلمات الكفر إلى نور الإيمان).

وقال في قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِأَعۡدَآئِكُمۡۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَلِيّٗا وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ نَصِيرٗا﴾ [النساء: ٤٥]، (وكفاكم وحسبكم بالله ربكم وليّاً يليكم ويلي أموركم بالحَيَاطة لكم، والحراسة من أن يَستفزَّكم أعداؤكم عن دينكم، أو يصدوكم عن اتباع نبيكم).

وقال في قوله تعالى: ﴿إِنَّ وَلِـِّۧيَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلۡكِتَٰبَۖ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٦]، (يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ قل يا محمد للمشركين من عبدة الأوثان: إنَّ وليي ونصيري ومعيني وظهيري عليكم الله الذي نزل الكتاب عليَّ بالحق، وهو يتولى من صلح عمله بطاعته من خلقه).

وقال الزجاج: (الولي) هو فعيلٌ، من الموالاة، والولي: الناصر وقال الله تعالى: ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوۡلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخۡرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِۗ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [البقرة: ٢٥٧]، وهو تعالى وليُّهم بأن يتولى نصرهم وإرشادهم، كما يَتولى ذلك من الصبي وليُّه، وهو يتولى يوم الحساب ثوابهم وجزاءهم).

وذكر الخطابي نحو كلام الزجاج، وزاد: (والولي أيضًا المتولّي للأمر والقائم به، كولي اليتيم، وولي المرأة في عقد النكاح عليها، وأصله من الوّلْي، وهو القُرْبُ).

ثانيًا: (المولى):

يقول ابن جرير رَحِمَهُ اللَّهُ في قوله تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ ۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ ۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٨٦]، أنت ولينا بنصرك، دون من عاداك وكَفَرَ بك، لأنا مؤمنون بك ومطيعون فيما أمرتنا ونهيتنا، فأنت وليُّ من أطاعك وعَدُوٌّ من كفر بك فعصاك، فانصرنا لأنَّا حزبك، على القوم الكافرين، الذين جحدوا وحدانيتك وعبدوا الآلهة والأنداد دونك، وأطاعوا في معصيتك الشيطان).

والمولى في هذا الموضع المفعل، من ولي فلان أمر فلان فهو يليه ولاية.

عباد الله:

و(المولى) اسم يقع على جماعة كثيرة، فهو: الربُّ، والمالكُ، والسَّيدُ، والمُنعمُ، والمُعتِقُ، والناصرُ، والمُحبُّ، والتابعُ، والجارُ، وابنُ العم، والحليفُ، والصِّهرُ، والعبدُ، والمنعمُ عليه، وأكثرها قد جاء في الحديث، فيضاف كل واحدٍ على ما يقتضيه الحديث الوارد فيه، وكل من ولي أمراً أو قام به فهو مولاهُ، ووَلِيُّهُ، وقد تختلف مصادر هذه الأسماء: فالوَلايةُ -بالفتح- في النسب، والنصرة والمُعتِق.

والوِلاية – بالكسر – في الإمارة، والوَلاءُ المُعتق، والموالا من والى القوم.

والله ﷻ هو المولى: ﴿فَاطِرُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ جَعَلَ لَكُم مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ أَزۡوَٰجٗا وَمِنَ ٱلۡأَنۡعَٰمِ أَزۡوَٰجٗا يَذۡرَؤُكُمۡ فِيهِۚ لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]، فهو المالك لكل شيء، وهو الذي سمى نفسه ﷻ بهذا الاسم، فقال تعالى: ﴿وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦۚ هُوَ ٱجۡتَبَىٰكُمۡ وَمَا جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٖۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمۡ إِبۡرَٰهِيمَۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ مِن قَبۡلُ وَفِي هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيۡكُمۡ وَتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِۚ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعۡتَصِمُواْ بِٱللَّهِ هُوَ مَوۡلَىٰكُمۡۖ فَنِعۡمَ ٱلۡمَوۡلَىٰ وَنِعۡمَ ٱلنَّصِيرُ﴾ [الحج: ٧٨].

وقال سبحانه: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ مَوۡلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَأَنَّ ٱلۡكَٰفِرِينَ لَا مَوۡلَىٰ لَهُمۡ﴾ [الأنفال: ٤٠]، وقال سبحانه: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ مَوۡلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَأَنَّ ٱلۡكَٰفِرِينَ لَا مَوۡلَىٰ لَهُمۡ﴾ [محمد: ١١].

والله تعالى هو مولى الذين آمنوا، وهو سيدهم وناصرهم على أعدائهم، فنعم المولى ونعم النصير، فالله ﷻ هو الذي يتولّى عباده المؤمنين، ويوصل إليهم مصالحهم، ويُيَسِّر لهم منافعهم الدينية والدنيوية ﴿وَنِعۡمَ ٱلنَّصِيرُ﴾الذي ينصرهم، ويدفع عنهم كيد الفجار وتكالب الأشرار، ومن كان الله مولاه وناصره فلا خوف عليه، ومن كان الله عليه فلا عِزّ له ولا قائمة تقوم له. فالله سبحانه ومولى المؤمنين فيدبرهم بحسن تدبيره فنعم المولى لمن نتولاّه فحصل له مطلوبه، ونعم النصير لمن استنصره فدفع عنه المكروه).

وقال الله ﷻ: ﴿بَلِ ٱللَّهُ مَوۡلَىٰكُمۡۖ وَهُوَ خَيۡرُ ٱلنَّٰصِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٥٠].

ومن دعاء المؤمنين لربهم تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ ما أخبر الله عنهم بقوله: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ ۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ ۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَـٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٨٦]، أي أنت ولينا وناصرنا وعليك توكَّلْنا، وأنت المستعان، وعليك التكلان، ولا حول ولا قوة لنا إلا بك.

بارك الله لي ولكم...

الخطبة الثانية

الحمد لله وكفى، وأشهد أن لا إله إلا الله رب لنا سواه، وأشهد أن نبينا محمداً، صلى الله وسلم وبارك عليه، وعلى آله وصحبه وسلم، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

فإن من آثار الإيمان بهذين الاسمين الكريمين:

أولاً: لما كان من معاني (المولى) المعنى الذي يدخل فيه الكافر والمؤمن بمعنى أنه سيد المخلوقات ومالكهم ومعبودهم الحق، فإن الإيمان بهذا الاسم الكريم يثمر محبة الله ﷻ وإفراده وحده سبحانه بالعبادة ونفيها عما سواه.

ثانيًا: وأما ولاية المحبة والتوفيق والنصرة فهي بهذا المعنى خاصة بالمؤمنين المتقين، وهي بهذا المعنى تثمر في قلوب أولياء الله الطمأنينة والثقة في نصرته سبحانه وكفايته وصدق التوكل عليه سبحانه قال الله ﷻ: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ مَوۡلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَأَنَّ ٱلۡكَٰفِرِينَ لَا مَوۡلَىٰ لَهُمۡ﴾ [محمد: ١١]، وهذا يثمر اليقين بذهاب الكفار وقطع دابرهم وإن ظهروا في وقت ما لحكمة فنهايتهم إلى ذهاب لأنهم مقطوعوا الصلة بالله ﷻ.

ثالثًا: السعي إلى نيل ولاية الله ﷻ والاتصاف بصفات أوليائه المتقين وذلك بتحقيق عبوديته سبحانه وتقواه والتقرب إليه بالعمل الصالح فبهذا تنال ولاية الله تعالى كما قال سبحانه: ﴿وَكَذَٰلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٖ مِّنَ

ﭐلۡمُشۡرِكِينَ قَتۡلَ أَوۡلَٰدِهِمۡ شُرَكَآؤُهُمۡ لِيُرۡدُوهُمۡ وَلِيَلۡبِسُواْ عَلَيۡهِمۡ دِينَهُمۡۖ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَا فَعَلُوهُۖ فَذَرۡهُمۡ وَمَا يَفۡتَرُونَ﴾ [الأنعام: ١٣٧].

أما من يوصفون بأولياء الله وهم أبعد ما يكون عن التوحيد ولزوم الكتاب والسُّنَّة وتقوى الله ﷻ وذلك بما يعرف عنهم من الشرك والشعوذة والوقوع في ما نهى الله عنه وترك ما أمر به، فهؤلاء أبعد ما يكونون عن أولياء الله تعالى، بل هم أولياء الشيطان وحزبه.

رابعًا: الإيمان عن أولياء الله تعالى، وتوليهم ونصرتهم والتبرؤ من أعداء الله تعالى وبغضهم وجهادهم، وهذا من مقتضيات عقيدة التوحيد القائمة على الولاء وللمؤمنين والبراءة من الكافرين.

خامسًا: استشعار عظمة الله سبحانه، والجدّ في العمل الصالح للدخول في زمرة أولياء الله.

هذا وصلوا وسلموا...

❁ ❁ ❁

تم الكتاب بحمد الله وتوفيقه، وأسأله أن يجعل عملي صواباً، خالصاً لوجهه، وأن يغفر لي، ولوالديّ، ولأهل بيتي، وللمسلمين أجمعين.

وصلى الله وسلم على نبيه محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.


الفهـــرس